أبحاث اليرموك

سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد (32)، العدد (1)، آذار 2023/ شعبان 1444

رئيس التحرير: أ.د. أنيس الخصاونة

قسم الادارة العامة، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة اليرموك.

هيئة التحرير:

أ.د. لافي محمد درادكه

كلية القانون، جامعة اليرموك

أ.د. يحيى ضاحي شطناوي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك

أ.د. عثمان محمد غنيم

كلية الأعمال، جامعة البلقاء التطبيقية

أ.د. حسين حسن أبو الرز

كلية التربية الرياضية، جامعة اليرموك

أ.د. أحمد محمد الجوارنة

كلية الآداب، جامعة اليرموك

أ.د. علي عقله نجادات

كلية الإعلام، جامعة اليرموك

المدقق اللغوي: حيدر عبدالمجيد المومني والدكتورة صفاء الشريدة

سكرتير التحرير: منار الشياب

تنضيد وإخراج: منار الشياب

أبحاث اليرموك

سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد (32)، العدد (1)، آذار 2023/ شعبان 1444

الهيئة الاكاديمية الاستشارية:

أ.د. محمد خير علي مامسر
وزير الشباب سابقاً

أ.د. عبد الناصر ابو البصل
جامعة اليرموك - وزير الوقاف سابقا

أ.د. نعمان احمد الخطيب
جامعة عمان العربية - عضو المحكمة الدستورية سابقاً

أ.د.سيار الجميل
جامعة ويسترن – كندا

أ.د. شريف درويش اللبان
جامعة القاهرة

أ.د. عبد اللطيف بن حمود النافع
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Prof. Pill Harris
University of South Africa, (UNISA)

أبحاث اليرموك

سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد (32)، العدد (1)، آذار 2023 / شعبان 1444

أبحاث اليرموك

سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد (32)، العدد (1)، آذار 2023 / شعبان 1444

أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية": مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك، إربد، الأردن

ترسل البحوث إلى العنوان التالي:-

رئيس تحرير مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك

اربد - الأردن

هاتف 7211111 2 962 00 فرعي 2074

Email: *ayhss@yu.edu.jo*

Yarmouk University

Deanship of Research and Graduate Studies

Website: *http://journals.yu.edu.jo/ayhss*

قواعد النشر

1- نشر البحوث التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية.

2- أن لا يكون البحث منشوراً في مكان آخر، وأن يتعهد صاحبه خطيًا بعدم إرساله إلى أية جهة أخرى.

3- تُقدّم البحوث بإحدى اللغتين العربية أو الإنجليزية فقط.

4- إذا كان البحث مستلاً من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه، فينبغي ذكر ذلك في هامش صفحة العنوان.

5- يُرسل البحث إلكترونياً متضمناً ملخصين، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وبما لا يزيد عن 200 كلمة لكلٍّ منهما.

6- يُقدم البحث للمجلة مرفقًا بخطاب إلكتروني موجهاً إلى رئيس التحرير يُذكر فيه: عنوان البحث، ورغبة الباحث في نشره بالمجلة، وعنوانه البريدي كاملاً والبريد الإلكتروني أو أية وسيلة اتصال أخرى يراها مناسبة.

7- أن لا تزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والملاحق عن (6500) كلمة.

8- تُعد قائمة بالمصادر والمراجع المنشورة في نهاية البحث حسب التسلسل الهجائي لاسم المؤلف العائلي، وبحيث تذكر المراجع العربية أولاً، وتليها المراجع الأجنبية ومن ثم المراجع باللغة العربية مترجمة الى الانجليزية.

التوثيق: حسب نظام APA كما هو موضح تاليًا:

أولاً: ترجمة المراجع إلى اللغة الإنجليزية في متن البحث وبنهايته.

ثانيًا:

أ - **توثيق المراجع والمصادر المنشورة:** يتم ذلك داخل المتن بذكر اسم العائلة للمؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة (إذا لزم). (Dayton, 1970, p.21)، ويشار إلى ذلك بالتفصيل في قائمة المراجع والمصادر في نهاية البحث.

- تعدُ قائمة بالمصادر والمراجع المنشورة في نهاية البحث حسب التسلسل الهجائي

لاسم عائلة المؤلف، بحيث تفصل المراجع باللغة العربية (**مترجمة**) عن المراجع باللغة الإنجليزية كما يلي:

Arabic References in English

English References

• إذا كان المرجع كتاباً يكتب هكذا:

كتاب مكتوب باللغة الإنجليزيه:

Ibrahim, Abdel Majeed. (2000). *Administration and Oorganization*, Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Amman, Jordan.

كتاب مكتوب باللغة العربية:

Al-Fayroozabaadi, M. (2004). Qamus Almuhit, the International House of ideas, Amman, Jordan.

• وإذا كان المرجع بحثاً في دورية يكتب هكذا:

Hamida, Basr. (2015). The Competencies of Applying among Physical Education Teachers in the light of Experience and Academic Qualification Variables in the State of Ouargla. *Journal of Humanities and Social Sciences*, 19 (3), 83-95.

ب - **توثيق الهوامش والمصادر غير المنشورة:** يتم ذلك في المتن بوضع الرقم المتسلسل للهامش داخل قوسين، هكذا: [1]. وتُذكر المعلومات التفصيلية لكل هامش في نهاية البحث تحت عنوان **الهوامش** وقبل قائمة المراجع.

(1) هو أبو جعفر الغرير، ولد سنة 161 ه، أخذ القراءات عن أهل المدينة والشام والكوفة والبصرة. توفي سنة 231 هـ.

(2) عبد المالك، محمود، الأمثال العربية في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك، 1983، ص 55-57.

(3) Arora, N., & Khurana, P. (2012). The Public Relations Practice & Impact on Effectiveness of Al-Basheer Hospital in Jordan. Amity Global Business Review, 7.

10- يُراعى أن تكون الأشكال والرسوم التوضيحية والصور الفوتوغرافية والخرائط واضحة المعالم والأسماء.

11- تُرقّم صفحات البحث بما فيها صفحات الرسوم والملاحق والجداول والهوامش بشكل متسلسل من بداية البحث إلى آخره.

12- يحق لرئيس التحرير إعادة الصياغة حيث يلزم ذلك في البحث، وبما يتناسب مع أسلوبها ونهجها.

13 - إذا سحب الباحث بحثه بعد التقييم، فهو ملزم بدفع تكاليف التقييم.

14- يُعطى صاحب البحث نسخة واحدة من المجلة، و(6) مستلات من البحث.

15- تنقل حقوق طبع البحث ونشره لمجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية" عند إبلاغ الباحث بقبول بحثه للنشر. **جميع حقوق الطبع محفوظة لجامعة اليرموك** ©

16- لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس التحرير، وما يرد فيها يعبر عن آراء أصحابه ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو سياسة جامعة اليرموك.

أبحـــاث اليرمـــوك

"سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"

المجلد (32)، العدد (1)، آذار 2023/ شعبان 1444

المحتويات

البحوث بالعربية

- **التحليل المكاني لمواقع الدوائر الحكومية في مدينة إربد بإستخدام نظم المعلومات الجغرافية** 1
  قاسم الدويكات وروان الجمرة
- **التَداعيات الاجتماعيَة لفيروس كورونا "كوفيد-19": دراسة ميدانية في المجتمع الأردنيّ** 29
  عبد الباسط عبد الله العزام ونور راكان الطعاني
- **محاورة النص الإعلامي (نص هيكل حول جمال حمدان)** 55
  نبيل يوسف حداد
- **الانزياح التركيبي في شعر يحيى الغزال الأندلسي** 69
  عمر فارس الكفاوين
- **صورة الفلسطيني في الرواية العبرية الحديثة بين "أرض قديمة جديدة" و"خربة خزعة"** 91
  نداء أحمد مشعل
- **انزياح الدلالة الشعرية دراسة في بنية اللغة الشعرية عند إبراهيم بن العباس** 113
  سحر محمد الجاد الله وأحلام واصف مسعد
- **مصطلح "القَبَالَة" في سياق اللغة والتاريخ والفقه** 133
  إبراهيم صدقة وفاطمة حموني
- **التحليل الجغرافي لأهم العوامل الجغرافية المؤثرة في إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية 1975م ـ 2015م** 157
  صالح بن محمد المالكي
- **التوظيف المتكامل لمخرجات النماذج الهيدرولوجية والمناخية في نمذجة عناصر الميزانية المائية بحوض وادي فاطمة (المملكة العربية السعودية)** 181
  صالح عبد المحسن الشمري
- **أثر الخصائص الاجتماعيَة والاقتصاديَة في ظهور خدمة النَقل غير الرَسمي داخل بلدية إربد الكبرى** 203
  عمر الضيافلة وهنادي الخطيب
- **تحقيق رأي الشافعي في الاستصلاح** 221
  حارث محمد سلامه العيسى

البحوث بالانجليزية

- **استقصاء أوضاع اللاجئين السوريين في الأردن: الطموحات والنوايا المستقبلية** 237
  فواز أيوب المومني، تمارا اليعقوب، سارة توبين، آري كنودسن، بنجامين إتزولد، رشيد الجراح

التحليل المكاني لمواقع الدوائر الحكومية في مدينة إربد بإستخدام نظم المعلومات الجغرافية

قاسم الدويكات * و روان الجمرة *

تاريخ الاستلام 2019/12/31 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.1 تاريخ القبول 2020/6/28

الملخص

تهدف الدراسة لتحديد النمط الجغرافي لتوزيع الدوائر الحكومية في مدينة إربد شمال الأردن، كما تسعى للكشف عن مدى عدالة توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة السبع، وارتباطه بالتوزيع الجغرافي للسكان. كذلك تسعى الدراسة إلى تحليل كثافة شبكة الطرق، والعلاقة بين كثافة الشبكة، وتوزيع السكان، والدوائر الحكومية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي لجمع بيانات الدراسة من مصادرها المكتبية، والإلكترونية، ودائرة الإحصاءات العامة، وبلدية إربد الكبرى. وتم تحديد إحداثيات الدوائر الحكومية بواسطة (Google Earth) كما استخدمت الدراسة تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، وتقنية الحزمه الإحصائية الاجتماعية (SPSS) لإجراء تحليل معامل ارتباط بيرسون ومربع كاي، ومنحنى لورنز. كما إستخدم تحليل صلة الجوار للكشف عن نمط التوزيع، واختبار المسافة المعيارية، وأتجاه التوزيع أيضا. وجدت الدراسة أن نمط التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية هو نمط متجمع. ويعود السبب في ذلك إلى تركز السكان، وارتفاع كثافة شبكة الطرق في بعض مناطق التركز. وأظهرت الدراسة أيضًا عدم وجود عدالة في التوزيع، وأن أتجاه انتشار الدوائر الحكومية كان من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وقد اثبتت الدراسة وجود علاقة طردية بين نمط تركز السكان والدوائر الحكومية، وعلاقة عكسية بين عدد الدوائر الحكومية وإجمالي اطوال الطرق. وتوصي الدراسة بإنشاء دوائر حكومية في الأحياء المعدومة، فضلا عن إنشاء مكاتب ارتباط فرعية لبعض الدوائر المهمة.

الكلمات المفتاحية: التحليل المكاني، الدوائر الحكومية، نمط التوزيع الجغرافي، صلة الجوار، المسافة المعيارية، اتجاه الانتشار، مؤشر كثافة شبكة المواصلات.

المقدمة

تُعد دراسة أنماط التوزيع المكاني، والكشف عن العلاقات المكانية للظواهرالجغرافية من الأتجاهات الحديثة للجغرافيا،مما ادى إلى ظهور جغرافية الخدمات كفرع مستقل ضمن الجغرافيا البشرية. (Habees and Arabiat, 2016) وهي تعالج المشاكل التي تواجه الإنسان عن طريق تأمين متطلباته وتحقيق سبل العيش الكريم. (Al Dweikat and Bany Esaa, 2012) لذلك تتميز المدن بشكل عام بتجمع الخدمات سواء كانت إدراية، صحية، تعليمية، دينية، سياحية أو ترفيهية. ويعد الاهتمام بهذه الخدمات من الامور الهامه التي تظهر مدى تقدم الدولة، وقدرتها على تسخير كافة إمكاناتها لتحقيق الرفاه الاجتماعي لسكانها (Aldoliyme, 2009).

وقد أدت الهجرات الداخلية من الريف إلى المدن قديما، والهجرات القسرية التي شهدها الأردن، إلى زيادة الكثافة السكانية في مدينة إربد. الأمر الذي ادى إلى زيادة الطلب على الخدمات التي تقدمها الدوائرالحكومية (Ghoneim, 2011).

وتكتسب الخدمات المختلفة التي تقدمها الحكومة أهمية كبرى لمواطنيها. حيث توفر هذه الخدمات سبل العيش الكريم، وتحسن مستوى المعيشة للإنسان. و قديماً اكتفى الإنسان بتلبية الحاجات الأساسية والضرورية لاستمرار الحياة، أما حديثا فأن هذه الخدمات توسعت واشتملت على خدمات ثانوية ترفع من مستوى حياة الانسان وتحقق رفاهه. وأصبحت كثير من الخدمات التي يتوجب على الحكومات تقديمها حقا من حقوق المواطنين (Ghoneim, 2011).

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم الجغرافيا، كلية الاداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

مشكلة الدراسة

تعد الدوائر الحكومية في اي دولة، المصدر الأساسي لتقديم الخدمات للمواطنين، التي توفر سبل العيش الكريم وتحسن مستوى المعيشة للأنسان. لذلك توجب تحقيق العدالة في توزيع هذه الخدمات بين المواطنين، وتسهيل إمكانية الوصول اليها والتعامل معها. وهذا هو احد أهم أهداف الدراسات الجغرافية، التي تسعى دائما إلى دراسة الوصولية المكانية، من خلال تحليل توزيع المواقع الجغرافية للمراكز التي تقدم تلك الخدمات. وتحاول الدراسة الإجابة عن الاسئلة التالية:

1- ما نمط التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية؟

2- هل هناك علاقة بين التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية وكثافة السكان وتوزيعهم؟

3- ما مدى عدالة التوزيع المكاني للدوائر الحكومية على مناطق مدينة إربد؟

4- ما أتجاه انتشار الدوائر الحكومية في منطقة الدراسة؟

5- ما العلاقة بين توزيع الدوائر الحكومية وكثافة شبكات الطرق في المدينة؟

منطقة الدراسة

تعد مدينة إربد مركزاً، وعاصمة لمحافظة إربد التي تتكون من تسعة ألوية هي: القصبة، الوسيطة، الطيبة، الكورة، الأغوار الشمالية، المزار، بني كنانة، بني عبيد، والرمثا. وتمثل مدينة إربد مركزاً للواء قصبة إربد. و"بلدية إربد الكبرى" المكونة من 18 منطقة هي: مدينة إربد، علعال، مرو، حكما، بيت راس، كفر جايز، حور، فوعرا، سال، بشرى، ايدون، حوارة، الصريح، الحصن، كتم، النعيمة، ام الابار، مزرعة تميرة. وتقع المحافظة بين دائرتي عرض (ً30 َ34 ˚32 شمالا و ً30 َ31 ˚32 جنوباً، وخطي طول ً30 َ52 ˚35 شرقا و ً0 َ48 ˚35 غربا. وتتكون مدينة إربد من سبع مناطق هي: النصر، المنارة، البارحة، الروضة، النزهة، الهاشمية، والرابية (Great Irbid Municipality, 2019). الشكل (1).

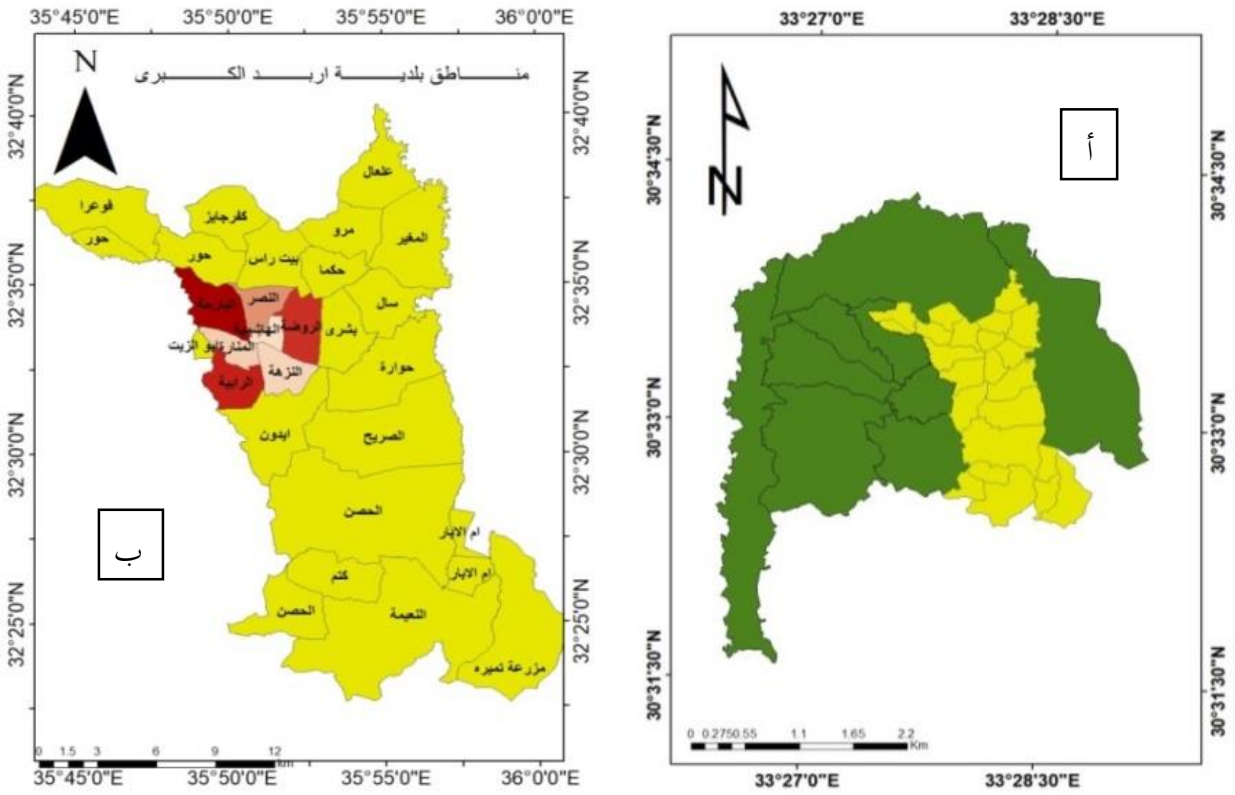

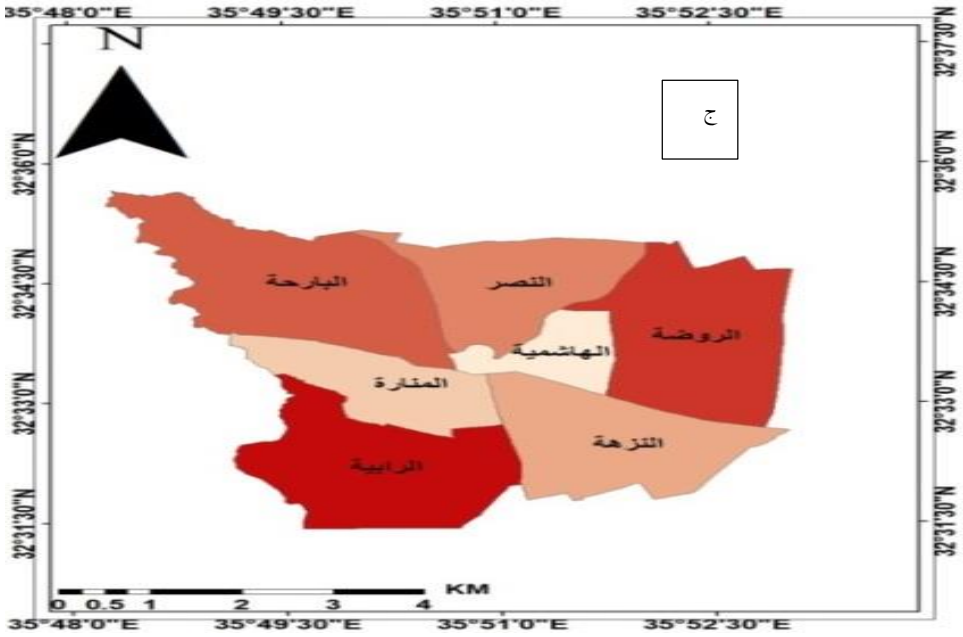

الشكل (1): (أ) محافظة إربد، (ب) مناطق بلدية إربد الكبرى، (ج) مناطق مدينة إربد.
المصدر: عمل الباحثين (استنادا إلى بلدية إربد الكبرى، 2019)

وتتكون كل منطقة من مناطق مدينة إربد من مجموعة من الأحياء، مجموعها 41 حياً (الشكل 2). حيث تتكون منطقة النصر من ستة أحياء، ومنطقة المنارة من خمسة أحياء، ومنطقة البارحة من ثمانية أحياء، ومنطقة النزهة من أربعة أحياء، ومنطقة الهاشمية من ستة أحياء، ومنطقة الرابية من خمسة أحياء، والبارحة من سبعة أحياء. (Great Irbid Municipality, 2019)

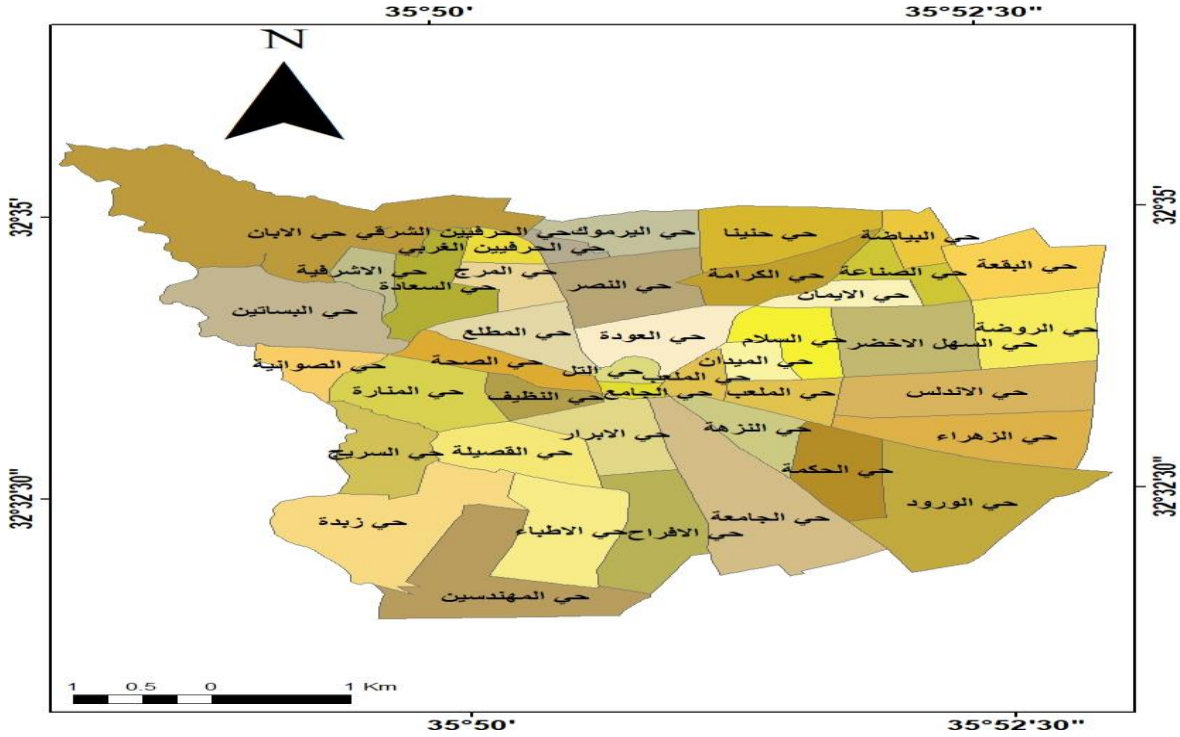

الشكل (2): أحياء مدينة إربد
المصدر: عمل الباحثين (استنادا إلى بلدية إربد الكبرى، 2019)

أهمية الدراسة ومبرراتها

تقدم هذه الدراسة صورة عامه عن توزيع الدوائر في مدينة إربد، لفائدة المواطن المستفيد منها. وتُعد هذه الدراسة ثاني الدراسات التي تناولت موضوع التحليل المكاني لمواقع الدوائر الحكومية في المدن الأردنية، والاولى في مدينة إربد. وتنبع قيمتها المضافة، في كونها محاولة للكشف عن مدى فعالية منهجية التحليل المكاني، لدراسة مواقع الدوائر الحكومية في مدينة إربد، بإستخدام تقنية النظم المعلومات الجغرافية، كاداة للتحليل.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرف على الخصائص المكانية للدوائر الحكومية.

2- التعرف على نمط التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية ومدى تركزها، وأتجاه انتشارها.

3- الكشف عن حجم الارتباط بين توزيع الدوائر وتوزيع السكان.

4- تحليل كثافة شبكات الطرق وارتباطها بحجم السكان وتوزيع الدوائر.

الدراسات السابقة

هدفت دراسة العتيبي (2021) المعنونه "خصائص التحليل المكاني للصيدليات الطبية في مدينة عفيف بإستخدام النظم المعلومات الجغرافية" إلى تحديد خصائص التوزيع المكاني للصيدليات الطبية في مدينة عفيف في العراق، وعلاقته ببعض المتغيرات الجغرافية المحيطة بمواقع الصيدليات الطبية كتوزيع السكان والكثافة السكانية. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة البيانات الرقمية، من خلال الاستعانة بالأسلوب الكمي القائم على إجراء تحليلات مكانية واحصائية. وتوصلت الدراسة إلى أن الصيدليات تأخذ النمط المتجمع. وهذا يعني أن الصيدليات تتقارب من بعضها على مكان صغير، وتترك مساحات كبيرة غير مخدومة.

سعت دراسة حسن (2020) المعنونة "التحليل المكاني لمواقع السياحة البيئية في شرق السودان بإستخدام النظم المعلومات الجغرافية لأجل تطوير مستدام"، لإبراز مواقع السياحة البيئية في شرق السودان و بيان درجة جاذبيتها، و تقييم كفاية الخدمات السياحية المتعلقة بها. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة البيانات الرقمية، من خلال الاستعانة بالأسلوب الكمي لأجراء تحليلات مكانية وإحصائية لإبراز الخصائص المكانية. وأظهرت الدراسة أن المواقع السياحية في منطقة الدراسة تمتد على ساحل البحر الأحمر و تمتلك مقومات الجذب السياحي. وقد حققت الملاءمة المكانية للنشاط السياحي السائد فيها. بينما تعاني الخدمات السياحية من القصور في بعض جوانبها، خاصة الإيواء السياحي. وقد أوضحت الدراسة إمكانية التوسع في خدمات الإيواء باختيار أنسب مكان لبناء فندق.

هدفت دراسة طاران وأخرين (2017) المعنونه "تحليل خصائص شبكة الطرق في محافظة إربد" إلى تحليل خصائص شبكة الطرق في محافظة إربد، بهدف التعرف على واقع الشبكة من حيث درجة اتصاليتها، ودورانيتها، وسهولة الوصول، وتحليل كثافتها بالنسبة للمساحة وعدد السكان. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. و توصلت الدراسة إلى وجود تدنٍ في معدل كثافة الطرق بالنسبة للسكان مقارنة بمعدل الكثافة على مستوى الأردن. وأوصت الدراسة بضرورة وضع الخطط التنموية الكفيلة بإنشاء طرق حديثة في المناطق التي تعاني من تدني نسبة الاتصالية مع الأخذ بعين الاعتبار التباين في التوزع السكاني.

حاولت دراسة الحبيس وعربيات (2016) المعنونة "نمط التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان الريفي في محافظة البلقاء/الأردن" التعرف على نمط التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان الريفي في محافظة البلقاء، وتحديد شكل الإمتداد المكاني لها، ومراكز ثقلها الفعلي. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والتحليل الكارتوغرافي. وتوصلت الدراسة إلى أن الاستيطان الريفي في منطقة الدراسة مرتبط بعلاقة الإنسان بالبيئة، ولذلك يتخذ الشكل العشوائي المشتت في التوزيع.

وهدفت دراسة (Umar et al., 2016) المعنونة " Spatial Analysis of Distribution of Secondary Schools in Nigeria،Giwa Zone of Kaduna State" إلى تحليل نمط التوزيع المكاني للمدارس الثانوية الحكومية في منطقة جيوا بولاية كادونا في شمال غرب نيجيريا. واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى أن 80% من المدارس الثانوية هي في منطقة جيوا وكودان في حين أن منطقة كاداج تعاني من نقص شديد في المدارس. وقد اثبتت الدراسة بإن المنطقتين تعانيان من إمكانية وصول متدنية.

وسَعت دراسة (Yang et al., 2016) المعنونة " Spatial Distribution Balance Analysis of Hospitals in Wuhan" إلى تحليل نمط التوزيع المكاني للمستشفيات في مدينة ووهان في الصين، ومدى إمكانية تقديم الخدمات الصحية في مركز وضواحي المدينة وضواحيها. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت إلى أن معظم المستشفيات الموجودة في المناطق الحضرية المركزية لديها إمكانية وصول جيدة. وتبين إن الأماكن البعيدة عن المستشفيات (الضواحي) تقل فيها إمكانية الوصول.

وَحَاولت دراسة (Abu Hammad et al., 2015) المعنونة " Geographical Distribution of Public Secondary Schools and Factors Affecting Success Rates in Rammallah and Al-Bireh Governorate Using GIS" إلى تحليل نمط توزيع المدارس الثانوية، والعوامل التي تؤثر على معدلات نجاح الطلاب في محافظة رام الله والبيرة. وإستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت إلى إن نمط توزيع مدارس الذكور يتخذ النمط العشوائي، بينما تتخذ مدارس الأناث النمط المتجمع. وتبين وجود عدد قليل من البنات في الغرفة الصفية بالمقارنة مع مدارس الذكور. وانعكس ذلك على معدلات النجاح، فكانت نسبة النجاح عند الأناث اعلى من الذكور.

سعت دراسة طاران والغميض (2015) المعنونة "التحليل المكاني لتوزيع الدوائر الحكومية في مدينة المفرق بإستخدام النظم المعلومات الجغرافية" إلى التعرف على نمط التوزيع، وأتجاه إنتشار الدوائر الحكومية في مدينة المفرق. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة البيانات الرقمية، من خلال الاستعانة بالأسلوب الكمي لأجراء تحليلات مكانية وإحصائية لإبراز الخصائص المكانية لتوزيع الدوائر في مدينة المفرق. وأظهرت الدراسة وجود تباين واضح في التوزيع، أذ تتركز معظم الدوائر الحكومية في الجهة الشرقية من مدينة المفرق، حيث كان نمط توزيعها عشوائيا.

ما يميز هذه الدراسة

ولعل اهم ما تميزت به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، بإنها الأولى من نوعها التي تناولت دراسة الدوائر الحكومية في مدينة إربد، والثانية على مستوى الأردن. مع الاختلاف الزمني في فترة الدراستين، ومكانهما. وتميزت أيضا عن سابقاتها في استخدامها لمؤشر كثافة الطرق، وعلاقتها بالتوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية موضوع الدراسة.

منهجية الدراسة

مصادر البيانات

تشمل مصادر بيانات الدراسة ما يلي:

- دائرة الإحصائات العامة وتم الحصول منها على نتائج التعداد السكاني لعام 2015.
- بلدية إربد الكبرى للحصول على المخططات الهيكلية والتنظيمية لمدينة إربد فيما يتعلق بتوزيع الدوائر الحكومية والتقسيمات الإدارية لمدينة إربد خلال فترة الدراسة.
- برنامج Google Earth وتم من خلاله توقيع الدوائرعلى خريطة إربد.
- تم الحصول على خرائط شبكة الطرق وإحداثياتها في مدينة إربد Shapefile من بلدية إربد الكبرى.
- المسح الميداني، حيث تم تسجيل إحداثيات الدوائر الحكومية الجديدة والتي ليس لها إحداثيات سابقة.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي ، للكشف عن نمط توزيع الدوائر الحكومية وارتباطها بالسكان وشبكة الطرق. كما استخدمت الأساليب الإحصائية التالية في تحليل البيانات و الكشف عن مدى عدالة التوزيع: مربع كاي Chi-Square ومنحنى لورنز Lorenz curve، ومعامل ارتباط بيرسون. كما إستخدمت الدراسة برمجية النظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10.5)، للكشف عن نمط توزيع الدوائر، ومدى تشتتها أو تركزها. وأتجاه انتشارها. كما إستخدم مؤشر قياس الكثافة للربط بين توزيع الدوائر وشبكة الطرق والسكان.

التحليل الاحصائي

معامل ارتباط بيرسون (Pearson's Correlation)

وهو أداة تستخدم لقياس طبيعة وقوة العلاقة بين قيم متغيرين، وتتراوح بين -1 و1 صحيح. فكلما اقتربت النتيجة من 1 صحيح، كانت العلاقة طردية، وكلما اقتربت من -1 كانت العلاقة عكسية بين المتغيرتين. أما إذا كانت النتيجة صفر أو قريبة من الصفر سلبا أم إيجابا، فان ذلك يدل على عدم وجود علاقة بين المتغيرين. (Al Saleh, 2000) وقد تم التحقق من أن العلاقة خطية بين المتغيرات قبل إجراء معامل ارتباط بيرسون كما سيرد لاحقا. ويبين الجدول (1) درجات الارتباط بين القيم ومدى قوتها.

$$r_p = \frac{n\sum xy - (\sum x)(\sum y)}{\sqrt{(n\sum x^2 - (\sum x)^2)(n\sum y^2 - (\sum y)^2)}}$$

r_P : معامل ارتباط بيرسون

$\sum_{i=1}^{n} x_i y_i$: مجموع حاصل ضرب xفي y

$\sum x$: مجموع قيم المتغير x

$\sum y$: مجموع قيم المتغير y

$\sum x^2$: مجموع مربعات قيم المتغير x

$\sum y^2$: مجموع مربعات قيم المتغير y

n : عدد القيم أو المشاهدات

الجدول (1): دلالات مستويات قيم معامل بيرسون

الرقم	قيمة الارتباط	درجة الارتباط
1	**أقل من ± 0.2**	درجة الارتباط ضعيفة للغاية او منعدمة
2	من ± **0.2** إلى ± **0.4**	درجة الارتباط منخفضة او ضعيفة
3	من ± **0.4** إلى ± **0.7**	درجة الارتباط جوهرية او حقيقية
4	من ± **0.7** إلى ± **1**	درجة ارتباط عالية وقوية

المصدر: عمل الباحثين (استنادا إلى شحادة، 2011)

مربع كاي (Chi-square**)**

وللكشف عن مدى العدالة في توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة، استخدم اختبار مربع كاي. وهذا الاختبار هو صيغة احصائية دقيقة تكشف عن طبيعة التوزيع، وفيما اذا كان عشوائيا او منتظما. واستخدم هذا الاختبار قديما لمعرفة مدى العدالة في توزيع الظواهر، وفيما اذا كان التوزيع الفعلي مطابقاً للتوزيع المثالي، أو قريبا منه. ويتم ذلك من خلال تطبيق المعادلة التالية (Shehadeh, 2011)،(Alsolymi, 2012) :

$$X = \text{مج} \frac{2\ (\text{أ} - \text{ب})}{\text{ب}}$$

حيث:

x = مربع كاي

أ = التكرار الحقيقي أو العدد الفعلي لقيم الظاهرة المدروسة

ب = التكرارالمتوقع أو العدد النظري المتوقع لقيم الظاهرة المدروسة

مج = مجموع القيم

وقد تم اجراء هذا الاختبار من خلال تغطية منطقة الدراسة بشبكة إحداثيات تكون على شكل مربعات متساوية المساحة، ومن ثم تم تحديد عدد الدوائر في كل مربع من خلال برمجية Arc map وأداة select by polygong. وتمثل النتيجة القيمة الملاحظة (التوزيع الفعلي للدوائر) في كل مربع كما في العامود (أ). وبعد ذلك تم حساب التوزيع المتوقع، بقسمة عدد الدوائر الحكومية على عدد المربعات. ولما كان عدد القيم 103 وعدد المربعات 13 فالعدد المتوقع هو 103/ 13 = 7.9 وهو ما يمثله العامود (ب). ثم نحسب الفرق المتوقع بين التوزيع المتوقع والتوزيع الملاحظ (أ- ب) ونضعة في العامود(4). ثم نربع هذا الفرق (أ- ب)^2 ونضعة في العامود(5). وأخيرا نقسم مربع الفرق بين التوزيع المتوقع والتوزيع الملاحظ على قيم التوزيع الملاحظ كما في العامود(6). وأخيراً نجمع القيم المثبتة في العامود(6). ويتم تحديد إحداثية الخرائط بواسطة برمجية (GIS)، وحساب المربع بواسطة برمجية إكسل.

منحنى لورنز (Lorenz curve**)**

وهو أسلوب رياضي، يتم تمثيله برسم بياني يظهر بصورة عينية مدى العدالة في توزيع الدوائر الحكومية مقارنة مع التوزيع المثالي لها، على نفس المساحة من الأرض. ويتكون منحنى لورنز من خطي توزيع احدهما يمثل التوزيع المثالي، والأخر يمثل التوزيع الفعلي. والمساحة المحصورة بينهما تعبر عن حجم عدم العدالة في التوزيع (shehadeh, 2011)، ويتم استخراجة بواسطة برمجية إكسل.

التحليل المكاني الكارتوغرافي

مدى التشتت والتركز لمواقع الدوائر الحكومية

ويعد هذا الاختبار احد اهم المعايير الاحصائية لقياس نمط توزيع الظواهر. ويعد معامل صلة الجوار أو الجار الأقرب، من الاختبارات القليلة التي تهتم بتوزيع النقاط التي تمثل الظواهر بصورة كمية. حيث تبدء من نقطة البداية المتطرفة (صفر) والتي تشير إلى تجمع الظاهرة، إلى ان تصل إلى نقطة التطرف الاخرى (2.15) والتي تدل على انتظام الظاهرة. ويشير الرقم واحد بينهما إلى التوزيع العشوائي. ويتم حساب صلة الجوار من خلال المعادلة الاتية:

$$\text{ل} = 2\ \text{مَ} \times \text{ن}/\text{ح}$$

حيث إن:

ل = صلة الجوار

مَ = متوسط المسافة الفاصلة بين النقاط

ن = عدد النقاط

ح = مساحة المنطقة المدروسة (Al Saleh, 2000)

وعند تطبيق المعادلة السابقة، أمكن تحديد ثلاثة انماط من التوزيعات المكانية للدوائر الحكومية، هي: النمط المتجمع في حال كانت (ل) أقل من واحد صحيح، و النمط العشوائي في حال كانت (ل) تساوي واحد صحيح او قريبة منه، و نمط متباعد إذا كانت قيمة (ل) محصورة بين اكثر من واحد واقل من (2.15) (Al Saleh, 2000).

مدى تجمع الدوائر الحكومية حول مركزها (قياس البعد المثالي عن المركز)

يقيس اختبار المسافة المعيارية Standard Distance مدى تجمع أو تشتت الدوائر الحكومية حول مركزها المتوسط. وهذا الاختبار يتطلب بالضرورة تحديد المركز الجغرافي المتوسط للدوائر على لاندسكيب المدينة البالغ مساحته نحو 36كم^2. وهو يختلف عن اختبار الجار الأقرب الذي يكشف نمط التوزيع، دون ربطة بمركز الدوائر المتوسط. ولأن هذا الاختبار الإحصائي الكارتوغرافي يقيس مدى تراص النقاط التي تمثل الدوائر الحكومية حول مركزها، فإنه لا بد من تحديد المساحة التي نريد قياس مدى تشتت الظاهرة عليها. وتحديد المساحة يتم عن طريق اختيار عدد الانحرافات المعيارية عن المتوسط الحسابي. فاختيار انحراف معياري واحد يعني أن الاختبار سيحدد لنا كيف تتوزع الدوائر الحكومية على مساحة هذا الانحراف. وأن نحو 68% من مجموع النقاط ستدخل في الاختبار (Al Dweikat and Al Wedyan, 2012). ويتطلب هذا الاختبار أيضا تحديد الوسط الحسابي Mean Center الذي يمثل مركز الثقل للتوزيع المكاني للنقاط التي تمثل الدوائر الحكومية. ويمكن حسابة من خلال المعادلة التالية (Al Solymin, 2015):

مج ب= م س/ ن

حيث م س : المسافة المعيارية

ن : عدد الدوائر الحكومية

ب^2 : مربع الانحرافات لإحداثيات الدوائر الحكومية في المدينة عن المركز المتوسط

أتجاه الأنتشار لمواقع الدوائر الحكومية

ويعبر أتجاه الأنتشار Directional Distribution عن شكل توزيع الدوائر الحكومية في مدينة إربد. وقد تم استخدام ملحق التحليل المكاني في النظم المعلومات الجغرافية في تحديد هذا الأتجاه. ويظهر أتجاه الانتشار من خلال توجه الانحراف المعياري البيضاوي Ellipse Standard Deviational. ويتم تحديد أتجاه الأنتشار من خلال قياس الانحراف المعياري في الإتجاه X وفي الإتجاه Y عن المركز المتوسط (Al Dweikat and Abu Rashed, 2012).

تحليل كثافة شبكة الطرق

تعد كثافة شبكة الطرق من المعايير الهامة التي تعكس مدى التطور الاقتصادي وتقدمه، واظهار مدى كفاءة الشبكة داخل اقليم، او دولة، او مدينة. وهي أيضا من ابسط مؤشرات الكثافة وايسرها. (Al Diafalah et al., 2016) فتشير المناطق ذات الكثافة العالية في شبكات الطرق إلى إمكانية عالية في الوصول. ذلك أنها تساعد على تقديم خدمات نقل متميزة، عكس المناطق التي تقل فيها الكثافة (Taran et al., 2016) وقد تم استخدام الاختبار الكارتوغرافي Line Density. لإجراء اختبار تحليل شبكة الطرق.

ويعرف Line Density على أنه الاختبار الكارتوغرافي ضمن ملحق التحليل المكاني Spatial Analyst Tools في برمجية Arc GIS 10.5 الذي يسعى لبيان المناطق التي تكون فيها سهولة الوصول اعلى بالنسبة للدوائر الحكومية، وهي التي يرتفع فيها مؤشر الكثافة.

وتصنف الطرق إلى أنواع وفقاً لحركة المرور عليها: طرق المرور السريعة، وهي طرق حديثة التصميم تربط الدولة بالدول المجاورة، وتتكون من مسربين في كل ممر. وتقدر السرعة التصميمية لها بنحو 150كم/ساعة. وطرق رئيسة، تتكون من مسربين في كل ممر وتقدر السرعة التصميمية لها بنحو 100كم/ساعة. وطرق فرعية، مكملة للطرق الرئيسية في ربط مراكز الأقليم الواحد مع بعضها البعض وبسرعة أقل من الطرق الرئيسية. وطرق جامعة، تربط طرق المرور السريعة بالطرق الرئيسية والفرعية (Al Sammak, 2011).

واستخدم في هذه الدراسة مؤشر قياس الكثافة، لقياس إجمالي الطرق إلى عدد السكان في المدينة. ولحساب اطوال الطرق إلى عدد السكان وعدد الدوائر الحكومية ومساحة مدينة إربد (Taran and Makhamrah, 2016). ولإلقاء مزيد من الضوء على إمكانية وصول المواطن للخدمات التي تقدمها الدوائر الحكومية، كان لا بد من الربط بينها وبين اعداد السكان وشبكة الطرق. ولتحقيق ذلك تم إستخدام المؤشرات التالية:

1- مؤشر كثافة شبكة الطرق و المساحة= إجمالي اطوال الطرق بالكيلومترات/ مساحة المنطقة

2- مؤشر كثافة شبكة الطرق والسكان= إجمالي اطوال الطرق بالكيلومترات/ عدد سكان المنطقة *1000.
(Makhamrah & Taran, 2016)

3- مؤشر إجمالي الدوائر الحكومية والطرق=إجمالي اطوال الطرق بالكيلومترات/ عدد الدوائر الحكومية *1000.

اجراءات الدراسة

- تم الحصول على إعداد الدوائر الحكومية من بلدية إربد الكبرى عام 2019.
- تم تحديد إحداثيات هذه الدوائر بواسطة برمجية Google Earth وتوقيع الدوائرعليها.
- تم الحصول على خرائط مدينة إربد من دائرة النظم معلومات الجغرافية في البلدية Raster Image، وتم ضبط مرجعيتها وترقيمها.
- تم الحصول على اعداد سكان المدينة من بلدية إربد.
- تم الحصول على شبكة طرق مدينة إربد Shapefile من بلدية إربد الكبرى.
- تم ترقيم مناطق المدينة وأحيائها على خريطة مدينة إربد.
- تم توثيق إحداثيات الدوائر الحكومية على الخريطة الرقمية.
- تم اجراء التحليلات المكانية اللازمة.
- تم اجراء التحليلات الاحصائية للكشف عن الارتباطات بين توزيع السكان وتوزيع الدوائر.
- تم توقيع شبكة الطرق وتحديد مؤشر كثافة الطرق (الشكل 3).

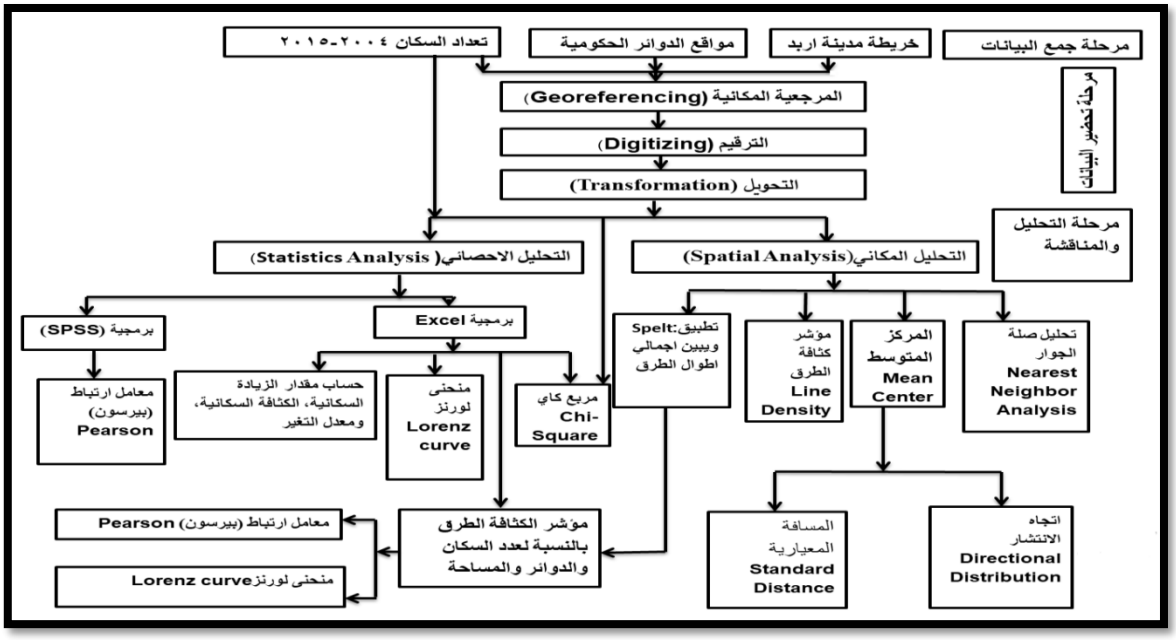

الشكل (3): منهجية الدراسة

المصدر: عمل الباحثين

مُصطلحات الدراسة ومفاهيمها

نمط التوزيع الجغرافي: هو طبيعة ترتيب توزيع الظاهرة في الحيز المكاني الذي يشغله، لذلك تهتم الدراسات الجغرافية بالكشف عن نمط توزيع الظاهرة (Al-Habees and Arabiat, 2016).

المرجعية المكانية: وهي نظام مرجعي متناسق يحدد إحداثيات (العرض، والطول، والارتفاع) للظواهر الجغرافية سواء كانت نقطية أو مساحية أو خطية. وهذا النظام يساعد على تحديد مواقع الظواهر والتعبير عنها بشكل دقيق.

التحليل المكاني: هو التجزئة التي تهدف إلى فهم واستيعاب خصائص وسلوك الظواهر وعلاقاتها، بحيث تدرس الاختلافات والتشابهات بين الظواهر للخروج بتعميمات ونماذج ونظريات، عن سلوك الظواهر وعلاقتها مع غيرها من الاماكن (Al Dweikat, 2020)

كثافة شبكة الطرق: تقيس إجمالي اطوال الطرق إلى عدد السكان أو عدد الدوائر الحكومية أومساحة المدينة. (Al Sammak, 2011)

التحليل المكاني والإحصائي لمواقع الدوائر الحكومية

1- الخصائص المكانية للدوائر الحكومية في مدينة إربد

بلغ عدد الدوائر الحكومية في مدينة إربد 103 دوائر حكومية تتبع لمختلف الوزارات، وتتوزع على مختلف مناطق المدينة وأحيائها. الشكل (4) والجدول (2).

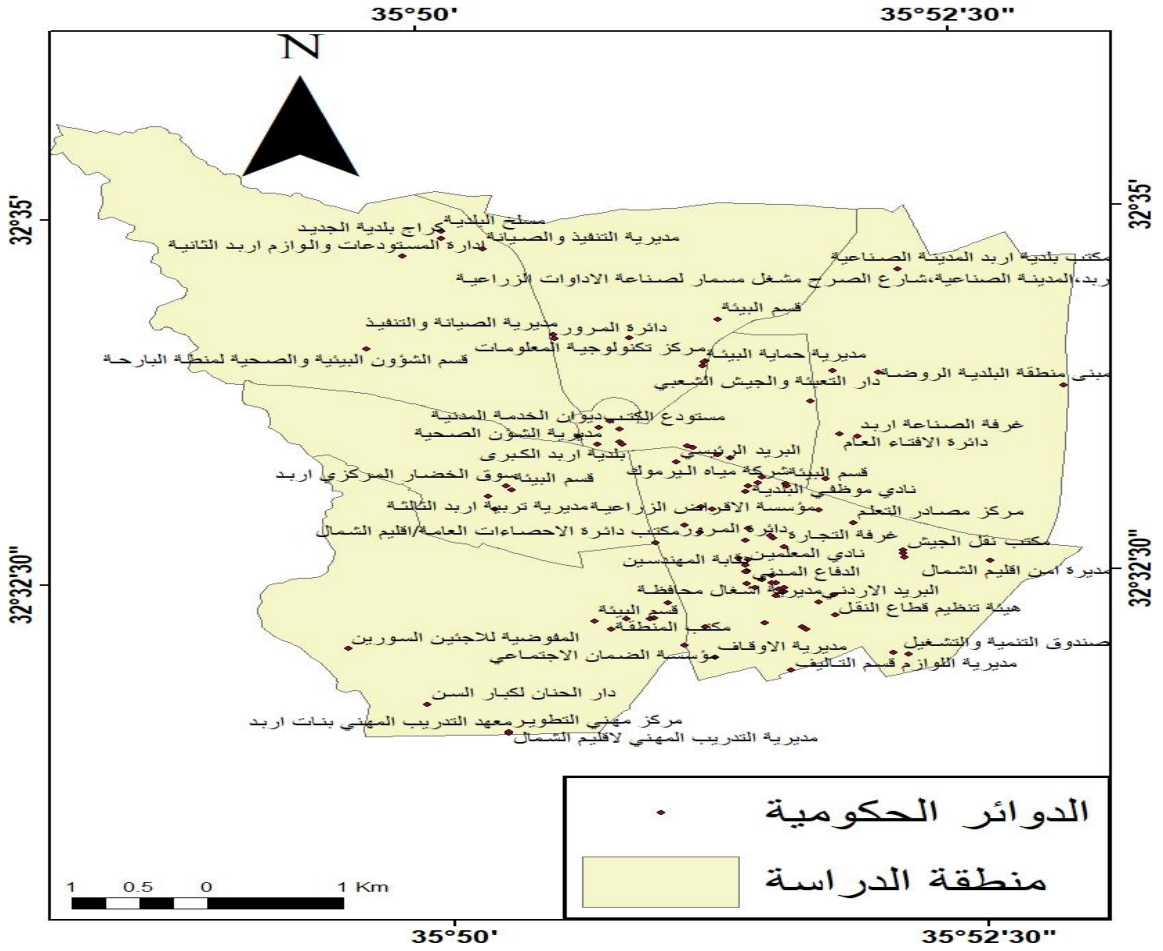

الشكل (4): اسماء الدوائر الحكومية في مدينة إربد وتوزيعها الجغرافي

المصدر: عمل الباحثين، استناداً إلى بلدية إربد الكبرى و Google Earth، 2019.

الجدول (2): توزيع اسماء الدوائر الحكومية في أحياء مدينة إربد.

المنطقة	الحي	عدد الدوائر	اسماء الدوائر الحكومية
الهاشمية	الجامع	4	ديوان الخدمة المدنية، ومستودع الكتب، ومديرية اللوازم قسم التاليف، وبلدية إربد - قسم الحركة
	التل	4	دائرة الشوؤون الصحية، ومديرية الشؤون الصحية، وبلدية إربد الكبرى، ومجلس الخدمات المشتركة في بلدية إربد الكبرى
	الهاشمي	3	مالية محافظة إربد، ومديرية حماية البيئة، ووزارة البيئة محافظة إربد
	الملعب	4	مديرية الاحوال المدنية والجوازات، وقسم البيئة، وادارة مياة قطاع الشمال، ومبنى منطقة الهاشمية بلدية إربد الكبرى
	الميدان	0	لا يوجد
	السلام	1	مركز قصة النجاح للتربية الخاصة والتوحد
	المجموع	**16**	
النصر	العودة	3	المؤسسة الاستهلاكية السوق الشمالي، والمؤسسة الاستهلاكية العسكرية، ومديرية حماية البيئة
	النصر	3	مديرية الصيانة والتنفيذ، ودائرة المرور، ومركز تكنولوجيا المعلومات
	الكرامة	1	قسم البيئة
	حنينا	0	لا يوجد
	اليرموك	0	لا يوجد
	المجموع	**4**	
الروضة	الحرفيين الشرقي	0	لا يوجد
	الزهراء	1	نادي ضباط الشمال
	الاندلس	2	دائرة الافتاء العام، وغرفة الصناعة / إربد
	السهل الاخضر	2	مديرية الامن العام / قسم السير، ودار التعبئة والجيش العربي
	الروضة	1	مبنى البلدية لمنطقة الروضة
	الايمان	0	لا يوجد
	الصناعة	0	لا يوجد
	البياضة	1	مكتب بلدية إربد للمدينة الصناعية
	البقعة	1	المدينة الصناعية مشغل مسمار للادوات الزراعية
	المجموع	**8**	
النزهه	الجامعة	29	ادارة حماية الاسرة، مكتب وكالة الانباء الأردنية، ودائرة الابنية الحكومية، والتنمية الاجتماعية، التنمية الاجتماعية لمحافظة إربد، مفتش اثار إربد، ومؤسس الضمان الاجتماعي، ومديرية الاوقاف ومديرية اشغال محافظة إربد، ومديرية الزراعة، ونقابة المهندسين، ونقابة المحامين، ونقابة المعلمين، والدفاع المدني، ومديرية الصناعة والتجارة، ومدينة الحسن الرياضية، ومكتب مؤسسة الغذاء والدواء، ومديرية تسجيل الأراضي، ومديرية الصحة، ونادي المعلمين، ومديرية التربية الأولى، ودائرة المخابرات العامة، ووزارة الداخلية، ومديرية التنمية الاجتماعية، ووزارة الاشغال العامة والاسكان، هيئة شباب كلنا الأردن، مديرية اشغال محافظة إربد، مكتب دائرة الإحصاءات العامة، ومديرية اللوازم قسم التاليف (فرع ثاني).
	النزهة	8	شركة مياه اليرموك، ودائرة المرور، والبريد الرئيسي، ومديرية البريد محافظة إربد، وجمعية لشويكية لتنمية الاجتماعية، ومكتب ضريبية الخل محافظة إربد، نادي موظفي بلدية إربد، وزارة الاشغال العامة والاسكان.

المنطقة	الحي	عدد الدوائر	اسماء الدوائر الحكومية
	الحكمة	8	مركز مصادر التعلم، وإدارة أقليم الشمال لمؤسسة الاقراض الزراعية، وشركة كهرباء محافظة إربد، ومبنى منطقة قسم البيئة، وغرفة التجارة ومؤسسة الاقراض الزراعية، البريد الأردني، والشرطة العسكرية.
	الورود	7	صندوق التنمية والتشغيل، ومديرية امن اقليم الشمال، ووزارة الطاقة والثروة المعدنية، ومجمع شهيد وصفي التل المؤسسة العسكرية، وهيئة قطاع النقل، ومكتب نقل الجيش، وقيادة مديرية الاستخبارات.
	المجموع	**52**	
الرابية	الاطباء	1	قسم البيئة
	المهندسين	4	مديرية التدريب المهني لأقليم الشمال، ومعهد التدريب المهني بنات إربد، ومركز مهني لتطوير، دار الحنان لكبار السن
	السريج	0	لا يوجد
	زبدة	1	مفوضية اللاجئين السوريين
	الافراح	4	مديرية شباب محافظة إربد، دائرة الحدائق ، وقسم الصحة والبيئة، وبلدية إربد الكبرى الرابية.
	المجموع	**10**	
المناره	الأبرار	2	سوق الخضارالمركزي، وقسم البيئة.
	النظيف	0	لا يوجد
	القصيلة	2	مديرية التربية إربد الثالثة، ومركز مصادر التعلم للواء الوسيط والطيبة.
	المنارة	0	لا يوجد
	الصوانية	0	لا يوجد
	المجموع	**4**	
البارحة	الصحة	0	لا يوجد
	المطلع	0	لا يوجد
	المرج	0	لا يوجد
	الحرفيين الغربي	1	مديرية التنفيذ والصحة
	السعادة	1	كراج بلدية الجديدة
	الاشرفية	2	قسم الشؤون البيئية و الصحة لمنطقة البارحة
	البساتين	0	لا يوجد
	الابان	2	مسلخ البلدية إربد، ادارة المستودعات واللوزم إربد الثانية
	المجموع	**6**	

المصدر: عمل الباحثين، استنادا إلى بلدية إربد الكبرى وGoogle Earth، 2019.

ويوضح الجدول (2) والشكل (5)، التباين في اعداد وتوزيع الدوائر الحكومية في أحياء ومناطق المدينة. فتتموضع معظم الدوائر الحكومية في منطقة النزهة وأحياءها. حيث بلغ مجموعها في حي الجامعة مثلا 29 دائرة. في المقابل حرمت العديد من الأحياء من وجود أي من الدوائر الحكومية. وبلغ عدد تلك الأحياء 14 حيا من أصل 42. والأحياء المحرومة هي: حي السريج في منطقة الرابية، وأحياء حنينا واليرموك في منطقة النصر، وأحياء الحرفيين الشرقي والصناعة والايمان في منطقة الروضة، وحي الميدان في منطقة الهاشمية، وأحياء المطلع والصحة والمرج والبساتين في منطقة البارحة، وأحياء النظيف والمنارة والصوانية في منطقة المنارة. وتحتوي كل منطقة من مناطق المدينة السبع على خدمات اساسية تتمثل في: ادارة فرعيه للبلدية، ومركز امني، وقسم لحماية البيئة.

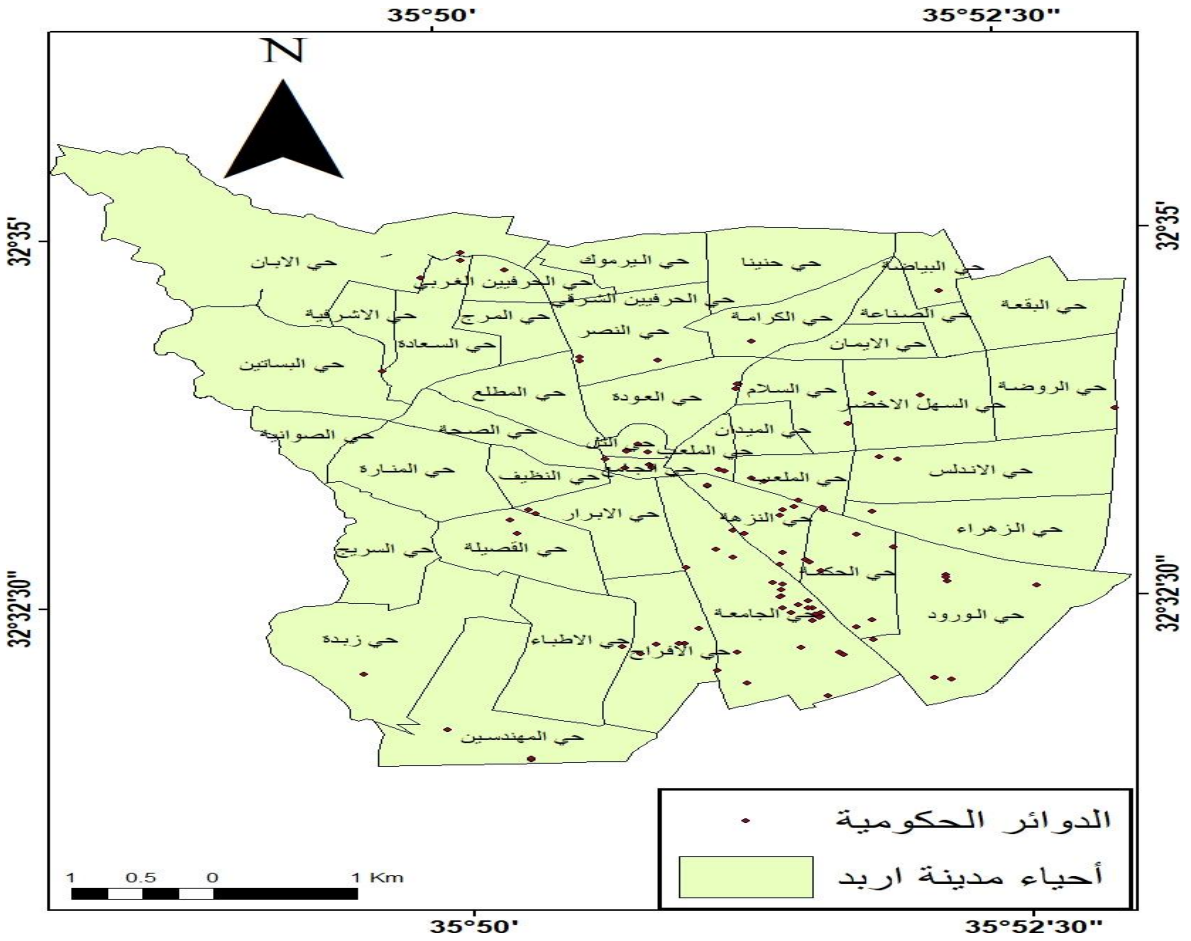

الشكل (5): توزيع الدوائر الحكومية على أحياء مدينة إربد.

المصدر: عمل الباحثين.

ويظهر الشكل (6) نسبة الدوائر الحكومية في كل منطقة من مناطق المدينة السبع. ويتضح من الشكل، التوزع غير المنتظم للدوائر الحكومية على مناطق المدينة.

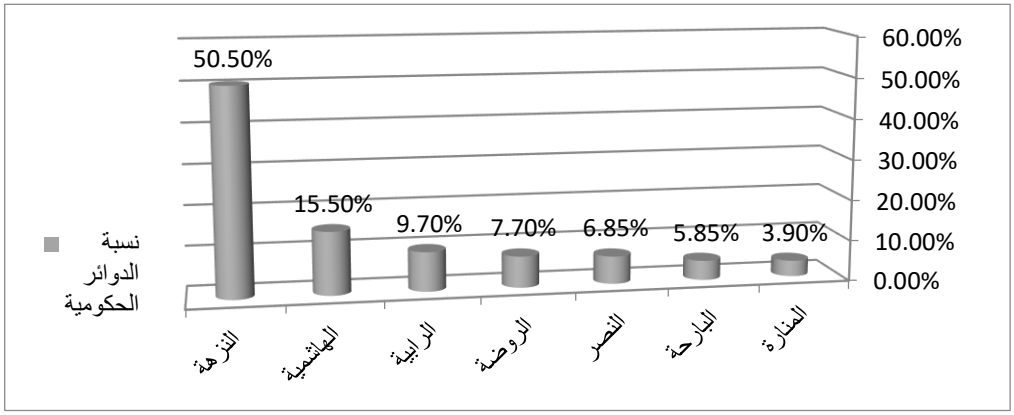

الشكل (6): نسبة الدوائر الحكومية في مناطق مدينة إربد.

المصدر: عمل الباحثين

فتحطى منطقة النزهة بالنصيب الاكبر من الدوائر الحكومية وهو نحو 50% من الدوائر. تليها الهاشمية بنسبة (15.50%)، ثم الرابية بنسبة (9.70%). وتاتي منطقة المنارة في اسفل الهرم، حيث تحتوي على اقل من 4% من مجموع الدوائر الحكومية.

2- الكثافات السكانية في مناطق وأحياء المدينة

تتباين اعداد السكان بين مناطق وأحياء مدينة إربد. حيث بلغ عدد سكان المدينة (400 نسمة 134) على مساحة نحو (36 كم^2) وكثافة قدرها (10.849نسمة/ كم^2) (Department of Statistics, 2015) وتتباين مناطق مدينة إربد واحيائها في الكثافة أيضا (الجدول 3).

الجدول (3): التعداد السكاني في عام 2015 ومساحة وكثافة أحياء ومناطق مدينة إربد.

المنطقة	الحي	عدد السكان 2015 (نسمة)	المساحة (كم2)	الكثافة السكانية (نسمة/كم2)
الهاشمية	الجامع	2983	0.0986	30.253
	التل	805	0.146	5.513
	الهاشمي	4661	0.272	17.136
	الملعب	6918	0.41	16.873
	الميدان	7498	0.263	28.509
	السلام	15458	0.572	27.024
	المجموع	**38323**	**16120.78**	**2.377**
النصر	العودة	34387	0.799	43.037
	النصر	18504	0.951	19.457
	الكرامة	17864	0.639	27.956
	حنينا	20054	0.947	21.176
	اليرموك	7712	0.602	12.810
	المجموع	**98521**	**3.938**	**25.018**
الروضة	الحرفيين الشرقي	938	3335	0.281
	الزهراء	15140	5221	2.899
	الاندلس	14456	4512	3.203
	السهل الاخضر	10110	5785	1.747
	الروضه	10091	5378	1.876
	الايمان	7580	14716	0.515
	الصناعه	1348	1995	0.675
	البياضه	3437	12163	0.282
	البقعة	5530	3060	1.807
	المجموع	**68629**	**56.165**	**1.222**
النزهه	الجامعه	26537	2.053	12.925
	النزهه	14521	0.5	29.042
	الحكمه	18625	0.779	23.908
	الورود	17453	1.942	8.987
	المجموع	**77136**	**5.274**	**14.625**
الرابية	الاطباء	21834	1.242	17.579
	المهندسين	10549	1.855	5.686
	السريج	485	0.766	633
	زبدة	6319	1.635	3.865
	الافراح	43259	1.077	40.166
	المجموع	**39187**	**6.575**	**5.960**

المنطقة	الحي	عدد السكان 2015 (نسمة)	المساحة (كم2)	الكثافة السكانية (نسمة/كم2)
المناره	الأبرار	24294	0.764	31.798
	النظيف	9639	0.339	28.433
	القصيلة	14559	0.9	16.176
	المناره	23438	1.049	22.343
	الصوانية	6413	0.439	14.608
	المجموع	**78343**	**3.491**	**22.441**
البارحه	الصحه	15822	0.509	31.084
	المطلع	13684	0.715	19.138
	المرج	4063	0.384	10.580
	الحرفيين الغربي	870	0.217	4.009
	السعاده	11848	0.784	15.112
	الاشرفيه	5583	0.346	16.135
	البساتين	7445	1.577	4.720
	المجموع	**59315**	**69178**	**0.857**
المجموع	**مناطق مدينة إربد**	**400134**	**36.879**	**10،849**

المصدر: عمل الباحثين (استنادا إلى بيانات دائرة الاحصاءات العامة، 2019)

ويظهر الشكل (7) الكثافات السكانية في مناطق مدينة إربد عام 2015.

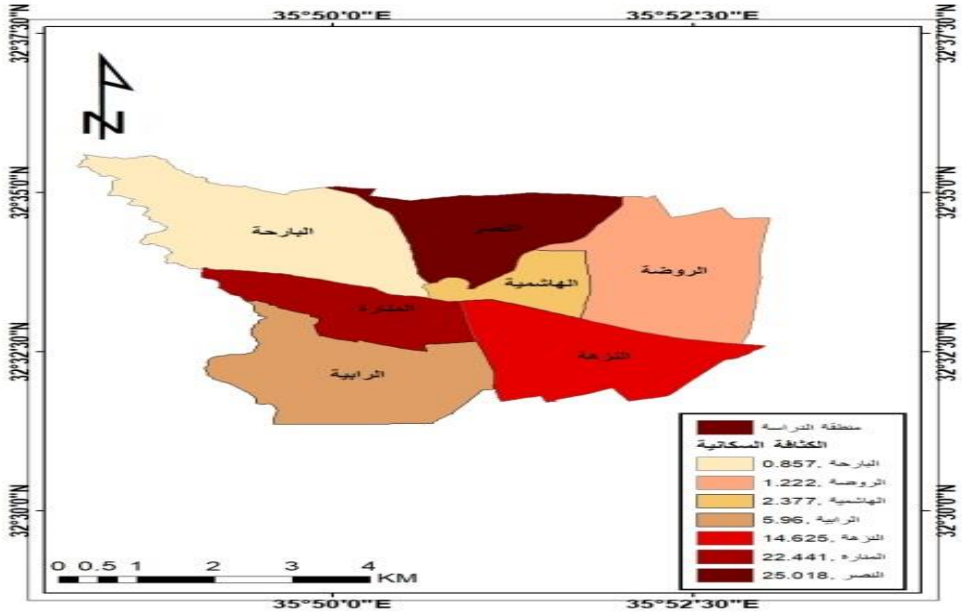

الشكل (7): الكثافة السكانية في مناطق مدينة إربد (2015).

المصدر: عمل الباحثين.

3- الارتباط بين التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية واعداد السكان وكثافتهم

للكشف عن قوة الارتباط بين عدد الدوائر الحكومية واعداد السكان، أجري معامل الارتباط (بيرسون). وقبل أجراء هذا الاختبار المعلمي، تم التأكد من أن توزيع البيانات طبيعي وخطي. ولذلك أجري اختبار كمولوجروف سمرنوف، الذي يعد من انسب الاختبارات لمعاينة طبيعة توزيع البيانات قيد الدراسة، خاصة وان حجم العينة أكثر من 50. ووجد ان البيانات تخضع لشرط التوزيع الطبيعي، وأن توزيعها معلمي خطي. وتبين من خلال اختبار بيرسون، وجود علاقة طردية بينهما. الجدول (4)

فعند مستوى الدلالة 5% تبين أن معامل الارتباط بلغ 0.573، في إشارة إلى وجود علاقة حقيقية بينهما.

الجدول (4): معامل الارتباط بين عدد الدوائر الحكومية وعدد السكان في مناطق المدينة السبع مجتمعة لعام 2015

Correlations		POP	GOV
POP	Pearson Correlation	1	.573
	Sig. (1-tailed)		95
	N	7	7
GOV	Pearson Correlation	.573	1
	Sig. (1-tailed)	95	
	N	7	7

المصدر: عمل الباحثين.

وعند تطبيق الاختبار للكشف عن وجود علاقة بين عدد الدوائر الحكومية والكثافة السكانية، أظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية (0.308)، غير أنها علاقة منخفضة وضعيفة الجدول (5).

الجدول(5): معامل الارتباط بين عدد الدوائر والكثافة السكانية في مناطق مدينة إربد (2015)

Correlations		POP	GOV
POP	Pearson Correlation	1	.308
	Sig. (1-tailed)		95
	N	7	7
GOV	Pearson Correlation	.308	1
	Sig. (1-tailed)	95	
	N	7	7

المصدر: عمل الباحثين.

وقد تصدرت منطقة النزهة في جنوب شرق المدينة، كافة مناطق المدينة من حيث احتواءها على الدوائر الحكومية، فاحتوت على 52 دائرة. تلتها منطقة الهاشمية بـ16 دائرة، فالرابية (10) دوائر، ثم منطقة الروضة (8) دوائر. وفي المرتبة الرابعة جاءت منطقة النصر التي احتوت على 7 دوائر حكومية، ثم البارحة (5) دوائر، والمنارة (4) دوائر.

4- عدالة توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة

وللكشف عن مدى العدالة في توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة، تم تطبيق اختبار مربع كاي. كما يظهر الشكل (8) والجدول (6) .

الجدول (6): مربع كاي لتوزيع الدوائر الحكومية في مناطق مدينة إربد 2019م.

رقم المربع	التوزيع الفعلي(أ)	التوزيع المتوقع (ب)	أ-ب	(أ-ب)^2	(أ-ب)^2/ب
1	0	7.9	709-	62.41	7.9
2	4	7.9	3.9-	15.21	1.925
3	2	7.9	509-	62.41	7.9
4	0	7.9	709-	62.41	7.9
5	1	7.9	6.9-	62.41	7.9
6	23	7.9	15.1	228.01	28.862
7	15	7.9	7.1	62.41	7.9
8	0	7.9	7.9-	62.41	7.9
9	0	7.9	7.9-	62.41	7.9
10	7	7.9	0.9-	0.81	0.102
11	46	7.9	38.1	62.41	7.9
12	1	7.9	6.9-	47.61	6.026
13	4	7.9	3.9-	62.41	7.9
المجموع	**103**	**102.7**			**108.016**

المصدر: عمل الباحثين.

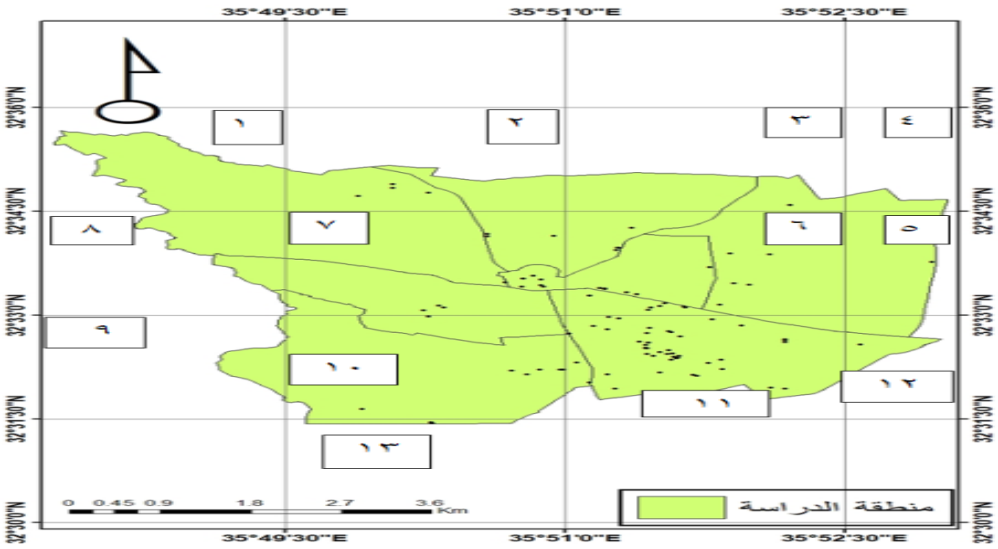

الشكل (8): نمط التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية في مناطق مدينة إربد باستخدام مربع كاي.
المصدر: عمل الباحثين استنادا إلى بيانات بلدية إربد الكبرى، 2019.

ويوضح الشكل (8) والجدول (6). قيمة مربع كاي لتوزيع الدوائر الحكومية الذي بلغ نحو 108.016. ويتضح من هذه القيمة، أن انتشار الدوائر الحكومية يتخذ نمطاً عشوائياً، ذلك أن قيمة مربع كاي المحسوبة اكبر بكثير من قيمة التوزيع المتوقع والتي تساوي 102.7. وتشير هذه القيمة أيضا إلى عدم وجود عدالة في توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة.

ولمزيد من ايضاح مدى عدالة التوزيع، فقد تم استخدام منحنى لورنز Lorenz curve، الذي أظهر ان 50% من الدوائر الحكومية تتركز في منطقة النزهة، التي يسكنها 15% من مجمل سكان المدينة، والباقي (85%) من مجمل السكان لديهم 50% من الدوائر الحكومية، وهم يقطنون 6 مناطق من أصل 7، الشكل (9).

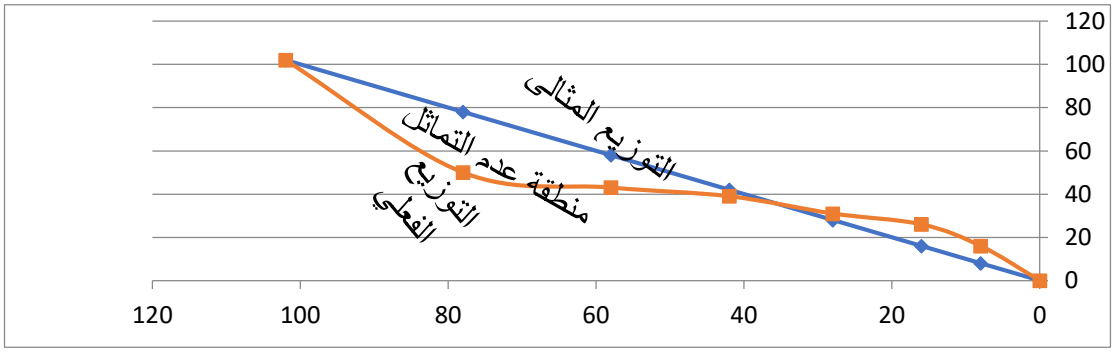

الشكل (9): منحنى لورنز للكشف عن عدالة توزيع الدوائر الحكومية على مناطق المدينة.
المصدر: عمل الباحثين.

5- مدى التشتت والتركز في توزيع الدوائر الحكومية

وتظهر نتائج تطبيق المعادلة السابقة على الدوائر الحكومية في مدينة إربد، في الشكل (10). أن نمط توزيع الدوائر الحكومية هو نمط متجمع أو عنقودي Clustered. وذلك ضمن الانحراف السلبي الثالث عن المتوسط الحسابي. ويظهر الجدول مقابل الشكل، أن توزيع الدوائر يقع في الانحراف الرابع (أكثر من - 2.58) عن المتوسط الحسابي، في دليل على أن نمط التوزيع هو متجمع بامتياز، وبمستوى دلالة قدرها 0.01. وهذا المستوى من الثقة في النتيجة، التي تظهر أن نمط توزيع الدوائر في مدينة إربد هو نمط متجمع، يجعل من المستحيل رفض هذه النتيجة لضائلة نسبة الخطأ. ولعل الحداثة النسبية في تطور هذه المنطقة في المدينة، والنمو السكاني فيها، وتوفر المساحات والأبنية الفارغة فيها، كانت كلها أسباب دفعت إلى تركز الدوائر في هذه المنطقة.

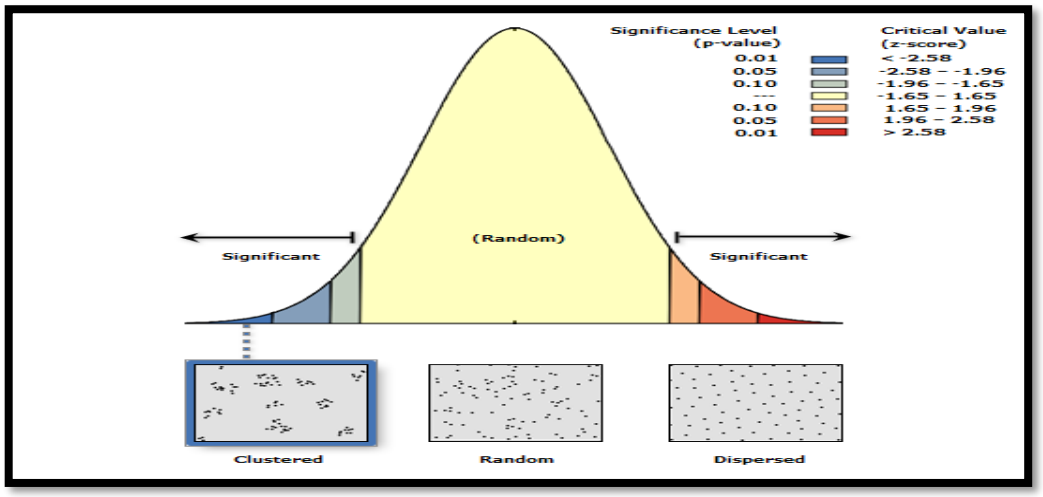

الشكل (10): نمط التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية في مدينة إربد.
المصدر: عمل الباحثين.

6- مدى تجمع الدوائر الحكومية حول مركزها

يظهر الشكل ادناه، الذي يمثل المسافة المعيارية للنقاط التي تمثل الدوائر الحكومية في مدينة إربد، أن موقع الدائرة ينحرف نحو الجنوب الشرقي من المدينة. كما أن حجم الدائرة متوسط (نصف قطرها نحو 1.75كم)، في دلالة على أن توزيع الدوائر الحكومية كان بين المتجمع والمشتت. ذلك أن صغر حجم الدائرة التي تمثل المسافة المعيارية يدل على تكتل وتراص مباني الدوائر الحكومية، والعكس صحيح. فيقع في هذه الدائرة 76 دائرة حكومية، أو نحو 74% من مجموع الدوائر الحكومية في المدينة، مما يدل على تركز بسيط للدوائر، حيث أن النسبة المتوقعة في التوزيع الطبيعي يجب أن يكون بحدود 68%. (حسب التوزيع الطبيعي للبيانات على الانحرافات المعيارية) (Karachi, 2021) (Al Dweikat, 2020) ويلاحظ من الشكل أيضا انحراف المركز المتوسط قليلا نحو الشرق بأتجاه حي النزهة، مما يعكس ازدياد عدد الدوائر الحكومية ضمن تلك المنطقة، وخاصة في حي الجامعة.

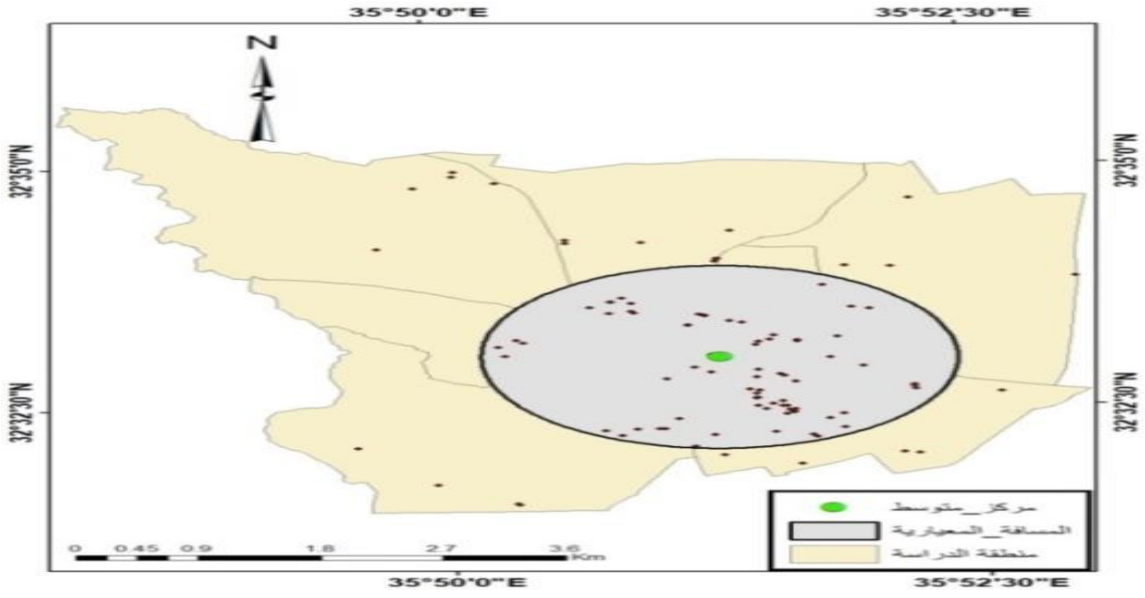

الشكل (11): المسافة المعيارية للدوائر الحكومية في مدينة إربد.
المصدر: عمل الباحثين.

7- أتجاه انتشار مواقع الدوائر الحكومية

يظهر شكل (12) نتائج تطبيق اختبار أتجاه الانتشار على المواقع الجغرافية للدوائر الحكومية في مدينة إربد. وفيه يظهر أتجاه الشكل البيضاوي نحو الجنوب المنحرف قليلا نحو الشرق. ذلك أن المناطق الجنوبية في مدينة إربد، هي مناطق جديدة تتيح فرصة افتتاح دوائر حكومية جديدة فيها. فضلا عن قربها من جامعة اليرموك. وتبين ايضا من خلال الشكل السابق، بأن 71% من مجمل الدوائر الحكومية تقع ضمن انحراف معياري واحد عن المتوسط. في حين أنه من المفترض ان تكون نسبة الدوائر الحكومية ضمن هذا الانحراف المعياري الاول (من الناحية الإحصائية) نحو 68%، مما يدل على تركز بسيط لهذه الدوائر (Al Dweikat, 2020) (Karachi, 2021).

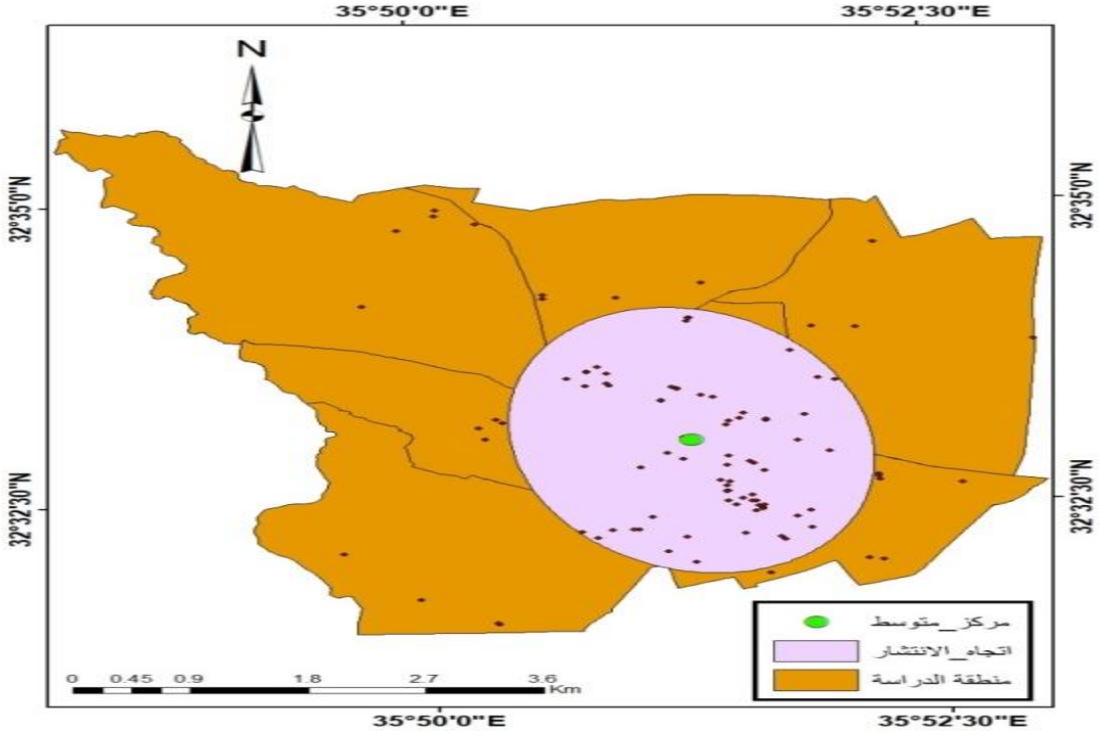

الشكل (12): أتجاه انتشار الدوائر الحكومية في مناطق مدينة إربد.
المصدر: عمل الباحثين.

8- ارتباط المواقع الجغرافية للدوائر الحكومية بشبكة الطرق

تعد العلاقة بين مواقع الدوائر الحكومية وتصنيف الطرق، وشبكة النقل، ومدى كفاءتها وتوزيعها، شرط اساسي لتحقيق التنمية. حيث تسهل الطرق عملية الوصول إلى تلك الخدمات، بهدف تلبية رغبات الأفراد وتحقيق المنفعة البشرية (Al Mousawi, 2018). وتزداد كفاءة الطرق بزيادة حجم قطاع الخدمات في المدينة، ومدى ربط أجزاءها الداخلية والخارجية، لتحسين الوصولية وتحقيق المنفعة المتبادلة.

ولم يتم الربط سابقا بين التوزيع الجغرافي للدوائر الحكومية في هذه المدينة وشبكة الطرق فيها. ولذلك تم توقيع النقاط التي تمثل هذه الدوائر على خريطة المدينة، ثم توقيع شبكة الطرق على نفس الخريطة. ولتسهيل عملية التحليل، تم تصنيف الطرق في المدينة إلى طرق رئيسة وأخرى فرعية، وتوقيعها على خريطتين منفصلتين، بهدف تسهيل عملية التحليل والربط بين مواقع الدوائر وشبكة الطرق. الشكلان (13 و14)

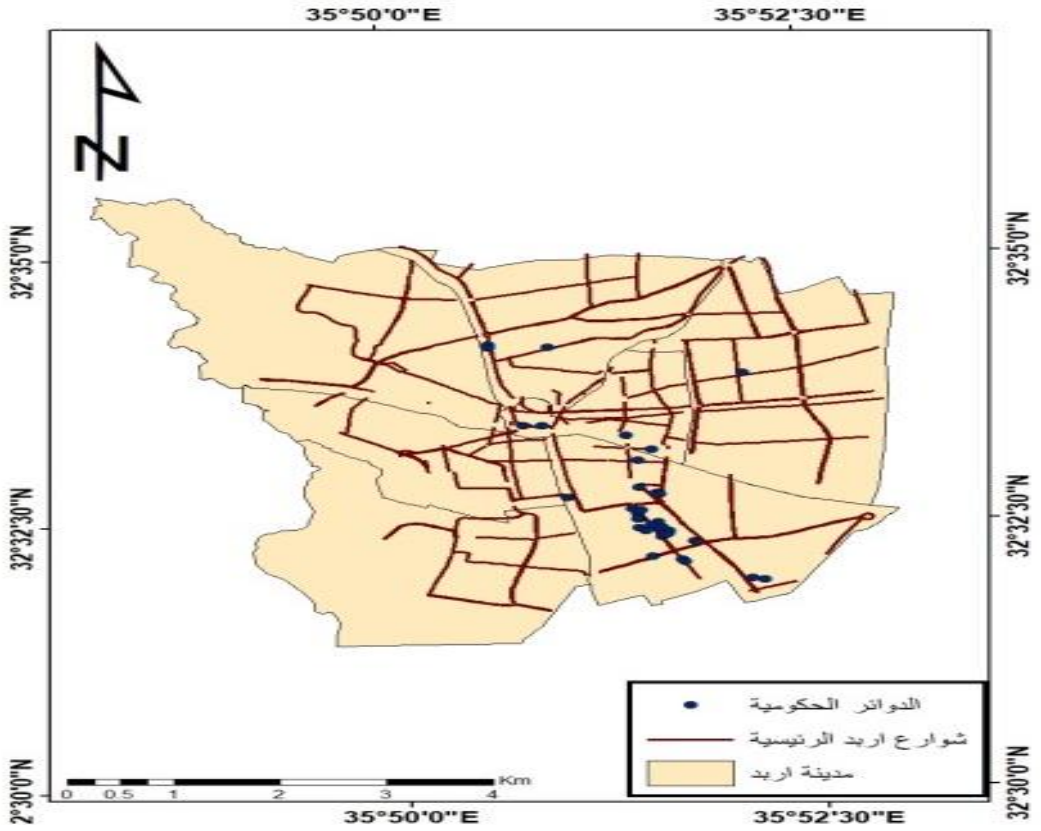

الشكل (13): ارتباط الدوائر الحكومية مع الطرق الرئيسة.

المصدر: عمل الباحثين.

ويظهر الشكل (13) بأن عدد الدوائر الحكومية الواقعة على شوارع رئيسة بلغ 34 دائرة من اصل 103. وهو عدد قليل نسبيا لا يتجاوز 33%. مما يعني ان الدوائر الحكومية لا ترتبط بالطرق الرئيسة التي تسهل امكانية الوصول لهذه الدوائر. وتتركز النسبة الاعلى من هذه الدوائر في منطقة النزهة الجديدة، التي اتاح تطورها الجديد، للدوائر الحكومية اختيار مباني مناسبة على الطرق الرئيسة. فمن أصل 52 دائرة في منطقة النزهة يقع 27 دائرة على طرق رئيسة. ومن هذه الدوائر: مكتب ضريبة الدخل، مؤسسة الأقراض الزراعي، شركة كهرباء إربد، مكتب فرع التنمية الاجتماعية، صندوق التنمية والتشغيل، التنمية الاجتماعية، مديرية الاشغال، مديرية الزراعة، الدفاع المدني، نقابة المهندسين، مديرية الصناعة والتجارة، البريد الأردني، مدينة الحسن الرياضية، مكتب ومؤسسة الغذاء والدواء، مديرية التربية والتعليم، مديرية تسجيل الاراضي، مديرية الصحة، نادي المعلمين، مجمع النقابات المهنية، نقابة المحاميين، دائرة المخابرات العامة، مديرية التنمية الاجتماعية، محافظة إربد، هيئة شباب كلنا الأردن، ووزارة الطاقة والثروة المعدنية.

وتحتوي منطقة الهاشمية في قلب المدينة على 3 دوائر على طرق رئيسة من أصل 16 دائرة، وهي: مبنى منطقة الهاشمية - بلدية إربد، مديرية الشؤون الصحية، وبلدية إربد الكبرى. واحتوت منطقة النصر على دائرتين على طرق رئيسة من اصل 7 دوائر حكومية هي: مديرية الصيانة والتنفيذ، ودائرة المرور. واشتملت منطقتي الروضة والمنارة على دائرة واحدة لكل منهما على طرق رئيسة. فاحتوت الروضة على قسم السير، بينما اشتملت المنارة على مكتب دائرة الإحصاءات العامة قسم الشمال.

وتُعد الطرق الفرعية المغذي والموصل بين الشوارع الرئيسة في المدينة. ويتموضع على هذه الطرق الفرعية 69 دائرة من أصل 103، يتباين توزيعها من منطقة لأخرى. (شكل 14) فاحتوت منطقة النزهة على 25 دائرة حكومية، تلتها منطقة الهاشمية وفيها 13 دائرة، ثم الرابية (10) دوائر، والروضة (7) دوائر، والمنارة (3) دوائر، والنصر (5) دوائر، والبارحة (6) دوائر.

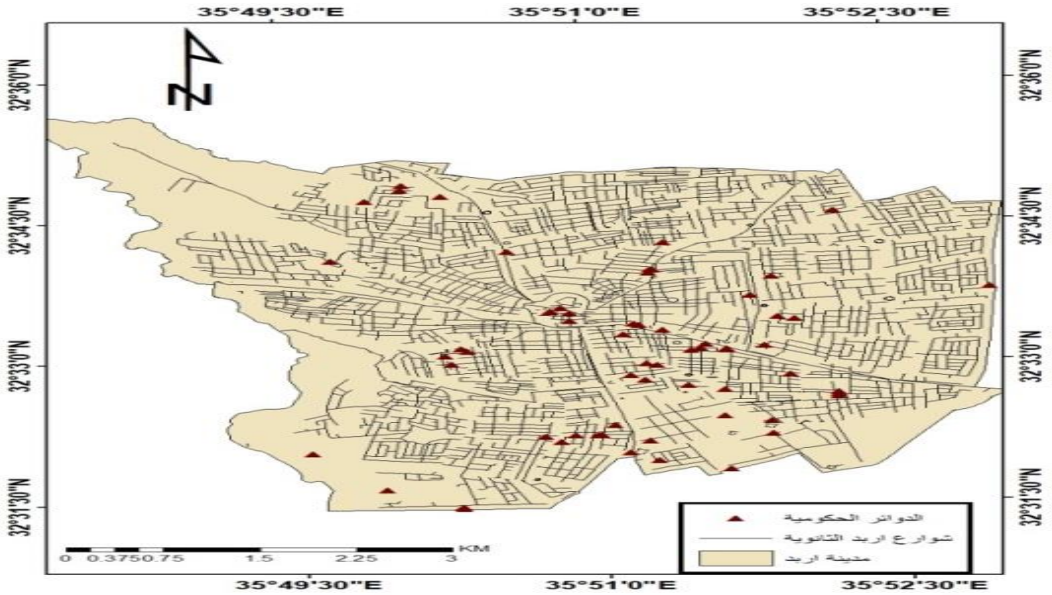

الشكل (14): الدوائر الحكومية على الطرق الفرعية في إربد.

المصدر: عمل الباحثين.

ويظهر لنا الشكل أيضا ان الدوائر الحكومية في منطقتي البارحة والرابية تقع جميعها على طرق فرعية. وأن نسبة مرتفعة منها في النزهة تقع على طرق رئيسة، مما جعلها تتخذا شكلا عنقوديا، متجمعا على طول الطرق الرئيسة.

9- تحليل كثافة شبكة الطرق

وللكشف عن هذه الكثافة، تم استخدام الاختبار الكارتوغرافي Line Density. ويظهر من الشكل (15) ان الكثافة المكانية لشبكة الطرق في المدينة ترتفع في الاجزاء الوسطى منها، وتقل بالأتجاه نحو الجنوب الشرقي والغرب. وتغطي شبكة التطرق ذات الكثافة المتوسطة إلى العالية مناطق الهاشمية والمنارة والنزهة. كما يوضح الشكل أن كثافة الشبكة تقل كلما ابتعدنا عن المركز. وتنخفض مستوى الوصولية للدوائر الحكومية بانخفاض كثافة شبكة النقل في أجزاء المدينة المنخفضة.

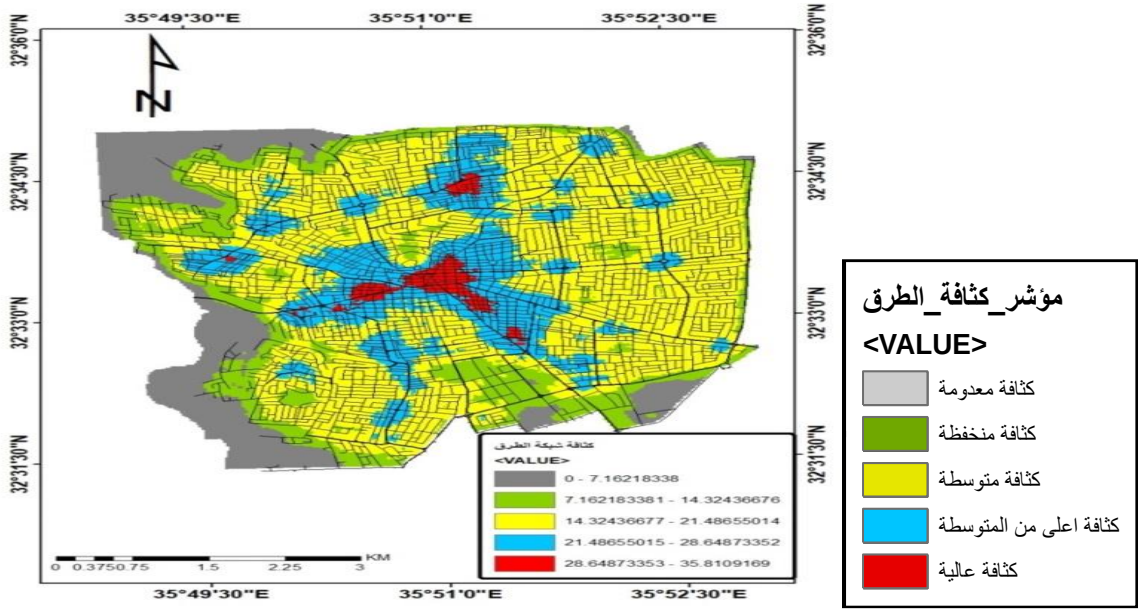

الشكل (15): الكثافة المكانية لشبكة الطرق في مدينة إربد.

المصدر: عمل الباحثين.

10- العلاقة بين عدد الدوائر الحكومية وعدد السكان وكثافة شبكة الطرق

تبين كثافة شبكة الطرق إمكانية الوصول إلى الدوائر الحكومية. لذلك كلما زادت كثافة شبكة الطرق، زادت سهولة الوصول للدوائر الحكومية بالنسبة للمواطنين. وبتطبيق مؤشرات الكثافة على مناطق مدينة إربد السبع، تم الحصول على البيانات في الجدول (7). حيث يظهر الجدول ادناه تباين واضح في مؤشر كثافة الطرق بالنسبة للمساحة في مناطق المدينة السبع. فقد بلغت أقصى نسبة للمؤشر في منطقة المنارة نحو 243كم لكل 100كم^2. ويرجع ذلك لصغر مساحة المنطقة، وارتفاع الكثافة العمرانية في بعض أحياءها، وخاصة الجهة الشرقية. وبلغت ادنى نسبة كثافة في منطقة النصر (0.0002كم لكل 100كم^2)، في دليل على اتساع المساحة وقلة اطوال الطرق. وبالمثل فقد أظهر مؤشر الكثافة السكانية بالنسبة للطرق، تباينا واضحا بين مناطق المدينة. فبلغ اقصى مؤشر لتلك الكثافة في منطقة الرابية 2.14كم لكل 1000 نسمة، وأدناها في منطقة النصر(0.003كم لكل 1000 نسمة).

الجدول (7): كثافة شبكة الطرق بالنسبة للمساحة والسكان في مناطق مدينة إربد لعام 2019م

المنطقة	اطوال الطرق كم	المساحة كم	عدد الدوائر الحكومية	عدد السكان	كثافة الطريق للسكان كم/1000نسمة	كثافة الدوائر الحكومية كم/ 100كم2	كثافة الطريق بالنسبة للمساحة كم/ 100كم
النصر	0.242	4.581	7	98521	0.003	34.3	0.0002
الهاشمي	59.6	1.896	16	38323	1.56	37.2	0.084
الرابية	83.8	6.595	10	39187	2.14	8.38	152
المنارة	84.8	3.578	4	78343	1.08	2.12	243
البارحة	85.6	7.867	6	59315	1.44	14.3	0.124
النزهة	107.7	5.447	52	120395	0.89	207	169
الروضة	136.7	6.915	8	68629	1.99	17.1	0.325

المصدر: عمل الباحثين.

أما بالنسبة لمؤشر كثافة الدوائر الحكومية بالنسبة للطرق، فقد أظهر هو الآخر تباينا واضحا بين مناطق المدينة. حيث بلغ ذلك المؤشر في تلك المنطقة 207كم لكل 1000نسمة. وتأتي بعدها منطقة الهاشمية، ثم الرابية. ويظهر منحنى لورنز الممثل في الشكل (16)، مؤشر كثافة الطرق بالنسبة للسكان والدوائر الحكومية. وفيه يظهر وجود عدم عدالة في التوزيع، يتباين بحسب مناطق المدينة.

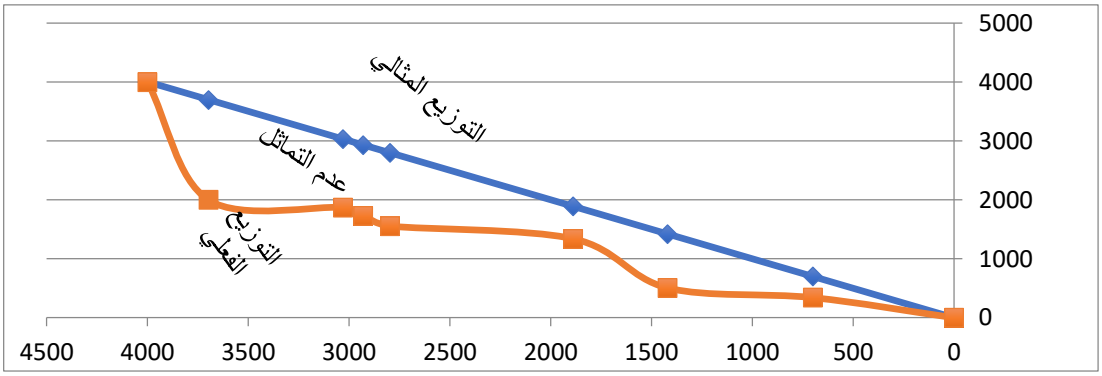

الشكل (16): العلاقة بين مؤشرات كثافة الطرق للسكان وللدوائر الحكومية.

المصدر: عمل الباحثين.

وللكشف عن العلاقة بين عدد الدوائر الحكومية والسكان والطرق، تم إستخدام معامل ارتباط بيرسون مرة اخرى، لقياس درجة الارتباط بين تلك المتغيرات الكمية الخطية. وقد تبين من الاختبار بأن العلاقة بينهما طردية. حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.594 عند مستوى ثقة 95% . وهذا يدل على أن العلاقة جوهرية وحقيقية بين عدد الدوائر الحكومية وعدد السكان وكثافة الطرق.

رابعاً: النتائج والتوصيات

النتائج

1- أظهر التحليل الإحصائي أن العلاقة بين توزيع السكان والدوائر الحكومية في مدينة إربد كانت علاقة طردية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.573 عند مستوى ثقة 95%. فأظهرت النتائج أن توزيع الدوائر الحكومية يتفق احياناً مع توزع السكان كما في منطقة الهاشمية (13%من السكان و16% من الدوائر الحكومية)، وتضم النزهة 15% من سكان المدينة و50% من مجمل الدوائر الحكومية. كما اثبتت نتائج تحليل مربع كاي ومنحنى لورنز عدم وجود عدالة في توزيع الدوائر الحكومية على المناطق حسب عدد السكان في كل منطقة.

2- أظهرت نتائج الدراسة أن نمط توزيع الدوائر الحكومية في مدينة إربد كان نمطاً عنقوديا متجمعا. فقد اثبت تحليل المسافة المعيارية، أن أكثر من 74% من الدوائر الحكومية يقع ضمن انحراف معياري واحد من المركز المتوسط لهذه الدوائر. اظهرت نتائج التحليل بانه أتجاه النمو الدوائر الحكومية نحو الجنوب الشرقي، وعلى شوارع فرعية وفي هذه الحالة سيزداد الأمر سوء في الأحياء المعدومة من هذه الخدمات، وهنا ياتي دور المخططين.

3- تبين من تحليل شبكة الطرق بأن عدد الدوائر الحكومية التي تقع على الشوارع الرئيسة 34 دائرة مقابل 69 دائرة على الشوارع الثانوية. كما اثبت تطبيق مؤشر الكثافة المكانية لشبكة الطرق في Arc Gis 10.5، بأنها ترتفع في الاجزاء الوسطى بالأتجاه إلى الجنوبي الشرقي، والقليل من الجهة الغربية والتي تشمل كل من مناطق: الهاشمية، والمنارة، والنزهة.

4- ويبين مؤشر كثافة الطرق للسكان وللدوائر الحكومية عدم وجود عدالة في التوزيع وكذلك نتيجة تحليل منحنى لورنز.

5- كما أظهرت نتائج التحليل الاحصائي بأن العلاقة بين عدد السكان وإمكانية الوصول كانت علاقة طردية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.594. كما ثبت وجود علاقة عكسية (0.569-) بين عدد الدوائر وإمكانية الوصول إليها.

التوصيات

استنادا إلى النتائج السابقة فإن الدراسة توصي بما يلي:

1- العمل على إنشاء دوائر حكومية في الأحياء المعدومة من الخدمات، للإسهام في تنميتها، وتشغيل ساكنيها في الخدمات القائمة على وجود الدوائر الحكومية.

2- أنشاء مكاتب ارتباط فرعية لبعض الدوائر المهمة في حالة عدم امكانية نقلها.

3- انشاء منطقة دوائر حكومية كخطوة تخطيطية مستقبلية، بحيث تضم مختلف الدوائر الحكومية في المدينة. بحيث يتم تسيير خطوط باصات عليها، تمكن المواطن من الوصول إليها بأقل التكاليف.

Spatial Analysis of Government Departments' Sites in Irbid Using Geographic Information Systems

Qasem Al Dweikat and Rawan Al Jamrah

Geograghy Department, Yarmuk University, Irbid, Jordan.

Abstract

The study aims to determine the geographical pattern of the distribution of government departments in the city of Irbid, northern Jordan. It also seeks to reveal the fairness of the distribution of government departments over the city's seven regions, and its relationship to the geographical distribution of the population. It also seeks to analyze the density of the road network, the relationship between network density, population distribution, and government departments. The study used the descriptive analytical method, where the study data were collected from, the Department of Statistics, and the Greater Irbid Municipality. The coordinates of government departments were determined by (Google Earth). The study used Geographical Information Systems (GIS) and Social Statistical Package (SPSS) techniques to perform Pearson correlation coefficient analysis, Chi^2, Louranz Curve, Nearast Neighbbour Analysis to determin distribution Pattern, Standard Distance, and Directional Distribution. The study found that the geographic distribution pattern of government departments is a clustered pattern. The reason for this is due to the concentration of the population, and the high density of the road network in some areas of concentration. The study also showed that there was no fairness in the distribution, and that the direction of its spread was from the northwest to the southeast. The study proved that there is a direct relationship between the pattern of population concentration and government departments, and an inverse relationship between the number of government departments and the total lengths of roads. The study recommends establishing government departments in poor neighborhoods, as well as establishing subsidiary liaison offices for some important departments.

Keywords: Spatial Analysis, government departments, geographic distribution pattern, neighborhood link, standard distance, directional distribution, transportation network density index.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

ابو راضي، فتحي. (1991). **التوزيعات المكانية: دراسة في طرق الوصف الإحصائي وأساليب التحليل العددي**، الاسكندرية: دار المعرفة.

بلدية إربد الكبرى. (2019). **بيانات عن مواقع الدوائر الحكومية**. إربد- الأردن.

الحبيس، محمود عبدالله وعربيات، عبدالله رضوان. (2016). نمط التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان الريفي في محافظة البلقاء/ الأردن. **مجلة دراسات العلوم الانسانية الاجتماعية**. 43، (6)، 2843- 2845.

حسن، سمية السيد. (2020). التحليل المكاني لمواقع السياحة البيئية في شرق السودان باستخدام نظم المعلومات الجغرافية لأجل تطوير مستدام. **المجلة العربية للدراسات الجغرافية**. 3.(4).23-52.

دائرة الإحصاءات العامة، (2015). **التعداد السنوي للسكان في أحياء مدينة إربد**. عمان- الأردن.

الدليمي، خلف. (2009). **تخطيط الخدمات المجتمعية والبنية التحتية: أسس- معايير- تقنيات**. ط1؛ عمان-الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

الدويكات، قاسم وابو راشد، دعاء. (2013). التحليل المكاني لمواقع المدارس الحكومية في مدينة إربد باستخدام نظم معلومات الجغرافية. **مؤتة للبحوث والدراسات: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.** 28، (6)، 273- 313.

الدويكات، قاسم وبني عيسى، منى. (2012). التحليل المكاني لمواقع المدارس الخاصة في مدينة إربد/ الأردن. **المجلة الكترونية الشاملة متعددة المعارف لنشر الابحاث العلمية.** (4)، 1- 31.

الدويكات، قاسم والوديان، صفاء. (2013). التحليل المكاني لمواقع المساجد في مدينة إربد/الأردن 1970-2013م. **المجلة الجغرافية الخليجية**. (7)، 41-87.

السليمي، عزيزه بن فهد. (2012). **انماط التوزيع المكاني للخدمات الترويحية في مدينة مكة المكرمة.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

السماك، ازهر والعبيدي، احمد و الحيالي، محمد. (2011). **جغرافية النقل بين المنهجية والتطبيق**. ط1؛ عمان-الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر.

شحادة، نعمان. (1997). **الأساليب الكمية في الجغرافيا بإستخدام الحاسوب.** ط1؛ عمان-الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

شحادة، نعمان. (2011). **التحليل الإحصائي في الجغرافيا والعلوم الاجتماعية**. ط1؛ عمان-الأردن: دار الصفاء للنشر والتوزيع.

الصالح، ناصر عبدالله والسرياني، محمد محمود. (2000)**. الجغرافيا الكمية والإحصائية أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة**. ط2؛ مكة المكرمة-السعودية: مكتبة العبيكات.

صبابحة، صفاء صبح محمد. (2013). التوزيع الجغرافي للحدائق في مدينة حائل. **مجلة جامعة القدس المفتوحة للابحاث والدراسات.** (30)، 393- 420.

الضيافلة، عمر والنوايسة، سامر و طاران، عايد. (2016). تحليل بنية شبكة الطرق في محافظة الكرك جنوبي الأردن. **مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية.** (3)، (8)، 1684- 1706.

طاران، عايد محمد عايد والغميض، عاطف عايد. (2015). التحليل المكاني لتوزيع الدوائر الحكومية في مدينة المفرق بإستخدام النظم المعلومات الجغرافية. **مجلة الأستاذ.** (215)، 153- 173.

طاران، عايد محمد والطعاني، ايمن عبد الكريم والخاروف، وريم عدنان. (2017). تحليل خصائص شبكة الطرق في محافظة إربد. **مجلة IUGJHR.** (25)، 57- 75.

طاران، عايد ومخامرة، زياد. (2016). التحليل الكمي لشبكة الطرق في محافظة إربد**. مجلة دراسات: العلوم الانسانية الاجتماعية.** 43، (4)، 2399- 2416.

الطف، بشير ابراهيم وعلي، محمد والحميلي، رياض كاظم. (2009). **خدمات المدن دراسة في الجغرافيا التنموية.** ط1؛ طرابلس- لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.

العتيبي، غازي. (2021). خصائص التحليل المكاني للصيدليات الطبية بمدينة عفيف باستخدام النظم المعلومات الجغرافية**. المجلة العربية**

للنشر العلمي.4، (36)، 178-199.

غنيم، عثمان. (2011). **معايير التخطيط: فلسفتها وانواعها ومنهجية إعدادها وتطبيقاتها في مجال التخطيط العمراني.** ط1؛ عمان_الأردن: دار الصفاء للنشر والتوزيع.

غنيم، عثمان. (2013). **تخطيط الخدمات والمرافق الاجتماعية من منظور عمراني.** ط1؛ عمان-الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

كراتشة، منير. (2021). **مناهج البحث في علم الاجتماع.** عمان-الأردن: دار مجد للنشر والتوزيع.

منصور، حسين والهزايمة، خالد. (2004). التحليل المكاني لمراكز الدفاع المدني في مدينة إربد بإستخدام النظم المعلومات الجغرافية. **أبحاث اليرموك: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.** مجلد27، عدد1AK، 181-204.

الموسوي، محمد عرب. (2018). **جغرافية المدن بين النظرية والتطبيق.** ط1؛ عمان-الأردن**:** دار الرضوان للنشر والتوزيع.

الهزايمة، خالد. (2016). **التحليل المكاني للسلامة المرورية للطرق في مدينة إربد وتحديد الطرق ذات الأولية في المعالجة.** بحث غير منشور، جامعة اليرموك/ إربد/ الأردن.

يوسف، طاهر جمعة طاهر. (2007). **التحليل المكاني للخدمات التعليمية (رياض الأطفال والمدارس) في مدينة نابلس بإستخدام تقنية نظم معلومات جغرافية GIS.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية/ نابلس/ فلسطين.

English References

Abu Hammad, RN Musa, H Khawaldah, N Alzboun. (2015). Geographical Distribution of Public Secondary Schools and Factors Affecting Success Rates in Ramallah and Al-Bireh Governorate Using GIS. *European Journal of Social Sciences*. 51, (1).77-97

UMAR ,Hafiz Aminu et al. (2016). Spatial Analysis of Distribution of Secondary Schools in Giwa Zone of Kaduna State, Nigeria. *Internation Journal of Science for Global Sustainabillity (JSGS). 2*. (4), 102-112.

Yang, Nai et al. (2016). Spatial Distribution balance analysis of hospitals in wuhan. *International Journal of Environmental Research And Puplic*. 13,(10), 971.

Arabic Reverences in English

Abu Radi, Fathy. (1991*). Spatial Distributions: A study in statistical description methods and numerical analysis methods.* Alexandria: Dar Al Marefah.

Al-Diafalah, Omar and Al Nawaisa, Samer and Taran, Ayed. (2016*).* Analysis of the Structure of the Road Network in Karak Governorate, Southern Jordan. *An-Najah University Journal for Research and Human Sciences*, (3), (8), 1684-1706.

Al-Doliyme, Khalaf. (2009). *Planning community services and infrastructure: foundations - standards - techniques*. Amman-Jordan: Safaa House for Publishing and Distribution.

Al-Dweikat, and Abu Rashid. (2013). Spatial analysis of government schools' sites in the city of Irbid using Geographic Information Systems. *Mu'tah for Research and Studies: Humanities and Social Sciences Series*, 28, (6), 273-313

Al-Dweikat, Qasem and Al-Wedian, Safa. (2013). Spatial analysis of mosques in the city of Irbid / Jordan 1970-2013 AD. *The Socity of Gulf Geographical Journal*, (7), 41-87.

Al-Dweikat, Qasem and Bani Issa, Mona. (2012). Spatial analysis of private schools' sites in Irbid / Jordan. *the comprehensive online multi-knowledge journal for publishing scientific research* (4), 1-31.

Al-Habees, Mahmoud Abdullah and Arabiat, Abdullah Radwan. (2016). The spatial distribution pattern of rural settlement centers in Balqa Governorate/ Jordan. *Journal of Humanities and Social Sciences Studies*, 43, (6), 2843-2845.

Al-Hazimeh, Khalid. (2016). *Spatial analysis of traffic safety of roads in the city of Irbid and identification of roads with priority in treatment,* unpublished research, Yarmouk University / Irbid / Jordan.

Al-Mousawi, Muhammad Arab. (2018). *Geography of cities between theory and practice;* Amman-Jordan: Al-Radwan Publishing and Distribution House.

Al-Otaibi, Ghazi. (2021). Characteristics of spatial analysis of medical pharmacies in Afif city using geographical information systems. *The Arab Journal for Scientific Publishing*. 4, (36), 178-199.

Al-Saleh, Nasser Abdullah and Al-Syriani, Muhammad Mahmoud. (2000*). Quantitative and statistical geography: foundations and applications of modern computer methods.* Makkah Al-Mukarramah-Saudi Arabia: Al-Obeikan Library.

Al-Sammak, Azhar and Al-Obaidi, Ahmed and Al-Hayali, Muhammad. (2011). *Transportation geography between methodology and application.* I1, Amman-Jordan: Al-Yazouri Scientific Publishing House.

Al-Solymi, Azizah bin Fahd. (2012). *Patterns of spatial distribution of recreational services in the city of Makkah Al-Mukarramah.* Unpublished Master Thesis, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

Al-Taf, Bashir Ibrahim and Ali, Muhammad and Al-Hamili, Riad Kadim. (2009). *Cities services: a study in development geography*. Tripoli-Lebanon: The Modern Book Foundation.

Department of Statistics, (2015). *Annual census in the neighborhoods of the city of Irbid, Jourdan.*

Ghoneim, Othman. (2011*). planning standards [philosophy, types, methodology for preparation, and applications in the field of urban planning]*. Amman-Jordan*:* Dar Al-Safa for Publishing and Distribution.

Ghoneim, Othman. (2013). *Planning social services and facilities from an urban perspective*. Amman-Jordan: Safaa House for Publishing and Distribution.

Greater Irbid Municipality, (2019). *Location of Government Department's*.

Hassan, Somaya El-Sayed. (2020). Spatial analysis of ecotourism sites in eastern Sudan using geographic information systems for sustainable development. *Arab Journal of Geographical Studies.* 3.(4).23-52.

Karachi, Munir (2021). *Research methods in sociology*. Amman-Jordan: Majd Publishing and Distribution House.

Mansour, Hussein and Al-Hazimeh, Khaled. (2004). Spatial analysis of civil defense centers in the city of Irbid using geographic information systems. *Al-Yarmouk Research: Humanities and Social Sciences Series,* Volume 27, Number 1 AK, 181-204..

Sababha, Safaa Subuh Muhammad. (2013). Geographical distribution of parks in the city of Hail, *Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies*, (30), 393-420.

Shehadeh, Noman. (1997). *Quantitative methods in geography using computers.* Amman-Jordan: Safaa House for Publishing and Distribution.

Shehadeh, Noman. (2011). *Statistical analysis in geography and social sciences;* Amman-Jordan*:* Dar Al-Safa for Publishing and Distribution.

Taran, Ayed and Makhamrah, Ziyad. (2016) Quantitative Analysis of the Road Network in Irbid Governorate. *Dirasat Journal: Human and Social Sciences*. 43, (4), 2399-2416.

Taran, Ayed Muhammad and Al-Taani, Ayman Abdel-Karim and Al-Kharouf, Reem Adnan. (2017). Analysis of the characteristics of the road network in Irbid Governorate. *IUGJHR Journal*. (25), 57-75.

Taran, Ayed Muhammad Ayed and Al-Ghomhid, Atef Ayed. (2015). Spatial Analysis of the Distribution of Governmental Departments in the City of Mafraq Using Geographic Information Systems. *Al-Ostath Journal.* (215), 153-173.

Yusef Taher Jumaa Taher. (2007). *Spatial analysis of educational services (kindergartens and schools) in Nablus using geographic information systems technology (GIS).* an unpublished master's thesis, An-Najah National University / Nablus / Palestine.

التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا "كوفيد-19": دراسة ميدانية في المجتمع الأردنيّ

عبد الباسط عبد الله العزام * و نور راكان الطعاني **

تاريخ الاستلام 2021/02/25 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.2 تاريخ القبول 2021/05/23

الملخص

تهدف الدراسة إلى معرفة التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا "كوفيد- 19" على المجتمع الأردنيّ، ضمن خمسة مجالات: الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعيّة المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، والإجراءات الوقائيّة الصارمة. وقد طبقت على عينة قوامها (735) حالة من المجتمع الأردنيّ، مرتكزة على المنهج الوصفي التحليلي. وأظهرت النتائج أنّ أفراد العينة تعرّضوا إلى الوصم الاجتماعي، بمظاهر ترك عادات التقبيل وإلقاء التحية والسلام، والتقليل من الزيارات المنزليّة، والخروج للتنزّه، والعزلة الاجتماعية. وتعرّضوا إلى التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، بمظاهر التباعد في الأماكن العامة، والحدّ من حرّية التنقل، والتعرض للّوم لعدم لبس الكمامة، والإحراج عند مدّ اليد للمصافحة، والتعرض للغيبة حال الإصابة بالوباء أو الاشتباه به، والتوبيخ من الآخرين عند العطاس والسعال. وافتقدوا الشعور بالأمن، بسبب الحصار والتقييد الاجتماعي، وعدم القدرة على التّنبؤ بالمستقبل، وعدم الأمان الوظيفي، وصعوبة تحقيق الطموحات والآمال. واختلّ وجودهم المادي، باستغلال التجار للناس، وندرة أماكن المتعة والترفيه، وصعوبة التنقل من مكان لآخر، والمعاناة من مشاكل ماديّة. وتعرّضوا لإجراءات وقائية صارمة، بسبب صعوبة الوصول إلى الحاجات، وتغوّل الإجراءات الاحترازية على الناس، ودفع الغرامات عند مخالفة الإجراءات الوقائية. وتوصي الدراسة بأن تعمل إدارة أزمة جائحة كورنا في الأردن على التوسع في النقاش بين الحكومة والمجتمع لايجاد أفضل السبل لمعالجة الأزمة دون إلحاق الضرر بالناس، على الصعيد الثقافيّ، والنفسيّ، والاجتماعيّ، والماديّ.

الكلمات المفتاحيّة: التّداعيات الاجتماعيّة، جائحة كورونا، المجتمع الأردنيّ.

المقدمة

إنّ المجتمع الأردنيّ عانى من أزمات وكوارث على مدى تاريخه الحديث والمعاصر، وعايش أوبئة فتّاكة، كالطاعون والسّل والشلل والحصبة والكوليرا والحمى والدفتريا والملاريا والإنفلونزا، وكلها مرّت وانقضت بلا وصم ولا فزع، إلاّ أنّ "كوفيد - 19" لم يحدث لتداعياته نظير سابق. ولا زال الوباء محلّ جدل ونقاش مستمرين، بدءاً من وباء الإنفلونزا في بدايات القرن العشرين، ومروراً بالفيروسات التاجيّة التي أصابت الأطفال وكبار السن، وصولاً إلى كورونا المستجد ابتداءً من كانون الأول عام 2019.

ومع بداية ظهور الوباء من مدينة ووهان "Wuhan" الصينية في عام 2019 ثم انتشاره إلى معظم أرجاء العالم، اتّخذت منظمة الصحة العالميّة، ودول عدّة، منها الأردن، إجراءات صارمة لاحتوائه ومنع انتشاره؛ كالحجر الصحي، والعزل، وتأهّب المستشفيات، ومنع السفر غير الضروري، والسيطرة على الحدود (Davalgi et al., 2020). كذلك أثارت الجائحة الخوف عند الجميع، فظهرت الأخبار المضللة، وخاف الناس من العدوى، وشاع الخوف من المجهول، ومقاطعة الأصدقاء، وعزل أحياء أو بنايات عن الآخرين. وما من شكّ في أنّ الإجراءات الوقائيّة لمنع تفشي هذا الوباء قد تتغول على الناس؛ فالحظر يُعوّق الناس عن الوصول إلى حاجاتهم، وعدم الالتزام بالإجراءات قد يُعرّض الشخص للمساءلة، وربما للإهانة.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
** باحث مستقل في العمل الاجتماعي، عمان، الأردن.

وهناك صور عالمية وتعليقات تجسد كورونا "فوبيا"؛ حيث تعرّض طالب من سنغافورة لهجوم في أحد شوارع لندن، للاشتباه في إصابته بالوباء. وحذرت الصحة العامة في نيوزيلندا من الوصم الاجتماعي ضد أوّل مصاب بالفيروس. وفي مصر تعرّض آسيويّ لسخرية سائق تكسي، وأجبره على النزول من السيارة (Urian, 2020). وتعرّض مواطن كوريّ مُقيم في الأردن لاعتداء بالضرب والسخرية للاشتباه في إصابته بفيروس كورونا (Delawani, 2020a). ونشاهد الآن موجات من الكورونا تضرب بقوة في عدّة دول من العالم، والنّاس فيها يخوضون صراع البقاء؛ إذ يموتون خارج المستشفيات وفي الشوارع وفي منازلهم.

ويُعد هذا الأمر مروّعاً بسبب الفوضى والهلع؛ فالقلق يستحوذ على الكثير من الناس، مما يجعلهم يبقون في منازلهم. ويموت العديد من الأهل والأحبة والجيران، والناس يرتدون أقنعة وكمامات، ويغسلون أيديهم عدة مرات. إننا نعيش هستيريا حقيقية وسط أزمة الفوضى والخوف، لذلك سارعت المؤسسات للتصدي للجائحة، وآزرها الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة التي أصبحت مسرحًا للتوعية حيناً، ومصدراً للوقاية والعلاج حيناً آخر، ومعملاً للشائعات والأكاذيب حيناً ثالثاً.

على أيّة حال، أنتجت هذه الجائحة موجات عارمة من الهلع والخوف بين الناس؛ إذ سجلّت حتى الآن في العالم حسب منظمة الصحة العالمية (153738171) حالة إصابة مؤكدة، و(3217281) حالة وفاة مؤكدة (WHO, May 03, 2021). كذلك يصل عدد الإصابات في الأردن-حسب ما ورد عن وزارة الصحة الأردنية- إلى (714173)، وحالات الوفاة إلى (8925) (Ministry of Health, May 03, 2021). وعلى الرغم من أنّ الأردن يُمثل واقعاً مغايراً، بشكل جوهري، من النواحي الثقافيّة والاجتماعيّة والشخصيّة، فإنّ أزمة كورونا فيه تستلزم تغيرات حياتية وجهوداً تكيفية، وخوض صعوبات مستمرة للعيش، انعكست آثارها وجودياً على الناس، من حيث التّداعيات الاجتماعيّة للوباء على المجتمع الأردنيّ، التي تمثلت في الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، والإجراءات الوقائيّة الصارمة.

ومن مظاهر الوصم التي لوحظت في مجتمعنا؛ بسبب هذه الجائحة، الابتعاد عن الشخص المصاب خوفًا من العدوى، وعدم احترام القوانين، والجهل في معاملة المصابين، والعنصرية تجاه الآسيويين، ووصم المرضى، وانتهاكات لحقوق العاملين، وتسريحات بالجملة، وإجبار بعض العمال على مواصلة العمل. لذلك فإنّ كورونا أخرجت أسوأ ما عند الناس من سلوكيات، وأظهرت الجانب المظلم من أنفسهم؛ فالهجوم على الشخص تحت مبرر أنّه مُصاب بالفيروس أو مُشتبه بالإصابة به هو سلوك غير مقبول، ممّا اضطرّ الكثير من النّاس إلى إخفاء إصابتهم أو إصابة أي شخص من عوائلهم بالفيروس، خوفاً من الوصم الاجتماعي الذي قد يتعرضون له، حتى لو تعافى المصاب من المرض.

وأيًا كان الأمر، فهناك آثار سلبية للجائحة، أحدثت وصماً سياسياً واقتصادياً واجتماعيّاً، كتجاهل المسؤوليّة، وتعامل الحكومة بأنظمة صارمة، قد تكون لا منطقيّة، وفرض قوانين الطوارئ، وغلاء الأسعار، وإغلاق المحال التجاريّة، وثقافة التّباعد الاجتماعي. وفي ضوء هذا الواقع المأساوي، والروح العالمية الجماعية، انهارت مفاهيم التواصل الاجتماعي والأحلاف، وصارت كل دولة غارقة في همومها، ولا تدّري شيئاً عمّا يجاورها من الدول.

على هذا الأساس، عرضت الدراسة إطارها النظريّ، ومجتمعها الميدانيّ، وخصائص عينتها، وترجمت قضاياها إلى مؤشرات تم تصميمها في مقياس، لتوجيهها لأفراد العينة. وتمّ إجراء تحليل للمادة الكمية التي جمعت إلكترونياً، في ضوء محاور تّداعيات كورونا المستجد في الوصم الاجتماعي، وتأزم الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، والإجراءات الوقائيّة الصارمة، والفروق الإحصائيّة وفقاً للمتغيرات الاجتماعيّة محلّ الدراسة.

مشكلة الدراسة ومبرراتها

تتضح جوانب مشكلة الدراسة كظاهرة طارئة على المجتمعات، بتّداعيات كورونا على المجتمع الأردني، كالوصم الاجتماعي، الذي عُرّف بأنّه سلوك عدواني مقصود ومتكرر، يهدف للإضرار بشخص آخر، نفسياً، عبر تهديده وتخويفه وفرض السيطرة عليه. واعتمدت الدراسة على المزاوجة بين المنهج الوصفي والتحليلي لقياس التّداعيات الاجتماعيّة للفيروس؛ باستعراضها الوصم الاجتماعي، وتأزم الظروف الاجتماعيّة المحيطة، وافتقاد الإحساس بالأمن، والتضجر من الأساليب الوقائيّة والعلاجيّة

للفيروس. حيث لجأت دول العالم، ومنها الأردن، تحت مُسمى الإجراءات الاحترازية، إلى إغلاق المساجد، والسماح لطوابير الزحام على المواد الغذائيّة، والبنوك، ومكاتب البريد، والمولات السياحية، واحتكار بيع المطهرات والكمامات ووسائل التطهير والتعقيم.

وفي الأردن، نشاهد الكثير من المظاهر السلبية التي كشفت عنها الجائحة منذ تفشيها في شهر آذار من عام 2020؛ فخلال هذه الأزمة، نتجت حالات من اتّهامات وإساءات للأفراد والمجتمعات، كنشر الأكاذيب، والصور المُحرجة، ورسائل التهديد، بهدف إخافة المستهدف، أو تشويه سمعته (Delawani, 2020b). فأصبح الوصم أخطر بكثير من فيروس كورونا لكثرة ضحاياه (Abu El-Heija', 2020). كذلك أشارت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى أنّ الوصم الاجتماعي يزيد من حالات الرعب وتفاقم حالات الإصابة، نتيجة إخفاء البعض إصابتهم؛ وذلك نتيجة مرض في الوعي الجمعيّ، ومسألة تاريخية ليست بسيطة (Ahmed, 2020). لذلك، لا غرابة في أن نسمع تحذيرات المنظمات الدوليّة المعنية بالشؤون الصحية من تفاقم الوباء، بسبب إخفاء المصابين مرضهم (Urian, 2020). حيث اعتبر الوصم في زمن كورونا سلوكاً مشيناً؛ يصدر عن أفراد لديهم مشاكل في شخصياتهم، تدفعهم لاستخدام العنف لتحقيق ذواتهم.

ومن هنا فإنّ للدراسة جانباً قد يستجيب لدواعٍ وطنية، وقد يلبي استغاثة الملهوف لرفع البلاء؛ فهي قد تضيف إلى المعرفة العلمية بالوباء رافداً بنّاءً، حيث تنتمي تلك الإضافة إلى مجالات معرفية شتى؛ منها علم الاجتماع الطبي، وعلم البيولوجيا، وعلم الأمراض والأوبئة، وعلم الأنثروبولوجيا الطبية، وعلم النفس، وعلوم الاتصال. كما تعالج الدراسة مجموعة من التّداعيات التي خلّفها الوباء على المجتمع الأردنيّ، تجلّت في الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود المادي، وقسوة الإجراءات الصارمة كالعزل والحظر.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن **السؤال الرئيس: ما التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا "كوفيد- 19" على المجتمع الأردنيّ؟** وتتفرع منه الأسئلة الآتية:

1- هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى الوصم الاجتماعي؟
2- هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة؟
3- هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى افتقاد الشعور بالأمن؟
4- هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى اختلال الوجود الماديّ؟
5- هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى الإجراءات الوقائية الصارمة؟
6- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، تعزى إلى متغيرات: (النوع، والعمر، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، ومجال العمل، والدخل الشهري للأسرة، ومكان الإقامة)؟

أهمية الدراسة وأهدافها

ركزت الدراسات ذات الصلة بالموضوع بشكل كبير على دراسة جائحة كورونا، من جانب حجم الضرر الذي يلحق بالمصاب. انظر على سبيل المثال: دراسات قطينة وزملائه (Qutaineh et al., 2020)، ويوسف (Yusuf, 2020)، و "كولكارني" وزملائه (Kulkarni et al., 2020)، و"الفقي وأبي الفتوح" (Al-Fuggi & Abu El-Fitooh, 2020). وبناءً عليه، تستمد الدراسة أهميتها العلمية من مساهمتها المتواضعة في كشف الغموض عمّا يكتنف موضوع التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، ومن ندرة الدراسات المحلية حول هذا الموضوع في هذه المرحلة تحديداً. كما تأتي الأهمية النظريّة من إظهار الطبيعة التكميلية لكل من نظرية المرض والصحة عند "تالكوت بارسونز" ونظرية الوصم الاجتماعي عند "إيرفينج جوفمان"، في وصف هذه الظاهرة وتفسيرها، ومن ثمّ إعادة الاعتبار للأهمية العلمية في استخدامها بأدواتها النوعية في البيئة الأردنية. تأسياً بذلك، فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى معرفة التّداعيات الاجتماعيّة للجائحة على المجتمع الأردنيّ، في ضوء محاور الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود المادي، وقساوة الإجراءات الوقائية الصارمة بسبب العزل والحظر.

مصطلحات الدراسة

- **المريض:** هو ذلك الشخص الذي يحتاج إلى العلاج أو الشفاء أو الدعم من الآخرين، ويسعى إلى التكيف الاجتماعي على الرغم من هذا المرض.
- **كورونا المستجد:** هو مَرَض معدٍ يسببه فيروس تمّ اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا، وقد تحول إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم (Thapa, 2020).
- **الجائحة:** هي انتشار المرض عالمياً وعدم انحصاره في دولة واحدة.
- **الوصم الاجتماعي:** إجبار الناس على تغيير معاملاتهم مع الآخرين، كالتقليل من الزيارات، وعدم الخروج للتنزه، وترك التقبيل خوفاً من تفشي وباء فيروس كورونا.
- **التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة:** كل ما يؤدي إلى مضايقة الفرد بسبب الوباء، كإجبار الناس على التباعد في الأماكن العامة، والتعرض للإحراج من مدّ اليد للمصافحة، والتعرض للتوبيخ عند العطاس والسعال أمامهم، والتعرض للغيبة والتشهير حال الإصابة بالوباء، والتعرض للّوم في حال عدم لبس الكمامة.
- **افتقاد الشعور بالأمن:** خوف الكثير من الناس لما يسببه لهم فيروس كورونا من الرعب، وعدم القدرة على التّنبؤ بالمستقبل، وشعور الناس بأنهم مُحاصرون ومُقيدون، والخوف من شح المال لدى الناس وندرة الموارد، وعدم القدرة على ممارسة هواياتهم وتحقيق آمالهم؛ كلّه بسبب الوباء، مما يجعلهم يفكرون في أمور مخيفة كالموت.
- **اختلال الوجود الماديّ:** تسبب وباء كورونا في انخفاض الدخل الشهري للناس، والمعاناة من مشاكل ماديّة، وصعوبة تأمين مستلزمات صحيّة، وماديّة، واقتصاديّة.
- **الإجراءات الوقائية الصارمة:** تنمّر الحكومة على الناس بالإجراءات الوقائيّة الصارمة لمنع تفشي الوباء، كالحظر الذي يصعّب وصول الناس إلى حاجاتهم، والتعرض للإهانة لعدم التزام الناس بالإجراءات الوقائيّة، وإجبار الحكومة الناس على دفع غرامات لمخالفة إجراءات الوقايّة، كذلك إجبارهم على عدم التجمع.

التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ

سُجلت أول حالة لكوفيد- 19 في الأردن في (آذار 2020)، لشاب كان عائداً من إيطاليا، وبعد أسبوعين، كإجراءات استباقية، أوقفت الحكومة جميع الرحلات الجوّية القادمة والمغادرة إلى الأردن باستثناء حركة الشحن التجاري، وأغلقت قطاع التعليم بجميع مراحله لمدة أسبوعين. ومع وصول عدد الحالات المؤكدة بالمرض مع بداية الجائحة إلى (40) حالة، عطلت الحكومة جميع المؤسسات والإدارات الرسمية والقطاع الخاص، باستثناء القطاعات الحيوية، ومنعت المواطنين من مغادرة منازلهم إلا للضرورة القصوى (Sky News Arabia, 2020).

وفرضت الحكومة حظراً مبكراً على التنقل، وغرامات قاسية على المخالفين، كالحكم بالسجن لمدة عام على من ينتهك الحظر الشامل. وفي (نيسان 2020) عُزلت بعض المدن التي سجلت إصابات كثيرة. وفي (منتصف نيسان) أعلنت الحكومة عن إجراءات للتخفيف عن المواطنين، ومعالجة نتائج الإغلاقات للقطاعات المختلفة، كعمال المياومة وأصحاب المهن الحرة (Aljazeera.net, 2020)، وأعلنت عن عودة العمل للقطاعات بكامل طاقتها الإنتاجية، مع تخفيف إجراءات حظر التجوال القائمة منذ (55) يوماً. لقد كانت العودة إلى الحياة الطبيعية مشروطة بإلزام كل شخص التقيد بمسافات التّباعد، وارتداء الكمامة والقفازات قبل الدخول للأماكن العامة (Alghad, 2020).

ومع بداية (تشرين الثاني/ 2020) بدأت الموجة الجديدة من الوباء بالانتشار في الأردن؛ إذ بلغ عدد الإصابات الجديدة المؤكدة حتى بداية (تشرين الثاني) حوالي (75,866) إصابة، وبلغ عدد الوفيات (866) وفاة (Ministry of Health, 2020). فتطلّب ذلك من الحكومة تشديد الإجراءات الوقائية مرّة أخرى، لتقليل أعداد الإصابات، ولتقليل الضغط على الخدمات الصحية؛ فلجأت إلى العزل وإغلاق المناطق والمحافظات الأكثر إصابة، وقامت بإجراء فحوص إلزامية للقادمين عبر المعابر الحدودية، وإصدار أوامر الحجر الصحي لمدة (14) يوماً، للحالات المخالطة والمشتبه بها (Ro'ya News, 2020).

كذلك استعانت الحكومة بتفعيل قانون الدفاع (من 19/ آذار/ 2020 إلى 30/ نيسان/ 2021)؛ لمواجهة الوباء، فعطّل أمر الدفاع رقم (1) بعض أحكام قانون الضمان الاجتماعي، وتضمن أمر الدفاع رقم (2) حظر تنقل الأشخاص وتجوالهم في جميع مناطق المملكة بدءاً من الساعة السابعة صباحاً وحتى إشعار آخر، وفرض أمر الدفاع رقم (3) غرامات مالية وعقوبات تصل إلى حدّ الحبس وحجز المركبات وإغلاق محال المخالفين وتغليظ العقوبات في حال تكرار المخالفة. وبعدها توالت أوامر الدفاع لتشريع قوانين ناظمة تتلاءم مع حالة الوباء، فجاء أمر الدفاع رقم (4) لإنشاء صندوق "همة وطن"، وأوقف أمر الدفاع رقم (5) العمل بأحكام قوانين الشركات، وحمى أمر الدفاع رقم (6) حقوق العمال في مختلف القطاعات الاقتصادية في ظل التوجه لتشغيل بعض القطاعات تدريجياً مع استمرار حظر التجوال، ونظّم أمر الدفاع رقم (8/7) التعليم المدرسي والجامعي والتدريب المهني عن بُعد وآليات تقييم الطلبة، وفرض أمر الدفاع رقم (9) الحماية الاقتصادية ودعم الشركات المتضررة (Jordanian Ministry of Labor, 2020).

كذلك، تضمن أمر الدفاع رقم (11/10) تمديد المدة المقررة لتقديم إقرارات ضريبة الدخل، والمدة المتعلقة بتوريد الضريبة المقتطعة لتلك الدائرة، وإلزام أصحاب المنشآت المصرح لها بالعمل باتباع أقصى درجات الحيطة والحذر، والالتزام بسبل الوقاية ضد تفشي الوباء. وفرض غرامات مالية على غير الملتزمين بارتداء الكمامات. وفرض أمر الدفاع رقم (12) حظر التجوال على الأشخاص والبلاغات الواردة بمقتضاه لتصبح العقوبة غرامة لا تقل عن (100) دينار ولا تزيد على (500) دينار، وتغليظ العقوبات بحق مرتكبي المخالفات ومكرريها. ودعم أمر الدفاع رقم (13) القطاعات التي تضررت بسبب الجائحة كالقطاع السياحي. ومنع أمر الدفاع رقم (15/14) تسريح العمالة في القطاع السياحي، ومنح سُلفاً لموظفي الحكومة تصل إلى (200) دينار لمن يقل دخله عن (700) دينار من موظفي الحكومة. ومنع أمر الدفاع رقم (16) إقامة الأفراح وبيوت العزاء والتجمعات بجميع أشكالها. وغلّظ أمر الدفاع رقم (17) العقوبات على من يخالف التدابير المفروضة من الجهات المختصة (Jordanian Ministry of Labor, 2020).

كما مكّن أمر الدفاع رقم (18) شريحة أوسع من المؤمن عليهم والمنشآت من الاستفادة من أوامر الدفاع رقم (9 و 14 و 15) لسنة 2020. وفرض أمر الدفاع رقم (19/ 20) تنفيذ الإجراءات التي أعلنت عنها الحكومة بشأن الحظر الشامل يوم الجمعة، والحظر الجزئي الليلي، وتشديد الرقابة على الالتزام بسبل الوقاية الصحية. وأعاد أمر الدفاع رقم (21) تنظيم إجراءات التقاضي في زمن كورونا أمام المحاكم الوطنية، وحلت محلها قواعد عامة جديدة. ونظّم أمر الدفاع رقم (22) إقامة التجمعات؛ بحيث يعاقب كل من يقيم تجمعاً بصورة مخالفة بالحبس من ثلاثة أشهر إلى ثلاث سنوات، أو بغرامة لا تقل عن (1000) دينار ولا تزيد على (3000) دينار أو بكلتا هاتين العقوبتين (Jordanian Ministry of Labor, 2020).

وهكذا تتابعت أوامر الدفاع إلى أن وصلت إلى (33) بلاغاً، كان معظمها لسن عقوبات وإغلاقات وتنظيم وتعديل أوقات الحضر تبعاً لتطور الحالة الوبائية، وكذلك لحماية القطاعات والمنشآت الحكومية والخاصة من الضرر الناجم عن حالة الوباء، فكان آخرها نصّ البلاغ رقم (33) الذي تضمن حظر تنقل الأشخاص وتجوالهم في جميع مناطق المملكة من الساعة السابعة مساءً وحتى الساعة السابعة صباحاً في جميع أيام الأسبوع، مع السماح بتجوالهم سيراً على الأقدام لأداء صلوات الفجر والمغرب والعشاء والتراويح، شريطة التزامهم بالبرتوكول الصحي المعتمد (Jordanian Ministry of Labor, 2020).

وتأسياً بذلك، فقد حذر المرصد الأورو متوسطي لحقوق الإنسان من اتّساع ظاهرة الوصم الاجتماعي في الأردن بسبب كورونا المستجد، وهذه السلوكيات دفعت غير المصابين إلى إخفاء أعراض قد تظهر عليهم، وعدم التوجه للفحص، خوفاً من تحميلهم ذنب نقل الفيروس لمن حولهم (Mediterranean Human Rights Monitor, 2020). ومع تفشي حالات الإصابة، ظهرت العديد من المواقف التي استغلها البعض للتشهير بالآخرين، دون مراعاة لمشاعرهم، سواء بإطلاق "هاشتاج" أو السخرية منهم، أو إعادة نشر كل ما يؤذيهم، أو "النبش" بتاريخ عائلاتهم (Jaber, 2020). فالمحصلة النهائية يمكن إجمالها في أن مَن يصاب تلحقه وصمة عار اجتماعية ممتدة، كما في الشكل (1):

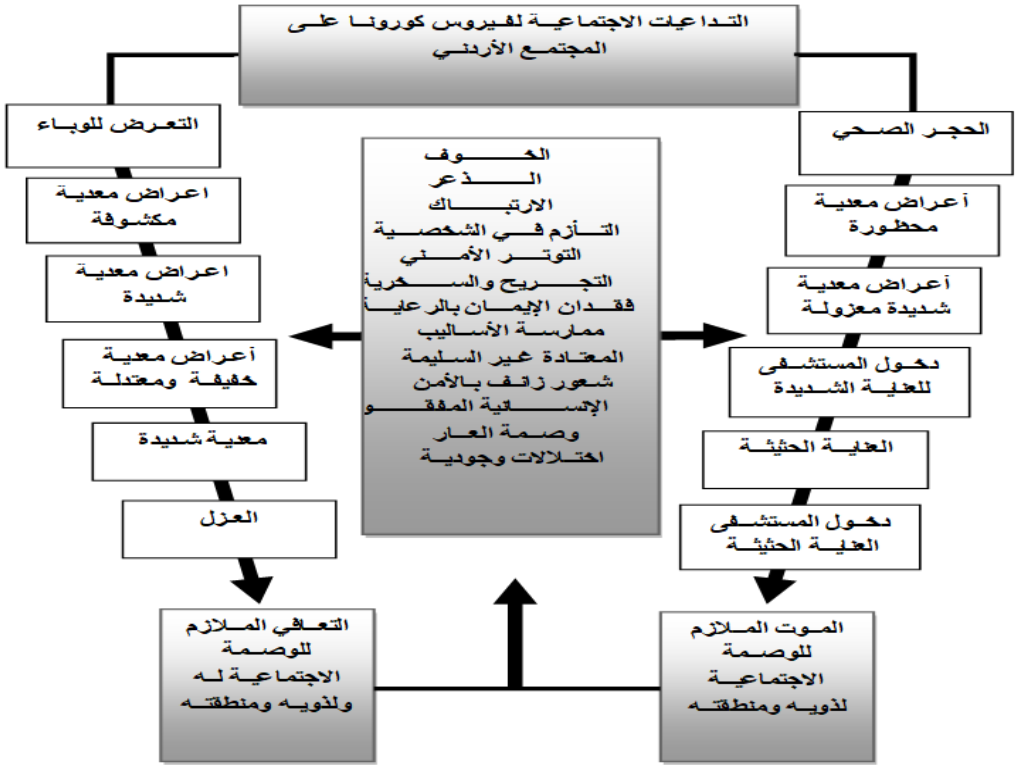

الشكل (1): ثنائية التعامل مع جائحة كورونا في الأردن بين الواقع ووصمة العار.

وعلى هذا الأساس، اتّسعت ظاهرة الوصم المجتمعي على المصابين بالوباء، والمتوفين به وذويهم، بل إنّ الأمر امتد ليصلَ إلى المشتبه بإصاباتهم؛ إذ يشير آخرون إلى أنّ بعض الأفراد لا يأتون على مستوى التوقعات لأنّهم لا ينجحون في أداء الأدوار، لذلك فإن المطلوب منهم الإعلان عن السلوكيات المقبولة من المجتمع. فالمصاب بالفيروس موصوم وأسرته موصومة، وهم معزولون عن المجتمع، وإن مات لا يدفن في مقابر العائلة، ولا يشيع جثمانه. فصارت الكورونا رازلةً بجماعة المصاب وعشيرته. ويدخل في المبالغات أيضاً أنّ سياسات الحجر الصحي، والعزل في المستشفيات، وتحديد الإقامة في البيوت، ومنع الازدحام والتجمع في الأماكن العامة والشوارع...إلخ، هي آليات للقمع تستخدمها الأجهزة الرسمية. والحقيقة أنها إجراءات لابدّ منها، منعاً لانتشار الوباء، ووقايةً للأصحاء من الإصابة به، خاصة أنّ العالم كله قد استوى في هذه الإجراءات، فلا فرق بين دول متقدمة وأخرى، فالكل مصاب، والكل أغلق على نفسه الباب، التماساً للصحة، وإيثاراً للسلامة.

وإحاطة بما سبق، تتناول الدراسة ما طرأ على المجتمع الأردنيّ عامة جرّاء هذه الجائحة، عبر مجموعة من المحاور الأساسية التي تجسّد مدى الرعب الذي حدث، والهلع الذي سيطر – وما زال مسيطراً - على حياة الناس من كل الفئات، حتى صار الفيروس اسماً وبطاقة تعريفية، تنوعت حسب مكان الإقامة والمهنة والجنسية.

الإطار النظريّ للدراسة

أولا: الأدوار الصحيّة وإعادة تحليل نظريّة بارسونز

يشير بارسونز إلى أنّ الطريق إلى الصحة والمرض عاملان يُؤثران على الأدوار الاجتماعيّة للأفراد؛ فالمرض هو عجز يعتري الفرد، ويعيق أداءَه للأدوار، فينخفض أداؤه عن مستوى التوقعات. والصحة البدنية تمثل مدى فاعليته في أداء الأدوار وفقاً لتوقعات الآخرين في أدواره (Holton & Turner, 1986, p.73). لذلك فإنّ عجز المريض يعفيه من المسؤولية في أثناء فترة العجز والمرض (Macionis, 2012, p. 502)؛ إذ يحكم المجتمع على المرض بمعايير مختلفة، تشمل المستوى العلمي، والأخلاقي، والقدرات البدنية الخاصة، والقدرة على تقويم السلوكيات المرفوضة (Hamilton, 1985, p. 145). لذلك، فإنّ إحساس الفرد بالرضا ربّما يتوقف على القدرات الإنتاجية الجديدة، وربّما يجد الشعور بالسعادة مبرراً لإعادة بناء الشخصية

بالكامل (Robertson & Turner, 1991, p.204). كما تؤثر المؤثرات النفسية على الحالة الجسمانية والوظائف العضوية؛ فالإحساس بالرضا قد يعود إلى انتظام التفاعلات الكيميائية في الجسم أكثر مما يعود إلى المؤثرات الخارجية (Parsons & Smelser, 1956, p.175).

وعلى ذلك، فإنّ هناك مصادر للمرض هي؛ مصدر داخلي: ويعود إلى الاضطرابات الجسمانيّة، ومصدر خارجي: ويعود إلى المؤثرات الخارجيّة السلبية، وهناك مصدر ثالث: يتمثل في تأنيب الفرد لنفسه حين يرتكب عملاً مشيناً؛ لأنّه لا يأتي على مستوى التوقعات عند انحرافه عن القواعد الثقافيّة (Hamilton,1985, p.150). ويُشار إلى أنّ مستوى فاعلية الفرد في أداء أدواره يتوقف على مستوى قدرته على التكيف؛ فالشخصيّة الجامدة لا يمكن أن تتكيف مع الظروف الجديدة أو الغريبة (Parsons & Smelser, 1956, p.178). والشكل (2) يوضّح الصحة والمرض في ضوء البناء الاجتماعي والقيم السائدة.

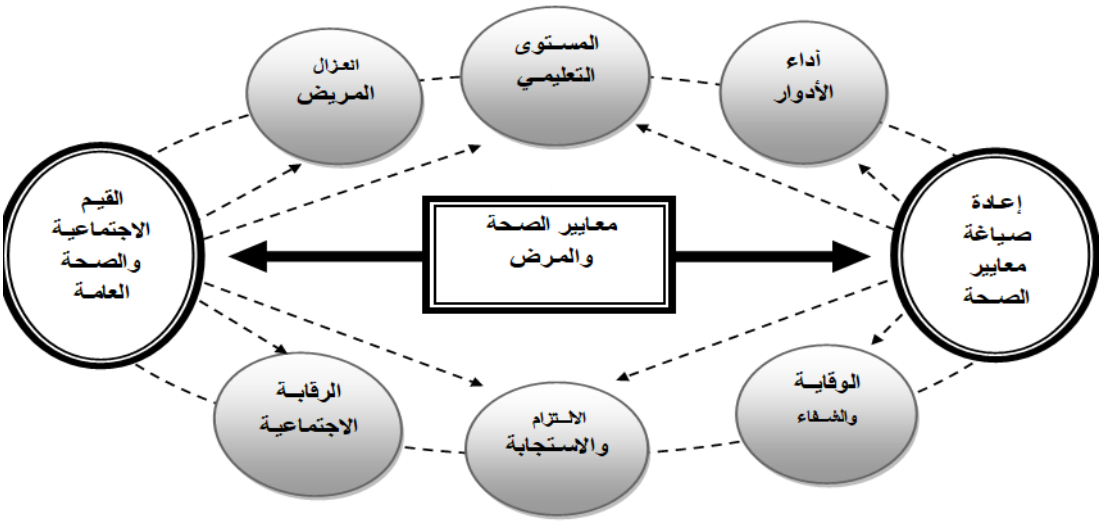

الشكل (2): إعادة صياغة معايير الصحة والمرض بين أداء الدور والقيم الاجتماعية.

ويشير بارسونز إلى أنّ اعتلال الصحة يتّضح من عدم قدرة الفرد على الخضوع للثقافة الاجتماعيّة. ومن مبدأ النسبية الثقافيّة، فإنّ الفرد لن يخضع إلى الثقافة إلا إذا كان مقتنعاً بها (Turner, 1986, p.111). وفي إطار الحُكم على مدى التزام المريض في أداء المسؤوليات، فإنّ المجتمعات تختلف توقعاتها في درجة التزامه، كالتزامه بالقانون الذي يخافه لأجل العقوبات أكثر من احترامه له، والتزامه بالمبادئ الثقافيّة، كالأمانة والشرف، التي تملي عليه بعض الالتزامات، لذلك فإنّ المريض قد لا يتمكن من الإعلان عن إرادته الحرة (Parsons, 1951, p.327). ولربما تؤدي بعض الأمراض إلى اعوجاج هذه الإرادة.

وهناك العديد من الالتزامات الدينيّة المطلوبة من المريض تضاف إلى الالتزامات الدنيويّة، وتؤدي إلى خضوعه للمسؤوليات المختلفة (Fitzhhenry, 1986, p.147). ويشير بارسونز إلى أنّ المريض يختلف عن السوي في أنّ السوي قادر على قبول أو رفض بعض الالتزامات، على عكس المريض الذي لا يتمكن من أداء الالتزامات. ومن الناحية القانونيّة، فإنّ المريض غير مسؤول عن فعله لأنه غير قادر على الإدراك أو الإعلان عن إرادته الحقيقيّة (Parsons, 1970, p. 257). وبما أنّ المريض يحتاج إلى العلاج والدعم من الآخرين، فهذا يجعله تابعاً لهم أو معتمداً عليهم (Parsons, 1970, p.257). فقد لا يكشف المريض فقط عن مثل هذه الدوافع، بل يشمل الجوانب الإيجابيّة والسلبيّة للضبط الاجتماعي (Turner, 1986, p.182).

كذلك يشير بارسونز إلى أنّه مع نسق القيم، فإنّ المريض سوف يخضع إلى بيئته المحيطة؛ لأنه قد لا يتمكن من تغيير القواعد الثقافية المتعارف عليها في المجتمع (Parsons, 1954, p.34). حيث يتمّ الحكم على نشاط المريض في ضوء القيم الاجتماعيّة، وعلى مدى إخلاصه في أداء الأدوار المطلوبة منه (Parsons,1970, p. 257). ومع وجود معايير إعفاء المريض من التزاماته القانونيّة التي قد تصعّب من أداء أدواره، لكن بإعادة صياغة معايير الصحة والمرض قد يحقق المريض الإنجاز، في ضوء مدى قدرة شخصيته على تحقيق الأهداف أكثر من الحكم على المهارات اللازمة للإنجاز. فقد افترض بارسونز أنّ

المرض لا يمثل وضعاً عضوياً، بل يمثل وضعاً اجتماعياً (Parsons, 1951, p.330). فبإجراء التحليل على المرض والصحة، يتّضح دور المريض؛ إذ إنّ المرض يضع قيوداً على المريض في اتخاذ الفعل الحر (Luhmann, 1995). ورأى بارسونز أنّ الميكروبات هي السبب الرئيس لمعظم الأمراض، وأعطى أهميّة بالغة للمعالجات الثقافيّة والاجتماعيّة للرعاية الطبيّة، في ضوء التحليل النفسي للعالم فرويد، الذي لفت الأنظار إلى أسباب وقوع الضحية في المرض (Parsons & Shills, 1951, p.196).

ويشير بارسونز إلى مفهوم دور المريض في النسق الاجتماعي العام على ما يلي: **أولاً:** يتوقف الفارق بين الشعور بالمرض والإصابة به على العديد من التوقعات الاجتماعيّة، والتخلي عن الالتزامات في العمل وفي المنزل. **ثانياً:** المريض لا بدّ له من أن يلزم المنزل للراحة، مع إعفائه من الالتزامات التي تتجاوز حدود القدرات في حالة المرض. **ثالثاً:** يمثل التزام المريض في اتّباعه خطوات علاجية للشفاء، ويكون الإعفاء من الأدوار حسب الحالة المرضيّة، وقبوله بعض الالتزامات على الرغم من المرض، واتباع النظام العلاجي. **رابعاً:** يشير العنصر الأخير في هذا الدور إلى التوقعا؛ إذ إنّ المريض لا بدّ له من أن يسعى إلى الرعاية الصحية، باللجوء إلى المستشفى، أو الطبيب المعالج (Parsons, 1954, p.9). كما أشار إلى التمييز بين المرض والصحة من حيث قبول الالتزامات أو الإعفاء منها، إلى جانب تعريف الصحة والمرض في ضوء البناء الاجتماعي (Holton & Turner, 1986, p.109). لذلك يمثل المرض انحرافاً عن التوقعات الاجتماعيّة؛ فقد يختار الفرد المرض بنفسه إذا لم يلتزم بالقواعد الصحية؛ إذ يمثل المرض ردّ فعل المريض على القيود المفروضة من النسق الاجتماعي.

ثانيا: نظريّة الوصم الاجتماعي عند جوفمان

تتضح مسألة الرؤية لوصمة العار في مدى تكيف الفرد مع هذه الوصمة لتوفير وسائل التواصل مع الآخرين. فالوضوح عامل حاسم، يُظهر هوية الفرد التي تكون ملمحاً دالاً عليه في معظم الأوقات عبر تواصله مع الآخرين (Goffman, 1974). وتتميز هذه الرؤية والوضوح بـ : **أولاً:** أنّ وصمة العار يجب تمييزها عند معرفة الفرد عنها، وعندما تكون واضحة، فإنّ تواصله مع الآخرين يجعلهم يعرفونها؛ إذ تعتمد معرفتهم عن وصمة الفرد على معلومات مسبقة عن ذلك الفرد. **ثانياً:** عادة ما نطوّر الإدراك والفهم بالاعتماد على أساس موضوعي بالنسبة لمجال النشاط الحياتي الذي تقوم الوصمة فيه بتجريد الشخص من الأهلية (Goffman, 1986, p.40)؛ فالموصوم الواضح هو من يعاني من سوء المعاملة بمجرد معرفته أن وصمته ترافقه ومعروفة لدى الآخرين.

ويشير جوفمان إلى أنّ إدارة الوصمة هي صفة للمجتمع؛ فالفرد الموجه نفسيًا يؤكد على أنّ النتيجة المَرَضية قد تكون بانتقاص النّفس، كما يجادل بأن الظلم الواقع عليه قد يكون مرضاً (Goffman, 2003, p.131). والأهم من ذلك كله أنّ فكرة "العيب أو العار" تفترض تشابهاً بالنسبة للمعتقدات الحاسمة المتعلقة بالهوية. فإذا كان ممكناً تسمية الشخص الموصوم بأنّه منحرف، فيجب تسميته بالمنحرف الطبيعي (Goffman, 1974). وربما من الصعب فهم كيف يمكن أن يطيق الفرد المحافظة على التحول المفاجئ في حياته من وضع طبيعي إلى وضع موصوم؛ فقد يأتي الألم من الوصم المفاجئ عند معرفته التامة بأنه موصوم من الآخرين.

ويشير جوفمان إلى أنّ الشخص الموصوم يُمكنه التخلص نسبياً من وصمة العار بلعب الأدوار، أو ما يسمّى "العلاج النفسي الدرامي"، بلعب الموصوم دور الشخص العادي. فالموصوم في الظروف المشابهة يُقلد العادي؛ إذ يمثل بطريقة فكاهية مشاهد من انتقاص القيمة مع شخص من نوعه يلعب الدور العادي، لكن هذا قد لا يستمر، فقد يؤدي إلى التمرد أو العصيان؛ إذ يختلف الشخص الموصوم عن أي شخص عاديّ بأنّه يمتلك سبباً خاصاً لمقاومة الوصمة في أثناء فترة تواصله معه (Goffman, 1986, pp.135-136). وكل المجتمعات المترابطة فيها ذلك الفرد المنحرف، سواء في السلوك والأخلاق، أو في المزايا، أو كلتيهما. فالنتيجة أنّه سيلعب دوراً خاصاً، ويصبح رمزاً للجماعة، ومؤدياً لوظائف تدريجية حتى يفقد الاحترام (Othman, 2008). وقد يصبح الموصوم مركز اهتمام، ويدمج الآخرين في دائرة المشاركة حوله، حتى لو خلع عنه شيء من المكانة كمشارك؛ فهو عبء قد يضاف للمجتمع، وربما يُدعى منحرفاً داخل الجماعة، ليذكّر الآخرين بأنّه منحرفٌ (Goffman, 1967).

من الواضح أن الدراسة اعتمدت على مصطلحات في صميم الموضوع، وقد جاء عرض المفاهيم والنظريات دالاً على مقولات نظريتي بارسونز Parsons (عن دور المريض Sick Role) وجوفمان Goffman (عن الوصمة الاجتماعية Social Stigma). وبالمقاربة مع نظريتي الدراسة، تحاول الدراسة الكشف عن التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، من منظور الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعيّة المحيطة ، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود المادي، والإجراءات الوقائية الصارمة.

ثالثاً: الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع

بعد المراجعة التقييمية للأدبيات المتعلقة بالتّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، والاطّلاع على ما توفر من دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع، فقد تُوخّي لأغراض تنظيمية استعراض أهم نتائج تلك الدراسات؛ وعرضها وفقاً لمجالات الدراسة.

في ما يتعلق **بالوصم الاجتماعي**، فإنّ معتقدات الناس واتجاهاتهم في ظلّ فيروس كورونا تجاه المريض المصاب قد أُصيبت مع بداية الأزمة باختلالات نفسية واجتماعية. وإلى ذلك، توصلت دراسة يوسف (Yusuf, 2020) "فيروس كورونا المستجد: المعتقدات والاتجاهات نحو المريض المصاب" إلى أنه مع استمرار تفشي الوباء ظهر هناك انخفاض في المعتقدات المتصلة بفيروس كورونا المستجد بين الناس، كما كشفت عن وجود ذات ذات دلالة إحصائية بين معتقدات أفراد الشعب المصري عن الفيروس والاتجاهات نحو المريض المصاب تعزى إلى متغيريّ النوع لصالح الذكور، والعمر لصالح الأكبر سناً، مع عدم وجود فروق في تلك المعتقدات والاتجاهات تعزى إلى مكان الإقامة. وتوصلت دراسة قطينة وزملائه (Qutaineh et al., 2020)، "مدى قدرة استعداد مستشفيات مديرية عمران باليمن لمواجهة ومنع تفشي مرض فيروس كورونا" إلى أنّ المصابين والمشتبه بإصابتهم بفيروس كورونا قد أصيبوا بحالات من الخوف والذعر والاكتئاب بسبب نقص أدوات الفحص بنسبة (94.7%)، والمحاليل بنسبة (94.4%)، وأجهزة قياس الحرارة عن بعد بنسبة (74.4%)، وأجهزة التنفس الصناعي بنسبة (85.5%)، وعدد أفراد الأسرة بنسبة (83%) في مستشفيات عمران. وتوقعت دراسة (Mishra & Majumdar, 2020) "التباعد الاجتماعي في أثناء جائحة كورونا، هل سيغير المجتمع الهندي؟" حدوث تغييرات في التحية والمساحة الشخصية، وتقاسم أكبر للمسؤوليات المنزلية بين الرجل والمرأة، وأنه قد يعاني كبار السن من الإجهاد والتبعية والضعف العاطفي والجسدي، بسبب التباعد الاجتماعي.

وفي ما يتعلق **بتأزّم الظروف الاجتماعية المحيطة**، فقد أظهرت دراسة أوميل وزملائه (Omell et al., 2020) "الخوف الوبائي وكوفيد- 19: الاستراتيجيات والعبء الصحي والعقلي" أنّ تفشي الأمراض الفتاكة في العالم مثل كورونا، سبّب خوفاً وهلعاً بين الناس، وأن المشكلة الكبرى في كورونا أنّها سببت أمراضاً عقلية عند الناس أكثر من الأمراض الأخرى. كما فرض الوباء على الناس واقعاً وجودياً متوتراً، وعرّض الناس للإحراج. وإلى ذلك، كانت نتيجة دراسة كولكارني وزملائه (Kulkarni et al., 2020) بعنوان "المعلومات الوبائية تتجاوز الوباء نفسه" أنّ المعلومات عن فيروس كورونا المستجد أوجدت خوفاً وارتباكاً بين الناس، وجعلتهم يتصرفون مع المرض على أسس غير طبيعية. كما أنّ أخطر ما في الأمر أن يكون الشخص منبوذاً بمجرد أن تظهر عليه أعراض فيروس كورونا. وهذا ما أظهرته دراسة لي وزملائها (Lei et al., 2020) بعنوان: "مقارنة لانتشار القلق والعوامل المشتركة والكآبة بين الناس المتأثرين بالفيروس والناس غير المتأثرين بالحجر الصحي في أثناء جائحة كورونا في جنوب غرب الصين" من أنّ الناس ينتابهم شعور بالتوتر حال إصابة شخص بالوباء؛ فقد يتعرض الشخص للنبذ والغيبة والتشهير واللوم، وقد ينفُر منه الناس، ويصبح حتى أفراد عائلته مصدراً للوباء واللوم.

وقد يزداد شعور الناس بالقلق النفسي من هذا الوباء. وإلى نحو ذلك توصلت دراسة موسى وزملائه (Mosa & Kojor, 2020) بعنوان: "مستوى القلق النفسي في ظل جائحة كورونا وسط سكان محافظة الإحساء"؛ فقد بينت أنّ هناك انخفاضاً في مستوى القلق بسبب وباء كورونا وسط سكان محافظة الإحساء، مع وجود فروق تعزى لمتغيرات: النوع، والعمر، والمؤهل العلمي والمهنة، وعدم وجود فروق دالة تعزى لمتغير الهُوية. كذلك، بيّنت دراسة الفقي وأبي الفتوح (Al-Fuggi & Abu El-Fitooh, 2020)، "المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا المستجد" أنّ مشكلة الضجر هي من أكثر المشكلات النفسية التي يعاني منها الطلبة الجامعيون في مصر بسبب جائحة كورونا، كما توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين المشكلات النفسيّة ومتغيري النوع والعمر، وعدم وجود فروق تعزى لمتغير البيئة.

ويتعاظم خطر هذا الوباء على الناس في ما يتعلق **بافتقاد الشعور بالأمن**؛ فهو يلقي بظلاله عليهم، ويسبب لهم الرعب والخوف، فلا يستطيعون التنبؤ بمستقبلهم الوجودي. إلى ذلك، أظهرت دراسة بيترسن وجوكينجن (Petersen & Gokengin, 2020) "وباء سارس وكوفيد 2 والإجراءات المختلفة للسيطرة في تركيا" أنّ الأمر يحتاج إلى جهود ملحة وطارئة لتخفيف انتشار الوباء الذي يُشعر الناس بالخوف، ويفقدهم الشعور بالأمن. كذلك، أسفرت نتائج دراسة بينج وزملائه (Ping et al., 2020) بعنوان: "التّدخلات النفسية الموجزة لوباء جائحة كورونا" أنّ التدخلات النفسية والأمنية الموجزة لم تخفف من شعور الناس بأنّهم يستطيعون تحقيق طموحاتهم وآمالهم؛ لأنّ وجود الفيروس يسبب لهم الرعب والشعور بعدم الأمان. كما أظهرت دراسة تاج بشير (2020) بعنوان: "إشكالية تمثل قيم المواطنة في ظل تداعيات جائحة كورونا" أنّ من تداعيات هذا الوباء ضعف واختلاف درجات الوعي، وكثرة التناقضات القيمية، والتفكير بمنطلقات شعبوية أثرت في السلوكيات، وأحدثت خللاً وظيفياً في البيئة الاجتماعية؛ فالامتثال لقيم المواطنة يكون بالالتزام والمشاركة في قضايا المجتمع والتفاعل معها.

ولفهم طبيعة العلاقة بين وباء كورونا **والوجود الماديّ**، أظهرت دراسة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في الأردن (The UN Developing Program in Jordan, 2020) بعنوان: "أثر فيروس جائحة كورونا على الأسر في الأردن" أنّ هناك توافقاً بنسبة (85.6%) بين المشاركين على أنّه سيكون للجائحة تأثير على سبل العيش في المدى الطويل، وأفاد (58.6%) من المشاركين أنّهم كانوا يعملون قبل الأزمة ومع ذلك خسروا كامل دخلهم، و(17.1%) منهم دخلهم كان أقل بكثير، وأشار (9,4%) منهم إلى أنّ دخلهم كان أقل بقليل، كما أفاد (11.3 %) أنّ دخلهم لم يتأثر بسبب الأزمة. كذلك أفاد (96.0%) من المشاركين في الزرقاء أنّهم خسروا كامل دخلهم، وهي نسبة قريبة من النسبة المسجلة في إربد (65%)، وفي عمّان (62.0%)، بينما تنخفض إلى (32.0%) في الطفيلة، وإلى (39.0%) في معان، وإلى (40.0%) في عجلون. كما أكّدت أغلبية كبيرة (66.0%) أن مواردهم المالية لا تكفي لأقل من أسبوع إذا استمر الإغلاق، بينما يستطيع (7.7%) منهم الصمود لمدة تتروح من أسبوعين إلى أربعة أسابيع بالاعتماد على الموارد المتاحة.

كذلك توصلت نتائج دراسة بغدادي (Bagdadi, 2020) بعنوان: "إشكالية الرابط الاجتماعي في ظل وباء كورونا: تفكك أم إعادة تشكل؟" إلى أنّ الرابط الذي كان يحكم العائلة الكبيرة تراجع بسبب انتشار الوباء بين أفراد المجتمع، وبسبب المعاناة المادية للعائلات، واستغلال التجار لهم، وصعوبة التنقل بسبب تفشي الوباء. كذلك، توصلت دراسة نصر الله (Nasr-Allah, 2020) بعنوان: "تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق" إلى أن التعايش السلمي تأثر بتداعيات الوباء اقتصادياً واجتماعياً بين أفراد المجتمع. كما أظهرت دراسة نوافلة (Nawafleh, 2020) بعنوان: "مدى تأثير جائحة كورونا على عقود العمل في سلطنة عُمان والأردن" ضرورة تعديل التشريع العُماني والأردني وتضمينه نصوصًا تتعلق بوقف إنهاء عقد العمل لأسباب اقتصادية، وتخفيف حدّة أعباء الوباء على أفراد المجتمعين اقتصادياً. كذلك، أظهرت دراسة عمورة وهولي (Ammorah & Holy, 2020)، "تداعيات جائحة كورونا (كوفيد-19) على تحقيق أهداف البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة 2030 في المنطقة العربية" أنّ كورونا أدّت إلى فقدان عدة مكاسب كانت قد تحققت قبل الجائحة، بسبب الأضرار الكبيرة التي خلفتها، وعمق الأزمة عالمياً. وأسفرت نتائج دراسة أحمد والطاهر (Ahmed & Al-Taher, 2020) بعنوان: "أثر جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي" إلى أنّ أثار جائحة كورونا كانت حادّة على المدى القصير والمتوسط، بتراجع النمو الصناعي العالمي في قطاع الخدمات، نتيجة تسريح العمال، وتفاقم أزمة البطالة. كذلك، أشارت دراسة هاجر ولمين (Hajar & Lameen, 2020) "آثار جائحة الفيروس التاجي في التنمية المستدامة في صناعة النقل الجوي في العالم" إلى أنّ لجائحة كورونا تأثيراً متبايناً في التنمية المستدامة؛ إذ تأثر الجانبان الاقتصادي والاجتماعي للتنمية سلبياً، في حين تأثر الجانب البيئي إيجابياً.

كما فرضت **الإجراءات الوقائيّة الصارمة** في كثير من الدول واقعاً وجودياً اتّسم بصعوبة الوصول إلى الحاجات. وإلى ذلك، أظهرت دراسة الجبالي (Al- Jabali, 2020) بعنوان: "أزمة كورونا وإجراءات الحكومة الأردنية" أنّ الإجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ الإعلان عن الإصابات الأولى في الأردن حاولت التوفيق بين متطلبات التّباعد الاجتماعي ومحاصرة الوباء أينما وجِد، عبر إجراءات صارمة على التنقل والعمل، وتقليل وطأة الإجراءات على الطبقتين الدنيا والوسطى، وحماية حقوقهما الأساسية من: عمل، وتعليم، وصحة، وغذاء. وبيّنت دراسة الخطوب وزملائها (Al- Qutob et al., 2020) بعنوان: "السياسات الصحية العامة والرقابية في الأردن في أثناء وبعد جائحة كورونا" أنّ إجراءات الحوكمة، والإدارة، وتقديم الخدمات، ونظم

المعلومات الصحية، والتكنولوجيا، والطب، والتمويل الصحي، قوبلت بموافقة ملحوظة؛ إذ إنّ نجاحها يدعو نسق الرعاية الصحية إلى تحسين مواجهة أزمات صحية محتملة في المستقبل، كالأوبئة أو الكوارث الطبيعية.

وأشارت دراسة رؤوفي وزملائه (Raoofi et al., 2020) بعنوان "وباء كورونا وتعلم سياسة الصحة المقارنة في إيران" إلى أنّ تحدي الوباء بحاجة إلى تعاون كامل بين الحكومة والمجتمع، عبر إجبار الناس على عدم التجمع في مناسبات اجتماعية. وفي ذات السياق، استنتجت دراسة سارا باتريك وكورمير (Patrick & Cormier, 2020) بعنوان: "دروس من جائحة كورونا في أثناء التجربة الطبيعية الفوضوية" أنّ ثلث سكان العالم كانوا تحت خطر الحركة بسبب كورونا، كما أنّ (21) ولاية أمريكية بدأت بسياسات العزل داخل البيوت، وسياسات التّباعد الاجتماعي. وأشارت دراسة كونين (Koonin, 2020) بعنوان: "قصة انتشار مرض كورونا" إلى أنّ الكثير من الجمعيات لديها الخطط والاستعداد، ولكن القليل منها من يقوم بتحديث خططه؛ إذ إن التحديث لخطط مواجهة كورونا سوف يقلل من الآثار الضّارة للمرض.

ولتحديد آليات إدارة أزمة فيروس كورونا، وتعزيز الصحة النفسية في ظل الحجر الصحي المنزلي، وتقديم مقترحات لإدارة أزمة هذا الوباء، توصلت دراسة صابر (Saber, 2020) بعنوان: "إدارة أزمة فيروس كورونا" إلى أنّ سياسة الحجر المنزلي سببت سلوكيات خاطئة، وجِب تقبلها حفاظاً على الأمن النفسي، كما سبب الاستماع لأخبار الفيروس قلقاً وتوتراً نفسياً وشعوراً بالاكتئاب بين الأفراد. كذلك، توصلت دراسة بومدين وزينب (Bu-Madian & Zeinab, 2020) "الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا والتّباعد الاجتماعيّ والحجر الصحيّ" إلى أن التدابير الاحترازيّة لمواجهة فيروس كورونا أوجدت عند الناس شعوراً بالخوف من الإصابة بالوباء، والشعور بالعجز عن حماية أفراد العائلة، كما تبين أنّ هناك فروقاً دالة إحصائياً في مستوى الصحة النفسيّة تعزى إلى متغير الجنس.

وهكذا تقود نتائج الدراسات السابقة إلى **الاستنتاجات** الآتية: **أولاً:** كشفت الدراسات العالمية عن جوانب مختلفة من التّداعيات الاجتماعيّة لجائحة كورونا، وبينت أنّ الناس يعانون بسبب هذه الجائحة من الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعيّة المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، وقساوة الإجراءات الوقائيّة الصارمة التي لجأ إليها الكثير من الدول للحدّ من تفشي الوباء. **ثانياً:** يعاني معظم الناس في الكثير من المجتمعات من الوصم الاجتماعي، من حيث نظرة الناس للمصاب بالوباء بعين العيب، وكأنّه ارتكب خطيئة اجتماعية، أو أخلاقية، أو دينية، حيث أجبر الوصم النّاس على تحمّل عناء العزلة الاجتماعية. **ثالثاً:** قد يؤدي تبلور علاقات تكاملية وتعاونية بين الحكومات والناس في ظلّ الإجراءات الصارمة إلى تخفيف حدة تفشي فيروس كورونا. **رابعاً:** استفادت الدراسة الراهنة من الأدب النظريّ، منهجياً ونظرياً.

منهجية الدراسة

زاوجت الدراسة بين المنهج الوصفي والتحليلي، لقياس التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، من تصميم المقياس وتأكيد مصداقيته وثباته، ضمن نظرية الصحة والمرض عند بارسونز، ونظرية الوصم الاجتماعي عند جوفمان. ويقوم المنهج الوصفي بوصف تداعيات الجائحة وصفاً دقيقاً، والتعبير عنها كمياً أو رقمياً، ومعرفة مقدار وجودها وارتباطاتها مع الظواهر الأخرى، وأيضاً كيفياً بمعرفة خصائصها، وفهم تداعيات الجائحة وجمع الحقائق عنها، وتصنيفها، وتعميمها على مجتمع الدراسة. كذلك يقوم هذا المنهج على تحديد المشكلة والشعور بها، وجمع المعلومات عنها، ووضع تساؤلاتها، وتحديد العلاقة بين متغيراتها، ووضع الإطار النظريّ لتوجيه الدراسة ميدانياً نحو اختيار عينتها وأداتها، للوصول إلى تحليل ومناقشة نتائجها ظاهرياً بصورة معمقة، وربطها مع المتغيرات والظواهر الأخرى، وإجراء مقارنات لتحديد أوجه الشبه والاختلاف بينهما، والتوقع فيما يتعلق بعلاقاتها المستقبلية. كما يقوم المنهج التحليلي على تفكيك تداعيات الجائحة في الأردن من الكل إلى الجزء، لفهم تداعياتها، وعمقها، وطبيعتها، ودورها، ووظائفها، ومعانيها، وتأويلها، ومعرفة خفاياها، وأسبابها، واستنتاج القوانين التي قد ترتبط بها.

مجتمع الدراسة وعينتها

يتمثل مجتمع الدراسة في أفراد المجتمع الأردنيّ من عمر 18 سنة فأكثر. وقد تمّ الوصول لأفراد عينة الدراسة بطريقة العينة القصديّة غير الاحتمالية المتاحة، ممّن أبدوا موافقتهم على الاستجابة على بنود المقياس. وقد بلغ عدد الوحدات التي

أجابت على أداة القياس (735) وحدة. وقد تحددت إجراءات سحب العينة بـ : **أولاً:** طبقت الدراسة أداة القياس على المواطنين بالتواصل معهم عبر موقع إلكتروني؛ فعرضت عليهم الأداة، وأُخبروا بأن عليهم أن يكونوا من الأردنيين فقط، ورصدت إجاباتهم عبر رابط إلكتروني؛ بحيث تصل ردودهم إلى الباحثين مباشرة عند انتهائهم من تعبئتها. **ثانياً:** تمّت الاستعانة بمساعدي البحث والمعارف الشخصية للإشراف على توزيع أداة القياس عبر البريد الإلكتروني والمجموعات على مستوى الأردن. **ثالثاً:** استغرقت عملية جمع البيانات من المبحوثين من 08/ آب/2020 إلى 10/ كانون الأول/2020، حتى يتسنى للمبحوثين تقديم آرائهم بموضوعية، لمعرفة مدى تأثير البعد الظرفي عليهم.

مجالات الدراسة

ترتكز مجالات الدراسة على: **المجال البشري**، ويقصد به مجموعة الأفراد الذين طبقت عليهم الدراسة؛ أي مجتمع الدراسة وعينتها. **والمجال الجغرافي**، وحُدد بالأردن بأكمله كوحدة رئيسية ممثلة لمجتمع الدراسة. **والمجال الزمني**، وهو المدة الزمنية التي استغرقتها الدراسة، وحددت من الفترة (01/ أيار /2020) إلى (01/ شباط/2021).

أداة القياس

استخدمت لأهداف الدراسة أداة قياس تمّ اقتباس فقراتها من دراسات: قطينة وزملائه (Qutaineh et al., 2020)، ويوسف (Yusuf, 2020)، وكولكارني وزملائه (Kulkarni et al., 2020). وقد تكونت الأداة من جزأين: **الجزء الأول** البيانات الأولية، وهي: (النوع، والعمر، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، ومجال العمل، والدخل الشهري، ومكان الإقامة). **والجزء الثاني** تكون من خمسة مجالات هي: الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، والإجراءات الوقائية الصارمة. وكلّ مجال اشتمل على ثمانية تساؤلات.

تصميم المقياس

عُرضت أداة قياس الدراسة على مجموعة من الأساتذة المتخصصين في علم الاجتماع، ومن ثَم تَمّ التعديل وفق ملاحظاتهم، حيث أُضيفت مؤشرات، وحُذفت مؤشرات، وأُعيدت صياغة بعضها.

ثبات أداة القياس

الجدول (1): معامل الاتساق الداخلي ألفا كرونباخ لمجالات الدراسة

المجال	معامل الاتساق الداخلي
الوصم الاجتماعي	0.79
التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة	0.77
افتقاد الشعور بالأمن	0.83
اختلال الوجود الماديّ	0.84
الإجراءات الوقائية الصارمة	0.74
الدرجة الكلية	**0.92**

يوضح الجدول (1) قيم الثبات لمتغيرات الدراسة، فبلغ معامل الثبات للدرجة الكلية (0.92)، وتراوح للمجالات بين (0.74 - 0.84). وتدل مؤشرات ألفا كرونباخ أعلاه على تمتع أداة الدراسة بصورة عامة بمعامل ثبات عالٍ، وبقدرتها على تحقيق أغراض الدراسة.

محددات الدراسة

تمّ الأخذ بمجموعة من الاعتبارات في أثناء إعداد الدراسة ولعلّ من أهمها: (1) الأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها. (2) طبيعة مجتمع الدراسة وعينتها وحجمها. (3) الأداة المستخدمة لجمع البيانات.

المعالجة الإحصائية

تمّ استخدام المعالجات الإحصائيّة باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS). ومنها: التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الشخصية والوظيفية لأفراد عينة الدراسة، ومعامل الاتساق الداخلي "ألفا كرونباخ" لأداة الدراسة، والمتوسطات الحسابيّة والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدارسة عن جميع فقرات الدراسة. كذلك، تم تطبيق تحليل التباين (ANOVA).

المعيار الإحصائي

تمّ اعتماد المقياس الخماسي الآتي لأغراض تحليل النتائج: من (1.00-2.33) درجة قليلة، ومن (2.34-3.67) درجة متوسطة، ومن (3.68- 5.00) درجة كبيرة.

تحليل نتائج الدراسة

عينة الدراسة

الجدول (2): خصائص عينة الدراسة.

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة %
النوع	ذكر	408	55.5
	أنثى	327	44.5
العمر	30 سنة فأقل	219	29.8
	39-30	210	28.5
	49-40	158	21.5
	50 فأكثر	148	20.1
الحالة الاجتماعية	أعزب/ عزباء	254	34.6
	متزوج/ متزوجة	452	61.5
	أخرى (مطلق، أرمل، منفصل)	29	3.9
المستوى التعليمي	أقل من ثانوي	125	17.0
	ثانوي	223	30.3
	دبلوم متوسط	132	18.0
	جامعي فأعلى	255	34.7
مجال العمل	قطاع الحكومة	168	22.9
	قطاع خاص	82	11.2
	أعمال حرة	89	12.1
	أعمال مياومة	29	3.9
	متقاعد	154	21.0
	لا يوجد عمل	213	29.0
الدخل الشهري للأسرة	منخفض (500 دينار فأقل)	166	22.6
	متوسط (500-999)	542	73.7
	مرتفع (1000 فأكثر)	27	3.7
مكان الإقامة	مدينة	474	64.5
	قرية	261	35.5
	المجموع	**735**	**100.0**

يظهر من الجدول (2) أنّ تكرار "الذكور" بلغ (408) بنسبة بلغت (55.5%)، في حين بلغ تكرار "الإناث" (327) بنسبة بلغت (44.5%)، ممّا يعني أنّ الذكور أكثر حضوراً وتمثيلاً في هذه الدراسة. كما يظهر أنّ مستويات "العمر" شبه

متقاربة، وكان العدد الأكبر ضمن أفراد (30 سنة فأقل) بتكرار بلغ (219) وبنسبة (29.8%)، يليها تكرار الفئة (30-39) الذي بلغ (210) وبنسبة (28.5%)، في حين كان تكرار أفراد الفئة (40-49) وأفراد الفئة (50 فأكثر) متشابهاً تقريباً. كما يظهر أنّ تمثيل أفراد فئة "المتزوجين" كان أكثر بتكرار بلغ (452) وبنسبة (61.5%)، يليه تمثيل أفراد فئة "العزاب" بتكرار بلغ (254) وبنسبة (34.6%)، في حين كان تمثيل أفراد فئة "المطلقين والمنفصلين والأرامل" الأقل بتكرار بلغ (29) وبنسبة (3.9%). وهذه الحقيقة ليست متعلقة بالمجتمع الأردنيّ، بل هي منتشرة أيضاً كما يتضح من الدراسات السابقة؛ على سبيل المثال: دراسات قطينة وزملائه (Qutaineh et al., 2020)، وكولكارني وزملائه (Kulkarni et al., 2020) ولي وزملائها (Lei et al., 2020)، والفقي وأبي الفتوح (Al-Fuggi & Abu El-Fitooh, 2020).

كما يظهر أنّ المستويات التعليمية كانت متباينة في التمثيل، فبلغ أعلاها لأفراد فئة "الجامعي فأعلي"، بتكرار بلغ (255) بنسبة (34.7%)، يليها أفراد فئة "الثانوي"، في حين كان أقلها تمثيلاً أفراد فئة "الأقل من ثانوي" بتكرار بلغ (125) وبنسبة بلغت (17.0%) وفئة "دبلوم متوسط"، بتكرار بلغ (132) وبنسبة بلغت (18.0%). ويظهر أنّ مجال العمل كان ممثلا بشكل واضح في هذه الدراسة، فبلغ أعلاه لأفراد فئة "لا يوجد عمل"، بتكرار بلغ (213) وبنسبة (29.0%)، يليها "قطاع الحكومة" ثم فئة "المتقاعدين"، و"القطاع الخاص"، يليه "أعمال حرّة"، كذلك كان أقلها تمثيلاً أفراد فئة "عمّال المياومة"، بتكرار بلغ (29) وبنسبة (3.9%). وهي نتيجة منطقية بسبب تداعيات جائحة كورونا على قطاع العمل؛ إذ عملت على تسريح أعداد كبيرة من عمّال المياومة.

ويتضح كذلك أنّ الدخل الشهري كان مرتفعاً عند أفراد الفئة ذات "الدخل المتوسط" (500-999)، بتكرار بلغ (542) وبنسبة (73.7%)، في حين كان تمثيل أفراد الفئة ذات "الدخل المرتفع" (1000 فأكثر) أقلها بتكرار بلغ (27) وبنسبة (3.7%). كما أظهرت النتائج أنّ المستويات التعليمية كانت متباينة لصالح أفراد الفئة الجامعية نسبيًا، وهذا يعكس انحسار الفرص المتاحة أمام الجامعيين فأعلى، في ظل تمايزات الدخل المرافقة لها. كذلك فإنّ فئة "الجامعيين فأعلى" هم أكثر مَن يعانون من وصم الجائحة؛ ربّما لسوء الوضع الاقتصادي الذي ترافق مع تسريح أعداد كبيرة من العمال. كما يتضح من النتائج أنّ أفراد الفئة التي تسكن المدينة كانوا أكثر حضوراً بتكرار بلغ (474) وبنسبة (64.5%)، بينما كان الأقل حضوراً أفراد الفئة التي تسكن القرية بتكرار بلغ (261) وبنسبة (35.5%). وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة موسى وزملائه (Mosa & Kojor, 2020) التي بينت أن هناك انخفاضاً في مستوى القلق بسبب وباء كورونا وسط سكان محافظة الإحساء، يعزى لمتغيرات: النوع، والعمر، والمؤهل العلمي والمهنة.

السؤال الرئيس: ما التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا "كوفيد– 19" على المجتمع الأردنيّ؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، كما في الجدول (3).

الجدول (3): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتداعيات الجائحة على المجتمع الأردني

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	1	الوصم الاجتماعي	4.00	0.623	مرتفعة
2	4	اختلال الوجود الماديّ	3.82	0.744	مرتفعة
3	3	افتقاد الشعور بالأمن	3.75	0.748	مرتفعة
4	2	التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة	3.69	0.666	مرتفعة
5	5	الإجراءات الوقائية الصارمة	3.49	0.659	متوسطة
		الدرجة الكلية	**3.75**	**0.528**	**مرتفعة**

يُبيّن الجدول (3) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.49-4.00)، حيث جاء أثر الوصم الاجتماعي في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (4.00)، بينما جاء أثر الإجراءات الوقائية الصارمة في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.49). وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.75). وقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات كل مجال على النحو الآتي:

السؤال الأول: هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى الوصم الاجتماعي؟

الجدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر الجائحة في الوصم الاجتماعي

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	4	أترك التقبيل خوفاً من تفشي الوباء	4.38	0.810	مرتفعة
2	2	وباء كورونا أجبرني على التقليل من الزيارات	4.17	0.860	مرتفعة
3	5	تغيرت عاداتي في إلقاء التحية والسلام بسبب الوباء	4.15	0.951	مرتفعة
4	1	وباء كورونا أجبرني على تغيير معاملاتي مع الآخرين	4.13	0.875	مرتفعة
5	8	يمنعني تفشي الوباء من مشاركة الآخرين	3.99	0.962	مرتفعة
6	3	وباء كورونا أجبرني على عدم الخروج للتنزه	3.92	1.045	مرتفعة
7	7	أعاني من العزلة الاجتماعية بسب هذا الوباء	3.84	1.042	مرتفعة
8	6	يتعمّد أقاربي عدم إخباري بمناسباتهم خشية العدوى	3.41	1.128	متوسطة
		الوصم الاجتماعي	**4.00**	**0.623**	**مرتفعة**

يبين الجدول (4) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.41-4.38)، فجاءت الفقرة "أترك التقبيل خوفاً من تفشي الوباء" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.38)، بينما جاءت الفقرة "يتعمّد أقاربي عدم إخباري بمناسباتهم خشية العدوى" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.41). وبلغ المتوسط الحسابي لجائحة كورونا والوصم الاجتماعي ككل (4.00). وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراستي قطينة وزملائه (Qutaineh et al., 2020)، ويوسف (Yusuf, 2020) في أنّ جائحة كورونا أجبرت الناس على تغيير معاملاتهم مع الآخرين، وفرضت عليهم عزلة اجتماعية خوفاً من تفسي الوباء. وبالمقاربة مع نظريتي الدراسة، فإنّ حالة الوصم الناشئة من جائحة كورونا لمن هم مصابون به أثّرت في تفاعلهم الاجتماعي الفوري؛ إذ أنّ الشخص الموصوم ربّما يحاول الحفاظ على اختلافاته وشذوذه سراً؛ لأنّ الآخرين يعرفون عن حالته، فتركَ المصاب التقبيل، وقلّلَ من الزيارات، والخروج إلى التّنزه، حتى أنّه غيّر من عاداته ومعاملاته مع الآخرين؛ تجنباً لعواقب الوصم الاجتماعي الذي يصاحبه الإحراج، والشعور بالخزي، واللوم. وهذا بحدّ ذاته انحراف عن أداء دوره في التفاعل مع الآخرين.

السؤال الثاني: هل تفشي جائحة كورونا في الأردن أدّى إلى التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة؟

الجدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر الجائحة في تأزّم الشخصية

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	10	أجبر على التباعد في الأماكن العامة	4.28	0.790	مرتفعة
2	9	فيروس كورونا يحدّ من حريّتي في التنقل	4.21	0.835	مرتفعة
3	15	أتعرض للوم في حال عدم لبس الكمامة	3.92	0.949	مرتفعة
4	11	أتعرّض للإحراج عند مدّ يدي للمصافحة	3.61	1.144	متوسطة
5	13	أصبحت منبوذاً بمجرد ظهور أعراض فيروس كورونا لديّ	3.48	1.170	متوسطة
6	14	أتعرض للغيبة والتشهير حال إصابتي بالوباء أو الاشتباه به	3.40	1.202	متوسطة
7	16	ينفر الآخرون مني إذا ما جلست بجانبهم بسبب الوباء	3.34	1.132	متوسطة
8	12	أتعرض للتوبيخ من الآخرين عند العطاس والسعال أمامهم	3.31	1.228	متوسطة
		التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة	**3.69**	**0.666**	**مرتفعة**

يبين الجدول (5) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (3.31-4.28)، حيث جاءت الفقرة "أجبر على التباعد في الأماكن العامة" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.28)، بينما جاءت الفقرة "أتعرض للتوبيخ من الآخرين عند العطاس والسعال أمامهم" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.31). وبلغ المتوسط الحسابي لأثر جائحة كورونا على التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة ككل (3.69). وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسات: أوميل وزملائه (Omell et al., 2020)،

وكولكارني وزملائه (Kulkarni et al., 2020)، ولي وزملائها (Lei et al., 2020)، وبيتروبولوس وماكريداكيس (Petropoulos & Makridakis, 2020)، والفقي وأبي الفتوح (Al-Fuggi & Abu El-Fitooh, 2020)، في أنّ جائحة كورونا أوجدت الخوف والارتباك بين الناس، وجعلتهم يتصرّفون ويتعاملون مع المرض على أسس غير علمية وغير طبيعية. كذلك انتاب الناس شعور بالتوتر في حال الاشتباه بأنّ الشخص قد أصيب بالوباء؛ فقد يتعرض للنبذ والتشهير، وقد ينفر منه الناس، ويصبح حتى أفراد عائلته مصدراً للوباء والغيبة واللوم.

السؤال الثالث: هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى افتقاد الشعور بالأمن؟

الجدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر الجائحة في الافتقاد إلى الشعور بالأمن.

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	20	ينتابني شعور بأنني مُحاصر ومُقيد بسبب هذا الوباء	3.93	0.998	مرتفعة
2	18	لا أستطيع التّنبؤ بالمستقبل بسبب هذا الوباء	3.92	1.031	مرتفعة
3	23	لا أستطيع ممارسة هواياتي بسبب هذا الوباء	3.87	1.046	مرتفعة
4	19	لا أشعر بالأمان على حياتي بسبب هذا الوباء	3.81	1.036	مرتفعة
5	24	لا أستطيع تحقيق طموحاتي وآمالي بسبب هذا الوباء	3.78	1.102	مرتفعة
6	22	أخاف من شح المال لديّ وندرة الموارد بسبب الوباء	3.76	1.135	مرتفعة
7	17	وجود فيروس كورونا يخيفني ويسبب لي الرعب	3.58	1.155	متوسطة
8	21	فيروس كورونا يجعلني أفكر في أمور مخيفة كالموت	3.32	1.242	متوسطة
		الافتقاد إلى الشعور بالأمن	**3.75**	**0.748**	**مرتفعة**

يبين الجدول (6) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.32- 3.93)، فجاءت الفقرة "ينتابني شعور بأنني مُحاصر ومُقيد بسبب هذا الوباء" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (3.93)، بينما جاءت الفقرة "فيروس كورونا يجعلني أفكر في أمور مخيفة كالموت" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.32). وبلغ المتوسط الحسابي لأثر جائحة كورونا في افتقاد الشعور بالأمن ككل (3.75). وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراستي: بيترسون وجوكينجن (Petersen & Gokengin, 2020)، وبينج وزملائه (Ping et al., 2020)، في أنّ الوباء يصبح خطيراً بشكل غير مسبوق؛ إذ أصبح الناس لا يستطيعون تحقيق طموحاتهم وآمالهم، ولا يستطيعون ممارسة هواياتهم الشخصية بحرية، بسبب وجود الفيروس الذي يخيفهم، ويسبب لهم الرعب وعدم الأمان، كما جعل فيروس كورنا الناس يشعرون بأنهم معرضون للتهديد في وجودهم ومعيشتهم.

السؤال الرابع: هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى اختلال الوجود الماديّ؟

الجدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر الجائحة في اختلال الوجود المادي

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	32	أعاني من استغلال التجار والآخرين في ظل وباء كورونا	4.12	0.963	مرتفعة
2	31	لا أجد مكاناً فيه متعة وترفيه في ظل هذا الوباء	4.01	0.994	مرتفعة
3	28	أجد صعوبة في التنقل من مكان لآخر بسبب الوباء	3.96	0.967	مرتفعة
4	25	انخفض دخلي وما أحصل عليه من مال بسبب الوباء	3.86	1.162	مرتفعة
5	26	أعاني من مشاكل ماديّة بسبب وباء كورونا	3.82	1.099	مرتفعة
6	29	لا أستطيع المطالبة بحقوقي المادية بسبب هذا الوباء	3.64	1.103	متوسطة
7	30	لا أستطيع تغطية تكاليف فحص فيروس كورونا	3.60	1.145	متوسطة
8	27	أجد صعوبة في تأمين مستلزمات صحيّة بسبب الوباء	3.54	1.160	متوسطة
		اختلال الوجود الماديّ	**3.82**	**0.744**	**مرتفعة**

يبين الجدول (7) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.54 -4.12)، حيث جاءت الفقرة "أعاني من استغلال التجار والآخرين في ظلّ هذا الوباء" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.12)، بينما جاءت الفقرة "أجد صعوبة في تأمين مستلزمات صحيّة بسبب الوباء" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.54). وبلغ المتوسط الحسابي لأثر جائحة كورونا في اختلال الوجود الماديّ ككل (3.82). وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسات: يو وزملائه (Yau et al., 2020)، ونصر الله (Nasr-Allah, 2020)، والوافي (Al- Wafi, 2020)، وبغدادي (Bagdadi, 2020)، ونوافله (Nawafleh, 2020)، وعموره وهولي (Ammorah & Holy, 2020)، وأحمد والطاهر (Ahmed & Al-Taher, 2020)، وهاجر ولمين (Hajar & Lameen, 2020)، في أنّ جائحة كورونا شكّلت عائقاً كبيراً أمام الدول لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، ورفعت من مخاوف المستهلكين من عدم القدرة على الوصول إلى المتاجر، وعدم الحصول على متطلبات حياتهم اليومية.

السؤال الخامس: هل تفشي فيروس كورونا في الأردن أدّى إلى الإجراءات الوقائيّة الصارمة؟

الجدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر الجائحة في الإجراءات الوقائية الصارمة

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	34	الحظر يصعّب وصولي إلى حاجاتي	4.09	0.928	مرتفعة
2	39	أجبر على عدم التجمع في مناسبات اجتماعية	3.89	0.970	مرتفعة
3	33	الإجراءات الوقائية لمنع تفشي الوباء تتغول علىّ	3.82	0.992	مرتفعة
4	38	أجبر على دفع غرامات لمخالفة إجراءات الوقاية	3.42	1.126	متوسطة
5	36	في مكان عملي ألتزم بقرارات لا أقتنع بها	3.39	1.125	متوسطة
6	35	أتعرض للإهانة لعدم التزامي بالإجراءات الوقائية	3.21	1.163	متوسطة
6	37	بسبب الإغلاقات والحظر والعزل تراجع وضعي الصحي	3.21	1.169	متوسطة
8	40	أخشى من استخدام تطبيق "أمان" لأنه يرعبني.	2.86	1.279	متوسطة
		الإجراءات الوقائية الصارمة	**3.49**	**0.659**	**متوسطة**

يبين الجدول (8) أنّ المتوسطات الحسابية تراوحت بين (2.86-4.09)، حيث جاءت الفقرة "الحظر يصعّب وصولي إلى حاجاتي" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.09)، بينما جاءت الفقرة "أخشى من استخدام تطبيق "أمان" لأنّه يرعبني" في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (2.86). وبلغ المتوسط الحسابي لأثر جائحة كورونا في الإجراءات الوقائية الصارمة ككل (3.49). وتتفق هذه الدارسة مع نتيجة دراسات: رؤوفي وزملائه (Raofi et al., 2020)، و(Palacios & Mathias, 2020)، وكونين (Koonin, 2020)، وباتريك وكورمير (Patrick & Cormier, 2020)، والجبالي (Al- Jabali, 2020)، وصابر (Saber, 2020)، وبومدين وزينب (Bu- Madian & Zeinab, 2020)، في أنّ الإجراءات الوقائيّة الصارمة التي استخدمت مثل: الحظر والتّباعد الاجتماعي حدّت من تنقل الناس، وفرضت غرامات عند مخالفة الإجراءات الوقائيّة. وبالمقاربة مع نظريتي الدراسة، يتوقف الفارق بين الشعور بالمرض والإصابة به على العديد من التوقعات، والتّخلي عن الالتزامات، سواء أكان ذلك في العمل أم في المنزل أم في الحي. ويمثل التزام المريض في اتباع الخطوات العلاجية للشفاء، الإعفاء من الأدوار في ظل الحالة المرضية، مع قبول بعض الالتزامات رغم وجود المرض، إلى جانب التعاون مع الآخرين لاتباع النسق العلاجي.

السؤال السادس: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، تعزى إلى متغيرات: (النوع، والعمر، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، ومجال العمل، والدخل الشهري للأسرة، ومكان الإقامة)؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، حسب المتغيرات السابقة، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات تمّ استخدام تحليل التباين كما في الجدول (9):

الجدول (9): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتداعيات الاجتماعيّة للجائحة على المجتمع الأردنيّ تبعا لمتغيرات الدراسة.

المتغير	الفئات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ف"	الدلالة الإحصائية
النوع	ذكر	3.77	0.540	1.521	0.218
	أنثى	3.72	0.512		
العمر	30 سنة فأقل	3.74	0.526	0.348	0.846
	30-39	3.75	0.527		
	40-49	3.78	0.505		
	50 فأكثر	3.76	0.566		
الحالة الاجتماعية	أعزب/ عزباء	3.74	0.531	0.083	0.773
	متزوج/ متزوجة	3.75	0.527		
المستوى التعليمي	أقل من ثانوي	3.80	0.584	2.423	0.065
	ثانوي	3.67	0.568		
	دبلوم متوسط	3.77	0.472		
	جامعي فأعلى	3.78	0.484		
مجال العمل	قطاع الحكومة	3.73	0.521	0.901	0.480
	قطاع خاص	3.70	0.552		
	أعمال حرة	3.63	0.620		
	أعمال مياومة	3.77	0.574		
	متقاعد	3.80	0.502		
	لا يوجد عمل	3.78	0.490		
الدخل الشهري للأسرة	منخفض	3.84	0.520	4.056	0.018
	متوسط	3.74	0.520		
	مرتفع	3.46	0.621		
مكان الإقامة	مدينة	3.74	0.533	0.264	0.607
	قرية	3.77	0.519		

يتبين من الجدول (9) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) تعزى لأثر متغير النوع، حيث بلغت قيمة "ف" (1.521) وبدلالة إحصائية بلغت (0.218) ومتغير العمر، حيث بلغت قيمة "ف" (0.348)، بدلالة إحصائية بلغت (0.846) ومتغير الحالة الاجتماعية، حيث بلغت قيمة "ف" (0.083) بدلالة إحصائية بلغت (0.773)، ومتغير المستوى التعليمي، حيث بلغت قيمة "ف" (2.423) بدلالة إحصائية بلغت (0.065)، ومتغير مجال العمل، حيث بلغت قيمة "ف" (0.901) بدلالة إحصائية بلغت (0.480)، ومتغير مكان الإقامة، حيث بلغت قيمة "ف" (0.264) بدلالة إحصائية بلغت (0.607). كما يتبين من الجدول (9) وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) تعزى لأثر متغير الدخل الشهري للأسرة، حيث بلغت قيمة "ف" (4.056) وبدلالة إحصائية بلغت (0.018). ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية، تمّ استخدام المقارنات البعدية بطريقة شفيه كما هو مبين في الجدول (10):

الجدول (10): المقارنات البعدية بطريقة شفيه لأثر الدخل الشهري للأسرة على التداعيات الاجتماعية للجائحة على المجتمع الأردني.

	المتوسط الحسابي	منخفض	متوسط	مرتفع
منخفض	3.84			
متوسط	3.74	0.10		
مرتفع	3.46	*0.37	*0.27	

* دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)

يتبين من الجدول (10) وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) بين الدخل المرتفع من جهة، وكل من الدخل المنخفض والمتوسط من جهة أخرى، وجاءت الفروق لصالح كل من الدخل المنخفض والمتوسط. وبالمقاربة مع نتائج الدراسات السابقة، فقد كشفت دراسة بومدين وزينب (Bu-Madian & Zeinab, 2020) أن هناك فروقاً دالة إحصائياً في الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا والتباعد الاجتماعي والحجر الصحي تعزى إلى متغير الجنس. وأظهرت دراسة الفقي وأبي الفتوح (Al-Fuggi & Abu El-Fitooh, 2020) وجود فروق إحصائية بين المشكلات النفسية ومتغيري النوع والعمر الزمني، وعدم وجود فروق تعزى لمتغير البيئة. وأشارت دراسة موسى وزملائه (Mosa & Kojor, 2020) إلى وجود فروق ذات إحصائية بين مستوى القلق النفسي في ظل جائحة كورونا وسط سكان محافظه الإحساء ومتغيرات: النوع، والعمر، والمؤهل العلمي والمهنة، وعدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير الهوية. وبينت دراسة يوسف (Yusuf, 2020) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين معتقدات الناس عن فيروس كورونا المستجد واتجاهاتهم نحو المريض المصاب لدى عينات متباينة من أفراد الشعب المصري، تعزى إلى متغيريّ النوع لصالح الذكور، والعمر لصالح الأكبر سنًا، بالإضافة إلى عدم وجود فروق في تلك المعتقدات والاتجاهات تعزى إلى مكان الإقامة.

خاتمة الدراسة

تهدف الدراسة إلى معرفة التداعيات الاجتماعية لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، ضمن خمسة مجالات: الوصم الاجتماعي، والتأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، وافتقاد الشعور بالأمن، واختلال الوجود الماديّ، والإجراءات الوقائية الصارمة. وقد طبقت على عينة قوامها (735) حالة من المجتمع الأردني، مرتكزة على المنهج الوصفي التحليلي.

وأظهرت النتائج أنّ أفراد العينة تعرّضوا إلى: **أولاً:** الوصم الاجتماعي، بمظاهر ترك عادات التقبيل وإلقاء التحية والسلام، والتقليل من الزيارات المنزلية والخروج للتنزه، والعزلة الاجتماعية. **ثانياً:** التأزم في الظروف الاجتماعية المحيطة، بمظاهر التباعد في الأماكن العامة، والحدّ من حرّية التنقل، والتعرض للّوم لعدم لبس الكمامة، والإحراج عند مدّ اليد للمصافحة، والتعرض للغيبة حال الإصابة بالوباء أو الاشتباه به، والتوبيخ من الآخرين عند العطاس والسعال. **ثالثاً:** افتقاد الشعور بالأمن، بسبب الشعور بالحصار والتقييد الاجتماعي، وعدم القدرة على التّنبؤ بالمستقبل، وعدم الأمان الوظيفي، وصعوبة تحقيق الطموحات والآمال. **رابعاً:** اختلال الوجود المادي، بسبب استغلال التجار للناس، وندرة أماكن المتعة والترفيه، وصعوبة التنقل من مكان لآخر، والمعاناة من مشاكل ماديّة. **خامساً:** الإجراءات الوقائية الصارمة، بسبب صعوبة الوصول إلى الحاجات، وتغوّل الإجراءات الاحترازية على الناس، ودفع الغرامات عند مخالفة الإجراءات الوقائية. وبينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التّداعيات الاجتماعيّة لفيروس كورونا على المجتمع الأردنيّ، تعزى إلى متغيرات: النوع، والعمر، والحالة الاجتماعيّة، والمستوى التعليميّ، ومجال العمل، ومكان الإقامة، بيتما كانت هناك فروق دالة إحصائياً في تلك التداعيات، تعزى إلى متغير الدخل الشهري للأسرة، لصالح الدخل المنخفض والمتوسط.

وتوصي الدراسة بضرورة التواصل بين الحكومة والمجتمع بكل فئاته وأطيافه، للخروج من هذه الأزمة؛ فالحكومة وحدها غير قادرة على مواجهة البلاء، ولا المجتمع وحده قادر على ذلك، بل يستلزم الأمر تعاوناً وثيقاً بينهما. والأمر يتطلب إخلاصاً في العمل لمواجهة الوباء، وتضرعاً إلى الله لكشف البلوى.

The Social Implications of Coronavirus "COVID-19": A Field Study on the Jordanian Society

Abdel- Basit Abdallah Al-Azzam

Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Noor Rakan Al-Ta'ani

Independent Researcher, Amman, Jordan

Abstract

This study aims to know the social implications of coronavirus "COVID-19" on the Jordan society, through five areas: social stigma, complications in the surrounding social conditions, lack of a sense of security (ontology), imbalance of material awareness and strict preventive measures. It was applied to a sample of (735) cases from the Jordanian society, based on the descriptive analytical approach. The results showed that the members of the sample were subjected to social stigma by abandoning the kissing habit when meeting and greeting, limiting home visits and going out picnicking, as well as by social isolation. Also they were subjected to complications in the surrounding social conditions by keeping distance away from each other in public places, limiting the freedom of movement, being blamed for not wearing a mask, in addition to embarrassment when extending hand for shake hands, gossiping in the event of an epidemic or suspected infection and reprimanding others when sneezing or coughing. They lacked the sense of security due to the social limitations and restrictions, the inability to predict future events, the occupational insecurity and the difficulty to achieve their ambitions and expectations. The people material existence has become imbalanced due to merchants' exploitation, scarcity of amusement and recreation places, difficulty of moving from one place to another and suffering from material (finance) difficulties. The people also faced severe protective measures because of the hardness to reach their needs, the aggressiveness of the precautionary measures and payment of penalties when violating protective measures. The study recommends that the management of the coronavirus epidemic in Jordan must widen the dialogue between the Government and the Society, to reach a reasonable view in order to find the best way to deal with this crisis without causing any harm to the people at the cultural, psychological, social and material levels, so that panic and confusion do not spread among them, as well as to make them behave on a normal basis away from social discredit.

Keywords: Social implications, Corona pandemic, Jordanian society.

المراجع العربية

أبو الهيجاء، عمر. (2020). **باحثون: التنمر الإلكتروني ازداد حدة في ظل جائحة كورونا**. استرجع في 29 تشرين الأول، 2020 من: https://www.addustour.com/articles/1179623-.

أحمد، إيمان. (2020). **تنمر كورونا.. وجه آخر لمعاناة المصابين**. استرجع في 26 أذار، 2020 المصدر: https://al-ain.com/article/bullying-facet-suffering-corona.

أحمد، غبولي؛ الطاهر، تكوينية. (2020). دراسة تحليلية وفق نظرة شامله في أهم أثار جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي. **مجله العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير**، 20، 129- 145.

بشير، تاج.(2020). إشكالية تمثل قيم المواطنة في ظل تداعيات جائحة كورونا: قراءة سسيولوجية، **مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية**، 5(4)، 23-36.

بغدادي، خيرة. (2020). إشكالية الرابط الاجتماعي في ظل وباء كورونا، تفكك أم عادة تشكل؟ **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، 3 (5)، 107-142.

بومدين سنوسي؛ وزينب، جلولي.(2020).الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا كوفيد-19 والتباعد الاجتماعي والحجر الصحي. **مجله التمكين الاجتماعي**، 2، 65-80.

جابر، مجد. (2020). **الأردن- كورونا.. كيف نواجه تحول آفة العالم إلى فرصة للتنمر؟** استرجع في 19 آذار، 2020 من: https://menafn.com/arabic/109988502.

الجبالي، عمر. (2020). كورونولوجي: أزمة كورونا وإجراءات الحكومة الأردنية. **مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الاوسط**،24 (92)، 140 – 97.

ديلواني، طارق. (2020 أ). **الآسيويون في الأردن يتعرضون للتنمر بسبب كورونا**. استرجع في 12 آذار، 2020 من: https://www.independentarabia.com/node/101852.

ديلواني، طارق. (2020 ب). **جائحة التنمر الإلكتروني في الأردن تطرق أبواب المحاكم**. استرجع في 25 تشرين الثاني، 2020 من: https://www.independentarabia.com/node/171651.

رؤيا نيوز. (2020). **الأردن: مدى كفاءة الإجراءات في مواجهة فيروس كورونا.** استرجع في 27 آذار، 2020 من: https://royanews.tv/news/209771.

سكاي نيوز عربية. (2020). **بإجراءات استباقية وخطة صارمة..هكذا تمكن الأردن من وقف كورونا.** استرجع في 6 أيار، 2020 من: https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1342217.

شبكة الجزيرة. (2020). **بينها الأردن.. خمس دول تقدم دروسا نموذجية بمكافحة كورونا.** استرجع في 7 أيار، 2020 من: https://www.aljazeera.net/politics/2020/5/7.

صابر، بحري. (2020).إدارة أزمة فيروس كورونا كوفيد-19. **مجله العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، برلين**، 13 (3)، 12- 18.

عثمان، إبراهيم. (2008). **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

عريان، داليا. (2020). **كيف نحمي مصابي كورونا من التنمر؟** استرجع في 11 نيسان، 2020 من: https://al-ain.com/article/egypt-bullying-corona-disease

عمورة، سمية. وهولي، رشيد. (2020). تداعيات جائحة كورونا كوفيد-19 على تحقيق أهداف البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة 2030 في المنطقة العربية. **مجله اقتصاد المال والإعمال**، 4 (3)، 220- 240

الغد الأردني. (2020). **فيروس كورونا: لماذا سيستمر التباعد الاجتماعي لبعض الوقت؟** استرجع في 6 نيسان، 2020 من: https://Alghad.com

الفقي، أمال، إبراهيم؛ وأبو الفتوح، محمد كمال. (2020). المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا المستجد. **المجلة**

التربوية، 74، 1048- 1089

قطينة، محمد علي؛ والعمري، ريحاب قائد؛ والحجري، نورية صالح؛ والبجل، أمل عابد. (2020). مدى قدرة استعداد مستشفيات مديريه عمران باليمن لمواجهته مناطق الشيء مرض فيروس كورونا كوفيد-19. **المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث: مجله العلوم الطبية والصيدلانية**، 4 (3)، 41-55

المرصد الأورو متوسطي لحقوق الإنسان. (2020). **ضحايا التنمر والكراهية المتزامنة مع كورونا بالآلاف.** استرجع في 6 نيسان، 2020 من: https://euromedmonitor.org/ar/article/3472.

منظمة الصحة العالمية. (2021). **إحصائيات انتشار فيروس كورونا**. استرجع في 21 شباط، 2021 من: http://www.who.org.

موسى، منتصر كمال الدين محمد؛ وكجور، أدم بشير أدم.(2020). مستوى القلق النفسي في ظل جائحة كورونا وسط سكان محافظه الإحساء. **مجلة الخليج العربي**، 48 (3)، 331- 360.

نصر الله، علية عبد الحسين سعيد.(2020) تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق. **مجلة بحوث**، 34، 265- 274.

نوافله، يوسف أحمد. (2020). مدى تأثير جائحة كورونا على عقود العمل في سلطنة عمان والأردن. **مجلة القانون والأعمال، جامعة الحسن الأول - كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية - مختبر البحث قانون الأعمال**، 60، 131-166.

هاجر، دويدي خديجة؛ ولمين، بلقاضي طاهر. (2020). آثار جائحة الفيروس التاجي كوفيد 19 على التنمية المستدامة من خلال صناعة النقل الجوي في العالم. **مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير**، 20 (5)، 207-220.

الوافي, أحمد مهدي. (2020). تأثير تفشي فيروس كورونا المستجد على صناعة التمويل الإسلامي. **مجلة بيت المشورة: دولة قطر**، 13، 27-73

وزارة الصحة. (2021). **إحصائيات فيروس كورونا في الأردن**. استرجع في 21 شباط، 2021 من: https://corona.moh.gov.jo/ar.

وزارة العمل الأردنية. (2021). **قانون الدفاع وأوامره والإخطارات الصادرة بمقتضاه.** استرجاع في 5 مايو، 2021 من: http://www.mol.gov.jo/AR/List.

يوسف، سليمان، عبد الواحد. (2020). فيروس كورونا: المعتقدات عنه والاتجاهات نحو المريض المصاب. **المجلة التربوية**، 75، 1102- 1135.

Arabic References in English

Abu El-Heija', O. (2020). *Researchers: The Electronic Bully Increased Severely during Corona Epidemic.* Retrieved on October 29, 2020 from: https://www.addustour.com/articles/1179623-.

Ahmed, E. (2020). *Corona Bully: Another Phase of the Infected Suffering*. Retrieved on March 26, 2020 from: https://al-ain.com/article/bullying-facet-suffering-corona.

Ahmed, Gboly & Al-Taher, Takweenieh. (2020). Analytic Study According to Comprehensive View in the Most Important Effects of Corona Epidemic on the Universal Economy. *Economic Sciences and Propulsion Journal, 20, The Special Issue about the Economic Effects of Corona Epidemic*., 129-145.

Al-Fuggi, Amal Ibrahim & Abu El-Fitooh, Muhammad Kamal. (2020). Psychological Problems Because of Adjusted Coronavirus Epidemic. *The Educational Journal*., 74, 1048-1089.

Alghad. (2020). Coronavirus: *Why Will Social Distancing Last for Some Time?* Retrieved on April 06,2020 from: http://alghad.com.

Al-Jabali, Omer. (2020). Corona Logy: Corona Conflict and the Procedures of Jordan Government. *Mid-Eastern Studies Journal, Middle East Studies Center*., 24(92), 97-140.

Aljazeera.net. (2020). *Among them, Jordan ... five countries offer exemplary lessons in combating Corona*. Retrieved on May, 06 ,2020 from: https://www.aljazeera.net/news/politics.

Al-Qutob, Raeda, Ajlouni, Musa Taha, Abufaraj, Mohammad & Moonesar Immanuel Azaad. (2020). Viewpoint: Jordan's Public and Surveillance Health Policies: during and after COVID-19. J*ordan Journal of Pharmaceutical Sciences*., 13 (3), 1-10.

Al-Wafi, Ahmed Mahdi. (2020). The Effect of Spread of Adjusted Corona on Industry of Islamic Finance. *Journal of Counsel House: State of Qatar*., 13, 27-73.

Ammorah, Sumayyah & Holy, Rasheed. (2020). Ramifications of Corona Covid-19 Epidemic on Achieving the Goals of Social Dimension for Sustainable Development 2030 in the Arab Region, *Journal of Economy, Money and Labour*., 4 (3), 220-240.

Bachir, T. (2020). A Problematic Representation of Citizenship Values in Light of the Repercussions of the Corona Pandemic: A Sociological Reading. *Al-Risala Journal for Humanitarian Studies and Research*, 5(4), 23-36.

Bagdadi, Kheirah. (2020). The Problematic Social Bond during Corona Disease: Disassociation or Reformation? *Studies Journal in Social and Humanitarian Sciences*., 3 (5), 107-142.

Bu-Madian, Sanoosy & Zeinab, Jalloly. (2020). Psychological Health during the Spread of Coronavirus COVID-19 and Social Diverge and Quarantining. *Social Enablement Journal*., 2, 65-80.

Davalgi Shubha, Undi, Malatesh, Annadani Rachana & Nawaz Ayesha S. (2020). Comparison of Measures Adapted to Combat COVID-19 Pandemic by Different Countries in WHO Regions. *Indian Journal of Community Health.*, 32 (02), 288-299.

Delawani, T. (2020 a). *The Asians in Jordan Are Subject to Bully Because of Corona*. Retrieved on March 12, 2020 from: https://www.independentarabia.com/node/101852.

Delawani, T. (2020b). *Electronic Bully Disease in Jordan Is in Courts*. Retrieved on November 25, 2020 from: https://www.independentarabia.com/node/171651.

DePergola, Peter A. (2020). Ethical Guidelines for the Treatment of Patients with Suspected or Confirmed Novel Coronavirus Disease (COVID-19). J*ournal of Health Ethics*, 1-57.

English Reference

Fitzhhenry, Roy. (1986). *Parsons Schutz and the Problem of Verstehen*. In: Holton, R, & Turner, B, Talcott Parsons on Economy and Society, New York: Routledge.

Goffman, Erving. (1967). *Interaction Rituals: Essays on Face-to-Face Behavior*. New York: Pantheon Books.

Goffman, Erving. (1974). *An Essay on the Organization of Experience: Frame Analysis*. Boston: Northeastern University Press.

Goffman, Erving. (1986). *Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity*. First Edition, A Touchstone Book, New York: Simon and Schuster, Inc.

Goffman, Erving. (2003). *Exploring the Interaction Order*. Cambridge: Polity Press.

Hajar, Duweiedi Khadeejah & Lameen Bolgadi Taher. (2020). Effects of Covid-19 on Sustainable Development through Industry of Air Transport in the World. *Journal of Economic and Propulsion Sciences*. 20(5), 207-220.

Hamilton. Peter. (1985). *Reading from Talcott Parsons*. New York: Tavistock Publications and Ellis Harwood, Limited.

Holton, Robert & Turner, Bryan S. (1986). *Talcott Parsons on Economy and Society*. First Edition, London: By Rutledge and Kegan, Plc.

Jaber, M. (2020). *Jordan- Corona… How Do We Face the Transformation of the World Disease into a Chance of Bully?* Retrieved on March 19, 2020 from: https://menafn.com/arabic/109988502.

Jordanian Ministry of Labor. (2021). *Defense Law, Orders Thereof and Notices Issued Pursuant to It*. Retrieved on May 05, 2021 from: http://www.mol.gov.jo/AR/List.

Koonin, Lisa M. (2020). Novel Coronavirus Disease (COVID-19) Outbreak: Now Is the Time to Refresh Pandemic Plans. *Journal of Business Continuity & Emergency Planning*. 13 (4), 298-312.

Kulkarni, Praveen, Prabhu, Sudhir, Kumar, Sunil & Ramraj, Balaji .(2020). COVID-19 Infodemic Overtaking Pandemic? Time to Disseminate Facts over Fear, *Indian Journal of Community Health.* 32 (02), 264-268.

Lei Lie, Huang Xiaoming, Zhang Shuai, Yang Jinrong, Yang Lin & Xu Min. (2020). *Comparison of Prevalence and Associated Factors of Anxiety and Depression among People Affected Versus People Unaffected by Quarantine during the COVID-19 Epidemic in Southwestern China*. 1-12. Retrieved from: https://www.medscimonit.com/abstract/index/idArt/924609.

Luhmann, Niklas. (1995). *Social System*. Stanford: Stanford University Press.

Macionis, John.J. (2012). *Sociology*. Fourteen Edition, Knyon College, New Jersey, Upper Saddle River.

Mediterranean Human Rights Monitor. (2020). *The Victims of Bully and Hatred Concurrent with Corona Are Thousands*. Retrieved on April 06, 2020 from: https://euromedmonitor.org/ar/article/3472.

Ministry of Health. (2021). *Statistics of Covid-19 in Jordan*. Retrieved on February 21, 2021 from: https://corona.moh.gov.jo/ar.

Mishra, M. Majumdar, P. (2020). Social Distancing During Covid-19: Will It Change the Indian Society*? Journal of Health Management, India Institute of Health Management Research*. 22 (2) 224.

Mosa, Muntaser Kamal Al- Din Muhammad & Kojor, Adam Basheer Adam. (2020). The Level of Psychological Worry in Shade of Corona Epidemic among the Population of Al-Ihsa' Governorate, *Arab Gulf Journal*., 48 (3), 331-360.

Nasr-Allah, Aliah Said. (2020). The Effect of Corona Epidemic on Peaceful Living in Iraq. *Journal of Researches*., 34, 265-274.

Nawafleh, Yusuf Ahmed. (2020). The Range of the Effect of Corona Epidemic on Labour Contracts in Oman and Jordan. Al- Hassan University, Faculty of Social, Economic and Legal Sciences. The Laboratory of Research of Labour Law.*The Journal of Law and Labours*. 60, 131-166.

Omell, F., Jaqueline B., Schuch Anne, O., Sordi & Felix Henrique Paim Kessler. (2020). Pandemic Fear' and COVID-19: Mental Health Burdens and Strategies. *Braz. J. Psychiatry*. 2020, May-Jun; 42(3), 232-235.

Othman, I. (2008). *The Contemporary Theory in Sociology*. Amman: Al-Shurouq for Publication and Distribution.

Palacios, Ricardo & Mathias, Augusto. (2020). Learning from Combination HIV Prevention Programmers to Face COVID-19 Emerging Pandemi. *Colombia Medical*. 1-12.

Parsons, Talcott & Shills, Edward Albert. (1951). *Toward a General Theory of Action*. Cambridge: Harvard University Press.

Parsons, Talcott & Smelser, Neil J. (1956). *Economy and Society*. New York: Free Press.

Parsons, Talcott. (1954). *Essays in Sociological Theory*. New York: The Free Press.

Parsons, Talcott. (1970). *Social Structure and Personality* (2nd edn.). New York: The Free Press.

Patrick, Sarah L. & Cormier Holly, C. (2020). Are Our Lives the Experiment? COVID-19 Lessons during a Chaotic Natural Experiment: A Commentary, *Health Behaviour Policy Rev*. 7 (2), 165- 169.

Petersen, Eskild & Gokengin, Deniz G. (2020). SARS- CoV-2 Epidemiology and Control, Different Scenarios for Turkey. *Turkish Journal of Medical Sciences*. 519-514. doi:10.3906/sag-2003-260.

Petropoulos, Fotios & Makridakis, Spyros. (2020). Forecasting the Novel Coronavirus COVID-19. *PLOS ONE*, 1-8. Retrieved on March 31, 2020 from: https://doi.org/10.1371/journal.pone.0231236.

Ping, Nicholas Pang Tze, Shoesmith, Wendy Diana, James, Sandi, Hadi, Noor Melissa Nor, Yau, Eugene Koh Boon & Lin, Loo Jiann. (2020). Ultra Brief Psychological Interventions for COVID-19 Pandemic: Introduction of a Locally-Adapted Brief Intervention for Mental Health and Psychosocial Support Service. *Malays J Med Sci*.. 27(2), 51–56.

Qutaineh, Muhammad Ali, Al- Omari, Rehab Qa'ed, Al- Hajry, Norieh Saleh & Al-Bajal, Amal Abed. (2020). The Range of Ability of Readiness of Omeran Directorate Hospitals in Yemen to Face Coronavirus Covid-19. *The Arabic Journal for Sciences and Publication of Researches: Pharmaceutical and Medical Sciences Journal*. 4 (3), 41-55.

Raoofi, Azam, Takian, Amir Hussein, Sari, Ali Akbari, Olyaeemanesh, Alireza, Haghighi, Hajar & Aarabi, Mohsen. (2020). COVID-19 Pandemic and Comparative Health Policy Learning in Iran. *Arch Iran Med*.. (4), 220-234.

Robertson, Roland & Turner, Bryan S. (1991). *Talcott Parsons Theorist of Modernity*. Newbury Park: Sage Publications.

Ro'ya News. (2020). Jordan: *The Efficiency of the Procedures in Facing Coronavirus*. Retrieved on March 27, 2020 from: https://royanews.tv/news/209771.

Saber, Bahri. (2020). Managing Coronavirus Covid-19 Conflict. *Social Sciences Journal, The Arab Democratic Center, Berlin*, 13 (3), 12-18.

Sky News Arabia. (2020). *Proactive Measures and Strict Plan... So Jordan Managed to Stop Corona*. Retrieved on May 06, 2020 from: https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1342217-.

Thapa, Amit. (2020). Nepal and COVID-19: A Strange Case and the Dilemma. *Nepal Journal of Neuroscience*. 7 (1), 1- 4.

Turner, Bryan S. (1986 a). *Parsons and His Critics: On the Ubiquity of Functionalism*. In: Holton, R. & Turner, B., Talcott Parsons on Economy and Society. New York: Routledge.

Urian, D. (2020). *How Do We Protect Corona Infected from Bully?* Retrieved on April 11, 2020 from: https://al-ain.com/article/egypt-bullying-corona-disease.

WHO. (2121). *Coronavirus Spread Statistics.* Retrieved on February 21, 2021 from: http://www.who.org.

Yau, Eugene Koh Boon, Ping, Nicholas Pang Tze, Shoesmith, Wendy Diana, James Sandi, Hadi, Noor Melissa Nor & Lin, Loo Jiann. (2020). The Behaviour Changes in Response to COVID-19 Pandemic within Malaysia. *Malays. J.Med. Sci.*, 27(2), 45–50.

Yusuf, Suleiman Abdul-Wahed. (2020). Coronavirus: Beliefs and Trends towards the Patient. *The Educational Journal*. 75, 1102-1135.

محاورة النص الإعلامي
(نص هيكل حول جمال حمدان)

نبيل يوسف حداد *

تاريخ الاستلام 2021/04/05 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.3 تاريخ القبول 2021/06/27

الملخص

قد يكون مفهوم المحاورة dialogue في النص الأدبي أو العمل الفني واضحاً، وقد تكون أبعادها ماثلة، وجوانبها حاضرة، وآفاقها شاخصة. قد نتحاور مع النص الأدبي مثلاً من حيث تشكيلاته وأسسه ومرتكزاته؛ من نسيج لغوي، ومكان، وزمان... وإنسان. ولكن محاورة النص الإعلامي تظل مسألة أخرى، بل قضية تستدعي عدداً من الإشكالات المنبعثة أصلاً من غاية النص (بمفهومه العام) وعطائه الفكري أو الجمالي وحدوده المتحققة أو المتخيلة.

ثمة عدد من الحقائق من الضروري أخذها في الاعتبار عند محاورة النص الإعلامي.

إن النص الإعلامي وظيفي من حيث غايته ولغته... يتوخى الإبلاغ المعرفي أو الإقناع العقلي أو الوجداني، أو كليهما معاً، دون حمل تعبيري زائد. ومن هنا فإن السؤال الأول والأهم: إلى أي مدى يلتزم النص المحاوَر بشروط نوعه الكتابي داخل منظومتي الكتابة الإعلامية (الخبر والرأي)؟ ... هل حاول هذا النص– إن كان خبراً- أن يشق مسرباً ما تجاه دائرة النوع الأساسي الثاني (الرأي) فيزكي رأيا ما أو يعظم وجهة نظر بعينها، أو يميل لموقف لينحرف الخبر-من ثم- عن دوره الموضوعي المرسوم؟

ولعل من المفارقة أن الحالة المقابلة، أي استعانة المقالة بالخبر، تعد إضافة إخبارية مرغوبة أو سبقاً يتفرد به الشكل المقالي، في حين تعد استعانة الخبر بأدوات المقال تهمة يحرص الجميع على التبرؤ منها.

ستحاول الورقة قراءة نص إعلامي للأستاذ محمد حسنين هيكل (1923-2016)، بمنهج المحاورة وأدواتها بوصفها تقنية نقدية (أدبية)، بما يوضح أبعاد هذا النص، ويتتبع مقاصده، ويحدد نجاعة مقاصده، وذلك من خلال إجراء تطبيقي يستند في الأساس إلى شروط النوع الكتابي وغايات الكتابة، ثم إلى المعايير المتبعة في اعتماد النص الإعلامي من حيث جدارتها الجدلية. أما أسلوب المعالجة، فيتكئ أساساً على مساءلة منهجية لمكونات النص، واستنطاق أطروحاته، وتمثل وقائعه، واستشراف مترتباته.

الكلمات المفتاحية: المحاورة، النص الإعلامي، محمد حسنين هيكل، جمال حمدان.

(1)

لئن كان من ضرورات النص الإعلامي، خبراً كان أو شكلاً من أشكال كتابة الرأي والتحليل، الخضوع لعملية تحرير editig[1] تتوخى جعله مادة صحفية ملبية للشروط التي تجعله قابلاً للنشر والتسويق (أي القراءة)، فإن هذا يوفر أساساً لمحاورة، بل قل لمساءلة، تحدد بموجبها قيمة النص إعلامياً، ومدى احترامه للشروط العلمية مهنياً، والأهم من كل هذا درجة بلوغه الهدف المنشود من إعداده ونشره.

ويمكن القول، بداية، إن المحاورة[2] تنبثق عن "إشكالية" ما، في الأغلب الأعم. بل إن الإشكالية تنتظم المحاورة؛ لتسهم في توليد طاقاتها المتجددة، وتضبط إيقاع المحاورة، وترسم في نهاية المطاف آفاقها وتحولاتها.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم اللغة العربية ، كلية الاداب، جامعة اليرموك، اربد، لأردن

إن الإشكالية تختلف عن المشكلة. وحسب المفهوم الدارج، فإن لكل مشكلة حلاً، وقد يكون حلاً حاسماً، لكن الإشكالية، على الأرجح، لا تفضي إلى حل محدد، بل قد تستوجب متواليات متجددة من التحاور، قد تفضي إلى نتائج جديدة، ولكنها قد لا تنتهي إلى بلورة حل قاطع، بل إن النهاية المألوفة قد تكون -على الأرجح- توالد عدد من الأسئلة الأخرى، المعلقة.

وقد يكون مفهوم النص الأدبي، أو السردي، أو حتى الإبداعي بصورة عامة، لغوياً كان أو ضمن أي شكل من أشكال التعبير البصرية أو السمعية (أو كليهما)،... قد يكون استقر على عدد من القواعد الأساسية، ولكن الإشكالية تحضر حين الحديث عن النص الإعلامي.

إنه نص جامع، يقوم في الأداء الإخباري على لغة تتسم بأقصى درجة متاحة من التقرير والتجرد والموضوعية، وهو ما يستدعي "الإشكالية" بكل أبعادها؛ فكيف نستطيع مثلاً أن نفصل بين الخبر وسياسة الصحيفة أو توجهات الجهة التي تمولها، أو حتى تشرف عليها؛ فالموضوعية والتجرد والتوازن تظل أموراً نسبية، أو– في أفضل الحالات- معيارية.

ولكن حجم "الإشكالية" يتسع في الخطاب الصحفي غير الإخباري، أي الخطاب المقالي، بتعبير أكثر تحديداً. وهو خطاب يشمل المقال الإعلامي، بكل ما يتسع له التعبير من أشكال الأداء الافتتاحي، والذاتي، (بأنواعه المستندة إلى المضامين) والتحليل، والتعليق... ثم الصورة القلمية feature[3]، التي قد تأتي شكلاً مستقلاً قائماً بذاته (Al-Hamamssi, 1998:17-31)، أو في حوزة مقالة موسعة، أو في سياق أي "موضوع" صحفي، بالمفهوم الصحفي للموضوع الذي يعني بأقرب مفاهيمه "النص" الصحفي.

ومن هنا، لا نملك إلا قدراً قليلا من الاجتهاد لتحديد مفهوم "النص الإعلامي" أو حتى النص بصورة قاطعة، لا سيما أن الاحتكام للمعجم قد يوقعنا في عددٍ من الإشكالات، وليس إشكالاً واحداً.

حين يذهب "الوسيط" مثلاً إلى أن النص: "ما لا يحتمل إلا معنى واحدا"[4]، أو ما لا يحتمل التأويل. قد يكون هذا الحد متجهاً بالأساس إلى النص الديني مما يعني ضمناً أن مفهوم النص (غير الديني) المتداول ثقافياً (أدبياً وفنياً) هو مفهوم اصطلاحي، قابل للتعديل وخاضع للتطور بين حقبة وأخرى، ومن شأن كل هذا تأكيد البعد الإشكالي للنص.

وقد يكون من الصعوبة، إن لم يكن من الاستحالة، ضبط مفهوم "النص المقالي" ضمن أسس واحدة، وذلك لتنوع المضامين من جهة، ومراعاة اعتبارات النشر والناشر من جهة أخرى؛ ففي حين أن "مؤلف" النص الفني قد لا يساير في كل الأوقات "اشتراطات" الناشر (أو حتى المتلقي) أو مراعاة "مصالحه"؛ فإن "كاتب" النص المقالي مضطر في كثير من الأحيان إلى مراعاة أدبيات سياسة الصحيفة (أو وسيلة الاتصال)، كما أنه لا يستطيع أن يلتزم بموضوع واحد؛ فقد يخوض في موضوع سياسي، أو فني، أو ديني، أو علمي...إلخ. صحيح أن هناك كتاباً متخصصين (specialized writers/ reporters)، ولكن جهد هؤلاء ينصرف إلى المقالات الأقرب إلى الدراسات المعمقة والمطولة منها إلى المقالات الصحفية بمواصفاتها وشروطها التي تحدد شخصيتها المظان الأكاديمية والممارسات العملية.

ذاك عن المضمون، وكذلك الأمر بالنسبة للخطاب؛ فالخطاب الصحفي (والإعلامي بصورة عامة) ليس خطاباً واحداً، حسناً، قد يكون للخبر ضوابط صارمة إن كان يتوخى أكبر قدر من الموضوعية، سواء من حيث اعتبارات الجدارة الإخبارية، أو من حيث العزل والانتقاء لهذه الواقعة أو المعلومة أو تلك، أو حتى من حيث اقتصاديات اللغة (the economy of language). ولكن الخطاب غيرالإخباري متنوع "القوالب"[5]؛ فقد يأتي سردياً في قالب قصصي مثلاً، وربما جاء حوارياً على شكل أسئلة مفترضة (ولا نعني الحديث الصحفي؛ فهذا شكل مستقل من أشكال الكتابة الإخبارية) وأجوبة تشرح بل تشخص رؤية الكاتب، وربما جاء الخطاب المقالي على شكل قصيدة منثورة (ولا نعني بهذا قصيدة النثر) بل قد يأتي على شكل مقامة، كما هو الأمر بالنسبة لمقالات بيرم التونسي[6]، ولا ننسى أن "حديث عيسى بن هشام" قد نشر منجماً على شكل حلقات متتابعة، كل واحدة منها أقرب إلى "شخصية" المقال، وذلك قبل أن يضمها كتاب واحد لتتحول الحلقات/المقالات إلى سلسلة متتابعة لسردية طويلة، ولكنها سردية تضيع في عدد من مراحلها فيها أدوات الربط وخطوط"التنسيق السردي" بسبب تقاليد الخطاب السائد في تلك الأيام [7].

وقد وقع اختياري على نص صحفي كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل مقدمة لسفره المهم "أكتوبر 73... السلاح والسياسة" (1993)، ثم أعادت نشر النص (بالحرف تقريبا) "الأهرام" في 2017/2/20 ، أي بعد وفاة هيكل بفترة قصيرة، في سياق "حديث صحفي" أجراه معه أنور عبد اللطيف. ويبدو أن هذا النص يحظى بأهمية خاصة لدى صاحبه؛ بدليل أن معظم ما جاء فيه عن جمال حمدان (1928-1993) كان قد رواه هيكل ليوسف القعيد وورد في كتابه المهم"محمد حسنين هيكل يتذكر....عبد الناصر والمثقفون والثقافة" (2013) وهذا النص ولاسيما في نسخة مقدمة كتاب "أكتوبر73...." يمثل بطريقة تكاد تقترب من مستوى النمذجة في الخطاب الصحفي، بإشكالاته وتشابكاته من مثل: تنوع المضامين، وتعدد أشكال التعبير.

إنه نص يجمع بين التأريخ القومي، والتأريخ الشخصي (علاقة الكاتب بكل من الرئيس السادات والمفكر جمال حمدان) وفيه إشارات للحرب ووقائعها وملابساتها ومترتباتها، ثم إن فيه سرداً مطولاً لقصة صدور هذا الكتاب وفكرته وفصوله وموقعه في السلسلة التي كان الأستاذ منكباً على إنجازها وقت إعداد الكتاب، واختار لها عنوان: حرب الثلاثين عاماً[8]. وهذا الكتاب على أية حال حلقة مهمة في هذه السلسلة، ومن ثم فسأعتمد هذه المقدمة أرضية للإجراء التطبيقي في هذه الورقة لكونه (أي النص) الأقرب لشكل "النص" وشروطه المنهجية.

(2)

تتعدد- إذن- أشكال الخطاب في هذا النص؛ لتلامس أربعة أطر، لكل إطار منها شروطه وأسسه واستحقاقاته.

وأول هذه الأطر أنه "نص وظيفي (صحفي) " nonfiction text ولكنه أخذ موضعه في هذا الكتاب بوصفه مقدمة؛ هذا من حيث موقعه، وثانيها كونه مقالاً article من حيث إطاره ومحتواه وغايته، ثم-ثالثها- إنه ينطوي، في الحديث عن جمال حمدان، على صورة قلمية" feature جاءت في سياق هذا النص، مع أن الأصل أن تكون الصورة القلمية شكلاً صحفيا مستقلاً بذاته؛ ولكننا إزاء نص إشكالي كما قلنا.

أما الإطار الرابع الذي جاء عليه النص فهو "الحديث الصحفي" speech الذي أجراه مع هيكل المحرر أنور عبد اللطيف، وقد تجلت فيه أدوات هيكل المتقدمة. و يبدو أن المحرر(عبد اللطيف) يدرك أنه يجالس أستاذاً في مهنته مما جعله يضع زمام الموضوع في يد هيكل ليبدو الأمر وكأن هذا الأخير قد كتب الأسئلة والأجوبة معاً، مما أضفى على هذا الحديث تماسكاً صهر مادته في إطار أكسبه حقا سمات "النص" وشروطه المتكاملة.

تعزز تناوبات هذا النص بين الصورة القلمية والمقالة والمقدمة، التصور القائل بعدم وجود حدود قاطعة تفصل بين تلك الأشكال أو الأطر؛ فثمة من يرى في مقدمات الكتب القديمة شكلاً أولياً منفتحا على العديد من أشكال الكتابة الأخرى. بل إن بعض هذه المقدمات، القديمة والحديثة، يكاد يستكمل شروط المقالة الصحفية مع الأخذ في الاعتبار الاستحقاقات الأسلوبية لكل عصر أو مرحلة تاريخية؛ فالمقدمة تحمل قضية، هي قضية (أو قضايا) الكتاب، ومن حيث الحجم فإنها قصيرة أو متوسطة الطول، بعيدة، نسبياً،عن اللغة الشعرية؛ لها استهلالها الذي يشجع على مواصلة القراءة، وتتكون من وحدات متعارف على مكوناتها: حافز الكتابة، والمنهج المتبع، والإشارات (الدراسات) السابقة للموضوع لتبرير إعادة الكتابة فيه، ثم مكونات الكتاب، وغير هذا مما يرى الكاتب تضمينه. وعلى العموم فإن كتب التراث العربي القديم حافلة بالمقدمات التي تحاكي مقالات اليوم، مضموناً وأسلوباً، ولعل كتاب النحو "مغني اللبيب"[9] مثال دال على هذه العلاقة.

(3)

منذ البداية، يطرح هيكل سببه الرئيسي، بل قل قضية المقدمة / النص الأولى: إهداء الكتاب للعالم المصري الكبير جمال حمدان الذي كان قد رحل لتوه (أبريل/ نيسان 1993)؛ ثم يطرح الأسئلة ويجيب عليها بمحاورة لا تتكرر كثيرا في مقدمات الكتب. وكل هذه الأسئلة انبثقت من سؤال واحد: ما العلاقة بين جمال حمدان وحرب أكتوبر حتى يهديه هيكل هذا السفر؟

وخلال حشد الأسباب، وسوق الحجج ضمن هذه المحاورة الداخلية الفريدة، ينجز هيكل مكونات "صورة قلمية" ضافية حول المُهدى إليه. هكذا إذن ضرب هيكل عصافير عدة بحجر واحد.

1) فقد قدم مقدمة نموذجية ومناسبة المضمون والشكل والإطار للموضوع الذي يخوض فيه.

2) ثم إن هيكل كاتب صحفي محترف أولاً وأخيراً، وقد أنجز في مقدمته مقالاً ذا شخصية مستقلة؛ وهذا ما تحقق بعد ذلك في"الأهرام" حين نشر هيكل هذه المقدمة بوصفها نصاً إعلامياً يجمع بين المقال والحديث الصحفي، مع تعديلات تكاد لا تستوجب التنويه.

3) إضافة إلى ما سبق، فإن مكونات هذه الصورة القلمية المنجزة يمكن بسهولة لملمتها وإصدارها مستقلة على أنها موضوع عن جمال حمدان: إنجازه، وجدارته ليتبوأ مكانته في التاريخ العلمي المعاصر، وملامحه الخاصة وطبائعه الشخصية.

4) ثم إن الطابع العام لنص هيكل يقوم على أساس المحاورة، أي طرح المسألة، ثم استجلاء جوانبها. ولا يقتصر هذا على نسخة "الحديث الصحفي" بل شمل أسلوب المحاورة/ المقدمة المنهجية كذلك، ولا يغني هذا بطبيعة الحال، عن محاورتنا الخاصة في هذه الورقة؛ التي يمكن أن نزعم أنها محاورة للمحاورة متعددة سبل النشر التي كتبها هيكل.

وفي حين سنترك محاورة هيكل لموضوعه لمرحلة الاشتباك المباشر مع النص؛ نعرض فيما يلي عدداً من الأسئلة الافتراضية التي تنهض عليها المحاورة "الخارجية" لهذا النص:

1) ما المرتكزات والبيانات المتعارف عليها فنياً التي تكسب هذا النص الصحفي أهلية التناول وسمات "المنطق الخاص" وجدارة التفرد؟

2) إلى أي مدى تحضر تجربة الكاتب نفسه بما يضفي عليه مصداقية شاهد العيان، والمشارك في الحدث ووضعه في سياقه التاريخي، وإدراجه من ثم في منظومة متعددة المناحي متكاملة العناصر متآزرة المقاصد؟

3) ماذا أضاف هيكل لأبعاد الموضوع من جهة ولما هو نمطي أو شائع عن الشخصية التي يرسم صورتها ويحدد دورها الفكري وموقعها العلمي ومكانتها في السياق المرحلي لموضوعة النص.

4) ما طبيعة الأدوات التعبيرية والتراكمات المعرفية وإحالاتها والالتفاتات الريادية، إن وجدت؟

5) ما الشكل أو "القالب"، (حسب لغة مراجع التحرير الإعلامي، وهذا تعبير نستعمله بتحفظ) الذي جاءت مادة النص في إطاره؟ وهل ثمة علاقة جدلية بين شكل عرض المادة ومحتواها؟

6) ثم إن من حقنا، بوصفنا متلقين، أن نتساءل عن طبيعة الأثر أو الانطباع الذي نخرج فيه بعد عملية القراءة؟

ولعل أنسب معطيات "الانطباع" هنا، هو المعنى الذي تذهب إليه نظرية القصة القصيرة، كما أرساها إدجار ألن بو في حديثه عن "وحدة الانطباع"[10].

(4)

إن النص الصحفي لا تكتمل جدارته الصحفية دون إحالته إلى مرجعية ما؛ سياق موضوعي أو ماض إخباري مستمد مباشرة من تطورات الحدث نفسه أو الواقع المحيط بنا أو كليهما؛ وذلك بصرف النظر عن "حجم" هذه التطورات؛ فقد تكون محلية أو وطنية أو قومية أو ربما عالمية؛ ثم واقعة تولد الحافز فينتج عنها فعل الكتابة الصحفية، وهذا ما لا تحتاج إليه الكتابة الفنية مثلاً؛ لأن اختيار الباحث (أو الكاتب) لموضوع عمل ما (رواية فنية مثلاً) أو قضية بعينها موضوعاً للدرس لا يحتاج إلى مناسبة "خارجية"؛ فقد نكتب عن طه حسين بمناسبة ذكرى تتعلق به، وقد نكتب عنه دون مناسبة، ومن المرجح أن النوع الثاني عادة ما يكون الأعمق والأكثر تخصصا واكتمالاً.

لم تعوز المناسبة هيكل حتى يكتب عن جمال حمدان، وهي -على أية حال- ليست لازمة في حالة كهذه، ولكنها جاءت مع دفعه كتابه "أكتوبر 73" للإصدار أواخر سنة 1993، وكانت المناسبة رحيل المفكر الكبير أواخر العام السابق للإصدار؛ فجاءت فكرة الإهداء.

ولكن هيكل جعل من هذا الإهداء "الثيمة" التي أقام عليها نصه، بل كان المرتكز الذي أدار عليه محاورته حين طرح سؤاله الضمني: ولماذا جمال حمدان بالذات؟

هنا يقدم الكاتب، بداية، أطروحته حول مسألة قلما توقف عندها الباحثون طويلاً: اكتشاف الشخصية المصرية.

يرى هيكل أن ثمة كتابين أساسيين (ووراءهما مؤلفان عظيمان بطبيعة الحال) يفرضان حضورهما بداهة حول أي تساؤل عن الشخصية المصرية؛ الكتاب الأول "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطهطاوي[11]، والثاني "شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان" لجمال حمدان[12]. وإذ يتبع هيكل أسلوب المحاورة مع قارئه؛ فإنه لا يلبث أن يطرح سؤاله الصريح؛ ماذا يجمع بين اثنين يفصل بينهما وبين عمليهما ما لا يقل عن قرن ونصف؟

ما يجمع بين الشخصيتين والكتابين، يضيف هيكل، هو محاولة اكتشاف الوطن؛ الأول صدر عن منظور أزهري ريفي (وصاحبه الطهطاوي)، سافر خارج وطنه يبحث عن أفكار ورؤى دنيا جديدة، وعصر بازغ تضوي فيه وتتألق إشعاعات الثورة الفرنسية. ويضيف إلى ما سبق في النسخة الأخرى للموضوع التي أدرجها في "الحديث" مع "الأهرام": "إن رفاعة" كان مصرياً (خاماً)، شهق شهقة الانبهار، ولكنه لم يتوقف عندها، ولم يقصر انبهاره على شكل ما رأى، وإنما غاص فيه محاولاً لمس أعماقه والتعرف إلى مادته" (Al-Ahram, 2017).

أما الشخصية الثانية، جمال حمدان، فإن هذا مسافر عائد إلى وطنه إلى وطنه بمفتاح لفهم حياة أمة وشخصيتها تبحث في أعقاب حرب عالمية ضروس هزت وزلزلت قارات ومحيطات.

ويضيف هيكل: "وربما تقاطعت مسالك سفر الرجلين على أمواج البحر الأبيض ذهاباً وعودة رغم انقضاء قرن ونصف من الزمان، ثم تقابلت رؤى المسافرين العائدين من مواقع نظر متباينة". (Haikal, 1993:7).

لكن سؤال العلاقة ومن ثم الفرق أو الفروق، بين الرجلين لا يجد الإجابة المكتملة إلا خارج المقدمة، في مقابلة هيكل مع "الأهرام": "إن كلاً منهما يكتشف وطنه مستنداً على أساس التربية والميلاد، لكن جمال حمدان كان حالة استثنائية، ذلك أنه تجاوز ذاته، وجاء اكتشافه الثاني لوطنه على أساس حياة هذا الوطن وتجربته مع الدنيا والتاريخ. وهذا هو الفرق بين الاثنين". (Al-Ahram, 2017).

ولا يلبث المحاور (هيكل) أن يطرح تساؤله الأكبر بالنسبة للكتاب موضع التقديم: ولكن ما علاقة جمال حمدان بحرب أكتوبر؟

إن إجابة هيكل عن التساؤل السابق تفتح الباب على مصراعيه كي نستشرف إطلالاته على تجربة مصر خلال الأعوام الثلاثين التي شهدت صراع مصر مع الأحلاف وحروبها مع الكيان الإسرائيلي.

ويقول: "إن حرب الثلاثين سنة، موضوع ليس بعيداً عما كنت أتحدث فيه مع جمال حمدان عن الجغرافيا والتاريخ ... المكان والمكانة... والشخصية والعبقرية...فهذه المجموعة من الكتب تحكي قصة صراع هذه الأمة العربية- بقيادة مصر- ضد الهيمنة الأجنبية منذ منتصف الخمسينيات إلى منتصف الثمانينيات من (هذا) القرن العشرين، بداية من وقفتها الشجاعة ضد الأحلاف العسكرية الغربية سنة 1955، وحتى تأكد الهبوط حين تمكنت إسرائيل من احتلال عاصمة عربية هي بيروت في النصف الأول من الثمانينيات"(Haikal, 1993:11).

ثم يستعرض هيكل_ وهنا يعود إلى "تقاليد المقدمات" في هذا النص- الأفكار التي يقوم عليها كل كتاب من مجموعة كتبه هذه؛ مشدداً على أنه لا يكتب التاريخ، ولا يحاول ذلك؛ ويورد أسبابه وراء هذا الإدعاء: "فالتاريخ ليس اختصاصي، ثم إن التاريخ تصعب كتابته في زمن وقوعه، ثم إنه لا يكتب التاريخ من عاشوا أو شاركوا في وقائعه" (Haikal, 1993:11).

وإذ نسلم بوجاهة معظم تلك الأسباب التي يوردها هيكل؛ ودون أن نضع أنفسنا في موضع المناكفة أمام هذا الأستاذ الكبير، نرى أن سببه الأخير (امتناع صناع التاريخ عن كتابته) يحتاج إلى وقفة قصيرة، ذلك أن هيكل، بالتعبير الذي قدمه، وضع جميع من عاشوا أو شاركوا في وقائع التاريخ في السياق الذي يتحدث فيه، في سلة واحدة، وإلا ما معنى أن تعد كتابة

من عاصروا الحدث، سواء من داخله أم من خارجه مصادر تاريخية، وليست مراجع فحسب؟ وعلى العموم فإن هذا الفرق هو الأساس الذي يستند إليه المؤرخ والأكاديمي عمرفروخ في التفريق (في الدراسات التاريخية) بين المصدر والمرجع، وذلك في دراسته المهمة التي تحمل العنوان: "كلمة في تعليل التاريخ"فمن يعاصر الحدث- حسب فروخ- هو مصدر للتاريخ وليس مرجعا فيه حسب (Farroukh, 1984:7).

واستمرارا مع محاورة هيكل في دعواه بنفي صفة المؤرخ عنه، نرى أن هذه الدعوى أقرب إلى محاولة التنصل من أعباء مسؤولية المؤرخ والاستحقاقات الواجبة التي تفرضها تلك الصفة. إن "هيكل" حين يردد أنه ليس أكثر من صحفي يؤكد هذا الظن، والخطورة في هذا الادعاء أنه قد يشجع بعض المتربصين بدور الكتابة الصحفية لتأكيد الادعاء على صحة المقولة التي تنادي بعدم موثوقية الصحافة لكونها كتابة انطباعية. وهو قول لا ينطبق على كل ما يكتبه الصحفيون، ولا على معظم ما يكتبه هيكل نفسه، بل إن صفة الانطباعية لم تسلم منها، دون وجه حق، جهود "صحفية" في حجم ما قدمه محمد مندور.

(5)

ويستمر هيكل في استكمال ملاحظاته حول الكتاب وهي ملاحظات واجبة في منهجية المقدمات؛ فيرى أن عنوان السلسلة "حرب الثلاثين عاماً" يعبر حقاً عن مضمون كتبه؛ ذلك أن ثمة فرقاً- كما يرى-بين الحرب والقتال؛ فالحرب صراع سياسي بكل وسائل القوة، في حين أن القتال مرحلة معينة من الحرب يكون فيها الاحتكام إلى السياسة، ومن هنا يأتي دور الكاتب (هيكل) نفسه؛ فيقنع بدور الشاهد، فحسب؛ لا سيما في حروب 56 و67 و73. وتفترض هذه الجدلية بداهة الرجوع إلى القاعدة القانونية: "الشاهد جزء من الدليل". وحين يضيف هيكل إلى المقولة: "إذا صدق"؛ فإن هذا، من وجهة نظر محاجتنا معه، لا ينفي كون الشاهد جزءاً من الدليل إذا صدق أو لم يصدق؛ فالدليل قد يكون للإثبات، وقد يحضر للنفي.

ثم يروح هيكل يؤكد جدارته شاهداً من خلال سرد علاقته القريبة مع عبد الناصر طيلة فترة حكمه، ثم مع أنور السادات، وهي العلاقة التي فجر أبعادها السلبية بين الرجلين اختلاف الرؤى حول طريق مصر بعد حرب أكتوبر.

وتفترض تقاليد "المقدمة" أن يفرد المؤلف بعض صفحاته لشرح "تقنيات" جمع المادة ومظانها والتنوية عن بعض المحاذير، وهو في هذه "المقدمة" يتحدث بإفاضة عن الوثائق التي استند إليها، ويسجل شكره للرئيس السادات لصنيع محضه إياه؛ فيقطع الكاتب سياقه ليسرد موقفا ذا دلالة مع السادات حين قدم له أغلى وثيقة وصلت إليه طول حياته المهنية، حسب قوله، يقول: "كانت بكرة لفائف لأجزاء من أحد أسفار العهد القديم (سفر الخروج - التوراة) حصلت عليها القوات المصرية التي هاجمت خط بارليف واقتحمت نقاطه في الساعات الأولى للحرب. كانت هذه اللفائف محفوظة في قيادة ذلك الحصن المنيع حين اقتحمته القوات المصرية. والذي حدث أن الفريق "أحمد إسماعيل علي" القائد العام للقوات المصرية تلقى هذه اللفائف ومعها العلم الإسرائيلي الذي كان مزروعاً في حصن القيادة، ووجد في الاثنين رموزاً مناسبة يهديها للقائد الأعلى للقوات المسلحة.

وألقى الرئيس السادات نظرة عليها ثم التفت إلى جليسه الأقرب (هيكل) قائلاً: "إنه سوف يحتفظ لنفسه بالعلم، ولكنه، (كان) عارفاً بهوايتي لجمع هذا النوع من "الأشياء" فإنه سوف يهديني هذه اللفائف. ثم أضاف كريماً عبارات رقيقة . وقبلت الهدية عارفاً بقيمتها وبفضل مهديها. وقد احتفظت بها سنوات طويلة، وأظن أن الأوان قد آن اليوم كي أقدمها للأحق مني، وهو "المتحف الحربي" حتى تظل باقية فيه دواماً لأجيال قادمة سوف تعيش وفية باستمرار لفضل جيل سابق؛ قام شبابه ورجاله بدور بطولي مجيد، وجعلوا يوم السادس من أكتوبر 1973 يوماً يعلو بهامته على كل الأيام (Haikal, 1993:20).

تكاد هذه القصة تخالط الخيال بدلالاتها المتشعبة؛ فالسفر الذي تحكيه اللفائف هو "سفر الخروج" أي خروج بني إسرائيل من مصر، وهو حسب كثير من الباحثين أكثر أسفار العهد القديم أهمية؛ ويتضمن التعاليم التي بعث بها موسى ليعلم قومه أسس بناء مجتمع جديد، والحفاظ على ديمومته.

ولا شك، أن كلام هيكل في الفقرة ليس موجهاً لقراء صحف من عامة الناس فحسب، بل كلام للنخبة الفكرية في الدرجة الأولى؛ ولعل هذا المستوى، الذي يستطيع به وفيه أن يخاطب هيكل كل المستويات هو أحد أسرار قدرته في إبلاغ رسالته لأكبر عدد من القراء.

هذه الحادثة الواردة في النص بالصورة التعبيرية التي جاءت عليها من شأنها أن تستدعي محاورة مطولة:

ماذا عن إشكالية علاقة هيكل بالسادات؟ وماذا عن البعد الإنساني والشخصي في هذه العلاقة؟

وماذا عن هذا التلاقي العجيب بين سفر الخروج وحرب أكتوبر التي أعقبها -بصورة من الصور-"خروج" اليهود مجددا من سيناء ؟

ثم إن سفر الخروج هو السفر الثاني في العهد القديم بعد سفر "التكوين" وفيه أرسيت تعاليم الشريعة اليهودية؛ بل إن بعض ما جاء فيه يلتقي، مع ما جاء في القرآن الكريم... كل هذا قد يطرح أسئلة من الصعب تقديم إجابات قاطعة حولها، وإن كانت التأويلات الجدلية متاحة (Haikal, 1993:20).

ولواقعة احتفاظ الرئيس لنفسه بالعلم-الذي خلفه الإسرائيليون وراءهم-دلالاتها التي تقبل أكثر من تأويل، بطبيعة الحال، ولكن ما الذي حفز السادات، بحسه التاريخي الذي لا يستطيع أن يجادل فيه أي مثقف منصف أو صاحب بصيرة، أن يهدي "وديعة" الخروج الجديد لهيكل تحديداً؟ وأن يحتفظ بالعلم الإسرائيلي لنفسه ؟ ما الذي يمثله هيكل في هذه الواقعة، وإلام يرمي الكاتب بمسألة العلم؟

لعل الشق الأول من السؤال يستوجب بصورة أو بأخرى، وقفة ولا نزعم إجابة قاطعة؛ فنحن في سياق "المحاورة".

في مسرحية، "مغامرة رأس المملوك جابر" لسعد الله ونوس[13] نرى في المشهد الأخير، أن السياف (مسرور) يهدي رأس جابر، المملوك الأحمق المغرور الذي قامر بمصيره (برأسه تحديداً) من أجل نفع مادي رآه محققاً، إلى مؤنس الحكّاء، رمز التاريخ في المسرحية وحكايتيها (المعاصرة والقديمة)، ولعل السادات بإدراك استثنائي منه في مستوى الوعي أو اللاوعي قام بالفعل نفسه، وكان السادات لحظتها في حال من نشوة الانتصار وليس السرور فحسب. وفي هذا ما يرد على إدعاء هيكل نفسه، عن كونه ليس مؤرخاً، ولكنه من جهة أخرى يؤكد ادعاءه الأخر بأنه شاهد، بل شاهد عيان وإثبات.

(6)

لا يلبث هيكل، بعد سرديته القصيرة المدهشة هذه أن ينعطف على ما كان بدأ به: إهداء الكتاب لجمال حمدان.

"ولست أعرف لماذا أعود في آخر هذه المقدمة، مرة أخرى إلى جمال حمدان، وإلى شخصية مصر، مستقراً في النهاية على تقديم هذا الكتاب تحية لذكراه" (Haikal, 1993:23).

والملاحظة التي تفرض نفسها في الفقرة القصيرة السابقة، شكلية، تتصل ببنى الأشكال التي امتاح النص من تقاليدها؛ فتداخل شكله النهائي مع أطرها. إن تقاليد المقدمة، والمقالة، والصورة القلمية تحترم، بل في معظم الأحيان تلتزم، بالحركة الدائرية للكتابة، أي العودة إلى فكرة المنطلق، وتعزيزها بأسباب أخرى تصلح لأن تكون "الكلمة الأخيرة" للنص بكامله:

"لقد ظهر هذا العالم المتميز في آفاق الفكر العربي، كطائر العنقاء الأسطوري الذي تحكي قصص الأقدمين إن موطنه الأصلي صحراء العرب، وتروي أن طائراً واحداً منه يظهر كل مئات السنين، وأنه يعلو في الآفاق يملؤها محلقاً بأجنحته العريضة المهيبة، وفارداً ريشه بديعاً باهراً. لكنه عندما يحين الأوان فإن هذا الطائر الأسطوري الوحيد يقيم لنفسه تلاً من النار ويهبط من الأجواء وينتصب واقفاً في كبرياء وسط لهيبه، لكنه لا يتفحم ولا يتحول إلى رماد، وإنما ينبعث من قلب النار مستعداً للحياة ومنتشياً بشباب عمر جديد" (Haikal, 1993:21).

هكذا يضيف هيكل مكوناً رابعاً في هذا النص: السرد، بل ربما انطوى هذا المكون الرئيسي على مكون آخر يتخلله ويضفي عليه السمة العزيزة في أي كتابة (غير تقريرية): الشعرية، ولا أقصد الشاعرية بطبيعة الحال.[14]

ودراما القص على أية حال ظلت أحد المرتكزات التي تستمد منها كتابات هيكل أسلوبها المتفرد، وربما عاد جزء كبير من الفضل إلى هذه "الدراما" في المكانة العليا، بل الأعلى، التي تحتلها كتابات هيكل في عالم الصحافة العربية، وليس القص في كتابات هيكل عنصراً حكائياً يحافظ من خلاله على التشويق أو إثارة التوقع (Suspense) فحسب؛ بل هو شكل حكائي مركب جاوَز التشويق إلى آفاق الاستعمال الواعي للعناصر الكامنة في اللغة بمحمولاتها الأسطورية والرمزية والتراثية وخلاف ذلك، إضافة إلى ما يتيحه "المنطق الخاص" للنص الدرامي من إمكانات تأويلية تعمق جمالياته وتثري أطروحاته الفلسفية، بما يجعله يجاوز لحظته، بل مرحلته إلى مدارات دائمة الحركة متعددة الانعطاف.

حسناً، كانت الالتفاتة الأولى، في نص هيكل إلى لفافات سفر الخروج وما انطوت عليه من دلالات وحملته من إيحاءات تربط الحاضر بالماضي، بل تربط بين السماء والأرض، وتعيد التاريخ إلى ذات البقعة الجغرافية؛ رغم تغير الإنسان وتبدل الأحوال وانعطافات الزمان. ولكن مكانة "المكان" لا تمس، بل تحتفظ بعبقريتها مهما جارت صروف الزمان، وفقد فيها الإنسان مبادرته، واتجهت الحركة التاريخية (كما يقول حمدان في حواره مع هيكل) حركتين إلى الخلف، مقابل حركة واحدة إلى أمام (Haikal, 1993:22).

أما الالتفاته الثانية فقد كانت "فنية"؛ باستحضار أقنوم العنقاء الذي أسبغه هيكل على جمال حمدان. وهي المرة الأولى ومن النادر أن نرى كاتباً (وأديباً إن تحدثنا عن هيكل) يسبغ هذا الأقنوم/ الرمز على شخصية إنسانية حقيقة، وليست فنية متخيلة. نعم لقد أسبغ طه حسين هذا الرمز، أو بالأحرى صنوه (الهامة) على طائر الكروان في روايته الرائدة والبديعة، وذلك حين اتخذ من ذلك الطائر أداة للتذكير بديمومة مأساة قربان الخطيئة (هنادي)، ولكن طه حسين لا يلبث – في "دعاء الكروان"- أن يتخطى هذه الدلالة ليتخذ من "الهامة" وسيلة للدعوة إلى الصفح وبناء الحياة على أساس المحبة لا الانتقام أو الحقد الطبقي. طه حسين[15]. غير أن لويس عوض استعمل "أقنوم" العنقاء اسماً ودلالة في تشخيص المعضلة الماركسية بين المثال الإنساني المتوخى للمجتمع العادل، والواقع العملي الذي يقوم على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو اصطبغت الوسيلة بأبشع أشكال القسوة بل الوحشية. وهذا هو الأساس الذي أقام عليه لويس عوض عمله الروائي الكبير "العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح" التي كتبها سنة 1946، كما يقول في تصديره لها[16]. هيكل إذن،يستخدم الرمز، لا لإثراء النص و إغناء دلالته فحسب، بل لجعله جزءاً من بنيته المتحققة، وليس المفترضة. ويضيف في القفلة الأخيرة، بل "الكود" الذي يختتم به هذا النص المتفرد حقاً:

"وكان جمال حمدان "عنقاء" حلم مصري وقومي عظيم، ولقد حوطته ألسنة النار ذات صباح من شهر إبريل سنة 1993، ولكن الأحلام العظيمة في قلب اللهيب لا تتفحم ولا تتحول إلى رماد، وإنما تنهض بمعجزة من معجزات البعث ومن وسط الحريق مجددة حياتها وشبابها، ناشرة ضياءها وإلهامها، فاتحة أجنحتها القوية، ومحلقة إلى أعالي السماء"(Haikal, 1993:41).

هكذا ينجز هيكل "المقدمة" بتقاليدها الراسخة، ولكن الأهم هذا الإنجاز الذي جاء في ثناياها، أعني هذه الصورة القلمية، وقد أضحت الآن نوعاً صحفياً له شخصيته المحددة وسماته الخاصة، ولعل أهم ما يكسب الشخصية (البشرية) جدارة رسم الصورة قد تحقق هنا بأعلى شروطه وأرفع مقاييسه؛ فجمال حمدان ليس شخصية سياسية أو اجتماعية أو حتى فنية أو رياضية عابرة... بل هو علامة فكرية وفلسفية بارزة في تاريخ مصر والعرب.

وما قدمه حمدان حول "شخصية مصر"ليس مقولة علمية بنى عليها درساً منهجياً معمقاً، بل نظرية متكاملة صاغها حول مكان "عبقري" وأمة لها مكانتها المتميزة عبر العصور،انبثقت مع فجر التاريخ، بل قبل ذلك... ولا نبالغ إذا قلنا إنها نظرية تخطت كل الأطر التي كان أرساها هيرودت. إن جمال حمدان لم يتوقف عند "هبة النيل"، بل إن رؤيته امتدت إلى تفاعلات هذه"الهبة" في محيطها،وإسهامها في رسم خريطته الجغرافية و السياسية والإستراتيجية خلال مراحل تعود إلى ما قبل نظرية هيرودت بقرون وقرون، واستمر حصادها المتجدد صعوداً وهبوطاً، ولكن ضمن حركة لا يشعر بها إلا من يرى خط التاريخ ويبصر خط الجغرافيا، والرؤية والبصر (أو البصيرة) هنا، حق حصري للعبقرية دون سواها.

خاتمة

وبعد، فلعلنا الآن - بالنسبة لهذه الورقة- نستطيع أن نجمل بعض المؤشرات التي استندت- بدورها- إلى ما يمكن أن يستند إلى نص هيكل:

1) إن هذا النص يمثل-من بعض الوجوه- الإشكالية الكبرى في الكتابة الصحفية غير الإخبارية (التقريرية) وهي الإشكالية التي تضفي على النص الصحفي فرادته بل قيمته. إنه نص متعدد ألوان الخطاب، ومتنوع المكونات، لا يمكن حصر نطاقه بموضوع، أو جمهوره بفئة بعينها؛ فالكتابة الصحفية هي كتابة الحياة باتساعها، ولغتها هي لغة الحياة مهما اختلفت أبجدياتها وتعددت سبل تعبيرها؛ من المباشر إلى الإيحائي، ومن السردي إلى المقالي، ومن الشعري إلى البياني. بكلمة أخرى؛ فإن الصحافة كتابةٌ، كالصحيفة تنوعاً.

2) لعل الاشتباك التحليلي الأجدى والأنجع مع النص الصحفي، هو حقاً أسلوب المحاورة. وقد لا تأخذ محاورة النص الصحفي شكلا مباشرا ظاهر المنهجية؛ بل قد تأتي عملية ضمنية؛ فليس من قارئ بصرف النظر عن مستواه العلمي لا يحاور "النص الصحفي" سواء بوعيه أو بلا وعيه. ومحاورة الكتابة الصحفية لا تقتصر على شكل واحد من أشكال الكتابة الصحفية.

3) هذا على مستوى القصة الإخبارية المباشرة news story؛ ولكن المحاورة قد تتخذ شكلاً أشد تركيباً، في الأطر الإخبارية الأخرى، مثل "الحديث الإعلامي" حيث لا تكتمل أبعاد الموضوع دون اشتراك ضمني من المحاور، وهذا ماثل أمامنا في نص هيكل بنسخته التي جاء عليها في حديثه مع "الأهرام"، وكذلك الأمر بالنسبة "للتحقيق الإعلامي"؛ إذ عادة ما تنبعث عشرات الأسئلة والافتراضات لدى القارئ، ناهيك عما ينطلق منه الكاتب (المحرر أو المندوب) من فرضيات هي أولاً وأخيراً ثمرة محاورة مع الموضوع وأبعاده وافتراضات متخيلة مع المتلقي: إلى أي مدى تحضر الإجابات الشافية؟ والأهم من هذا هو المحاورة المرغوبة-في الأغلب الأعم- بين معد المادة "وحارس البوابة" أي حامل مفتاح بوابة النشر؛ سواء نحو النور أو لسلة المهملات.

4) لقد شاعت مقولة حول قراءة النص الأدبي والفني بصورة عامة، تستند إلى قدر مهم من الوجاهة الجمالية- إن جاز التعبير- تقول: إن النص الجيد هو الذي تنبثق منه الأسئلة بأكثر مما يقدم من أجوبة. لكن متلقي النص الإعلامي لا يكترث-في العادة-للأسئلة المعلقة التي قد تطرحها قراءة النص بقدر ما يهتم بالأجوبة التي يسعى إليها وتشكل هواجسه فيطرح من أجلها أسئلته المفترضة.

وهكذا، فإن قراءة نص هيكل (بصورتيه في الكتاب وفي "الأهرام") تستدعي المحاورة بل ربما كانت هذه الطريقة الأفضل لتتبع مراميه واستنطاق أطروحاته، ولكن"هيكل" لا يترك متلقيه ظمئا إلا للمزيد من عطائه اللاحق؛ قد يخرج المتلقي من عنده بأجوبة تقنعه أو لا تقنعه، وقد يخرج مشدوهاً أو مصدوماً ... بل قد يخرج متفائلاً أو خائفاً، ولكن في معظم الأحوال يخرج قانعا مكتفيا؛ فنص هيكل حين يطرح أسئلته لا يتركها معلقة حتى النهاية؛ قد لا يجيب على كل الأسئلة، ولكن منظومة اللاإجابة قد تكون الإجابة الأهم التي يسعى إليها "نص"هذا الأستاذ.

A Dialogue with a Media Text
(Haikal's Text about Jamal Hamdan)

Nabil yousef haddad

Department of arabic language and literature, faculty of arts ,yarmouk university irbid jordan

Abstract

In a literary text, the concept of a dialogue may be clear with its aspects that may be present, as well as multifaceted horizons [deep meanings]. On the one hand, we may have a dialogue with a literary text with regards to its formations, basis and pillars; namely, its linguistic weaving, location, time and even man. However, on the other hand, dialoguing with a media text remains a different case, even a cause that recalls a number of unresolved dilemmas, which, in fact, stem from the purpose of the text (in its broad sense), in addition to its intellectual or aesthetic contributions, as well as materialized or envisioned limits.

There are several crucial facts that should be taken into account when having a dialogue with a media text.

A media text is functional in terms of its end and language. It assures conveying information, or mental or emotional persuasion, or both of these, without expressional redundancy, which begs the question: To what extent does a media text comply with its writing style within the structures of media writing (news stories and opinions)? Has this media - in case it is a news story - made a way towards the circle of the second essential type (opinion), so that it will enrich an opinion, make a position greater in itself or perhaps lean towards a specific stance in order to twist a news story and thereby, deviate it from its set objective role?

It is also perhaps a paradox that in the opposite case, i.e., for an article to be aided by a news story, it is deemed as an additional desirable piece of information, or even a beat exclusive only to the structure of the article, whereas in the other case, where a news story is aided by an article's tools, it is an accusation that everybody makes sure to be innocent of.

The paper will try to research these concepts in a way that would clarify its aspects, as well as track its ends and identify its tools' success through an applied procedure of a media text by Professor Mohammad Hasanin Haikal (1923-2016), which is a dialogue that essentially depends on the conditions of the type, as well as the foundations of writing editing based on conventional scientific conditions. As for the treatment method, it primarily depends on questioning the text components, as well as hypotheses, representing its realities and anticipating its outcomes.

Keywords: Dialogue, Media Text, Mohammad Hasanin Haikal, Jamal Hamdan.

الإحالات والهوامش

1- The Art of Editing, Rawond Catver and Daived Foster Wallace, Book by Tiun Groelaned, 2020

2- ثمة دراسات معمقة حول مفهوم "محاورة النص" أدبياً كان أم إعلامياً، تتضمنها وقائع ملتقى القاهرة الدولي الثاني للنقد الأدبي "الحوار مع النص / دورة عبدالقادر القط" المجلس الأعلى للثقافة في مصر 8-10 مايو (2017).

3- حول الصورة القلمية، وعملية التحرير بصورة عامه انظر: The Craft of Science Writing, Edited by: Siri Carpenter,Madison,whisconsin (Siricarpinter@theopennotbook.com)

4- انظر مادة **نصص**: المعجم الوسيط.

5- حول مفهوم الخطاب الإعلامي انظر: شومان، محمد: **الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، الدار المصرية اللبنانية، (بيروت/القاهرة) (2007).

6- انظر: التونسي، بيرم: **مقامات بيرم التونسي**، مكتبه مدبولي، القاهرة، (1985)م.

7- انظر: المويلحي، محمد إبراهيم: **حديث عيسى بن هشام أوفترة من الزمن**، تحقيق: روجر ألن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (2002).

8- تتكون سلسلة حرب الثلاثين عاماً من أربعة مجلدات كبيرة وهي سلسلة توثق للصراع في الشرق الأوسط من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى حرب أكتوبر (1973م)، وهذه الرباعية:

أ –**حرب الثلاثين عاماً / ملفات السويس (1986).**

ب – **سنوات الغليان (1988م).**

ج – **الانفجار (1990م).**

د – **أكتوبر 73 ... السلاح والسياسة (1993م)**، وقد نشرت دار الشروق في مصر هذه الإصدارات.

9- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمدالله، دار الفكر بدمشق، (د.ت).

10- حول وحدة الانطباع انظر: روسلو، جان: **إدغار ألن بو**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1978)م.

11- نشر **تلخيص الإبرير في تلخيص باريز** سنة 1834م، وهو الكتاب الذي وضعة رفاعة رافع الطهطاوي، إثناء ترؤسه للبعثة المصرية إلى باريس بين عامي (1824– 1847م)، ويقوم الكتاب في الأساس على مقارنات بين أنماط الحياة في الشرق والغرب. انظر طبعة مؤسسة هنداوي (القاهرة) (2012م).

12- يتكون كتاب **شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان** من أربعة مجلدات (أجزاء)، نشرتها تباعاً دار الهلال في مصر سنة (1967م).

13- انظر: ونوس، سعد الله: **مغامرة رأس المملوك جابر**.

14- حول الشعرية في السرد انظر: أبو ديب، كمال: **في الشعرية**، مؤسسة الأبحاث العربية، (1987م)، وكذلك أدونيس: **الشعرية العربية**، دار الآداب، بيروت، (2000م).

15- انظر: حسين، طه: **دعاء الكروان**،

16- انظر: عوض، لويس: **العنقاء أو حسن مفتاح**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990).

المصادر والمراجع العربية

أدونيس. (2000)م. **الشعرية العربية**. دار الآداب، بيروت.

التونسي، بيرم. (1985)م. **مقامات بيرم التونسي**. مكتبه مدبولي، القاهرة.

حسين، طه.(1977)م. **دعاء الكروان**. ط دار المعارف، مصر.

الحمامصي، جلال الدين. (1998)م. **من الخبر إلى الموضوع الصحفي**. دار المعارف، مصر.

حمدان، جمال. (1967)م. **شخصية مصر**. دار الهلال، مصر.

أبو ديب، كمال. (1987)م. **في الشعرية**. مؤسسة الأبحاث العربية.

روسلو، جان. (1987)م. **إدغار ألن بو**. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

شومان، محمد. (2007)م. **الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، الدار المصرية اللبنانية، (بيروت/القاهرة).

الطهطاوي، رفاعة رافع. (1834)م. **تلخيص الإبريز في تلخيص باريز**.

عوض، لويس. **العنقاء أو حسن مفتاح**، دار الآداب، بيروت ...

فروخ، عمر. (1984)م. **كلمة في تعليل التاريخ**، دار العلم للملايين, بيروت.

القعيد، يوسف. (2013)م. **محمد حسين هيكل يتذكر ...عبدالناصر والمثقفون والثقافة**، دار الشروق.

المعجم الوسيط. مادة الخطب.

المويلحي، محمد إبراهيم. (2002)م. **حديث عيسى بن هشام أوفترة من الزمن**، تحقيق: روجر ألن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين. (د.ت). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد على حمدالله، دار الفكر بدمشق.

هيكل، محمد حسنين. (1993)م. **أكتوبر 73 ... السلاح والسياسة**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

ونوس، سعد الله. (2000)م. **مغامرة رأس المملوك جابر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة.

المصادر والمراجع الأجنبية

The Art of Editing, Rawond Catver and Daived Foster Wallace, Book by Tiun Groelaned, (2020).
The Craft of Science Writing, Edited by: SiriCarpenter, Madison, whisconsin (Siricarpinter@theopennotbook.com)

وقائع مؤتمرات

"الحوار مع النص/ دورة عبد القادر القط"، **وقائع ملتقى القاهرة الدولي الثاني للنقد الأدبي**، المجلس الأعلى للثقافة في مصر 8-10 مايو2017.

الدوريات

جريدة الأهرام (اليومي) بتاريخ: 2017/2/20م.

خالد أبو بكر: **"قراءة في كتاب: "أكتوبر 73 ... السلاح والسياسة لهيكل"**. جريدة الشروق المصرية، خلال شهر أكتوبر ونوفمبر 2014.

Sources and Arabic References:

Abu Deeb, Kamal. (1987). *FilShi'riyah*, Arab Institute for Research.

Adonis. (2000). *Al-Shi'riyah Al-Arabiyah*, Dar Al-Adab, Beirut.

Al-Hamamssi, Jalal Al-Deen. ()1998. *Min Al-KhabarIla Al-Mawdoo' Al-Sahafi*, Dar Al-Ma'aref, Egypt.

Al-Kha'eed, Yousef. (2013). *Mohammed Hasanein Haikal Yatathakkar… Abdul-Nasser WalMuthaqqafoon WalThaqafah*, Dar Al-Shurooq.

*Al-Mu'jam Al-Waseet:*Maddat Al-Khatb.

Al-Muwaylihi, Mohammed Ibrahim. (2002). *HadeethIssa bin Hisham Aw Fatra Min Alzaman*, Tahqeeq: Roger Allen, Supreme Council of Culture's copy, Cairo.

Al-Tahtawi, Rifa'a Rafi'. *Talkhees Al-Ebreez Fi TalkheesParis (A Paris Profile).*

Al-Tunisi, Bayram. (1985). *MakamatBayram Al-Tunisi*, Madbouli Library, Cairo.

Awad, Louis, Al-Anqaa. (1990). *(The Phoenix*) Al-Hay, a,a Al-Amma, Lellketaab, Egypt.

Farroukh, Omar. (1984). *Kalima Fi Ta'aleel Al-Tareekh*, Dar Al-'Elm Lil Malayeen, Beirut.

Haikal, Mohammed Hassanein. ()1993. *October 73… Al-Silah WalSiyasah*, Al-Ahram Center for Translation and Publishing, Cairo.

Hamdan, Jamal. (1967). *Shakhsiyat Masr*: Dar Al-Hilal, Egypt.

Hussein, Taha. (1977). *Du'a Al-Karawan*, Dar Al-Ma'aref, Egypt.

IbnHisham Al-Ansari, Jamal Al-Deen, *MughanniAlabeeb 'an Kotb Al-A'areeb*, tahqeeq: Mazen Al-Mubarak Wa Mohammed Ali HamdAllah, Dar Al-Fikr, Damascus.

Ruslo, Jan. (1978). *Edgar Allan Poe*, Al-Fadeelah Publishing House, Cairo.

Shoman, Mohammed. (2007). *Al-Khitab Al-'Elami*, OtorNathariyahWaNamathijTatbeeqiyah, Al-Dar Al-Masriyah Al-Lubnaniyah, (Beirut, Cairo).

Wannous, Sa'adAllah. ()2000. *Mughamarat Ra's Al-MamloukJaber*، Maktabat-Al OsraK Egypt.

Non-Arabic Sources and References

The Art of Editing: Raymond Carver and David Foster Wallace, by Tim Groenland, 2020.

The Craft of Science Writing, by Siri Carpenter. (siricarpenter@theopenbook.com) .

Conference Outcomes

Al-Hiwar Ma' Al-N'ss / Dawrit Abdul Qader Al-Haq, Waqa'eMultaqa Al-Kahira Al-Duwali Al-Thani Lil Naqd Al-Adabi (The Outcomes of the Cairo's Second International Conference on Literary Criticism), the Egyptian Supreme Council of Culture 8-10, May 2017.

Periodicals

Al-Ahram Newspaper (daily edition), 02-20-2017.

Khaled Abu Baker: "*Kira'a Fee Kitab: October 73… Al-SilahWalSiyasah Li Haikal*." Al-Shurooq Egyptian Newspaper, October-November 2014.

الانزياح التركيبي في شعر يحيى الغزال الأندلسي

عمر فارس الكفاوين *

تاريخ الاستلام 2021/10/10 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.4 تاريخ القبول 2022/01/05

الملخص

تناولت هذه الدراسة ظاهرة الانزياح التركيبي في شعر يحيى بن حكم الغزال الأندلسي، ورصدت أبرز مظاهر ذلك الانزياح كالتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والالتفات، والاعتراض، وأبرزت دورها في بناء النص على المستويين: الموضوعي والفني، وأظهرت أثرها في إكساب السياقات التعددية الدلالية، والقيم الفنية. وقد اعتمدت منهج الاستقصاء القائم على رصد مظاهر الانزياح التركيبي، وتحليلها موضوعيًا ودلاليًا، متكاملًا مع المنهج الفني الذي ساعد في إبراز جماليات تلك الانزياحات. وخلصت الدراسة إلى أن الانزياح التركيبي مثّل ظاهرة أسلوبية بارزة في شعر الغزال، توسل بها في تمثيل أفكاره ورسم صوره، مما أغنى تجربته الشعرية، وجعلها قابلة للتأويل والتفسير.

الكلمات المفتاحية: شعر الغزال، الانزياح التركيبي، مظاهر الانزياح.

المقدمة

الانزياح ظاهرة أسلوبية، ترتبط بكيفية بناء اللغة في النص، وهي كيفية تعتمد على نظام المخالفة والانحراف عمّا هو مألوف في قوانين النحو وقواعده، وبها يغدو النص الأدبي ذا هوية خاصة، تختلف لغته وبناؤها عن تلك المستخدمة في الكلام العادي أو الخطاب الشائع. ويسهم الانزياح في منح المبدع حرية في التحكم في ترتيب ألفاظه، لتعبر عن معانيه، وهي حرية مسؤولة لا تخالف منطق التعبير بالتراكيب والألفاظ، ولا تؤدي إلى الاختلال، إنما تعتمد على حسن الصياغة، وإدراك مسألة وضع الألفاظ في مواضعها لتتناسب مع الأفكار والرؤى، وهذا يمنح المبدع مساحة تجعله قادراً على التحكم بألفاظه ومستويات لغته لتمثيل معانيه.

وقد تعددت أنواع الانزياح وأشكاله؛ فمنها ما يكون على المستوى الاستبدالي أو الدلالي المرتبط بألوان البلاغة كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، والمفارقة وغيرها، وهو انزياح يمنح النص مرونة في اختيار الرموز والمدلولات، من خلال مخالفتها المعنى الحقيقي الذي وُضع لها في اللغة. ومنها الانزياح التركيبي المرتبط بخروج السياق على قواعد النظم والتركيب كالالتفات، والحذف، والتقديم والتأخير. ومنها الانزياح الصرفي المتعلق بالتحول في الأبنية والصيغ الصرفية، كالتبديل بين الاسم والفعل أو الانتقال من المذكر إلى المؤنث أو العكس وغير ذلك.

وقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على نوع واحد من أنواع الانزياح، هو الانزياح التركيبي في شعر يحيى الغزال، منطلقة من إشكالية مفادها أن الانزياح التركيبي ظاهرة بارزة في شعره، وقد مثّل سمة أسلوبية فيه، فلا بدّ من النظر فيها ودراستها؛ لإبراز أثرها الموضوعي والفني في بناء النصوص عنده. وعليه، فقد هدفت الدراسة إلى رصد مظاهر الانزياح التركيبي في شعر الغزال، وإظهار دورها في بناء نصوصه على المستويين: الموضوعي والفني، وإبراز دلالاتها وإيحاءاتها المرتبطة بتمثيل رؤى الشاعر وأفكاره، فضلًا عن إظهار قيمها الجمالية ووظائفها الإشارية.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

وتكمن أهمية الدراسة وراء كونها دراسة تطبيقية إجرائية على شعر شاعر قديم، ترصد أثر الانزياح التركيبي ودوره في بناء خطابه الشعري، لتؤكد أن الانزياح لم يأتِ اعتباطًا، إنما أدى وظائف عدة، أسهمت في التعبير عن المعاني وتمثيلها، وساعدت في إغناء النصوص دلاليًا، وأضفت عليها الجمال والشاعرية.

وقد اختار الباحث موضوع الدراسة مدفوعًا بعوامل عدة، أهمها: أنه لم يلتفت أحد من الدراسين إلى معالجة ظاهرة الانزياح التركيبي في شعر الغزال، على الرغم من أنها تمثل إحدى أسلوبياته. لذا فقد ارتأى إفراد دراسة مستقلة ترصد مظاهر ذلك الانزياح، وتبرز دوره الموضوعي والفني في بناء سياقاته الشعرية، إضافة إلى إظهار قدرة الشاعر على تكييف اللغة وتراكيبها واستغلالها في التعبير عن رؤاه، وتصوير مشاهده وخيالاته، مما يؤكد امتلاكه تلك القدرة على استيعاب اللغة وقوانينها، والعدول عنها؛ لتتواءم ومقاصده وتعكس تجربته.

وقد بحث الباحث عن دراسة سابقة حول هذا الموضوع فلم يجد؛ إذ تعد هذه الدراسة أول دراسة حول ظاهرة الانزياح التركيبي في شعر الغزال، في الوقت الذي تتوفر فيه بعض الدراسات حول الظاهرة في نصوص القرآن والشعر وغيرها، كدراسة عبدالباسط الزيود (2007): **"من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة "الصقر" لأدونيس"**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول؛ إذ درست مظاهر الانزياح في القصيدة كالتقديم والتأخير، والحذف، والالتفات والفصل. ودراسة أحمد الخرشة (2008): **"أسلوبية الانزياح في النص القرآني"**، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، وقد درست أشكال الانزياح في سور القرآن الكريم على المستوى الدلالي، والتركيبي، والصرفي. ودراسة نزار السعودي (2016): **"دلالة الانزياح التركيبي في أدب ابن زيدون الأندلسي"**، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 12؛ إذ درست أشكال الانزياح في شعر ابن زيدون ودلالاتها كالتقديم والتأخير، والحذف، والاعتراض وغيرها. ولعل هذه الدراسات تمثل غيضًا من فيض؛ إذ إن هناك الكثير غيرها، وتنطوي جميعها على دراسة مظاهر الانزياح في النصوص الدينية والإبداعية، قديمها وحديثها، شعرها ونثرها.

أما شعر الغزال- كما قلنا سابقًا- فلم يأتِ أحد من الدارسين على دراسة ظاهرة الانزياح التركيبي فيه، إلا أن بعضهم قد نظر فيه من خلال دراسة قضايا أخرى، موضوعية وفنية، مثل دراسة محسن إسماعيل محمد (1999): **"الصورة الشعرية في شعر يحيى بن حكم الغزال الأندلسي"**، اتحاد الكتاب العرب، المجلد 19، العدد 75، تناولت أدوات الصورة، وتراكيبها وأنواعها في شعره. ودراسة أسامة اختيار (2011): **"بنية المشهد الحكائي في شعر يحيى بن حكم الغزال"**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العددان 3+4، تناولت الاتجاهات الموضوعية للمشهد الحكائي في شعره كالتعبير عن الذات، وعن المجتمع وقضاياه، وأبرزت الآليات الفنية كالصورة الساخرة، واللغة الشعبية والحوار. ودراسة نايف الحازمي (2020): **"وصف المجتمع في شعر يحيى بن الحكم الغزال"**، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مصر، العدد 24، الجزء 10، تناولت أبرز القضايا المجتمعية في شعره، وكيف وصفها وصورها بطرق عدة كالوصف المشوه، والمجرد، ووصف الأحداث المعنوية. وغيرها من الدراسات.

وانتظمت الدراسة بمقدمة، ومدخل عرّف – باقتضاب - بالغزال وشعره، وبالانزياح، ومفهومه ودلالاته، من ثم تدرج بمطلوبات تمثل مظاهر الانزياح التركيبي في شعر الغزال: التقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والالتفات، والاعتراض، وأبرزت دورها في بناء خطاباته الشعرية، وخلصت بخاتمة تضمنت أبرز نتائجها.

واعتمدت الدراسة المنهج الاستقصائي في رصد مظاهر الانزياح التركيبي، وتحليلها تحليلًا موضوعيًا، لإظهار دورها في تمثيل رؤى النصوص ومعانيها، متكاملًا مع المنهج الفني الذي ساعد في الكشف عن جماليات الانزياح ووظائفه في البناء الفني للنصوص، وإظهار دلالاته وإيحاءاته.

مدخل

يحيى بن حكم الجياني المعروف بالغزال (ت250هـ/ 864م)[1]، أديب أندلسي، عاصر الدولة الأموية في الأندلس (استمرت من 138 هـ/ 755 م إلى 422 هـ/ 1031 م)، وهو من شعرائها، وعلمائها وكبارها، "جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده" (Al-Humaydi, 1966: 374)، وله من الأشعار ما يجعله في مصاف الشعراء البارزين في عصره. يقول ابن دحية : إنه "شاعر ذلك الأوان" (Ibn Dihya, 1955: 133)، ولعله قد علا ذكره، ولمع نجمه في عهد الخليفة (الحكم الربضي (ت206 هـ/ 821 م) الذي امتد حكمه من سنة 180 هـ/ 796 م إلى سنة 206 هـ/ 821 م وما بعدها؛ لأن "أكثر أخباره المسجلة كانت في تلك الفترة"[2].

وقد نظم في أغراض الشعر المعروفة: المدح، والغزل، والهجاء وغيرها، فضلًا عن تصويره الواقع الذي يعيش فيه، وقضايا المجتمع وهموم الناس، وعبّر عن ذلك كله بواقعية ولغة غير متكلفة، ونزعة ساخرة في بعض الأحيان. وجاء أغلب شعره على شكل مقطوعات وقصائد قصيرة، وقد جمع ما تبقى منه وحققه محمد رضوان الداية، وصدر تحت اسم (ديوان يحيى بن حكم الغزال)، عن دار الفكر المعاصر في بيروت، ودار الفكر في دمشق، سنة 1993 م، بواقع (88) صفحة.

أما الانزياح التركيبي، فإنه يمثل أسلوبية في شعر الغزال، اعتمدها لكي تساعده في تمثيل أفكاره وموضوعاته؛ لما فيها من حيوية وحركة تجعلانه قادراً على التعبير، من خلال حركات التغيير في الألفاظ والتراكيب، وما ينتج عنها من سلاسة في بناء النصوص، إضافة إلى منحها نشاطًا وقابلية للتأويل وتعميق الفكر، مما يكسبها شاعرية ناتجة عن تعدد الدلالات ورسم الأخيلة وغيرها.

يعني الانزياح بوجه عام "خروج التعبير على السائد، أو المتعارف عليه قياسًا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيباً" (Al-Yafi, 1959: 92)، ويرى بعضهم أنه يمثل الأسلوب بعمومه. يقول فاليري (Valery): "إن الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما" (Fadl, 1998: 208)[3]، وله دور فاعل في تحقيق الشاعرية في النص؛ إذ إنه يخرق "قانون اللغة في اللحظة الأولى، وما كان لهذا الانزياح ليكون شعرياً لو أنه وقف عند هذا الحد؛ فهو لا يعدّ شعرياً إلا لأنه يعود في لحظة ثانية، لكي يخضع لعملية تصحيح، وليعيد للكلام انسجامه ووظيفته التواصلية" (Cohen, 1986: 6).

وتعددت أشكال الانزياح ومظاهره- كما أسلفنا-؛ فمنها الدلالي أو الاستبدالي، ومنها التركيبي، والصوتي وغيرها، ولعل أبرزها التركيبي؛ لكونه مرتبطًا باللغة التي هي أساس البناء النصي، ويمكن من خلاله إدراك مظاهر الانزياح الأخرى؛ لأن الهدف الأساسي منها جميعًا تحقيق مقصد النص وإيصال رسالته، من ثم إكسابه الشاعرية والجمال.

ويقصد بالانزياح التركيبي خروج الكلام وانحرافه على نظامه ونسقه المألوف؛ فهو "خرق لقوانين اللغة ومعاييرها بعناية فائقة، لتكون القصيدة أو النص بذلك بنية شمولية تتجاذبها ظواهر لغوية عدة" (Lihuluhi, 2011: 76). وعليه فإنه يغدو "حدثًا لغوياً يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي" (Al-Sadd, 2010, P1: 198).

ويرى صلاح فضل أن الانزياح التركيبي متعلق بالانحرافات التركيبية التي "تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية، عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب، مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات" (Fadl, 1998: 211)، وبهذا فإنه يكون متعلقًا بتركيب المادة اللغوية مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه (Wys, 2005: 111)، ويؤدي وظيفة مهمة تتمثل بالإيحائية، من خلال تحفيز مفردات اللغة وتراكيبها، ووضعها في سياقات تفضي إلى تعددية المعنى، عبر إقامة علاقات تركيبية خارجة على المألوف، تحدث لذة جمالية، وتولد المفاجأة في التأويل (Al-Duda, 2009).

إن الناظر في شعر الغزال يدرك أنه امتلك معجمًا لغوياً غنياً، مكّنه من ممارسة الاختيار والانتقاء، والتلاعب بالألفاظ والتراكيب بفاعلية، وهذه سمة المبدع الذي "يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جمالياً، بما يتجاوز إطار المألوف، وبما يجعل التنبؤ الذي سيسلكه أمراً غير ممكن، ومن شأن هذا أن يجعل متلقي الشعر في انتظار دائم لتشكيل جديد" (Wys, 2005: 120)، وتتمثل أبرز مظاهر الانزياح التركيبي في شعر الغزال فيما يأتي:

أولًا: التقديم والتأخير

يتيح التقديم والتأخير سلاسة في ترتيب التراكيب اللغوية، وتمثيلاتها في النص، ويمنح الشاعر أو المبدع حرية غير مقيدة بنمط ترتيبي لعناصر الجملة الأصلية، مع الحفاظ على سلامة القواعد، وعدم اختلالها نحويًا ودلاليًا، إنما يستغل ذلك لامتلاك مساحة أوسع في التعبير والتصوير. وعلى الرغم من أن ظاهرة التقديم والتأخير تمثل "خرقًا لقانون رتبة الوحدات اللغوية، فإن هذا الخرق يتيح علاقات دلالية جديدة، ويجعل المتلقي مشاركًا في بناء النص وتأويله" (Bu Dukha, 2011: 83)، فضلًا عن أنه يسهم في تحريك النص، وإكسابه شاعرية وجمالًا؛ إذ هو "انزياح عن المألوف، وله دوره في شعرية التركيب والخطاب الشعري" (Al-Hussein, 2000: 162).

إن الملمح البارز في شعر الغزال فيما يخص ظاهرة التقديم والتأخير هو جنوحه إلى تقديم الجار والمجرور على بقية أركان الجملة الأصلية، كتقديمه على الفاعل أو على المفعول به أو غيرهما. ومن أمثلة ذلك قوله واصفًا مجلس شراب (Al-Gghazal, 1993: 29) (البحر الطويل):

فقلتُ أنِقنيها فلمًا أذاقَهَا طرحتُ عليهِ رَيْطَتِي ورِدائي[4]

إذ قدم الجار والمجرور (عليه) في الشطر الثاني على المفعول به (ريطتي) بمعنى (ثيابي)، وجعل هذا المتعلق بالمسند إليه بمنزلة فاصل بين الفاعل ومفعوله. ويعود على الساقي ليبرز مكانته وأهميته عند الشاعر؛ فهو ساقي الخمرة الذي أُعجب الشاعر به وبخمرته، فألقى عليه ثيابه استحسانًا لصنيعه، وهو بهذا يؤكد أهميته ومنزلته؛ إذ إنه عند الشاعر أهم من ثيابه على نفاستها، ثم إن هذا التقديم والتأخير المرتبط بشخص الساقي أسهم في رسم أجواء الشراب ومجلسه، حيث غدا ذلك الساقي محركًا لما يجري فيه، وأخذ درجة من الأهمية، وشارك في صنع الحدث؛ فهو الذي يقدم الخمرة ليتذوقها الشاعر، وإن عملية طرح اللباس التي مارسها الشاعر وقعت على الساقي، وعليه، فإنه غدا شخصية ذات منزلة، وهي محور الارتكاز للمعنى الذي يريده الشاعر. وعلى الرغم من أن البيت يدور حول الخمرة ومذاقها، فإنه لا يمكن لها أن تُقدم وتُصنع لولا الساقي. إذن، فهو الأساس في العملية، وهذا يعكس انفعالًا لدى الشاعر مرتبطًا بلحظة معينة؛ إذ هو الذي يحدد مرتكزات المعنى وجوهره، وذلك "حسب الوسط والحالة التي يكون فيها" (Al-Msaddi, 1982: 40). وفي مثل هذه الحال، فإن الشاعر لا بدّ له من التركيز على الخمرة وساقيها؛ لكونه في مجلسها وفي وسط أجوائها.

إن هذا الانفعال لدى الشاعر، الناتج عن مجلس الخمرة ومذاقها هو ما جعله يقدم المتعلق (عليه) المرتبط بساقيها، وبهذا فإنه يحقق وظيفة لهذا الفعل التواصلي اللفظي، تتمثل "في الوظيفة العاطفية أو الانفعالية" (Cohen, 1986: 196) المتعلقة بوجدان الشاعر وانعكاسه من خلال موقفه تجاه ساقي الخمرة، وردة فعله المتمثلة في طرحه ثيابه عليه، وهذا يعكس أيضًا أثر الخمرة في نفسه.

ويقدم الشاعر الجار والمجرور (منّي) على المفعول به في سياق محاولته إظهار صبره وتجلده على فراق أسرته؛ إذ يقول (AL-Ghazal, 1993: 53) (البحر الطويل):

وإنّي وإن أظهرتُ منّي تَجَلّدًا لذو كَبِدٍ حَرّى عَليكِ حَسيرُ

فالمتعلق (منّي) سبق المفعول به (تجلدًا)، والياء في (منّي) ياء المتكلم العائدة على الفاعل في (أظهرتُ)، وهو الشاعر نفسه، حيث أراد أن يكون هو المرتكز في عملية إظهار التجلد الذي ما لبث أن كشف عن بطلانه في شطر البيت الثاني؛ إذ هو تجلد مصطنع، ولعل هذا التقديم يدل على مُصطنع التجلد، فيمثل جوهر المعنى والدلالة، فضلًا عن أنه أساس الصورة المرتسمة في البيت. فالشاعر هو من يحاول التجلد، لكن سرعان ما يكشف الحقيقة، ويجعل كبده محترقة من حرارة الفقد وحسرته، وإن مثل هذا الفعل اللغوي المرتهن بتقديم الجار والمجرور، المرتبط بالشاعر، يخلق أثرًا تحققه اللغة، يتمثل في "توصيل واقعة أو إحداث انفعال" (Cohen, 1986: 196) في نفس الشاعر، ناتج عن عملية الفراق، وهو مرتبط به دون غيره، لذا قرنه بياء المتكلم في (منّي) العائدة عليه والمتعلقة بفعل التجلد، وهو فعل مرهون بمناسبة معينة. وعليه فإن التقديم والتأخير لهما

دور فاعل في تحقيق إيحاءات ودلالات تفضي إلى عمليتي الإيصال والانفعال، إيصال فعل السفر، وما يرافقه من محاولة التجلد، والانفعال المرتبط بالصراع المتأجج في نفس الشاعر بين التجلد وزيفه.

ولا يتوقف الأمر عنده على تقديم الجار والمجرور على المفعول به، بل نجد في بعض سياقاته تقديماً له على الفاعل، كقوله في جارية اسمها (لعوب) (AL-Ghazal, 1993: 34) (البحر الكامل):

لـم أنْـسَ إذْ بَـرَزَتْ إليَّ لعوبُ طـرَبًـا وحيثُ قـميصُها مـقلوبُ

فجَريْت في سَنَنِ الصِّبا شأواً وقـد وزَعَـتْكَ عنـــهُ كَبْرَةٌ ومشيبُ[5]

حيث قدم (إليّ) على الفاعل (لعوب) في الشطر الأول من البيت الأول، كأنه يسعى من خلال ذلك إلى التفرد في عملية قدوم الجارية، حيث برزت إليه وحده، وهي خاصته دون غيره. ثم إن هذا التقديم يظهر أنه متشوق لها؛ إذ مقتضى الترتيب المعنوي يفضي إلى كونه حاضراً قبلها، متشوقاً لرؤيتها، لذا قدم ياء المتكلم المجرورة العائدة عليه على (لعوب) التي برزت له بعد أن كان حاضراً قبلها. ثم إن هذا الترتيب (الياء/ الشاعر- لعوب) يدل على علاقة الإبلاغ، كأن الشاعر يبلغ بحضور الجارية التي ينتظرها، وقد طرب لوجودها وابتهج.

ولكن الشاعر- على الرغم من انتظاره لعوباً وطربه بقدومها- ما لبث أن تراجع عن موقفه في البيت الثاني؛ إذ إن الذي دفعه إلى هذا الفعل ظنه بأنه ما زال شاباً محباً، إلا أنه تذكر أنه غير ذلك، وقد بلغ من العمر ما بلغ. ولكي يردع نفسه عن هذا الفعل، قدم الجار والمجرور (عنه) على الفاعل (كبرة)، وقد سبق ذلك تقديمه المفعول به أيضاً (الكاف) في (وزعتك)، وفي تقديمه (عنه) يركز على الفعل المتمثل في نزوات الصبا؛ فالهاء في (عنه) تعود على ذلك الفعل ومعناه، كأنه يسعى إلى تذكير نفسه بضرورة تركه والابتعاد عنه؛ إذ لا يليق بمن في سنه. وعليه فإن الفاعل (كبرة) الدال على التقدم بالعمر ليس جوهر الموضوع؛ لأنه مرتبط بحياة الناس جميعًا، والمهم الفعل المُمارَس في هذا العمر، المتمثل في ملاقاة الجارية وملاعبتها. ولعل مثل هذا يمنح النص قيمة معنوية، تتمثل في النصح المتعلق بالنهي عن الفعل غير اللائق، وقيمة جمالية ناتجة عن طواعية اللغة التي وفرت للمعنى دلالات تأثيرية، وأبعدته عن السياق الإخباري، وأكسبته سمة التأثير وفاعليته، من خلال التركيز على الفعل الإنساني، فهو الأهم، وليس العمر الزمني، وقد بدا ذلك من خلال تقديم الضمير في (عنه) العائد على الفعل، وتأخير (كبرة) الفاعل المرتبط بالعمر.

ويبرز ملمح آخر في عملية التقديم والتأخير في شعر الغزال، يتمثل في تقديمه المفعول به على الفاعل في بعض سياقاته، كقوله هاجيًا (Al-Ghazal, 1993: 50) (البحر الطويل):

فلن تحملَ الصَّخرَ الذُبابُ ولن ترى السَّـ ــلاحفَ يُزجينَ السَّفينَ المواخرا[6]

حيث قدم المفعول به (الصخر) على الفاعل (الذباب)، وقد رمز بالذباب إلى المهجو، من باب تصغير شأنه وهمته، ثم إنه بدأ البيت بالنفي (نفي حمل الذباب للصخر)، وهو إذ يقدم (الصخر) على (الذباب)، فإنه يحقق بذلك دلالات توحي بالقوة والصلابة للمفعول به، مما يجعله ذا أهمية بالغة، وتتناقص تلك الأهمية بشكل كبير بالنسبة للفاعل (الذباب)، الضعيف الذي يعجز عن حمل الصخر. وعليه فقد قدم القوة على الضعف، كأنه اتبع أسلوباً طباقياً غير مباشر، سعى من خلاله إلى تحقيق الإثارة، عبر ترتيب منطقي قائم على الأولوية؛ فالقوة تسبق الضعف وتغلبه، بل إن (الذباب) من المستحيل أن يحمل الصخر، وبذلك يكون قد تجاوز عملية الإبلاغ للحدث إلى عملية الإثارة المتحققة من الاستحالة الرابطة بين الفاعل ومفعوله، وهي استحالة تدخل المتلقي في عملية التأويل واستنباط المعنى المرتبط بالهجاء، وهو هجاء لاذع يقوم على أساس تصغير المهجو والحط من شأنه، وفي الوقت نفسه تعظيم غيره المتمثل في الصخر، وتُظهر عملية المطابقة غير المباشرة بين عنصري الجملة مفارقة تختزل إيحاء، يرتبط بعلاقة النفي، نفي الحدث الذي لا يمكن للفاعل القيام به.

ويقدم المفعول به على الفاعل في سياق تصويره المنايا؛ إذ يقول (Al-Ghazal, 1993: 53) (البحر الطويل):

رأيتُ المنايا يدركُ العُصْمَ عَدْوُها فَيُنْزِلُها والطَّيْرُ منهُ تَطيرُ[7]

لقد استهل البيت برؤيتة المعنوية للمنايا، فأراد أن يبين حالها بجملة فعلية، فعلها مضارع دال على الاستمرارية، استمرارية الموت، لكنه لم يلتزم بترتيب عناصر تلك الجملة وفق الأصل القواعدي، إنما انحرف في صياغتها، فقدم مفعولها (العصم) على فاعلها (عدوها)، ولعله أراد من هذا تأكيد المعنى الذي يسعى إليه، المتعلق بالمنايا وسرعتها وحتميتها، والمفعول به يعني نوعًا من الحيوان أو الظباء السريعة، أما الفاعل، فيعني السرعة الفائقة، وهي سرعة (سرعة الموت) تدرك ذلك الحيوان؛ إذ هو من يقع عليه الحدث، لذا فإنه مرتكز الأمر وجوهره؛ لكونه ميتًا لا محالة، والفاعل هو الذي يمارس ذلك الحدث، وسيبقى فاعلًا، لن يموت.

إن مثل هذا الانزياح يؤكد سيرورة التحول في العلاقة بين الفاعل والمفعول به؛ إذ يكون فعل العدو والسرعة صفة إيجابية للحيوان، تساعده في الفرار ممن يهدده، أو الانقضاض على غيره، إلا أن هذه الصفة سرعان ما تتحول إلى دلالة سلبية، حيث يتحول العدو إلى سبب في الموت. وبهذا فإن تقديم المفعول به يوحي بانتهائه وموته أولًا، في حين أن تأخير الفاعل يوحي ببقائه؛ إذ هو مرتبط بفعل لا يموت، ويبقى مستمرًا مع الإنسان والحيوان اللذين يفنيان، ويظل (العدو) باقيًا مع غيرهم إلى أن يموتوا أيضًا.

وينفي الغزال إيثاره حياة اللهو ونزوعه إليها، قائلًا (Al-Ghazal, 1993: 57) (البحر الطويل):

ولا أنا ممّن يؤثرُ اللهوَ قلبُــه فأُمسي في سُكرٍ وأُصبحُ في سُكْرِ

فيقدم المفعول به (اللهو) على الفاعل (قلبه)، من باب تأكيد الابتعاد عن اللهو ونفيه عنه؛ فاللهو عادة فاسدة، والشاعر أراد بتقديمها على الفاعل أن يثبت أهمية تركها، وأن يلفت الانتباه إلى ذلك؛ لكون الناس كلهم يمتلكون قلوبًا، لذا أخّر الفاعل (قلبه) لعموميته، وقدم (اللهو) لخصوصيته؛ إذ تميل قلوب بعض الناس إليه، وهو صفة سلبية، تأكيد تركها مهم، بل إنه أهم من القلوب التي تنقسم في نوازعها بين اللهو وغيره. ثم إن تقديم (اللهو) يؤكد عملية التشديد عليه ونبذه؛ لأن هذا التقديم متعلق بما يسمى "التشديد في لغة الشعر، المرتبط بإشاراتها وإيحاءاتها، ولفت النظر إليها" (Wellek and Warren, 1992)، وهذا التشديد يتمثل في كثير من الأحيان في دلالة اللفظ المتقدم الذي تكون له الصدارة، أما المتأخر، فتقل أهمية دلالته عن دلالة ما سبقه.

ونجد الغزال يقدم ويؤخر في عناصر الجملة الاسمية، فيقدم الخبر ويؤخر المبتدأ، ومن ذلك قوله ساخرًا من امرأة (Al-Ghazal, 1993: 42) (البحر البسيط):

لها حُروفُ نَواتٍ فــي جوانبِها كقسمةِ الأرضِ حِيزَتْ بالتُخوماتِ[8]

حيث جاء الخبر، الجار والمجرور (لها) متقدمًا على المبتدأ النكرة (حروف)، وبهذا يراعي القاعدة النحوية المتعلقة بالتقديم والتأخير، لكن تقديم الخبر المكون من (اللام) التي تفيد الملكية والتخصيص، وضمير الغائب (ها) العائد على المرأة، له دلالات إيحائية مرتبطة برغبة الشاعر في تخصيص الصفة الشكلية المكروهة في المرأة، المتمثلة في بروز (خواصرها) وضخامتها. ولأنه يسعى إلى السخرية منها، فقد قدم هذا التخصيص ليؤكد صفتها القبيحة- على حد رأيه-، وأنها هي صاحبتها، مما يوحي بأنها امرأة واحدة، وأن غيرها الكثير من النساء لا يمتلكن تلك الصفة التي يكرهها الشاعر في جسد المرأة. وبهذا فإنه ينأى بلغته ودلالاتها عن التعميم الذي قد يؤثر في المعنى الشعري ويربكه، بل إن تخصيصه امرأة واحدة يكسب خطابه "رقيًا تعبيريًا قادرًا على شد المتلقي والتأثير فيه" (Khitabi, 1991: 95)، ولا سيما أنه لا يذم النساء جميعًا، إنما واحدة منهن، مما يخلصه من سهام النقد المتعلقة بشمول كل النساء بسخريته؛ إذ لا يسخر منهن جميعًا، بل من إحداهن، وهذا أمر فيه شيء من الواقعية والذاتية.

ويجنح الغزال إلى تقديم الخبر على المبتدأ في الجمل الاسمية المنسوخة بأحد الأفعال الناسخة أو حروفها، كقوله في وصف بعض الفقهاء واتهامهم بالاستغلال وخيانة الأمانة (Al-Ghazal, 1993: 77) (البحر الخفيف):

إنَّ للقومِ مَضْرِبًا غابَ عَنَّــا لم يُصِبْ قَصْدَ وَجْهِهِ الرّاكبونا

وكما قلنا سابقًا، فإنه يراعي القاعدة النحوية في تقديم خبر (إن)، وهو شبه الجملة من الجار والمجرور (للقوم)، وتأخير اسمها النكرة (مضربًا)، إلا أن تقديم شبه الجملة في اللغة الشعرية يؤدي أغراضًا دلالية ترتبط بالمعنى والصورة؛ لأن الشاعر يريد إلقاء الضوء على (القوم) الذين خصصهم بواسطة (اللام)، وقصد بهم بعض الفقهاء؛ فهم الذين يتصفون بالاستغلال والخيانة؛ لذا قدمهم وأراد أن يجعلهم جوهر المعنى، ورمز بكلمة (مضرب) التي يمتلكونها إلى الطرق الملتوية التي يتبعونها لكسب الرزق، فأخّر هذه الصفة؛ لأنها ليست ذات قيمة دون القوم؛ فهم من يمارسونها، وهي صفة موجودة في كل زمان ومكان، ولكن لا أهمية لها إذا لم يكن هناك من يقوم بها. فالقائم إذن هو المركز، ولولاه لما حدث فعل الظلم، وهذا التقديم يؤكد قيمة مهمة أشار إليها بعض العلماء، تتمثل في وظيفة "المرجع والإيحاء" (Umberto Eco, 1987: 86- 87)[9]؛ إذ يرتكز المعنى على مرجعه، المتمثل في القوم المتقدمين على صفتهم أو ممارساتهم، وإن الإيحاء متعلق أيضًا بهذا المرجع، وهو إيحاء يحمل دلالة سلبية له؛ لكونه يقوم بأعمال فاسدة ظالمة من أجل حصوله على المال، كأنه يعقد مقارنة بين الفقهاء وعامة الناس؛ فعامة الناس يسافرون ويخاطرون من أجل الرزق، وقد لا يحصلون عليه، بينما الفقهاء مستقرون في أماكنهم، ورزقهم وفير، فمن أين يحصلون عليه؟ وكيف؟ إنه يتهمهم بخيانة الأمانة التي كُلفوا بها، وفي هذا هجاء مغلف بالسخرية؛ إذ إنهم يعرفون طرقًا في تحصيل الرزق لا يعرفها الناس الذين يقطعون البر والبحر طلبًا له (الراكبون)، والقوم (الفقهاء) ها هنا قاعدون.

على أي حال، فقد استثمر الغزال ظاهرة التقديم والتأخير في تراكيبه اللغوية ضمن سياقاته الشعرية المتنوعة، وقد مثّل ذلك انزياحًا تركيبيًا حقق دلالات وإشارات كثيرة، ساعدت في تمثيل رؤى النصوص وأفكارها، وأسهمت في إضفاء سمات شاعرية عليها، ترتبط بقابليتها التأويل، وجعلها نصوصًا نشطة، نتيجة تلك الطاقات التأثيرية والانفعالية المتولدة من الانزياحات، وما أدته من وظائف جمالية وتعبيرية، أسهمت في إكمال المعاني وتتميمها، ولفت الانتباه إليها، ورسم الصور المرتبطة بها، دون اللجوء إلى التكلف والتعقيد.

ثانيًا: الحذف

يعدّ الحذف مظهرًا من مظاهر الانزياح التركيبي، ويكون بـ"إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل" (Al-Zarkashiu, n.d., p3: 102). وقد استحسنه النقاد القدماء والمحدثون؛ فهو "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن" (Abdul Qaher Al-Jurjani, 1984: 146)، ويحقق عنصر المفاجأة لدى المتلقي، ويستثيره نحو استحضار النص الغائب، فضلًا عن أنه يغني النص دلاليًا عن طريق الإخفاء، وانفتاحية الخطاب، دون التحديد الذي يغلق النص على نفسه، ولا يجعل المتلقي مشاركًا في إنتاج النص ودلالاته (Al-Zayoud, 2007: 171- 172)، إضافة إلى دوره في "بعث الفكر، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه؛ ليقع السامع على مراد الكلام، ويستنبط معناه من القرائن والأحوال، وكلما كان الكلام أقدر على تنشيط هذه القدرات، كان أدخل في القلب، وأمس بسرائر النفس المشغوفة دائمًا بالأشياء التي تومض ولا تتجلى" (Abu Musa, 1996:160).

ويضفي الحذف جماليات على النص، من خلال إفادته "التفخيم والإعظام؛ لما فيه من الإيهام" (Al-Zarkashiu, n.d., p3: 104)، الذي يشحذ الذهن، ويشوقه لمعرفة المحذوف وإدراك أهميته، مما يسهم في إضفاء "سمات الجمال على الخطاب، المتعلقة بالإمتاع" (Khitabi, 1991: 95). ولعله يأتي في الشعر نتيجة عوامل عدة، أبرزها استقامة الوزن والإيقاع؛ لأن الشعر العمودي مقيد بأوزان، ومقاطع وتفعيلات، تجبر الشاعر في بعض الأحيان على اللجوء إلى الحذف؛ حتى يستقيم شعره، ولا يخرج على الوزن العروضي، ولكن هذا الأمر يتطلب قدرة على تكييف شعره، وجعل المحذوف قابلًا للتقدير، بحيث يستطيع المتلقي تأويله، وربطه بالسياق، فضلًا عن أن الحذف يتيح للشاعر التعبير عمّا في نفسه، دون الاسترسال في الكلمات، ويمنح المتلقي إمكانية إدراك ذلك المحذوف، وربطه بمقاصد النص، وهذا يساعد في جعل النص ذا جاذبية وحركية تنشط ذهن القارئ؛ ليتفكر في معرفة المحذوف، وأسراره ودلالاته.

وتتعدد مظاهر الحذف في شعر الغزال، فأحيانًا يحذف المبتدأ، وأخرى يحذف الخبر أو الفاعل وغيره، وحذف المبتدأ هو أكثر تلك المظاهر في شعره. ويرى بعض البلاغيين "أن من أسباب حذف المبتدأ الاختصار، أو لاختبار تنبه السامع عند القرينة، أو صون المسند إليه من أن يذكر باللسان؛ لجلالة قدره أو لتحقيره بعدم ذكر اسمه، أو للإنكار؛ لأن الخبر لا يصلح له إلا حقيقة أو ادّعاء" (Al-Sidi, n.d., p1: 74- 75). ومن أمثلته قول الغزال متغزلًا (Al-Ghazal, 1993: 41) (البحر السريع):

فارعةُ الجسمِ هَضيمُ الحَشا كالمُهرةِ الضّامرِ لم تُركبِ

إذ حذف المبتدأ (المسند إليه)، والتقدير (هي فارعة الجسم)، أو تقديره بالإشارة (هذه) أو بذكر اسم المحبوبة، لكنه انزاح عن ذكر المبتدأ بالحذف، ربما لأنه لا يريد التصريح باسم المحبوبة ذات الهيئة الحسنة، التي تمتلك صفات الحسن والجمال؛ لكي يخفيها عن الناس، ولا يعرفوها، فيتفرد بها وحده، إضافة إلى أن هذا الحذف يوحي بمنزلتها عنده وجلالة قدرها، لذا فقد صان اسمها من أن يذكر بلسان غيره. وفي هذا الحذف تحريك لذهن المتلقي؛ إذ ينشغل في التفكير لمعرفة تلك المرأة الموصوفة بالجمال المعنوي والمادي، ويؤدي هذا إلى "إمتاع فني؛ لما نشأ عن الحذف من فجوات دلالية، تعرف في النقد الحداثي بالمسكوت عنه من القول الذي يتولى المتلقي ملأه؛ إذ إنه يتيح بذلك عنصرًا مهمًّا في بناء القراءة، باعتبارها إبداعًا إضافيًّا، حيث يُدمج المتلقي بطريقة إسقاطية"[10].

ولا يكون حذف المبتدأ عنده لتعظيم منزلته وحسب، بل نجده في سياقات أخرى يحذفه لتحقيره وذمه، كأنه غير صالح لأن يُذكر اسمه. ومن أمثلة ذلك قوله ذامًا إحدى النساء (Al-Ghazal, 1993: 42) (البحر البسيط):

جَرداءُ صلعاءُ لم يُبقِ الزّمانُ لها إلا لسانًا مُلِحًّا بالمَلمــاتِ

حيث يتشكل الخطاب في البيت مجرداً من ذكر المبتدأ الذي قد يقدر بالضمير (هي) أو باسم تلك المرأة المذمومة، التي أخفى اسمها ربما لأنها معروفة عند الناس، ولا حاجة للتصريح به، وأنها معروفة من خلال صفاتها التي أوردها، وهي صفات تعكس شكلها وحالها، رسمها بسخرية تثير الضحك؛ إذ أسبغ عليها صفات شكلية، تتمثل في قبح وجهها وشعرها، وصفات معنوية، تتمثل في كثرة كلامها وثرثرتها ولومها. ولعل مثل هذه الصفات تحفز الحدس عند المتلقي لمعرفة الموصوفة، أو ربطها بكل امرأة تشابهها، وهذا الحدس ليس يقينيًّا، إنما هو "طريقة للمعرفة التخييلية التي توفر قدرة فائقة على توليد الصورة" (Sumud, 1988: 110)، أو تقريبها إلى الذهن، وعليه يمكن للمتلقي معرفتها أو قياسها على الأشباه من جنسها.

ويحذف الغزال المبتدأ في أثناء مدحه أحد الرجال؛ إذ يقول (Al-Ghazal, 1993: 74) (البحر البسيط):

نجمٌ من الحُسن ما يجري به فَلَكُ كأنّه الدّرُّ والياقوتُ في النَّظمِ

فقد جرّد خطابه من المبتدأ (هو) أو اسم الممدوح أو الإشارة إليه (هذا)، مما يوحي بدلالات أهمها أن الممدوح معروف لدى الناس، لا يحتاج مع هذه المعرفة أن يُذكر أو يشار إليه؛ فهو كالنجم في السماء، لا يجهله أحد، ولكونه جعل الخبر (نجم) فإن هذا يعطي المحذوف (المبتدأ) هيبة وحضوراً لدى المتلقي، تتأكد له عندما يكمل الخطاب الذي يجعل منه دُرًّا وياقوتًا، مما يمنحه سمة الكمال والبهاء. ومثل هذا الحذف يسهم في جعل المتلقي مشاركًا في النص، من خلال التأويل والتقدير، استناداً إلى معرفته الخلفية، مما يساعد "بشكل فعال في بناء علاقة بين المتلقي والنص، وبالتالي يجعله يشعر بإمكان الفهم والتأويل" (Khitabi, 1991: 326)، فيكتسب النص شاعريته على مستوى الوظيفة (Al-Duda, 2009: 314)، من خلال إشراك المتلقي في تقدير المحذوف وتأويله، وشحذ ذهنه لإدراكه، مما يجعله منجذبًا نحو النص، مدركًا دلالاته وإشاراته.

ويلجأ الشاعر في سياق آخر إلى حذف الخبر، حيث يقول (Al-Ghazal, 1993: 58) (البحر الطويل):

ففيها شَرابي إن عطشتُ وكُلّ ما يريدُ عِيالي للعَجينِ وللقِدْرِ

إنه يرسم صورة لداره، ويستهل البيت بشبه الجملة المكونة من حرف الجر (في) مضافًا إليه الضمير (ها) العائد على الدار، وهي خبر مقدم للمبتدأ المؤخر (شرابي)، ثم يعطفها على (وكل ...)، فيحذف الخبر المقدم شبه الجملة (فيها)؛ لأن القرينة تقتضي أن يكون التقدير (وفيها كل ما ...)، وهذا الحذف جاء للاختصار، واستقامة الوزن؛ إذ لا ضرورة لذكر الخبر وتكراره، لكونه معروفًا لدليل سبقه. ثم إنه أراد التركيز على المبتدأ، المتعلق بموجودات الدار من الطعام والغذاء؛ إذ يتحقق من خلالها الأمن لساكنيها، والمهم عنده توفير ذلك الطعام والشراب، وإلا فإن فائدة الدار تتناقص من دونهما؛ لأنهما سبب استمرارية العيش والبقاء. ومثل هذا الحذف يعدّ نمطيًا، ويسهل على المتلقي تأويله؛ لكونه مسبوقًا بقرينة ترشد إليه، ويحقق مبدأ التواصلية، من خلال اكتشاف المتلقي للمحذوف ومعناه بكل يسر، مما يجعل اللغة الشعرية منسجمة بالرغم من وجود الانزياح فيها.

ويأتي مثل هذا الحذف النمطي المسبوق بالقرينة الدالة عليه في قول الغزال (Al-Ghazal, 1993: 66) (البحر الكامل):

فإذا نزلتَ فإنَّ غيرَكَ نازلٌ ذاكَ المكانَ وفاعلٌ ما تفعلُ

إذ يتشكل سياق الخطاب في آخر البيت من خلال حذف (إنّ) واسمها، والتقدير (وإنّ غيرك فاعل)؛ لأن القرينة في الشطر الأول (فإنّ غيرك نازل) متعلقة بالعطف في آخر البيت. وعليه فإن الانزياح بالحذف ينأى عن الغموض؛ لتوفر ما يدل عليه في الخطاب، وهذه وظيفة مهمة في اللغة الشعرية، ترتبط بقابلية الفهم؛ لأن الشاعر إنما يستعمل اللغة وانزياحاتها "لأنه يريد التواصل، أي يريد أن يفهم المتلقي، ولكن بطريقة ما" (Cohen, 1986: 95)، منها الانزياح التركيبي بالحذف وغيره، الذي يحرك ذهن المتلقي، ويجعله قادرًا على الفهم.

ويستثمر الشاعر الحذف في سياقات جمله الفعلية، فيحذف الفاعل، اعتمادًا على ما ذكر قبله، كقوله (Al-Ghazal, 1993: 43) (البحر الوافر):

ومــن إنعامِ خالقِنَا علينَا بأنَّ ذُنوبَنَا ليستْ تَفوحُ

فلو فاحتْ لأصبحْنَا هُروبًا فُرادى بالفَلا ما نستريحُ

إذ جاءت الجملة الفعلية (فاحت) في الشطر الأول من البيت الثاني محذوفة الفاعل الذي يمكن تأويله، اعتمادًا على ما سبقه في سياق الشطر الثاني من البيت الأول (بأن ذنوبنا ليست تفوح)؛ فالمقصود بـ(فاحت) هي الذنوب، ويكون التقدير (فاحت ذنوبنا)، وقد استغنى الشاعر عن ذكره ليبتعد عن التكرار الذي قد يضر بالمعنى والوزن؛ لأنه تكرار غير مجدٍ، لكون المتلقي يستطيع تأويل الفاعل بسهولة، معتمدًا على الدليل الذي سبقه في الكلام، وهذا ساعد في انسجام لغة الخطاب الشعري مع معناها؛ إذ لم يجعل النص فيه فجوة غامضة، لا يمكن تأويلها، إنما جاء متسقًا مع ما سبقه، ويؤدي الوظيفة نفسها، وبالتالي يسهل على المتلقي اكتشافه ومعرفة مكنونه وإيحائه. وهذا ما أكده بعض النقاد؛ إذ يشترطون في الانزياح "عدم المبالغة، بما يضمن للمتلقي قابلية فهم الرسالة الأدبية" (Al-Duda, 2009: 317)[11] التي يقدمها النص.

لقد اتخذ الغزال من الحذف وسيلة ساعدته في التعبير عن معانيه ورؤاه، ورسم صوره وانعكاس انفعالاته، من خلال لغة شعرية انزياحية، نأى بها عن التعقيد، والغموض واللبس، وقد ساعدته أيضًا في استقامة أوزانه الشعرية، والتعبير عن أفكاره بإيجاز، وتكثيف معانيه وتركيزها، فضلًا عن دورها في تأكيد منزلة المحذوف وتبجيله أو تحقيره، مع إسناد مهمة التأويل إلى المتلقي الذي غدا مشاركًا في بناء النص، المؤدي إلى فهمه، وكانت السمة الغالبة على حذفه هي سهولة تأويله وارتباطه بالقرائن والأدلة التي تسبقه في الخطاب، مما جعله خطابًا منسجمًا، بعيدًا عن الفجوات والانقطاع الذي قد يسببه الحذف.

ثالثًا: التكرار

يعدّ التكرار انزياحًا تركيبيًا يرتكز على تكرار التراكيب أو الألفاظ والصيغ في السياقات المتعاقبة؛ بهدف تأكيد المعاني، وتقويمها وتثبيتها في الأذهان، إضافة إلى كونه "انزياحًا إيقاعيًا داخليًا، يظهر أثره في اللفظ المكرر في البيت، وما يحدثه من أثر عند المتلقي الذي يبحث عن فائدة المكرر، وتأثيره في القصيدة الشعرية" (Al-Sabt, 2018: 87)، ويساعد في "تعزيز

محاكاة الحدث الذي يتناوله النص" (Al-Hussein, 2000: 127)، و"تقوية النغم، وإفادة تقويم المعاني الصورية أو تقوية المعاني التفصيلية" (Hilal, 1980: 239). ومن نماذجه في شعر الغزال قوله متغزلًا بفتاة اسمها (تُودُ) (Al-Ghazal, 1993: 31) (البحر السريع):

يا تُودُ يا رُودَ الشّبابِ التي تُطلِعُ من أزرارِهَا الكَوكبا[12]

يا بأبي الشّخصُ الذي لا أرى أحْلَى على قلبي ولا أَعْذَبا

حيث كرر أداة النداء (يا) ثلاث مرات، متوسلًا بها لنداء حبيبته القريبة إلى وجدانه ونفسه، مصرحًا باسمها في المرة الأولى (يا تود)، من ثم مناديًا على إحدى صفاتها (يا رود)، بمعنى الحسنة الناعمة، ثم مناداتها ثالثًا دون التصريح باسمها، إنما أعقبها بما يفيد القسم بأنها أحلى الفتيات وأعذبها، وأقربها إلى قلبه.

إن هذا الانزياح القائم على التكرار يثير ذهن المتلقي ليتفكر في تلك الفتاة (المنادى)، وإدراك جمالها وأثره في نفس الشاعر، فضلًا عن دوره في تأكيد ذلك الجمال، ولهفة الشاعر إليها؛ إذ يكرر مناداتها، ويرغب في وصف حسنها، حتى يدرك المتلقي أنه غير ملوم على حبها. ثم إن تكرار (يا) فيه إيقاع خاص مكتسب من ذلك المد والتمطيط الناتجين عن (الألف) فيها، حيث يؤدي إلى طول نطقها، وسعة أفقها، مما يكسب السياق جرسًا طويلًا، يؤدي إلى رسوخ المعنى المقصود منه وتثبيته.

ويكرر الغزال صيغ الأفعال في مقطوعة قالها في وصف الكبر والهرم (Al-Ghazal, 1993: 48) (مشطور الرجز):

وصِرْتُ لا أنهضُ إلا بعــد شَرْ

لو ضامني مَنْ ضامني لم أنْتَصِرْ

فانظُرْ إلـيَّ واعتبِرْ ثــمّ اعتبِرْ

إذ كرر الفعل الماضي (ضامني) مرتين، وفعل الأمر (اعتبر) مرتين أيضًا. وقد جاء هذا التكرار لتصوير حالته، وقد بلغ من العمر ما بلغ، وأصبح عاجزًا عن رد من يضيمه ويظلمه، وفي تكرار فعل (الضيم) دلالة على ذلك العجز، وعدم الاستطاعة التي سببها كبر العمر والضعف، لذا فعلى الإنسان أن يعتبر ولا يغتر بشبابه وقوته. ولكي يؤكد هذا المعنى (الاعتبار) كرر الفعل (اعتبر) مرتين بلغة أمرية تفيد النصح، بأن يُنظر إليه، وقد أصبح هرمًا عاجزًا بعد القوة، فيعتبر من يراه بما حل به. ولعل مثل هذا التكرار يوحي بعظم الأمر واشتداده؛ إذ بعد الشباب والقوة ناله الكبر والعجز، وفي هذا عبرة لمن يعتبر.

ويوجه الشاعر رسالة إلى مدينة قرطبة التي أحبها، وجعلها كفتاة تغزل بها. يقول (Al-Ghazal, 1993: 55) (البحر الطويل):

وعـانقتُ غصنًا فيـهِ رُمّانُ فِضّةٍ وقَبّلْتُ ثَـغرًا ريقُهُ ريـقُ سُكّرِ

أأنْسَى؟ ولا أنســى عناقكِ خـالِيًا وضَمّــي ونُقلـي نظمُ دُرٍّ وجوهرِ[13]

فواحَزَني أنْ فَـرّقَ الـدّهرُ بيننا وكـدّرَ وصـلًا مـنكِ غيرَ مُكَدّرِ

سـلامٌ سـلامٌ ألـفَ ألـفِ مكـرّر ويـا حامـلًا عنّـي الرّسـالةَ كـرّرِ

لقد توسل بالتكرار اللفظي في كل بيت من الأبيات، فكرر (ريق) مرتين في البيت الأول؛ ليؤكد جمال قرطبة التي صورها فتاة قبّلها، وكان طعم ريقها كالسكر، وهذا يعكس حبه الكبير لتلك المدينة. وتكرار (ريق) يسهم في رسم المعنى التصويري، ويقربه إلى الأذهان. أما البيت الثاني، فقد كرر فيه الفعل المضارع (أنسى) مرتين، الأول جاء مثبتًا مقترنًا بهمزة الاستفهام الإنكاري التعجبي، الذي ينفي نسيانه قرطبة، ويؤكد استمرارية حبه لها، والثاني جاء منفيًا، يحمل الدلالة نفسها (نفي النسيان). وقد أسهم هذا التكرار أيضًا في رسم المشهد التصويري القائم على أساس جعل المدينة فتاة يعانقها الشاعر. أما البيت الثالث، فقد أتى فيه بالفعل الماضي (كدر)، متعالقًا مع صيغة (مكدر) التي اشتقها منه؛ ليؤكد حزنه وكدره على فراق قرطبة، ورسمه

صورة الدهر الذي هو سبب هذا الكدر وذلك الفراق. أما البيت الأخير، فقد بنى معناه وصورته على تكرار (سلام) مرتين، تتبعهما كلمة (ألف) مكررة مرتين أيضًا، وفي تكراره (سلام) تأكيد لدلالة المحبة والمودة بينه وبين قرطبة، إضافة إلى ما تحمله هذه الكلمة من قداسة؛ إذ هي مرتبطة بتحية الإسلام، ثم إنها تفيد الدعاء للمدينة بأن يعمها السلام، ولتأكيد هذه المعاني لجأ إلى اتباعها بتكرار كلمة (ألف)؛ ليتسع نطاق الدلالة، ويتعمق في نفس المتلقي، بأن الشاعر مغروم بقرطبة، وأن حبه ودعاءه لها كبير، لا يمكن إحصاؤه.

لقد أكسبت هذه التكرارات اللوحة الشعرية إيقاعًا داخليًا متجانسًا ومنسجمًا مع أفكارها ورؤاها، ومنحها قابلية للترنم والطرب، الناتجين عن التوازي النسبي بين التراكيب المكررة، وما جاورها في السياقات، وهو توازٍ إيقاعي يتيح للمتلقي نوعًا من السلاسة في القراءة، والتلحين الجرسي، والنغم الشجي الذي يطرب الأذن والنفس، فيجعلها تواقة ومنجذبة نحوه، تستبطن دلالات التكرار وإيحاءاته وغاياته.

ويمكن القول إن هذا التكرار يمثل انزياحًا صوتيًا وتركيبيًا ودلاليًا، يعكس قيمة فنية، تتمثل فيما يحمل من إيحاء وإشارة إلى تلك الحرية التي تُمنح للشاعر من مواضعات اللغة وقوانينها ومرونتها، الأمر الذي يسهم في "إثارة انتباه القارئ وجهده، والابتعاد عن القراءة العجلى، وتعطيل قدرته على الاستنتاج لديه بإقصاء التوقع الذي يسطح القراءة" (Sumud, 1988: 137 -143)؛ إذ يجعله التكرار يتوقف عند السياق ويكرر التراكيب، فيحاول استنباط ما وراءها، والرسالة التي تقدمها.

ويكرر الغزال النفي بـ(لا) في مقام وعظه المتكبرين، وتذكيرهم بالموت والقبر (Al-Ghazal, 1993: 61) (البحر الوافر):

ولا عَرفُوا العبيدَ مـن الموالي ولا عرفوا الإناثَ من الذُكورِ

ولا مَنْ كانَ يلبسُ ثوبَ صوفٍ مـن البَدَنِ المباشرِ للحَريرِ

إنه يوجه خطابه إلى أولئك المغترين بالدنيا، ويذكرهم بالقبور وأهلها التي لا تعرف غنيًا ولا فقيرًا، بل إن سكانها سواء. وقد توسل بالتكرار القائم على نفي المعرفة عن أهل القبور، فكرر التركيب المنفي (لا عرفوا) مرتين، وصرح بالفعل (عرفوا) مرتين، وحذفه في الثالثة لسهولة تقديره لوجود دليل سبقه. وقد أسهم هذا التكرار في تمثيل المعاني التي أراد الشاعر تأكيدها في نفوس الأحياء والاتعاظ بها؛ إذ إن الناس في القبور سواسية، فلا يُميز بين عبد أو سيد، أو ذكر أو أنثى، أو غني أو فقير، أو بين من يلبس الصوف أو الحرير. ومثل هذا التكرار جاء تعبيريًا لتمثيل الفكرة القائمة على العبرة، ورسم الصورة التي يكون عليها ساكنو القبور، فضلًا عن استبطانها صفة التكبر والخيلاء عند بعض الأحياء؛ فالعبرة والعظة موجهتان لهم، وليست للأموات الذين فارقوا الدنيا.

وهذا التكرار المرتبط بدلالة تقديم النصح للحي، من خلال رسم صورة القبور، يمثل انزياحًا تركيبيًا يثير الاستنفار والانتباه لدى المتلقي، فيتولد لديه الإحساس والشعور بما ينتظره، مما يجعل الانزياح التكراري له "وقع عميق في نفس المتلقي، وخلخلة ذهنه" (Al-Msaddi, 1982: 86- 87)، وإكسابه حصيلة معرفية عمّا سيجري في ذلك المصير الحتمي.

لقد استعان الغزال بالتكرار، وجعله أداة تعينه في تمثيل معانيه وأفكاره، ورسم مشاهده التصويرية، فضلًا عن دوره الإيقاعي، المرتبط بالمعاني والدلالات أيضًا. وقد ساعده ذلك التكرار في تحقيق نوع من الانسجام في السياقات الشعرية على مستويات عدة، سواء التركيبية أو الصوتية أو الدلالية أو غيرها، مما أكسب النصوص قوة فاعلة في تحريك المتلقي، وشحذ ذهنه لمعرفة كنه تلك التكرارات، وما يختبئ وراءها، إضافة إلى تحقيقه وظيفة جمالية، تتمثل في الاتصال الحميمي بين المكررات وجاراتها من الألفاظ والتراكيب، مما ساعد في توثيق الترابط بينها، المؤدي إلى التجانس اللفظي والمعنوي والإيقاعي.

رابعًا: الالتفات

الالتفات ضرب من ضروب البلاغة وأساليبها، وظاهرة من ظواهر الانزياح التركيبي واللغوي؛ لكونه يقوم على أساس الانحراف، وانتهاك الصياغة المألوفة في استعمال اللغة، ويرتبط بالتنقل بين الضمائر والصيغ، وعدم الالتزام بنمط واحد أو صيغة واحدة، كأن يُنتقل من "الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة" (Ibn Al-Atheer, 1955L: 98)، ومن الغيبة إلى

التكلم وهكذا، أو الانتقال بصيغ الأفعال، "من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك" (Ibn Al-Atheer, 1939, p2: 13,18).

ويسهم الالتفات في إغناء النص دلاليًا وجماليًا؛ لكونه "ظاهرة لغوية أسلوبية، تتحكم بمعايير الكلام، فيبتدع فيها، ويخترق المدلولات عن طريق تغيير مواقع الدوال وتبديلها" (Abdullah, 2010: 76- 77)، وهو حيلة من حيل جذب اهتمام المتلقي وتشويقه؛ لأن ما يحدث فيه من انحراف للنسق أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة إلى صيغة، ليس انتقالاً استطراديًا مثلًا، وليس تعليقًا طريفًا على ما قيل أو ما حدث، وليس استشهادًا بطرفة أو ملحة، أو ما شابه ذلك من وسائل تطرية نفس المتلقي والترويح عنه، إنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء، لا يلفت المتلقي إليه أو إلى البحث عنه إلا إدراكه للتغير الحادث في النسق اللغوي للخطاب، وقلما ينتبه القارئ إلى هذا التغير، ودون ذلك الإدراك يظل ذلك المعنى مختفيًا وغائبًا (Izz Aldin, 1990)[14].

لقد لجأ الغزال في بعض سياقاته الشعرية إلى أسلوب الالتفات، كالالتفات بالضمائر، ومن ذلك قوله مادحًا (Al-Ghazal, 1993: 41) (البحر السريع):

أطربَهُ الوقتُ الذي قد دنَا وكانَ من قبلكَ لم يطربِ

إذ استهل البيت بضمير الغائب في (أطربه) العائد على الشاعر نفسه، حيث سعد بلقاء الممدوح، وكان وقت اللقاء بينهما سبب طربه ونشوته، وما لبث أن التفت إلى ضمير المخاطب (الكاف) في الشطر الثاني (قبلكَ) لينفي عن نفسه ذلك الطرب قبل لقائه الممدوح، وهذا الالتفات والتنقل بين ضميري الغياب والخطاب يعكس البنية المضمرة والعميقة للسياق، المتمثلة في المدح، وتمثيل ردة فعل الشاعر تجاه الممدوح والتقرب إليه؛ إذ إن هذا التقرب هو سبب سعادته. ولعل هذا الالتفات يكسر رتابة الخطاب الشعري، ويؤدي وظيفة جمالية ترتبط بالمتلقي الذي ينجذب نحوه، ويحاول تفكيك دلالته، ليصل إلى مقصده وغايته، مما يجعله قادرًا على إدراك رؤيته وبنيته، على الرغم من أنه جاء مخالفًا لصيغ اللغة المعتادة، وهذه قيمة مهمة تقوم على أساس "مناهضة عملية التعويد التي تشجعها رتابة الصيغ اليومية للإدراك" (Hooks, 1986: 58)، إضافة إلى دورها في استثارة فكر المتلقي لمعرفة المضمر في السياق.

ويأتي مثل هذا الالتفات القائم على التنقل بين الضمائر في سياق وعظ الغزال لنفسه وغيره؛ إذ يقول (Al-Ghazal: 1993, 58) (البحر الطويل):

أخـي عُـدَّ مـا قاسيتَهُ وتَقلَّبَتْ عليكَ بـه الدُّنيا مـــن الخيرِ والشّرِّ

فهل لكَ في الدُّنيا سوى السّاعةِ التي تكونُ بـها الـسّرَّاءُ أو حاضِرُ الضُّرِّ

فقد افتتح البيت الأول بمخاطبة الأخ- يقصد به الناس جميعًا- متوسلًا بياء المتكلم في (أخي)، لينسب إلى نفسه حبه الناس من خلال جعلهم إخوة له، ثم ينتقل إلى ضمير الغائب في (قاسيته) ليربط معاناة الحياة بنفسه وغيره، ثم ينتقل إلى الخطاب في (عليكَ) في مستهل الشطر الثاني من البيت الأول، و(لك) في الشطر الأول من البيت الثاني، وهو خطاب متعلق أيضًا بالشاعر والناس جميعًا؛ لأنه قائم على الوعظ والنصح، المتمثلين في رسم صورة الدنيا الفانية التي يقاسي فيها الإنسان، وتكون أوقاتها إما خيرًا وإما شرًا، أو سرورًا أو حزنًا، لكنها في النهاية زائلة فانية.

وقد أسهم الالتفات في رسم صورة الدنيا، القائمة على المقابلة، مقابلة بين حالتي الشر والخير، وحالتي السرور والضر، وكانت ضمائر الالتفات على اختلاف إحالاتها بين التكلم والغياب والخطاب، مرتبطة بالإنسان في تلك الدنيا التي تتبدل فيها الأحوال، ولكن المصير واحد. ولعله بهذا يساعد في إحياء هذه الفكرة التي تصلح لكل زمان ومكان، وبه يتحقق "بعث جديد للتجربة المعاشة في الذات والزمن" (Al-Msaddi, 1982: 117)، مما يقوي الخطاب ولغته لدى القارئ الذي يحاول إدراك أسلوبية السياق والتفاته، ليصل إلى مقصديته، ويربطها بالواقع.

ويقول الغزال في الزهد (Al-Ghazal, 1993: 67) (البحر الكامل):

والمَرءُ يَعجبُ من صَغيرةِ غيره أيُّ امـرئٍ إلا وفيـهِ مَـقالُ

لَسْنَا نَرَى مَـنْ ليسَ فيـهِ غَميزةٌ أيّ الرِّجـــالِ القائلُ الفَعّالُ[15]

فأتى بضمير الغائب في (وفيه) في الشطر الثاني من البيت الأول، ليدلل على أنه لا يوجد إنسان خالٍ من العيوب، ثم ينتقل إلى ضمير المتكلم في صدر البيت الثاني (لسنا، نرى)، ليؤكد فكرته، ويربطها بالمتكلمين جميعًا، وهو منهم. وهذا الانتقال والتلاعب اللفظي في الأسلوب الالتفاتي يظهر الحالة المشتركة بين الناس، المتمثلة في أنّ كلًّا منهم فيه عيوب، فلا يعيب على الآخرين ما به، فضلًا عن أن هذا الأسلوب يعكس نصح الشاعر لهم بعدم اغترارهم بأنفسهم.

إن انتقال الشاعر من التخصيص بضمير الغياب إلى التعميم بضمير المتكلم يؤكد أن المنظومة الإنسانية تحمل الصفات نفسها، وتمارس سلوكات متقاربة إلى حد بعيد. ومثل هذا الالتفات يساعد في "تلوين الخطاب، ويقطع جريان الكلام على جهة واحدة؛ مثل أن يأتي على جهة الحكاية أو الإخبار، ثم ينعطف إلى جهة أخرى في الخطاب؛ توخيًا للتأثير في السامع ودفع السأم عنه" (Mohammad, 2003: 80).

ويأتي مظهر آخر من مظاهر الالتفات في شعر الغزال، يتعلق بالالتفات بصيغ الأفعال، ولا سيما من صيغة الماضي إلى المضارع، ومثل هذا الالتفات يمنح النصوص أبعادًا جمالية ودلالية؛ إذ إنه "يكشف عن وجه من وجوه البيان الدلالي الذي يفاجئ المتلقي، ويثير دهشته، لمخالفته القواعد المألوفة في العرف النحوي" (Babu, 2013: 17)، فيسعى إلى معرفة أبعاده البلاغية والبيانية، ومقاصده الموضوعية. ومن أمثلته في شعر الغزال قوله هاجيًا (Al-Ghazal, 1993: 27) (البحر الطويل):

قصدتُ بِمَدحي جاهدًا نحوَ خالدٍ أُؤمّلُ مـن جَدواهُ فـوقَ مُنائي[16]

فلم يُعطني من مالِهِ غيرَ درهمٍ تَكَلَّفَهُ بـعدَ انقطـاع رجَائي

حيث افتتح البيت الأول بصيغة الماضي (قصدت)، مخبرًا عن هدفه الذي يرمي إليه، المتمثل في قصد المهجو (خالد) ليمنحه الأعطيات، لكنه ما لبث أن تحول إلى صيغة المضارع (أؤمل، يعطني)، لينقل المتلقي إلى حدث جديد، يتعلق بآماله الحاضرة أمام المهجو بأن ينال عطاءه وتتحقق أمنياته، إلا أن هذه الآمال تبددت من خلال صيغة المضارع المنفي (لم يعطني)؛ إذ كان العطاء قليلًا، لا يتجاوز الدرهم الواحد. وقد أسهم هذا الالتفات القائم على التنقل بين صيغ الأفعال في رسم صورة ساخرة مضحكة للمهجو الذي تكلف جهدًا كبيرًا، كانت نتيجته عطاء قليلًا. ثم إن صيغة المضارع تحمل دلالة الاستمرارية، استمرارية البخل، والعطاء القليل لدى ذلك المهجو، مما يجعله أكثر بخلًا؛ إذ هو مستمر لا يتبدل ولا ينقطع.

إن هذا التحول من الماضي إلى المضارع لا يقتصر على كونه زمانيًّا فحسب، بل إنه يحقق مقصدية أرادها الشاعر، تتمثل في تصوير المشهد الذي هو فيه أمام المهجو، وتصوير حالته القائمة على التمني والأمل، فضلًا عن تصوير حالة المهجو، المتمثلة في البخل وقلة العطاء. وعليه فإن الالتفات أسهم في تحقيق الوصف، ورسم المشهد، ومنحه حركية تلفت انتباه القارئ، وتشده نحوه.

ونجد مثل هذا الالتفات في سياق آخر عند الغزال، وصف فيه الشيب (Al-Ghazal, 1993: 38) (البحر الكامل):

بَكَرتْ تُحسِّنُ لي سوادَ خِضابي فكأنَّ ذاك أعادني لشبابي[17]

إنه يلجأ إلى حسن تعليل الشيب، من خلال افتتاحه البيت بصيغة الماضي (بكرت) المتعلقة بفاعل غير معروف، يعود على امرأة أتته باكرًا، وكان قد اختضب، فمدحت خضابه، وحسّنته عنده، وقد انتقل من الماضي (بكرت) إلى المضارع (تحسن)؛ ليتمثل من خلاله حسن التعليل للشيب، بوصفه غدا جميلًا عندما خضبه، واستحسنته تلك المرأة، فكأن ذلك أعاد له شبابه. وبهذا فإن الخطاب يحقق المفاجأة لدى المتلقي، من خلال حركة الفعلين اللذين ساعدا في تصوير المشهد المرتكز على أفعال المرأة،

ونظرتها للشيب الذي غدا عنصر جمال لدى الشاعر. وعليه فقد حقق الالتفات وظيفة، تتعلق بـ"إحداث المفاجأة التي تنبثق عن تلقي النص جراء توتر علاقته اللسانية أو الرؤيوية بفعل الانزياح" (Al-Duda, 2009: 327).

ولا يتوقف الأمر عنده على العدول من الماضي إلى المضارع، إنما يأتي بسياقات يتنقل فيها بعكس ذلك، من المضارع إلى الماضي، كقوله في الزهد (Al-Ghazal, 1993: 79) (البحر الطويل):

ألستَ تَرى أنَّ الزَّمانَ طَواني وبَدَّلَ خَلْقِي كُلَّهُ وَبَراني

إذ استهل خطابه بالمضارع (ترى) الموجه إلى الناس كافة، بأن يروا حاله وقد كبر في العمر، فيتعظوا بما أصابه، الذي رسمه من خلال الانتقال إلى صيغ الماضي (طواني، بدّل، براني) المرتبطة بالزمان وفعله به، حيث بدّل حاله من القوة إلى الضعف. وقد أسهم هذا الالتفات في تحقيق عملية الإخبار والتنبيه، عبر توجيه الخطاب إلى الناس؛ ليلتفتوا إلى حال الشاعر، وينظروا كيف تبدلت، فيأخذوا العبرة، إضافة إلى عملية الوصف لأفعال الزمان الحتمية المتحققة لا محالة، لذا توسل الشاعر بالصيغ الماضية لتصويرها، وقد عبرت هذه الصيغ عن قدرة الزمان على تبديل الأحوال، ثم إنها تعكس ذاتية الشاعر ونظرته إلى ذلك الزمان، وتأكيده أنه قوة فاعلة، لا قدرة لأحد على مقاومتها. وهذا التلاعب في الصيغ الفعلية يحقق وظيفة مفادها في المضارع (ترى) استمرارية الرؤية وصلاحيتها لكل الأزمنة والأمكنة، وفي الأفعال الماضية حتمية الحدث وتحققه؛ لكونه ناتجًا عن قوة لا يقدر أحد عليها.

ويحاول الغزال في خطاب آخر تسويغ السفر والاغتراب، متوسلًا الالتفات من المضارع إلى الماضي؛ إذ يقول (Al-Ghazal, 1993: 54) (البحر الطويل):

وإنّ مقامي شطرَ يـوم بمنزلٍ أخـافُ علـى نَفْسي بـهِ لكثيرُ
وقد يهربُ الإنسانُ من خِيفة الرّدى فيدركُه مـا خـافَ حيثُ يَسيرُ

فيلجأ إلى الصيغ المضارعة (أخاف، يهرب، يدرك) لتصوير حالته، وحالة كل إنسان يخاف الموت، لكنه يدركه لا محالة، سواء أكان مقيمًا أم مسافرًا، ثم ينتقل إلى الماضي (خاف)؛ ليعبر من خلاله عن أن خوفه متحقق، وأن الموت حتمي. وقد ساعد هذا العدول في صيغ الأفعال في تحقيق حسن التعليل، المتمثل في تبرير الهروب بسبب الموت، إلا أن الهروب قد يكون سببًا في ذلك الموت. ثم إن هذا الالتفات يخلق في وعي المتلقي فجوة تقوم على المفارقة بين ما هو مشكوك فيه (قد يهرب)، وما هو متحقق (ما خاف)؛ إذ تكون النتيجة لطرفي المفارقة كليهما واحدة وحتمية، وهي الموت الذي هو مصير كل حي.

على أي حال، فإن توسل الغزال بأسلوب الالتفات كمستوى انزياحي لغوي تركيبي يقوم على أساس التبديل والتنقل بين المنطوقات والصيغ اللغوية، كالتنقل بين الضمائر، والتبديل بين صيغ الأفعال، قد ساعد في تمثيل الأبعاد الموضوعية في سياقاته الشعرية، من خلال تعدد الدلالات، وتأويلها وربطها بالرؤى الشمولية، فضلًا عن إكسابه تلك النصوص أبعادًا جمالية، من خلال قدرته على رسم الصور، وشد انتباه المتلقي، وتحريك ذهنه لمعرفة مكامن الالتفات ومراميه.

خامسًا: الاعتراض

يرى بعض البلاغيين أن الاعتراض هو "الإتيان في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين لفظًا أو معنى بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب" (Al-Sharif Al-Jurjani, n.d., 29)، ويفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم (Ibn Hijjah Al-Hamawi, 1987, p2: 280)، ويعدّ مظهرًا انزياحيًّا تركيبيًّا، يسهم في تكثيف المعاني، ويستعين به المبدع كأداة أسلوبية تساعده في تمثيل أفكاره، والتعبير عن رؤاه، وتأكيد أنساقه وتتميمها.

إن الانزياح التركيبي الاعتراضي يتأتى من مخالفة التتابع بين أركان الجملة الأساسية؛ إذ يفصل الاعتراض بينها، مما يجعلها تخرج على النسق الترتيبي لها، كأن يفصل بين المسند والمسند إليه، أو بين المعطوف والمعطوف عليه، أو بين القسم وجوابه وغيره، وهذا يشكل مفاجأة لدى المتلقي، تؤدي إلى لفت انتباهه جراء عدم توقعه السياق الاعتراضي، المخالف

لاسترساله في تلقي المنطوقات اللفظية المتتابعة وفق النسق النحوي المألوف. وعليه فإنه يسعى لإدراك إيحاءات ذلك الاعتراض ودلالاته، مما يخلق لذة جمالية تتولد نتيجة محاولته خلق اتصال حميمي بين عناصر الخطاب الأصلية، وما يعترضها من سياقات تتواءم معها بانسجام، وتؤدي إلى سد ما يعتريها من فجوات.

لقد لجأ الغزال إلى أسلوب الاعتراض في نصوصه الشعرية، وجاء متسقًا معها، ومع معانيها وصورها. ومن أمثلته قوله (Al-Ghazal, 1993: 46) (البحر البسيط):

أصبحتُ- والله- محسُوداً على أمدٍ منِ الحياةِ قصيرٍ غيرِ مُمتدِّ

حيث جاء الاعتراض بالقسم (والله) ليفصل بين اسم (أصبح) وخبرها (محسوداً)، ودلل من خلاله على تأكيد مسألة الحسد التي يعاني منها؛ إذ يحسده الناس على امتداد عمره في الحياة، وهو عمر قصير في رأيه، حتى إن عاش زمنًا طويلًا، فالموت نهايته، وهذا فيه حكمة تتمثل في أنّ طول العمر لا يُحسد عليه صاحبه؛ لأنه ربما يكون مهلكًا له، وسببًا في زيادة ذنوبه ومعاصيه، فضلًا عمّا ينتج عنه من هرم وعجز وقلة حيلة.

إن هذا الاعتراض الذي تشكل من خلال الإنشاء غير الطلبي (القسم)، ساعد في لفت المتلقين إلى حال الشاعر، بوصفه محسوداً، وحقق مصداقية كبيرة؛ لكونه قسمًا بالله، ولا يلجأ إليه الإنسان إلا في حالة إثبات صدقه، إذا كان هنالك من ينكره.

ويتوسل الشاعر بالاعتراض في مقام وصف حاله وقد أراد السفر؛ إذ تحاول إحدى النساء- ربما حبيبته- ثنيه عن ذلك، فيقول مخاطبًا إياها (Al-Ghazal, 1993: 53) (البحر الطويل):

وإنَّ الذي أعظمتهِ مِنْ تَغَرُّبِي عليَّ- وإن أعظمتِ ذاكَ- يَسيرُ
وإنّي- وإنْ أظهرتُ مِنِّي تَجَلُّدًا- لذو كَبدٍ حَرَّى عليكِ حَسيرُ

فأوقع الاعتراض موقعه المناسب في السياق، بل إنه جاء كمقتضى مهم من مقتضيات النظم؛ لما له من دور في الوزن، والإيقاع وتمثيل المعنى. وقد جاء الاعتراض الأول (وإن أعظمت ذاك) بعد وصفه حال حبيبته، وقد عظم أمر سفره عندها، ليبرز من خلاله ذلك الأمر الجلل بالنسبة إليها، إلا أنه عنده أمر يسير، محاولًا إظهار تجلده أمامها، لكنه ما لبث أن كشف عن زيف ذلك التجلد الذي أثبته بالاعتراض (وإن أظهرت مني تجلداً) في البيت الثاني، ليتابع بعده وصف حاله؛ إذ يحترق من ألم الفراق ويتحسر. وعليه فإن هذين الاعتراضين جاءا لتمثيل معنى الوصف، المتعلق بعظمة أمر السفر عند حبيبة الشاعر، وإظهار تجلده أمامها.

ونلحظ في الاعتراضين أنهما جاءا عبر جملتين شرطيتين، أداتهما (إن) مقترنة بالفعل الماضي، وقد فصلا بين اسم (إن) وخبرها، وأفادا إثبات الأمر المقصود وتأكيده بالدليل (عظمة أمر السفر، وإظهار التجلد)، وهما دليلان يمثلان أيضًا الإخبار عن حالة المتحدث عنه بإيجاز يتسم بالدقة، ويمثل الفكرة المقصودة.

ويأتي الاعتراض بصيغة الفعل المضارع (أرى) المرتبط بالشاعر نفسه؛ ليؤكد من خلاله إدراكه الأمر المقصود، وعدم اكتراثه بحدوثه. يقول مخاطبًا حبيبته التي تنوي هجرانه (Al-Ghazal, 1993: 54) (البحر الطويل):

وإنْ كنتِ تَبغينَ الوداعَ فبالِغي فدونكِ أحوالٌ- أرى- وشُهورُ

إذ جاء الفعل (أرى) اعتراضًا فاصلًا بين المعطوف والمعطوف عليه (أحوال وشهور)؛ ليؤكد به معرفته وإدراكه فعل حبيبته، المتعلق برغبتها في هجرانه وتركه. ورؤيته هنا معنوية عقلية؛ إذ هو يعرف ما تفكر فيه تلك المرأة، ولا يكترث به، بل يدعوها إلى المبالغة في البعد. ولعل مثل هذا الاعتراض يؤدي وظيفة دفع الإيهام عن الحبيبة وعن المتلقي في الوقت نفسه، ذلك الإيهام المتمثل في الظن بعدم معرفة الشاعر بالأفعال التي ستمارسها الحبيبة، إلا أن الاعتراض (أرى) نفى ذلك الإيهام، وأكد معرفته لما سيحصل.

وجاء مثل هذا الاعتراض في سياق حديث الغزال عن قاضٍ شاوره في أمر تولية قاضٍ آخر. يقول (Al-Ghazal, 1993: 67) (البحر الطويل):

يقولُ لي القاضي مُعاذٌ مُشاوِرًا ووَلّى امرءًا - فيما يرى- من ذَوي العدل

فالاعتراض (فيما يرى) يؤكد رأي القاضي معاذ بالرجل الذي سيوليه، ومعرفته بأنه من ذوي العدل، وأنه أحسن الظن به. وقد أدى الاعتراض قيمة تتعلق بالتنبيه، تنبيه الشاعر إلى أن القاضي على دراية بمن سيكلفه بمهمة القضاء، إضافة إلى إيحاء آخر يمكن تلمسه، يتمثل في أنّ مشاورة الشاعر شكلية، ولم يأخذ بها مَنْ شاوره، ودليل ذلك تأكيده أن القاضي بعد أن شاوره ولّى رجلًا يراه هو من ذوي العدل.

ويذكر الغزال النفس والروح، ليصف حال الإنسان بعد مفارقة الروح للجسد. يقول (Al-Ghazal, 1993: 78) (البحر الطويل):

وكيفَ يرى والعينُ قد ماتَ نُورها وواقعهُ - شبه الرُّقاد- سكونُ

فقد جاء التركيب (شبه الرقاد) اعتراضًا بين المبتدأ (واقعه) وخبره (سكون)؛ ليرسم صورة ذلك الميت الذي فارقت روحه جسده، ولم تعد أعضاؤه قادرة على ممارسة وظائفها؛ فالعيون فقدت البصر، وأصبح واقع الإنسان ساكنًا. ولتتميم هذا المشهد توسل بالاعتراض الذي تنعكس من خلاله صورة واقع الميت عبر تشبيه طرفه الأول (الواقع) وهو المشبه، أما المشبه به، فقد جاء في الاعتراض، وهو (الرقاد)، بواسطة أداة هي (شبه)، وبهذا فإن الاعتراض ساعد في تتميم أركان التشبيه، ورسم الصورة.

لقد أدى الاعتراض وظائف عدة في شعر الغزال، أبرزها التأكيد، وإتمام المعاني، والوصف، ورسم الصور، والتنبيه، ودفع الإيهام وغيرها. وعليه فإنه لم يأتِ اعتباطًا أو حشوًا، إنما جاء لسد الفجوات التي قد تحدث في النصوص، وكان منسجمًا مع سياقاتها ورؤاها، ومتناسبًا مع المقام الذي يأتي فيه، فغدا مرتكزًا أساسيًّا من مرتكزاته، لا يمكن الاستغناء عنه، بل إنه من مقتضيات النظم، وليس زائدًا، ولا سيما إذا نظرنا إليه من ناحية المعنى والبناء الفني، وليس من ناحية النحو وقواعده.

خاتمة

سعت الدراسة إلى رصد مظاهر الانزياح التركيبي في شعر يحيى الغزال، وإظهار أثرها في بناء نصوصه وتكثيف معانيه. وخلصت إلى النتائج الآتية:

أولًا: مثّل الانزياح التركيبي ظاهرة أسلوبية بارزة في شعر الغزال، لها دور في منحه مساحة وحرية في تمثيل معانيه، ورسم خيالاته، من خلال العدول بالتراكيب والألفاظ، وانحرافها عن معايير اللغة، ونحوها وقواعدها، مما أسهم في تعدد الدلالات، والتعبير من خلالها عن الرؤى والمقصدية المنشودة.

ثانيًا: كانت أبرز مظاهر الانزياح التركيبي في شعر الغزال: التقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والالتفات، والاعتراض.

ثالثًا: أدت الانزياحات التركيبية وظائف فنية، أسهمت في شحذ ذهن المتلقي، وجنوحه نحو التأويل والتفسير؛ لإدراك إيحاءاتها وإشاراتها، المتعلقة بتمثيل الموضوعات، وإضفاء سمات الجمال عليها.

رابعًا: أفاد الغزال من الانزياح التركيبي في إغناء تجربته الشعرية، على مستوى تشكيل المعنى، وإكسابه أبعادًا جمالية وقيمًا فنية.

The Synthetic Displacement in the Poetry of Yahya al-Ghazal al-Andalusi

Omar Faris Al-Kafaween

Department of Arabic Language and Arts, Philadelphia University, Jordan.

Abstract

This study discussed the phenomenon of the synthetic displacement in the poetry of Yahya ibn Ḥakam al-Ghazal al-Andalusi and observed the most prominent manifestations of this displacement, such as preluding, delaying, excluding, repetition, enallage and interpolated clause. Moreover, the study handled synthetic displacement's role in forming a text based on two levels: the literal and the artistic. It showed its effect in imparting semantic plural contexts and artistic values. The study adopted the survey approach based on monitoring the manifestations of synthetic displacement and analyzing them objectively and semantically, integrated with the artistic approach that helped highlight the aesthetics of those displacements. This study concluded that the synthetic displacement represented a prominent stylistic phenomenon in al-Ghazal's poetry that emabled him to represent his ideas and draw his pictures, which enriched his poetic experience and made it able to be explained and interpreted.

Keywords: al-Ghazal's poetry, Synthetic displacement, Displacement manifestations.

الهوامش

(1) تنظر ترجمته: المقتبس من أنباء أهل الأندلس: 152- 154. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: 374- 375. المغرب في حلى المغرب: 2/ 57- 85. المطرب من أشعار أهل الأندلس: 133- 152. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 2/ 254- 262.

(2) ينظر بعض تلك الأخبار: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: 374- 375. المطرب من أشعار أهل المغرب: 133- 151. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: 2/ 93.

(3) نقلًا عن: Valery, Paul. (1956). "Variete" Tomo 2e Trad, Buenos Aires.

(4) الريطة: كل ثوب رقيق لين. (اللسان: ريط).

(5) وزعه: ردّه وردعه. (اللسان: وزع).

(6) مواخر: جوارٍ. (اللسان: مخر).

(7) عُصم: جمع أعصم، وعَصِم الحيوان: كان في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. يقال: ظبي أعصم، وفرس أعصم، ويقال: غراب أعصم: أحمر المنقار والرجلين. (اللسان: عصم). وقصد بها في البيت الظباء، وهي من الحيوانات سريعة العدو.

(8) نواتٍ: أصلها نواتئ، ولعلها نواتي على التسهيل. التخوم: مفصل ما بين القريتين والأرضين. (اللسان: تخم). ولم يأتِ جمعها على تخومات.

(9) ينظر: إكو، أمبرتو. (1987). تحليل اللغة الشعرية، ضمن كتاب: في أصول الخطاب النقدي الجديد. ط1، ترجمة: أحمد المديني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

(10) ينظر: مراح، عبدالحفيظ. (2006). ظاهرة العدول في البلاغة العربية: مقاربة أسلوبية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، ص49.

(11) نقلًا عن: Chapman, R. (1974). Linguistics and Literature: An Introdution to Literary Stylistics. London, p14.

(12) رود: مسهلة من (رؤد) بالهمز، وهي الشابة الحسنة ناعمة الجسم. (اللسان: رود).

(13) النقل: ما يُتنقل به على الشراب من المكسرات وغيرها. (معجم اللغة العربية المعاصرة: نقل).

(14) ينظر: عز الدين، إسماعيل. (1990). جماليات الالتفات، ضمن كتاب "قراءة جديدة لتراثنا النقدي". د.ط.، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ص905 وما بعدها.

(15) غميزة: عيب. (اللسان: غمز).

(16) منائي: الأصل (مناي)، وهي مُنى جمع مُنية بمعنى الأمنية، (اللسان: مني). وقد جاءت (منائي) للضرورة الشعرية.

(17) الخضاب: ما يخضب به (يلون به) الشعر أو غيره كالحناء ونحوه. (اللسان: خضب).

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين. (1955). **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور**. تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد، ط1، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن الأثير، ضياء الدين. (1939). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط.، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

بابو، غيّاث. (2013). دلالة العدول في صيغ الأفعال: دراسة نظرية تطبيقية. **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، دمشق: جامعة تشرين، العدد 12، ص17- 40.

تودوروف، تزفيتان، وبارت، رولان، وإكو، أمبرتو، وآخرون. (1987). **في أصول الخطاب النقدي الجديد**. ترجمة: أحمد المديني، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

ابن حجة الحموي، تقي الدين. (1987). **خزانة الأدب وغاية الأرب**. شرح: عصام شعيتو، ط1، بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال.

الحسين، أحمد جاسم. (2000). **الشعرية: قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي**. ط1، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر. (1966). **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**. د.ط.، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي. (1994). **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**. تحقيق: محمود علي مكي، د.ط.، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

خطابي، محمد. (1991). **لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب**. ط1، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن. (1955). **المطرب من أشعار أهل المغرب**. تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، د.ط.، بيروت: دار العلم للجميع، القاهرة: المطبعة الأميرية.

الددة، عباس رشيد. (2009). **الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب**. ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

بو دوخة، مسعود. (2011). **عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية**، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث.

الزركشي، محمد بن عبد الله. (د.ت.). **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط.، القاهرة: دار التراث.

الزيود، عبد الباسط. (2007). من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة "الصقر" لأدونيس. **مجلة جامعة دمشق**، المجلد 23، العدد الأول، ص159- 188.

السبت، عبد الرحمن بن أحمد. (2018). ظاهرة الانزياح في شعر البارودي. **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، مصر: جامعة المنيا، العدد 86، ص61- 101.

السد، نور الدين. (2010). **الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث**. د.ط.، الجزائر: دار هومة.

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى. (1964). **المغرب في حلى المغرب**. تحقيق: شوقي ضيف، ط4، القاهرة: دار المعارف.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد. (د.ت.). **معجم التعريفات**. تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، د.ط.، القاهرة: دار الفضيلة.

الصعيدي، عبد المتعال. (د.ت.). **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**. د.ط.، القاهرة: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية.

صمود، حمادي. (1988). **الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة**. ط1، تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن. (1984). **دلائل الإعجاز**. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، د.ط.، القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد الله، مصطفى عبد الهادي. (2010). **ظاهرة العدول في شعر المتنبي: دراسة في الشعرية**. ط1، ليبيا: منشورات جامعة 7 أكتوبر.

ابن عِذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي. (1980). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. تحقيق: ج. س. كولان و إ. بروفنسال، ط2، بيروت: دار الثقافة.

عز الدين، إسماعيل. (1990). جماليات الالتفات، ضمن كتاب "**قراءة جديدة لتراثنا النقدي**". د.ط.، جدة: النادي الأدبي الثقافي.

عمر، أحمد مختار. (2008). **معجم اللغة العربية المعاصرة**. ط1، القاهرة: عالم الكتب.

الغزال، يحيى بن حكم. (1993). **الديوان**. تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.

فضل، صلاح. (1998). **علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته**. ط1، القاهرة: دار الشروق.

كوهن، جان. (1986). **بنية اللغة الشعرية**. ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال.

لحلوحي، صالح. (2001). الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني. **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجزائر: جامعة محمد خيضر، المجلد 4، العدد 8، ص67- 102.

محمد، أحمد علي. (2003). الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني. **مجلة جامعة دمشق**، المجلد 19، العددان 3+4، ص51- 105.

مراح، عبد الحفيظ. (2006). **ظاهرة العدول في البلاغة العربية: مقاربة أسلوبية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.

المسَدّي، عبد السلام. (1982). **الأسلوبية والأسلوب**. ط3، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (1968). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق: إحسان عباس، د.ط.، بيروت: دار صادر.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. (د.ت.). **لسان العرب**. د.ط.، بيروت: دار صادر.

أبو موسى، محمد. (1996). **خصائص التركيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**. ط4، القاهرة: مكتبة وهبة.

هلال، ماهر مهدي. (1980). **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**. د.ط.، بغداد: دار الرشيد للنشر.

هوكز، ترنس. (1986). **البنيوية وعلم الإشارة**. ترجمة: مجيد الماشطة، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

وليك، رنيه، ووارن، أوستن. (1992). **نظرية الأدب**. ترجمة: عادل سلامة، ط1، الرياض: دار المريخ للنشر.

ويس، أحمد محمد. (2005). **الانزياح من منظور الدراسات الأدبية**. ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

اليافي، نعيم. (1995). **أطياف الوجه الواحد: دراسات نقدية في النظرية والتطبيق**. د.ط.، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

References

Abdul Qaher Al-Jurjani, Abu Bakr Abdul-Qadir bin Abdul Rahman. (1984). *Evidence of Miracles*. Read and Commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, W.P., Cairo: Al-Khanji Library.

Abdullah, Mustafa Abdel-Hadi. (2010). *The phenomenon of repentance in Al-Mutanabbi's poetry: A study in poetry*. 1st edn., Libya: October 7 University Publications.

Abu Musa, Muhammad. (1996). *Characteristics of Structure: An Analytical Study of Semantics Issues*. 4th edn., Cairo: Wahba Library.

Al-Duda, Abbas Rashid. (2009). *Displacement in the Critical and Rhetorical Discourse among Arabs*. 1st edn., Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Al-Ghazal, Yahya bin Hakam. (1993). *Al-Diwan*. Investigated by: Muhammad Radwan Al-Daya, 1st edn., Beirut: Dar Al-Fikr AlMuaser, Damascus: Dar Al-Fikr.

Al-Humaydi, Abu Abdullah Muhammad bin Abi Nasr. (1966). *The embodied quote in the remembrance of the governors of Andalusia*. W.P., Cairo: The Egyptian House of Composition and Translation.

Al-Hussein, Ahmed Jassim. (2000). *Poetry: A Reading in the Experience of Ibn Al-Moataz Al-Abbasi*. 1st edn., Damascus: Al-Awael for Publishing, Distribution and Printing Services.

Al-Msaddi, Abd al-Salam. (1982). *Stylistics and Style*. 3rd edn., Libya, Tunisia: Arab Book House.

Al-Muqri, Ahmed bin Muhammad Al-Tilmisani. (1968). *Nafh al-Tayyib from Ghosn al-Andalus al-Rataib*. Investigation: Ihsan Abbas, W.P., Beirut: Dar Sader.

Al-Sabt, Abd al-Rahman bin Ahmed. (2018). The phenomenon of displacement in al-Baroudi's poetry. *Journal of Arts and Humanities*, Egypt: Minya University, Issue 86, pp.61- 101.

Al-Sadd, Noureddine. (2010). *Stylistics and Discourse Analysis: A Study in Modern Arab Criticism*. W.P., Algeria: Dar Houma.

Al-Sharif Al-Jurjani, Ali bin Muhammad. (n.d.). *A Dictionary of Definitions*. Investigation: Muhammad Siddiq Al-Minshawi, W.P., Cairo: Dar Al-Fadilah.

Al-Sidi, Abdel-Mutaal. (n.d.). *In order to clarify the key to summarizing the science of rhetoric*. W.P., Cairo: The Arts Library, The Model Press.

Al-Yafi, Naim. (1995). *Spectra of One Face: Critical Studies in Theory and Practice*. W.P., Damascus: Publications of the Arab Writers Union.

Al-Zarkashiu, Muhammad bin Abdullah. (n.d.). *The Proof in the Sciences of the Qur'an*. Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, W.P., Cairo: Dar Al-Turath.

Al-Zayoud, Abdul Basit. (2007). Among the indications of structural displacement and its aesthetics in Adonis's poem "The Falcon". *Damascus University Journal*, Volume 23, Issue 1, pp. 159-188.

Babu, Ghayyath. (2013). Significance of Rescinding in Verb Forms: An Applied Theoretical Study. *Journal of Studies in Arabic Language and Literature*, Damascus: Tishreen University, Number 12, pp. 17-40.

Bu Dukha, Masoud. (2011). *Elements of Aesthetic Function in Arabic Rhetoric*. 1st edn., Irbid: Modern Book World.

Cohen, Jean. (1986). *The Structure of Poetic Language*. Translated by: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, 1st edn., AL-Dar albayda: Dar Toubkal.

Fadl, Salah. (1998). *The Science of Stylistics - Its Principles and Procedures*. 1st edn., Cairo: Dar Al-Shorouq.

Hilal, Maher Mahdi. (1980). *The Bell of Words and Their Significance in Rhetorical and Critical Research among the Arabs*. W.P., Baghdad: Dar Al-Rasheed for Publishing.

Hooks, Terence. (1986). *Structuralism and Signal Science*. Translated by: Majeed Al-Mashata, 1st edn., Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Ibn Al-Atheer, Deyaa al-Din. (1939). *The Running Ideom in the Literature of the Writer and Poet*. Investigated by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, W.P., Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press.

Ibn Al-Atheer, Deyaa al-Din. (1955). *The Great Collector in the Making from* Poetry *Verbal Speech*. Investigated by: Mustafa Jawad and Jamil Saeed, 1st edn., Baghdad: Iraqi Scientific Academy Press.

Ibn Dihya, Abu al-Khattab Omar Ibn Hassan. (1955). *The Mutreb from the Poetry of the People of Morocco*. Investigated by: Ibrahim al-Abyari and Hamid Abd al-Majid and Ahmad Ahmad Badawi, W.P., Cairo: House of Knowledge for All, Beirut; Amiri Press.

Ibn Eidhari, Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad al-Marrakchi. (1980). *The Strange Statement in the News of Andalusia and Morocco*. Investigation: C. S. Kulan and E. Levi Provencal, 2nd edn., Beirut: House of Culture.

Ibn Hayyan, Abu Marwan Hayyan bin Khalaf Al-Qurtubi. (1994). *Quoted from the news of the people of Andalusia*. Investigation: Mahmoud Ali Makki, W.P., Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage.

Ibn Hijjah Alhamawi, Taqi al-Din. (1987). *The Treasury of Literature and the Final Purpose*. Explanation: Issam Shaito, 1st edn., Beirut: Al-Hilal Library and House Publications.

Ibn Manzoor, Jamal Al-Din Bin Makram. (n.d.). *Arabs' Tongu*. W.P., Beirut: Dar Sader.

Ibn Saeed Al-Mughrabi, Abu al-Hasan Ali bin Musa. (1964). *The strange in the ornaments of Morocco*. Investigation by: Shawqi Dhaif, 4th edn., Cairo: Dar Al-Maaref.

Izz Aldin, Ismail. (1990). Aesthetics of Attention, in the book "*A New Reading of Our Critical Heritage*". W.P., Jaddah: Literary and Cultural Club.

Khitabi, Muhammad. (1991). *Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of Discourse*. 1st edn., Beirut, Casablanca: The Arab Cultural Center.

Lihuluhi, Saleh. (2011). Stylistic phenomena in the poetry of Nizar Qabbani. *Journal of the College of Arts, Humanities and Social Sciences*, Algeria: University of Mohamed Khider, Volume 4, Issue 8, pp. 67-102.

Merah, Abdel Hafeez. (2006). *The Phenomenon of Admission in Arabic Rhetoric: A Stylistic Approach*. Unpublished Master's Thesis, University of Algiers.

Mohammad, Ahmed Ali. (2003). Stylistic Deviation (Rescinding) in the Poetry of Abu Muslim Al-Bahlani. *Journal of Damascus University*, Volume 19, Numbers 3 + 4, pp. 51- 105.

Omar, Ahmed Mukhtar. (2008). *A Dictionary of Contemporary Arabic Language*. 1st edn., Cairo: World of Books.

Sumud, Hammadi. (1988). *The Front and the Back in the Correlation of Heritage and Modernity*. 1st edn., Tunis: Tunisian Publishing House.

Todorov, Tzvetan, Bart, Rolan, Eco, Umberto and others. (1987). *On the Origins of the New Critical Discourse*. Translated by: Ahmad Al-Madani, 1st edn., Baghdad: House of Public Cultural Affairs.

Wellek, Renee and Warren, Austin. (1992). *Theory of Literature*. Translated by: Adel Salama, 1st edn., Riyadh: Dar Al-Marikh for Publishing.

Wys, Ahmed Muhammad. (2005). *Displacement from the Perspective of Literary Studies*. 1st edn., Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.

صورة الفلسطيني في الرواية العبرية الحديثة بين "أرض قديمة جديدة" و"خربة خزعة"

نداء أحمد مشعل *

تاريخ الاستلام 2021/11/30 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.5 تاريخ القبول 2022/02/15

الملخص

هذه قراءة وصفية تحليلية مقارنة تعتمد منهج ما بعد الكولونياليّة بين روايتين أساسيتين في الأدب العبريّ؛ الأولى هي "أرض قديمة جديدة"، التي نشرت عام 1902م، وتُصنّف رواية سياسيّة تدخل في باب الدّعوة الآيديولوجيّة الصّهيونيّة التي استخدمت الأدب الروائيّ وسيلة أو أداة وظيفيّة لتسويغ الاستيطان الذي سيعود بالنفع على السّكان المحليين الذين سيرحبون بقدوم المهاجرين الجدد، بمنهج رغائبيّ يصوّر العربيّ متعاونًا ومسالمًا؛ أي كما يحبّ ويتمنى الأدب والفكر الصهيونيّ.

والثانية رواية "سميلانسكي" "خربة خزعة"، التي نشرت عام 1949م وتدخل في باب أدب الاعتراف والشّهادات وتطهير الذّات، وتتحدّث عن عمليات الطّرد والإذلال الممنهج الذي مارسته العصابات الصّهيونيّة المسلّحة، وشارك فيها الكاتب الذي لم يتحمّل التبكيت وتأنيب الضّمير، فما كان منه إلا الاعتراف بالكتابة، فكانت الرّواية وصفًا لشاهد عيان لشخصيّة العربيّ، بوصفها ضحيّة مستسلمة لمصيرها، أمّا شخصيّة الفلسطينيّ القوميّ المقاوم والواعي فظلّت غائبة عن الرّوايتين وعن السّرديات العبرية، وهي صورة كافية لهدم الأسس غير الموضوعيّة للسّرديّة الصّهيونيّة.

الكلمات المفتاحية: الحضور والغياب، الآخر، الوعي الممكن، الوعي الزّائف، الرّواية العبريّة.

المقدمة

أدّت صورة الآخَر في السّرد الروائيّ دورًا أساسيًّا ومحوريًّا في بناء العمل وإعطائه قيمةً حقيقيةً على مستوى الخطاب الروائيّ، وأعطت مجالًا للبحث في ذواتنا؛ فالآخَر هو نقيضنا، ووجوده يتيح المجال لصوت الأنا حتى يَخرج ويُعبّر عن نفسه، ويعطي حكمًا إمّا بقبول هذا الآخَر أو رفضه. لكن الوضع يصبح أكثر تعقيدًا حين تكون الفروقات بين الذات والآخَر فروقات كبيرة عقديّة وسياسيّة واجتماعيّة ...، ويزيد الأمر تعقيدًا حين يكون الآخَر نقيضًا لذواتنا من ناحية، وسببًا في إظهار حقيقتنا المختلفة، ممثلًا لمن سرقنا أرضه وهويته وتاريخه. وعلى الرغم من وفرة الدراسات النقدية عن صورة الفلسطيني أو العربي في الأدب العبري، أو صورة اليهودي والعبريّ في الأدب الفلسطينيّ، فإنّ تلك الدّراسات لم تتطرّق إلى صورة العربيّ بتحوّلاته في عمل تأسيسي في الأدب العبريّ والسّرديات الصّهيونيّة كما هو الحال في رواية "هرتزل".

أسئلة الدراسة

تأتي هذه الدّراسة لتلقي الضّوء على (صورة الفلسطينيّ في الرّواية العبريّة الحديثة، بين "أرض قديمة جديدة" و"خربة خزعة"، وتحاول أن ترى كيفيّة تصوير الفلسطينيّ فيها، بهدف الإجابة عن الأسئلة التّالية:

- ما شروط تشكيل صورة الفلسطينيّ وعواملها في الرّواية العبريّة؟
- هل اختلفت رؤية الإسرائيليّ للفلسطينيّ باختلاف المنطلق الذي انطلقت منه الرّواية؟
- هل يمكن اعتبار اختلاف الرؤية – بفرض أنّه موجود- اختلافًا في المواقف الإسرائيليّة من الفلسطينيين؟
- إلى أي حدّ كانت الرّؤية الإسرائيليّة مطابقة للواقع أو مخالفة له؟

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* كلية الاداب، قسم اللغة العربية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

أهمية الدراسة

تَكمن أهميّة الدراسة في تناولها لروايتين شكّلتا نقطة استدلال في التّأريخ لمراحل الأدب العبريّ الحديث؛ الأولى: "أرض قديمة جديدة" لثيودور هرتزل مؤسّس الحركة الصّهيونيّة، وجاءت في مرحلة انتقاليّة في المشروع الصّهيونيّ (مرحلة التّأسيس)، وفيها تمّ التّرويج لطوباويّة المشروع الاستيطانيّ لقبول العرب له وتصالحهم معه!، بعكس الرّواية الثّانية "خربة خزعة" ليزهار سميلانسكي[1] أحد المؤسّسين لمرحلة جديدة في الأدب العبريّ الحديث، وهي مرحلة ما يسمّى (أدب ما بعد الاستقلال) التي كشفت أبعاد هذا المشروع بعد التّطبيق والتّحقّق وما ألحقه من تشريد ودمار للعربيّ.

الدراسات السابقة

تناولت مجموعة من الدّراسات صورة الفلسطينيّ في الأدب العبريّ المعاصر في الجانبين العربيّ والإسرائيليّ، منها:

- دراسة غانم مزعل "الشخصيّة العربية في الأدب العبريّ الحديث" الصّادرة عن منشورات الأسوار، فلسطين عام 1985 في طبعتها الأولى، وتناول فيها عدداً من الأعمال الروائيّة العبريّة حاول من خلالها التّأكيد على أنّ الأدب العبريّ أنشئ لتكريس الصّورة النمطيّة السلبيّة للعربيّ في مقابل إظهار اليهوديّ بصورة المتحضّر القادم لانتشال البلاد من حالة البؤس والدّمار.
- دراسة "أنطوان شلحت" "شخصيّة العربيّ في الأدب العبريّ"، وصدرت عام 1986 درس فيها مجموعة من الأعمال المكتوبة بالعبريّة في القصّة والرواية محاولًا إظهار الاتّجاهات التي تميّز الصّراع العربيّ-الإسرائيليّ، ومحاولة تشويه صورة العربيّ في الأدب العبريّ.
- دراسة "ريزا دومب" "صورة العربيّ في الأدب اليهوديّ، 1911-1948"، الصادرة في طبعتها العربيّة عام 2014، ترجمة: عارف عطاري؛ قدّمت دراسة لرؤية مجموعة من الكُتّاب العبريين، محاولة توضيح أثر انتمائهم العقديّ وموطنهم الأصليّ في تصويرهم لصورة العربيّ.
- دراسة يوسف يوسف "الأدب الصّهيوني والاستشراق (التّضليل والصّور الاختزاليّة)" الصّادرة عن دار خطوط للنّشر والتوزيع عام 2021، وتناول فيها بالدّراسة رواية "خربة خزعة" بانيًا دراسته على إنجاز لإدوارد سعيد في الاستشراق والصّور النمطيّة التي رسمها الرّحالة والمستشرقون للآخَر العربيّ، المسلم، الشرقيّ.

أمّا ما يميز هذه الدّراسة موضوع البحث فهو أنّها دراسة تحليليّة مقارنة لروايتين في مرحلتين مهمّتين في تاريخ الأدب العبريّ الحديث بينما قامت الدراسات السابقة بتقديم مسح بانوراميّ للأدب العبريّ دون الغوص في التّفاصيل من وجهة نظر مقارنة.

منهج الدّراسة

اعتمدت الدراسة المنهج التّحليليّ الوصفي المقارن من منطلق دراسات ما بعد الكولونياليّة.

تمهيد

يتّصف الأدب الروائيّ بحريّة مطلقة قائمة على التخييل والخيال، ومع إضافة الخبرة والملاحظة يستطيع الكاتب أن يرسم الصورة التي يريدها وتتوافق مع أهدافه وميوله المختلفة؛ كما أنّه يُعدّ واحداً من الأساليب والأدوات التي يعبّر من خلالها عن الواقع والأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، وإعادة تشكيلها وتشكيل واقعها، وما من شكّ في وجود علاقة بين الأدب والسّياسة؛ لأنّ كلّ ما يدور من أوضاع وتغيرات في الحالة السياسيّة يتبعه غالبًا تعبير عنها بصورة أدبيّة؛ لذا نجد أنّ الأدب تمكّن عبر العصور من أن يعكس ضمير الأمّة وأهدافها الوطنية العليا وهمومها وآلامها، وهو المجسّد لأزماتها وتطلّعاتها، المعبّر عن آمالها وطموحاتها ليصبح في بعض الأحيان أداة من الأدوات التي تحدث تغييراً سياسيًّا واجتماعيًّا؛ إضافة إلى دوره الواضح في تشكيل الوعي لدى الطّبقات الاجتماعيّة المختلفة كما هو الحال في روايات تولستوي وديستوفسكي وتشيخوف وغيرهم من الأدباء؛ ليتحوّل الأدب في أحيان كثيرة إلى أدب ملهم قادر على تقديم إجابات لأسئلة عديدة تتعلّق بالقدرة على التعبير؛ ممّا يجعله قادراً على القيام بدور أساسيّ في تشكيل الوعي الجمعيّ لمناهضة الظلم، والسّعي إلى تحقيق قيم العدالة والحريّة.

فالأدب بوصفه محاولة إبداعية حرّة يستطيع أن يبني الأبطال والمواقف في لحظة معيّنة بعيداً عن البدهيات التي قد تصبح يومًا حقيقة سياسيّة أو اجتماعيّة في نسيج بلد ما أو منطقة ما. كما أنّه من المنطقي أن ما من كاتب يعمل من فراغ؛ فكلّ أديب - وبالتّالي كلّ أدب - لا بدّ له من أن ينطلق من نقطة ما ومن وعي ما؛ لذا يمكن لهذا الكاتب أو ذاك أن يخلق وعيًا زائفًا وفي الوقت ذاته يمكن أن يتحوّل الوعي إلى قوّة محرّرة.

ومن هذه النّقطة بالذّات من إمكانية خلق الأدب لوعي زائف أو قدرته على أن يكون قوّة محرّرة تنطلق هذه القراءة لصورة العربيّ في روايتي "أرض قديمة جديدة" و"خربة خزعة" من منطلقات ما بعد الكولونياليّة بوصف المشروع الصهيوني مشروعًا استيطانيًا كولونياليًا بامتياز؛ وبوصف الرّوايتين جزأين لرواية واحدة هي رواية الصهيونيّة، في تحوّلاتها من مشروع ومخطط إلى كيان قائم على أنقاض الآخرين.

"أرض قديمة جديدة" والوعي الزّائف

التّعريف برواية "أرض قديمة جديدة"

"أرض قديمة جديدة" ترجمة مئير حدّاد عام 1968م، رواية فانتازية نشرها "ثيودور هرتزل" عام 1902م وهو مؤسّس الصّهيونيّة السياسيّة، ونشرت بعد ست سنوات من كتيبه السياسي "الدولة اليهودية"[(2)]، تحكي قصّة الدكتور "فريدريك ليفنبرج" وهو شاب يهودي من فيينا سئم من الانحطاط الأوروبي، وانضمّ بعد فشله في قصّة حبّه إلى أرستقراطيّ بروسي يدعى "كينغز كورت"، وفي أثناء تقاعدهما في جزيرة نائية توقفا في مدينة يافا في طريقهما إلى المحيط الهادئ؛ فوجدا فلسطين أرضًا متخلّفة ومعدمة وقليلة السّكان كما روّجت وتروّج الحركة الصهيونيّة؛ لتسويغ الاحتلال والاستيطان، وبعد أن قضيا السنوات العشرين التّالية على الجزيرة معزولين عن الحضارة قرّرا العودة إلى أوروبا؛ فتوقفا في فلسطين مرّة ثانية، واندهشا لاكتشاف أرض تحوّلت بشكل جذريّ، فاليهود اكتشفوا أرضهم وأعادوا توطينهم واستعادوا مصيرهم كما يرى؛ فأصبح هذا البلد مزدهرًا، ويظهر هذا من خلال الجولة التي أخذهم فيها "دافيد لوتفيناك" في أرجاء فلسطين، وفي كلّ موقع نرى ما قامت به الحركة الصّهيونيّة من تحوّلات جذريّة، وما قدّمته من مفاهيم جديدة لتعايش الدّولة خاصّة مبدأ التبادليّة الذي نادى به، وكان له الأثر الكبير في ذلك، إضافة إلى أنّه أعطى للمرأة حقوقها ودورها في بناء المجتمع جنبًا إلى جنب مع الرجل. لقد قدّم صورة آيديولوجية مثالية لمجتمع نموذجيّ يتبنّى نموذجًا اجتماعيًا ليبراليًا يضمن التساوي للجميع.

تشكّل هذه الرواية مرحلة من مراحل تطوّر الحركة الصّهيونيّة؛ فقد بدأت في التّرويج للمشروع الصّهيونيّ في الوسط العربيّ ومهادنته لانها لم تكن تمتلك في ذلك موارد القوّة اللازمة لفرض المشروع، ومواجهة المعارضة العربيّة المتوقّعة؛ فعكست منهجًا رغائبيًا عند "هرتزل" بتوقّع ترحيب العرب بالاستيطان الصّهيونيّ، وكأنّ القضيّة قضيّة اقتصاديّة لا غير.

صورة الفلسطينيّ في رواية "أرض قديمة جديدة"

تكتسب رواية "أرض قديمة جديدة" أهميتها من أمرين أساسيين: الأول؛ أنّها رواية طوباويّة تلامس الواقع لحلم الدولة الصّهيونيّة الذي أصبح قيد الإعداد والإنشاء بعد قرار موتمر بال عام 1897م[(3)]، ويدعم من خلالها الأفكار التي قدّمها في كتابه "الدولة اليهودية"، ويوثّق لفكره ويحاول تجسيده ما أمكن، ويجمّل الصورة ويعطيها المسوّغات القانونيّة والإنسانيّة. والأمر الثاني أنّها رواية قابلة للتأويل؛ يمكن أن تُقرأ من غير زاوية: تاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة وفكريّة ...، ولعلّ قيمتها الحقيقيّة تظهر من اختياره للعنوان؛ فأرض قديمة جديدة الموجود على غلاف الرواية وترجم إلى العبرية باسم تلّ أبيب هو ذاته الذي أطلقه لاحقًا الكيان المغتصب على عاصمته؛ هذه الكلمة المكونة من قسمين: (أبيب، אביב)، وهي كلمة عبريّة تحمل معنى الرّبيع الذي هو في حدّ ذاته رمز للتجديد، و(تلّ، תל) ويُقصد به المكان الأثري المتكوّن عن طبقات من الحضارات التي سبقت واحدة تلو الأخرى. (Assi, 2018)، وكأنّ هذا العنوان هو اختصار لموقف الصّهيونيّة من فلسطين بوصفها الأرض القديمة الجديدة لهم ولدولتهم. إضافة إلى أن الرواية تميل نحو العرض التاريخي الذي يغلب عليها؛ وذلك واضح فيما قدّمه أعضاء المجتمع الجديد في فلسطين وممثلهم الأساسي "دافيد لوتفيناك" لبطليّ العمل؛ فبيّنوا من خلاله الطريقة التي تحوّلت فيها فلسطين –من وجهة نظرهم- من مكان قاحل ومتخلّف، أو مستنقع؛ وفقًا للصورة التي يقدّمونها إلى مدينة فاضلة فيها كلّ أسباب الرّفاهيّة، وسمات الدّولة الحديثة في 20 عامًا...؛ أي مطابقة السّرديّة الصّهيونيّة المعدّلة التي ادّعت أوّلًا أرضًا بلا

شعب لشعب بلا أرض؛ لتتحوّل بواقعها المأهول والمعمور إلى سرديّة جديدة ذات نبرة استشراقيّة؛ والمقصود هنا تخلّفها وضرورة إعمارها وإنقاذها من التخلّف والتأخّر إلى مصاف التقدّم والازدهار.

لذا كان اختيار "هرتزل" للفضاء الروائيّ القائم على ثنائية المكان (قبل/ بعد) أمراً واضحًا ومهمًّا؛ منطلقًا من رؤية مفادها أنّ حضور الفضاء هنا ليس "**بوصفه أمكنة تدور فيها الأحداث والوقائع الحكائيّة، أو تتمركز حولها الفاعليّة الشعريّة، بل الفضاء كوعي عميق بالكتابة جماليًّا وتكوينيًّا، الفضاء كشكل ومعنى وذاكرة وهويّة ووجود**" (Najmi, 2000, p.12).

وفي الردّ على ذلك يشكّل المكان والإزاحة عنه بؤرة أدب ما بعد الكولونياليّة إذ "**يمثّل الاهتمام بالمكان والإزاحة عن المكان ملمحًا رئيسيًّا من ملامح آداب ما بعد الكولونيالية؛ وهو ما يعني هنا ظهور أزمة خاصّة تتعلّق بالهويّة والاهتمام بتطوير أو استعادة علاقة فعّالة بين الذّات والمكان لتحديد الهويّة**" (Aschroft, 2006, p.322).

لكن السؤال الذي يمكن أن يُطرَح هو: هل كانت الرواية على المستوى الفني، وكذلك الأخلاقي متلائمة مع الطرح الذي أراد "هرتزل" أن يقدّمه؟

مكانة الرّواية وقيمتها الفنّيّة

يُمكن اعتبار الرواية من النّاحية الفنيّة متواضعة شأنها شأن الرّوايات التوجيهيّة المباشرة والتعليميّة والتبشيريّة، وهذا ليس بغريب؛ فهو في الأصل ليس روائيًّا، وإنما استغلّ الأدب والرواية لإيصال فكرة ورسالة، والحبكة تكاد تكون غير موجودة، وكما ذُكر سابقًا يغلب عليها العرض التاريخي لبناء الدّولة اليهوديّة المتخيّلة تتولاه عدّة شخصيّات خاصة "دافيد لوتفيناك" الشّاب اليهودي الذي جعله الكاتب ممثلًا للوعي اليهوديّ القادم، أمّا الشخصيات التي قدّمتها فقد كانت كثيرة، وكذلك كانت الأحداث تفتقر للإثارة في كثير من المواقف، فهي رتيبة وتقريريّة في الغالبيّة العظمى منها، فكان يعنيه الفكرة وليس الحبكة، والرّسالة وليس التّأويل.

وفي بناء الشخصيات، تبدو مجموعة من الأمور اللافتة، أهمّها أنّه قدّم للقارئ تلك الشخصيّات المسطّحة التي تدفعه نحو الملل في كثير من حواراتها وتصرّفاتها، وانطلاقه في تقديمها من عقليّة استعماريّة؛ فرغم محاولة "هرتزل" التأكيد على أنّ المجتمع الجديد في فلسطين متعدّد الثّقافات، وأي شخص يريد المساهمة، وعلى استعداد لتولي واجبات المواطنة، مرحب به للانضمام إليها والحصول على الفوائد الجوهريّة المرتبطة بالبنية التحتيّة الجديدة في أكثر من موقف، ورغم إصرار الشخصيات على أن الأصول القوميّة والدّين لا يحدثان أيّ فرق على الإطلاق في وضع الشّخص، فإنّه قدّم الشّخصيّات الفلسطينيّة (ممثلة هنا بشخصية رشيد بيك، وزوجته فاطمة التي كان ظهورها محدودًا)، بتلك الصورة النمطيّة للفلسطيني في الأدب العبريّ؛ وهو ذلك النوع الذي يمكن أن يُطلق عليه اسم المتملق النموذجي لأسياده المستعمرين.

والملاحظة الثانية أنّه في ذكره للشخصيات اليهودية تجاهل اليهود الشرقيين؛ وفي هذا نظرة استعلائيّة استعماريّة حتّى مع من يحملون الانتماءات الإيديولوجيّة ذاتها؛ فالصّهيونيّة شكل من أشكال الاستشراق الذي لا يمثّل نفسه بنفسه، وإنّما يأتي تمثّله من خلال الأنا، وهذا أمر مألوف في الرّوايات الاستعماريّة فـ "**المبادئ القومية الأوروبية عن الدم والأرض (Blut und Boden) ستشكّل الدليل الموجه لاختراع الصّهيونيّة لليهود كأمّة لها أرضها، ومن أجل تحقيق هذا الغرض، كان البند الأوّل في أجندتها استعمار هذه الأرض واستيطانها**" (Massad, 2009, p.377).

والمهمّ هنا هو توظيفه للشخصيات الفلسطينية، وتقديمه لها، والوظيفة التي أدّتها.

ثنائيّة الحضور والغياب للشخصيّة الفلسطينيّة

يقوم بناء الشخصيات في رواية "أرض قديمة جديدة" على واحدة من الثنائيات التي وضعها البنيويون وعلى رأسهم "دي سوسير" للنصّ، ثم تبناها التفكيكيون وعلى رأسهم "جاك دريدا"، وهي الحضور والغياب، هذه الظاهرة التي تنطوي على مرجعين أساسيين: الأول موجود والثاني معدوم، وابتعادها من الثاني يقرّبها من الأول، واقترابها من الأول يبعدها عن الثاني، بمعنى أنّ هذه الخاصيّة الثنائيّة هي التي تحكم بنية النصّ، وتعطيه الحقّ في الوجود؛ إضافة لما تقدّمه من وظيفة اجتماعيّة وثقافيّة مميّزة؛ لذا فالحديث عن هذه الثنائيّة هو حديث متعدّد الزوايا؛ فبعد أنّ شكّلت مع "سوسير" فلسفة خاصّة حملت مع "دريدا" أبعادًا خاصّة (Dreda, 2005, p.22)، وبذا انتقلت من فلسفة "هيجل" التي حملت فيها فلسفة الحضور

معنى مرتبطًا بقدرة الوعي على إدراك ما حول ذلك؛ إذ إنّه "**لا يعترف إلا بما يحضر لديه، فيتخذ شكل الدّلالة والمعنى والقانون والهويّة**" (Obaidullah, 2000, p.22)؛ مما يجعل المختلف يشكّل في الوعي تساؤلًا لا يمكن إدراكه، لكنه قابل لأن يُسأل، إذ كيف يمكن للغياب أن يحضر، ودون الخوض بعمق في تعريفات (سوسير) ورؤيته المتعلقة بالدال والمدلول؛ إذ يرى أنّ الدال يمثّل حضوراً ماديًا، بينما المدلول يمثّل غيابًا ولكنّه حاضر معنويًا (Khumri, 2001, p.14-15). ودون الغوص في تفاصيل رؤية "دريدا" الذي قدّم رؤية مناقضة حين رفض مفهوم "سوسير" الخاصّ بوظيفة الدّال والمدلول ليأخذ بمفهومه لتحمل في داخلها قوتين أساسيتين، هما: قوّة الاختلاف وقوّة التأصيل (Ravindran: 2002, p.151) ؛ إذ إنّ الحضور هنا يشكّل قلقًا لأنّه دومًا يشي بسؤال، والغياب في النصّ هو "**نتاج فعل القراءة الواعي بإمكانيات الغياب ودلالته في النصّ**" (Obaidullah, 2000, p.215).

من هنا فإنّ محاولة البحث في حضور الشخصيات وغيابها في هذه الرواية تجعل المتلقي يُدرك أنّ "هرتزل" تعامل مع شخصياته الفلسطينيّة المحدودة ضمن ثنائيّة أساسيّة هي الحضور والغياب ضمن مستويات عديدة:

- الحضور والغياب ضمن الصّوت السّرديّ: حضور اليهوديّ وغياب العربيّ.
- الحضور والغياب لشخصيّة الفلسطينيّ الرّجل دون المرأة.
- الحضور والغياب للمرأة الفلسطينيّة؛ حضور اليهوديّة وغياب العربيّة الفلسطينيّة.

فالشخصيّة لها دورها الكبير في العمل، ولا يُمكن بحال من الأحوال الكلام عن الأحداث التي تجري في الواقع المتخيل أو الحقيقي "**دون التطرّق إلى الشخصيّات التي تقوم بها، كما لا يمكن أن نتحدّث عن أشخاص إلا مرتبطين بأحداث معيّنة أو صفات معيّنة**" (Al-Fartousi, 2009, p.69)، ولأنّ الشخصيّة الرّوائيّة بوصفها "**انعكاسًا لعلاقة الرّوائيّ بشخصياته المتخيّلة التي لها أصول حقيقيّة أنتجتها ظروف العصر**" (Alloush, 1985, p.126) ممّا يجعل النّظر إلى شخصيّات "أرض قديمة جديدة" من هذا المنظور كون التعامل مع الشخصيات هنا مختلف عن تعامل الروائيّ معها بالوضع الطبيعيّ؛ فهدف "هرتزل" الأوّل هو التّرويج لمشروعه الصّهيونيّ؛ لذا فإنّ تعامله مع الشخصيات نابع من هذه الفكرة التي ينطلق منها؛ فقد تحوّلت الشخصيّات إلى دمى وظيفيّة تحرّكها يد المؤلّف.

فالغياب هنا غياب مبنيّ على خطّة استراتيجيّة واضحة الملامح، وموظّفة توظيفًا ديناميكيًّا؛ لأنّها الأساس والمحرّك الخفيّ المنظّم الذي تسير خلفه الأحداث؛ مما يحوّل الغياب هنا إلى تغييب متعمّد وتهميش واضح.

الحضور والغياب على المستوى السرديّ

يقوم نصّ رواية "أرض قديمة جديدة" على تعدد الأصوات الروائية، فما بين السارد العليم في البداية، ومجموعة السّاردين الذين تولوا مسؤوليّة السّرد من خلال الحوارات المختلفة بين الشّخصيّات أثناء رحلة استكشاف فلسطين بعد عشرين عامًا من بداية العمل، والاجتماعات والخطابات لقيادات الصّهيونيّة في فلسطين وغيرها ... إذ يلمح المتلقّي غيابًا واضحًا للصّوت الفلسطينيّ مع أنّه صاحب الأرض والحقّ والمكان؛ فلا يوجد حضور للفلسطينيّ على المستوى السّرديّ إلا في بضع فقرات يتولاها رشيد بك، في حين تتوالى الأصوات السّرديّة اليهوديّة طوال العمل.

فرغم أن الرّواية البوليفينيّة (متعددة الأصوات) "**ذات طابع حواري على نطاق واسع**" (Bakhtin, 1986, p.59)، ورغم أنّ هذه التعدّدية تقدّم مقوّمات وخصائص مهمّة كونها تعني تعدديّة "**في أنماط الوعي، وتعدديّة في الطروحات الفكريّة، والتعدديّة في المواقف الأيديولوجيّة**" (Hamdawi, 2012)، لكنّ القارئ لا يَلمح هذا في هذه الرّواية إلا من الجانب الصهيونيّ، فتُسمع حواراتهم وأحلامهم وأفكارهم وصراعاتهم الداخليّة ورؤاهم المستقبلية، وفي المقابل لا يُلمح ولا يُسمع الصوت الفلسطيني لأنّه مغيّب، ليس له دور ولا حضور، وحتى حين يحضر خافتًا فإنّه يكون لخدمة الفكر الصّهيونيّ من ناحية، ولإعطائه الشرعيّة والحقّ في البلاد والأرض؛ فالصّهيونيّة نتاج الاستعمار والإمبرياليّة المدعّمة بنظرية تسوّغ الاستيطان واضطهاد الآخر، والاستيطان وكذلك الإمبرياليّة ليست "**مجرّد فعل بسيط من أفعال التّراكم والاكتساب، فكلّ منهما مدعّم ومعزّز بل وربّما كان أيضًا مفروضًا من قبل تشكيلات عقائديّة مهيبة تشمل مفاهيم فحواها أن بعض البقاع والشعوب**

تتطلب وتتضرّع أن تخضع للسيطرة" (Said, 1998m, p.80)، وهذا يبدو تمامًا في موقف (رشيد بك) في واحدة من المرات القليلة التي سُمح لصوته أن يظهر فيها؛ فحين جرى الحوار بين "كينغز كورت" وبينه حول مكانة الفلسطينيين سكان البلد الأصليين بعد دخول الصّهاينة وامتلاكهم الأراضي وموقفهم من هذا الأمر، وتساؤله إن كانوا يرون أن مكانتهم قد تضعضعت وأوضاعهم اختلفت، كان جوابه مستنكرًا **"أيّ سؤال هذا! لقد كان هذا الأمر بركة لنا جميعًا"** (Herzl, 1968, p.100)، فمن الذي يتحدّث؟ هل هو صوت الفلسطينيّ الحقيقيّ؟ وهل يمكن أن يكون (رشيد بك) وأمثاله ممثلين للشعب الفلسطينيّ والوجود الفلسطيني؟! دون شك لا، فمن يتحدّث هنا هو "هرتزل" وأمثاله من الصّهاينة الذين حاولوا فرض أفكارهم وآرائهم دون النّظر لما خلّفوه أوسيخلّفونه وراءهم من دمار بوصف هذا العمل صورة استشرافيّة لما سيكون عليه الحال. إنّه المنهج الرغائبّي الذي يتقمّص شخصيّة الآخر، ويفرض عليه ما يتمناه وما يريده بغضّ النّظر عن الواقع والاختلاف.

ومع أنّ تعدّد الأصوات يُفترض فيه أن يؤكّد الاختلاف بصوره المتعدّدة وبأنساقه المختلفة سواء في مستويات السّرد أو الخطاب إلا أنّه هنا يمكن أن يخرج من دائرة التّعدديّة كونه يمثل صوتًا واحدًا وخطابًا واحدًا؛ فالبنية السّرديّة المهيمنة تأخذ مسارًا واحدًا وفكرًا أحاديًا؛ بمعنى أنّ "هرتزل" هنا يمارس فعل الكتابة لكّنه منحاز لخطابه بكلّ الطرق الممكنة، وهذا الأمر بدهيّ لمن يروّج لخطابه، إذ كيف لتلك الرؤية الاستعماريّة الاستيطانيّة أن ترى الآخر، أو تحسب حسابًا له أو لوجوده؟

الحضور والغياب على مستوى الشّخصيّة الذّكوريّة الفلسطينيّة

تمتاز رواية "أرض قديمة جديدة" -كما ذُكر- بمحاولة تغييب الوجود الفلسطيني لحساب تكثيف الوجود الصهيونيّ؛ ومن ثَمّ الوصول إلى أحادية الصوت والفكر والوجود؛ إذ إنّ الاستيطان الإسرائيليّ لا يختلف عن دول الاستعمار الأخرى التي كانت تتعامل مع سكان الدّول التي تستعمرها بوصفهم أشياء بلا قيمة، صحيح **"أنّ وجودهم لذو أثر على الدوام لكن أسماءهم وهويّاتهم لا أثر لها، وهم مَصدر للربح دون أن يكون لهم وجود تامّ، وهذا معادل أدبيّ بكلمات إريك وولف المهنئة لنفسها إلى حدّ ما، بشر دون تاريخ، بشر يعتمد عليهم الاقتصاد والدولة"** (Said, 1998, p.132) لكن دون حضور حقيقيّ وملموس، وهو ما نراه في تمثيل الشّخصيّة الذّكوريّة من خلال شخصيّة رشيد بك، هذا الشّابّ الذي قدّم له "هرتزل" أوصافًا ماديّة إيجابيّة من وجهة نظره؛ ففي الطريق إلى منزل "دافيد لوتينفاك" توقفوا عند منطقة سكنه، ذاكرًا لهم أنّ بعض الوجهاء المسلمين يقيمون هناك، ومنهم صديقه رشيد بك، الذي كان واقفًا أثناء مرورهم، فـ**"أمام بوابة حديديّة لإحدى الحدائق التي مرّوا بها وقف رجل بهيّ الطّلعة، في زهاء الخامسة والثلاثين من عمره، ارتدى الملابس الأوروبيّة السوداء، واعتمر طربوشًا أحمر، حياهما تحيّة شرقية"** (Herzl, 1968, p.67)؛ فقد كان ودودًا إلى درجة جعلت (كينغز كورت) يتساءل مندهشًا **"أيّ مسلم هذا؟"** (Herzl, 1968, p.67). رشيد بك الفلسطيني المسلم هو من اختار "هرتزل" حضوره في العمل، وقدّمه بصورة نمطيّة للفلسطينيّ في الأدب العبريّ، وهي شخصيّة المتصالح المحبّ للضيوف اليهود الذي يتعايش مع العدو، ويتكسّب من العمل معه، الذي يسوّغ لنفسه ولعدوّه شرعية الوجود، وقد ورث هذا الأمر من والده؛ في إشارة إلى أنّ هذا الأمر أصيل في الشّخصيّة الفلسطينيّة وليس طارئًا؛ **"فقد تعلّم في برلين، كان أبوه أحد أولئك الذين فهموا فورًا فائدة الهجرة اليهوديّة، وساهم في نشاطنا الاقتصاديّ؛ فأصبح غنيًا؛ ولا يفوتني أن أقول إنّ رشيد بك هو عضو مؤسّس في مجتمعنا الجديد كذلك"** (Herzl, 1968, p.67)؛ لا بدّ أن يكون رشيد بك عضوًا مؤسّسًا ما دام يحمل فكرًا مؤيّدًا للوجود الصّهيونيّ، وما دام يجد خيرًا واضحًا فكما يقول **"أصحاب الأملاك الذين باعوا أراضيهم بأسعار عالية للمجتمع اليهوديّ، أو الذين حافظوا على أراضيهم في انتظار سعر أعلى، فأنا شخصيًا قد بعت الأراضي لمجتمعنا الجديد، وعلى هذا فقد وجدت خيرًا عميمًا"** (Herzl, 1968, p.101)، وكأنّ الأرض الفلسطينيّة محطّ النّزاع مجرّد مسألة اقتصاديّة استثماريّة دون أبعاد سياسيّة وسياديّة مدمّرة، هذا هو الحضور الذي اختاره للفلسطيني؛ فإضافة إلى الصورة الاستشرافيّة التي قدّمها "هرتزل" للعربي (المتأورب) فإنّ حضوره قائم على التّواطؤ والتّماهي مع العدوّ، والانخراط في مجتمعه الجديد دون شعور بوطنه أو إحساس بأنّه فقد شيئًا بل على النّقيض من ذلك وجد نفسه وقد حصل على مكاسب عديدة فقد عاد **"واستأجرها"** (Herzl, 1968, p.101) مرة ثانية؛ وذلك لأنّه حسب قوله **"قد رغبت الالتحاق بالمجتمع الجديد"**

(Herzl, 1968, p.101)، وهذا اعتراف ضمنيّ من صاحب الأرض بتخلّفه وتأخرّه وكأنّه يقول: اسمحوا لي بالالتحاق بكم لأتقدّم، وحين التحق بهذا المجتمع الجديد بات يتحدّث بلسانه وبوقًا له يروّج مقولاته الاستعماريّة، ويجد في اغتصاب الوطن خيرًا كثيرًا، وهذا ما ظهر من حواره مع "كينغز كورت" الذي تساءل مندهشًا عن نصيب الفلسطينيين الكثيرين الذين لم يكونوا يملكون شيئًا، ليجيبه رشيد قائلًا **"الذين لم يكونوا -يملكون شيئًا- وطبيعيّ أنّه لم يكن من المنتظر أن يخسروا شيئًا ربحوا ولا شكّ، لقد ربحوا فعلًا: إمكانات عمل، رزق، مكانة أفضل. لم يكن ثمة منظر بائس يبعث على الرّثاء كمنظر قرية عربيّة في أرض إسرائيل في أواخر القرن التاسع عشر. لقد أقام الفلاحون في بيوت من الطين بائسة، وكانت العناية بالأطفال معدومة، أمّا الآن فقد تغيّر كلّ شيء. لقد استفادوا من المؤسّسات الكبيرة العامّة سواء أرادوا ذلك أم لا، سواء التحقوا بالمجتمع الجديد أم لا"** (Herzl, 1968, p.102)؛ لا يختلف ما قاله رشيد إطلاقًا عمّا كان يقوله الصّهاينة في العمل طوال الوقت**"إنّ الحضارة فوق كلّ شيء، وقد جلبنا نحن اليهود الحضارة إلى هنا"** (Herzl, 1968, p.100)، فرشيد كما هو واضح –شخصيّة مجتثّة من جذورها وواقعها، مشتقّة من عقل الكاتب وليس من الواقع-، وهي الصورة التي أراد "هرتزل" أن يرينا إياها، صورة الفلسطيني الذي لا يرى عيبًا أو جريمة في التخلّي عن الأرض؛ فالموضوع من السياسة ويتموضع في إطار الإصلاح والإعمار والاستثمار الأمثل، يرى في خسارة بلاده مكسبًا حقيقيًّا؛ فحين علّق "شتاينك" على الوجود الفلسطينيّ قبلهم إذ قال **"لست أريد إنكار حقيقة أنكم كانت لكم بياراتكم قبل مجيئنا، إلا أنكم لم تستطيعوا الاستفادة منها كما يجب إلا الآن"** (Herzl, 1968, p.100)؛ ليوافقه رشيد بك الرأي **"لقد ازدادت إيراداتنا إلى درجة كبيرة، كما كانت صادراتنا عشرة أضعاف بعد أن حظينا بأحسن طرق المواصلات مع العالم كلّه، حقًا لقد ازدادت قيمة الأملاك جميعها منذ قدومكم"** (Herzl, 1968, p.101)، حتى أنّه لم يتوانَ في الدفاع عن اليهود حين سأله "كينغز كورت" فيما إذا كانوا يرونهم أعداء استباحوا بلادهم؛ لينبري رشيد بك قائلًا **"ما أغرب كلامك، أيّها المسيحيّ! إنّ الإنسان الذي لم يأخذ منك شيئًا وإنّما أعطاك شيئًا- هل تعتبره لصًا؟ لقد أغنانا اليهود، فعلام نتذمّر منهم؟ إنّهم يعيشون معنا كإخوة، فعلامَ لا نحبّهم؟ لم يكن لي من بين أبناء جلدتي صديق أحسن من دافيد لوتفيناك"** (Herzl, 1968, p.103)، يمثّل هذا القول نبوءة واستشرافًا لما سيحصل لاحقًا للأسف الشديد من بعض المتنفذين و(الأفنديّة) في فلسطين، وهذا نراه بشكل صريح في البرقيّة التي أرسلها "حسن شكري"[4] رئيس بلدية حيفا إلى الحكومة البريطانية عام 1921 حين ذهب الوفد الفلسطينيّ الوطنيّ ليحاول إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور؛ وممّا جاء فيها **"نعارض بشدّة موقف الوفد المذكور المتعلّق بالمسألة الصهيونيّة، ونحن لا نعتبر الشّعب اليهوديّ عدوًا يرغب في سحقنا، بل خلافًا لذلك نحن نعتبرهم شعبًا شقيقًا، يشاركنا أفراحنا وأوجاعنا ويساعدنا في بناء وطننا المشترك. نحن على ثقة بأنّ بلادنا لن تشهد تطوّرًا في المستقبل بدون الهجرة اليهوديّة والمساعدات الماليّة. ويشهد على ذلك جزئيًا وضع المدن التي يسكنها اليهود، مثل القدس، حيفا وطبريّة، التي تحرز تقدّمًا مطّردًا، بينما تعيش نابلس، عكا، والناصرة، حيث لا يقيم يهود، تدهورًا مستمرًا"** (Cohen, 2015, p.32). وهذا كان نهجًا واضحًا اتّبعته الحركة الصّهيونيّة لخلق متعاونين يسهّلون تنفيذ مشروع الوطن القوميّ اليهوديّ كما فعل "وايزمان" الذي التقى مع شخصيّات مختلفة من الفلسطينيين وزعماء البدو والمخاتير والوجهاء. ووضع خطّة محكمة وإجرائيّة أمام نشطاء الاستخبارات الصّهيونيّة لتحقيق هذا الهدف في الأردنّ وفلسطين جاء فيها عدد من البنود منها **"تشجيع إنشاء علاقات صداقة مع العرب وفتح نوادٍ للتعاون، والتحالف مع أمراء العشائر المتنفّذة في الجانب الشرقيّ لنهر الأردنّ، وإثارة النّزاعات بين المسلمين والمسيحيين"** (Cohen, 2015, p.30). ونجد ترجمة تكاد تكون حرفيّة لتصوّرات "هرتزل" عند "كالفاريسكي" رئيس القسم العربي للجنة التنفيذيّة الصّهيونيّة الذي وضع الخطوط العريضة للسياسة الصّهيونيّة المتعلّقة بالفلسطينيين **"إذا برّرنا عمليًا، بأنّ تأسيس وطن قوميّ لليهود سوف يعود أيضًا بالنفع على السكّان غير اليهود، فسنجد بين غالبيّة الأفنديّة المسلمين، بمن فيهم الزّعماء، عنصرًا ما سوف يعارض أسلوب العنف والبغضاء، ويستقيل من الجمعيّات الإسلاميّة/ المسيحيّة ... ويتطلّب الطريق الوحيد**

لكسب قلوب الأعضاء المسلمين الواحد تلو الآخر، منح هؤلاء جزءاً من الفوائد الاقتصاديّة التي يتوقّعونها من تأسيس الوطن القوميّ اليهوديّ. وبعد شراء الأفنديّة، سوف تستمر غالبيّة سكان فلسطين، في المستقبل كما في الماضي، في انقيادها لهذه الطبقة المتحجّرة، وسوف يأتون أيضًا إلى جانبنا" (Cohen, 2015, p.32). وهذا يدفع إلى التّساؤل: أين الفلسطينيّ الحقيقيّ الذي يقاوم ويدافع عن أرضه؟ وأين الفلسطيني الرافض للوجود الصهيونيّ؟ وأين الفلسطينيّ القويّ القادر على إيصال صوته عاليًا والتّعبير عن وجوده؟ وهل هذا هو الحضور الذي اختاره للفلسطينيّ؟ طبعًا يتعذّر على "هرتزل" الاعتراف بالحقيقة، وطرح مخاوفه وهواجسه من رفض المجتمع المحلّيّ المتوقّع لقدوم اليهود، ولو فعل ذلك لوضع الحركة الصّهيونيّة أمام خيارات ليست مستعدّة لها؛ فالاعتراف بالمقاومة المتوقّعة يعني الاستعداد العسكريّ، وهذا لم يكن متوفّرًا حتّى ذلك الوقت، وليس له إلا طرح النوايا الطيبة التي يتوقّع مثلها من العربيّ؛ حيث إنّ سوء النيّة بالعربي سيظهر الصهيونيّ شكّاكًا وعدوانيًا وما شابه ذلك.

والغياب هنا أيضًا يحمل مدلولًا آخر، غياب فرضته دوافع الصّهاينة بتصوير الفلسطينيين بصورة موافقة للإيديولوجيّة الصّهيونيّة التي تعمل على إظهارهم بصورة بذيئة ودنيئة كما فعل "هرتزل" حين صوّرهم **"كشعب قذر، يبدو مثل قُطّاع الطّرق"** (Massad, 2009, p.382)، في حين كان ظهور الشخصية الصّهيونيّة ظهوراً أوروبيًا ثقافيًا يدفع بوضوح المشروع الثقافيّ الصهيونيّ إلى الوجود فـ **"هدف الصّهيونيّة كان ضمان أوروبيّة إسرائيل لا آسيويتها أو بعبارة الصّهيونيّة (لا مشرقيّتها)"** (Massad, 2009, p.381) ، وهذا الأمر مسوّغ لغياب الشّخصيّة الفلسطينيّة الواعية والمدركة والقادرة على البناء في ظلّ حضور طاغٍ للشخصيّة الصّهيونيّة المثقّفة والقادرة التي تملك كلّ الإمكانيات لتبني مجتمعًا حقيقيًا وتقاوم جميع الظّروف والتحدّيات، وتبني وطنًا من لا شيء، ويمثل الحضور الصّهيونيّ شخصيّة "دافيد لوتفيناك" هذه الشّخصيّة الحاضرة قبل وبعد، قبل غياب "لوفينبرغ" حين كانت الصّهيونيّة فكرة تدعو للسّخرية، ولاحقًا حين تحوّلت إلى حقيقة واقعيّة حقّقت لليهود الوطن القوميّ الذي خططوا لوجوده.

في هذا الانتقال إلى الشّخصيّة الصّهيونيّة تبدو الصورة أكثر وضوحًا؛ فقد أعطى "لوتفيناك" مواصفات إيجابيّة بدءًا بالبعد الماديّ حين قدّمه **"شابًا في الثلاثين قوي البنية مديد القامة، وقد لوحت الشمس وجهه الذي كانت تزينه لحية قصيرة سوداء اللون"** (Herzl, 1968, p.58)، مروراً بصفاته القياديّة وأفكاره التي ساهمت في بناء المجتمع اليهوديّ الذي أراده "هرتزل"، وظهر ذلك بوضوح في عدد من المشاهد في الرّواية، خاصّة أنه اختاره ليكون واجهة الصّهيونيّة، والمروّج لأفكارها، وهذا يبرّر مساحة السّرد الكبيرة التي يظهر فيها صوته، بل يطغى على الأصوات جميعها، فحين أراد الحديث عن تسامح اليهود مع الآخرين في المجتمع الجديد تولى "لوتفيناك" الأمر وهو يخاطب "كينغز كورت" **"يجب أن تعلم بأنّني والذين يشاركونني الرأي لا نميّز بين إنسان وإنسان، إنّنا لا نسأل عن دين الإنسان أو عنصره، يكفينا أن يكون إنسانًا فقط"** (Herzl, 1968, p.64)، وعندما يتحدّث عن تعامل الدّولة مع أبنائها وعدالتها معهم نسمع صوته **"إنّنا نسعى لإيجاد اللائق والصّالح حقًا حتّى وإن كان منطويًا على نفسه في زاويته"** (Herzl,1968, p.72)، ولمّا ظهرت بوادر خلافات في الصّفّ اليهوديّ في أحد الاجتماعات المخالفة لفكر الدّولة لا يُوجد سواه ليحلّ الموقف المتأزّم بكلّ حنكة ودراية رغم عمره الصّغير نسبيًا، ويؤكّد أهميّة الدّولة القائمة على جهد أبنائها جميعًا **"إنّكم اشتغلتم بكلّ الحماس الذي نملكه نحن اليهود لبلادنا المقدّسة، لقد كانت بالنّسبة لنا أرضًا طيّبة لكوننا طيّبناها بحبنا ... لم يفلح هؤلاء إلا في إقامة الدّولة القرية القديمة، أمّا أنتم فقد أسّستم القرية الجديدة"** (Herzl, 1968, p.113)، لقد كان "دافيد لوتفيناك" الصّورة المثاليّة التي رسمها "هرتزل" للصّهيونيّ الجديد، المثقّف الواعي القادر على البناء والعمران، الساعي لتطوير بلاده والعيش ضمن مبدأ التشاركيّة الذي وضعه، المؤمن بأفكار الصّهيونيّة منذ نعومة أظفاره، فمنذ أن كان في العاشرة من عمره حين رآه الدكتور "فريدريك" استطاع هذا الصّبيّ أن يبهره بإيمانه العميق بأنّ الدّولة الصّهيونيّة لا بدّ أن ترى النّور قريباً، مجسّدًا الفوائد الكثيرة من وجهة نظره لما عاشه اليهود من عذابات في أوروبا إذ **"ثمّة فئات كبيرة من البشر تؤمن بأنّ ألوان المرارة والهوان في التجربة التي قادت عمليًا إلى استعبادهم كانت رغم ذلك ذات فوائد (مثل) الأفكار التحرّريّة، ووعي الذات**

القوميّ، والمنتجات التقنويّة (وهي فوائد) يبدو أنّها مع مرور الزمن جعلت الإمبريالية أقل مضضًا بكثير" (Said, 1984, p.88)؛ مؤكّدًا أنّ أسلوب السّرد الإخباري الذي تولاه "لوتفيناك" وهو يتحدّث عن تفاصيل بناء أو مغامرة بناء الدولة الصّهيونيّة من وجهة نظره يوصل القارئ إلى فكرة خلاصتها أنّ الرواية بشكل عام لا يمكن أن تسلك نهج السّرد التاريخيّ، بل هي إعادة استنطاق للواقع والتّاريخ معًا؛ للوصول إلى الهدف الأساس، وهو عدم فقدان رواية الصّهيونيّة بريقها في ذاكرة السّارد والمتلقّي في آنٍ معًا، فما كان يسرده يبطن في داخله معاني ودلالات أكثر مما يُظهر؛ حيث يبدو الواقع الفلسطيني واقعًا متأزّمًا متشرذمًا يعاني أزمة الوجود وأزمة الانتماء وأزمة الهويّة، في حين يصل الصّهيونيّ إلى هدفه ويحقّق كيانه ووجوده وهويّته، وهنا ندرك قدرة الحكي (النّصوص الأيديولوجيّة) الموجود في السّرد الروائيّ على تغيير الواقع وقلب الحقائق. فكان هذا النّوع حاضرًا في ظلّ غياب متعمّد للفلسطينيّ الواعي القويّ القادر على البناء والتّضحية.

الحضور والغياب لشخصيّة المرأة الفلسطينيّة

الشّخصيّة الفلسطينيّة الثّانية التي تظهر في الرّواية هي شخصيّة فاطمة زوجة رشيد بك، وما يُمكن ملاحظته هو ذلك الظّهور الضّئيل لها الذي لا يتعدّى مشاهد محدودة صامتة؛ ومع ذلك فهو يمكن أن يندرج ضمن ثنائيّة الحضور والغياب بقطبيها، (المرأة الفلسطينيّة مقابل المرأة الفلسطينيّة). و(المرأة الفلسطينيّة مقابل المرأة الصّهيونيّة).

فالصّورة التي قدّمها "هرتزل" لهذه المرأة تخدم فكرته الأساسيّة، وهي صورة لا تختلف في جوهرها عما قدّمه لزوجها؛ أيّ الفلسطينيّ المرحّب بالصّهاينة والصّديق لهم، فقد كان ظهورها الأوّل في المسرح وهم يهمّون بحضور الأوبرا، فحين رأتها مريم أشارت **"هذه زوجة رشيد بك، إنّها صديقتنا، وهي مخلوقة جميلة حكيمة، إنّنا نجتمع في أوقات متقاربة، ولكن في بيتها فقط، إنّ عادات الإسلام -ورشيد بك دينّ جدًّا- تجعل من زيارتها لنا أمرًا صعبًا"** (Herzl, 1968, p.83)، إذن فاطمة صديقة مرحّبة بوجودهم لكنّها امرأة منغلقة، غير قادرة على الخروج من منزلها وكأنّها حبيسة ويجب أن تبقى كذلك؛ فحين خرجوا في النّزهة التّعريفيّة في البلاد لم ترافقهم، فمن **"وراء الشّبكة الخشبيّة لإحدى النّوافذ في الطّابق الأوّل ارتفعت يد امرأة جميلة بيضاء تلوّح بمنديل"** (Herzl, 1968, p.97)، وحين سأل فريدريك مستغربًا **"وتلك المرأة المسكينة مضطرة إلى البقاء وحدها في البيت"** (Herzl, 1968, p.97)، ردّت عليه مريم بأنّها **"امرأة راضية مسرورة ... إنّني متأكّدة أنّها مسرورة من صميم قلبها بالنّزهة التي يقوم بها زوجها"** (Herzl, 1968, p.98)، هذه هي المرأة الفلسطينيّة التي اختار "هرتزل" وجودها، امرأة بلا شخصيّة وبلا وجود أو كيان، كما أنّها مستلبة ومتواطئة على ذاتها، لقد كانت هي المثال المثير للإعجاب لديه، وهذا واضح في قول "فريدريك" **"ومهما يكن من أمر فإنني معجب بهذه المرأة التي تطيع فتبقى وراء الشبكة الخشبيّة في مثل هذا الصباح"** (Herzl, 1968, p.98)، والأكثر غرابة هو تأكيده على حالة الرّضا والفرح التي تنتابها، وهي تمثّل المرأة الشرقيّة في مجتمع ذكوريّ تقليديّ؛ أيّ أنّ المثال الوحيد الذي وجده والصّورة الوحيدة التي تليق بهذه المرأة هي صورة الخنوع والذّلّ والخضوع الذي تتقبله راضية سعيدة؛ أمّا التفوّق والعمل والبناء فهو عند المرأة اليهوديّة كما هو الحال مع مريم التي **"نهضت من مجلسها قبل أن ينتهوا من الطعام، لقد كان عليها أن تذهب إلى مدرستها"** (Herzl, 1968, p.71)، فهي تعمل **"معلّمة في مدرسة ثانويّة للبنات، وهي تعلّم اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة"** (Herzl, 1968, p.71)، فهي تعمل ليس لأنّها بحاجة ماديّة بل لشعورها بدورها وأهمّيته؛ ولأنّ المجتمع الجديد أعطاها حقوقها كاملة **"إنّها لا تفعل ذلك بغية الحصول على الرّزق، لقد بلغت مبلغًا والحمد لله لم تعد معه أختي مهدّدة بالعوز، ولكن عليها واجبات، وهي تقوم بها الآن؛ لأنّ لها حقوقًا كذلك، إنّ للنساء في مجتمعنا الجديد كامل الحقوق مع الرّجال"** (Herzl, 1968, p.72)، فدورهنّ واضح ومحوريّ وليس هامشيًا إذ يشاركن في البناء كما يشاركن في السّياسة، إضافة إلى دورهنّ المعنويّ في دفع الرّجال نحو بناء الدّولة إذ **"إنّ لهنّ الحقّ في أن ينتخبن ويُنتخبن.. وهذا أمر بدهيّ، لقد اشتغلن معنا بإخلاص في إقامة مؤسساتنا، وإنّ حماسهن لفكرتنا الكبيرة هو الذي شجّع روح الرّجال"** (Herzl, 1968, p.71-72). وعملهنّ هذا ودورهن يُرى في جميع الشّخصيّات النّسائيّة الصّهيونيّة تقريبًا، فكلّهنّ يقمن بدورهنّ في بناء الدولة، كما لهنّ الحق بالعيش بسعادة واستقرار، ويأتي هذا الشّكل من أشكال الحضور والغياب ملائمًا للفكر الاستعماري الذي

غالبًا ما يتعامل مع الآخر من منطق الغياب؛ إذ **"لا يمنحون كثافة الحضور"** (Said, 1984, p.132) وبالتالي لا يمنحون الوجود، ويصبحون مجرّد أشكال مفرّغة من مضامينها وموروثاتها وحضارتها. واتخاذ ما يردن من قرارات، أمّا المرأة الفلسطينية فهي مغيبة حتى في حضورها؛ فصورتها ثابتة، إنّها صورة تفتقر للتعدّد والتنوّع، ولا تظهر أبعادها المختلفة المشكّلة لشخصيتها؛ وذلك نابع من رؤية سردية واعية تسعى إلى تغييب يصبّ في جانب الهدف الذي يسعى إليه الكاتب، وهو تأكيد فكرة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

ومن ناحية فنيّة فالمجتمع الفلسطيني آنذاك مجتمع محافظ، وتتجلّى محافظته في احتجاب المرأة عن المجال العام، ومن ثَمّ لو تطرّق للمرأة الفلسطينية وأعطاها دورًا مثل دور رشيد بك لوقع في المحظور؛ أي أفقد روايته الكثير من المصداقيّة وهي غير متوفّرة أصلًا.

هرتزل والوعي الزائف في رواية "أرض قديمة جديدة"

أطلق كارل ماركس هذا المصطلح على هذه الظاهرة التي تنطلق من الأيديولوجيا وهي تروم تشويه الحقائق، وتزييفها بقصد تبرير موقف السلطة، أو الطبقات الاجتماعية المهيمنة؛ وقد جاء هذا التّعبير النّقديّ بسبب الرّغبة في تفنيد مثالية هيغل التي تجعل البشر أدوات في أيدي التاريخ (Mabrouk, 2011, p.108). ويعرّفه محمود أمين العالم بأنّه ذلك **"الوعي الخاصّ الذي تعبّر من خلاله السلطة عن مصالحها، وأنّه الوسيلة النظرية الأساسية التي تعكس المصالح الطبقية فيها ومن خلالها"** (AL-Alem: 1986, p.582)، ومن هذا المنطلق بالذات، من محاولة "هرتزل" تقديم وعي خاصّ يخدم فكرة الدّولة اليهوديّة التي قدّم رؤيته لها في كتابه (الدّولة اليهوديّة) تظهر فكرة الوعي الزّائف، فقد حاول تقديم صورة مغايرة لما حصل لاحقًا على أرض الواقع، صورة تكملها رواية "خربة خزعة" التي سيتحدّث الباحث عنها في الجزء الثّاني من الورقة؛ فقد صوّر بناء الدّولة التي يرغب بها تصويرًا طوباويًّا شبيهًا بمدينة أفلاطون الفاضلة، مجتمعها علماني منفتح ومتعدّد الثّقافات، يقوم في بنائه على مبدأ الاقتصاد المختلط الذي أعطاه سمة التّشاركيّة؛ المُلكيّة فيه عامّة للأراضي وللموارد الطبيعيّة، والعدالة والمحبّة سائدة ممّا يجعل الجميع مقبلًا على العمل والإبداع؛ هذا المجتمع فيه لغات متعدّدة وموانئ حديثة تضاهي تلك الموجودة في أوروبا، إضافة إلى أنّه متعاون ومتحضّر بحيث نجد الأوبرا الفرنسية هي الفن الذي يقبل الجميع على مشاهدته، كما أنّ العرب واليهود يعيشون جنبًا إلى جنب بسعادةٍ وصداقة ووئام، ولا يوجد عدوّ حقيقيّ يقف في طريق هذه الدّولة إلا ذلك الحاخام المعادي للصّهيونيّة الذي يرفض وجود غير اليهود في القدس. لذا فإنّ أيّ شخص قادر على المساهمة ويريدها ومستعدّ لتولي واجبات المواطنة وتقديمها كما يجب فإنّه مرحّب به، فهو يرسم عالمًا مثاليًّا قائمًا على الصّهيونيّة الاشتراكية، عالمًا فيه كل سبل التقدّم، هو لا يرسم دولة **"لم نجتمع هنا لانتخاب رئيس للدولة لأننا لسنا دولة بعد"** (Herzl, 1968, p.203)، بقدر ما يقدّم مجتمعًا أو **"شركة تعاونيّة كبرى تضمّ شركات تعاونية مختلفة الأحجام"** (Herzl, 1968, p.201). لقد خلق "هرتزل" أيديولوجية (وعيًا زائفًا) مبنيًا على قلب الحقائق، وتقديم الاحتلال بصورة إنسانيّة أبعد ما يكون عنها. وهذه الصّورة المثاليّة هي في حقيقة الأمر صورة مغايرة للواقع؛ إذ إنّ الصّهاينة وعلى رأسهم "هرتزل" بطبيعة الحال يرفضون أن يكون هناك غيرهم في هذه الأرض، هم وحدهم من يملكون الحقّ في خيراتها وفي إدارتها والعيش فيها، وقد ظهر ذلك في مواقف مختلفة؛ منها الحادثة الشّهيرة التي حصلت حين **"اكتشف المستعمرون الصهاينة عام 1908م أنّ شجيرات إحدى الغابات التي أنشئت في منطقة بن شيمن قرب اللّد، إحياء لذكرى ثيودور هرتزل، كان العرب هم من زرعوها، قاموا باستئصالها ثمّ أعادوا زرعها من جديد"** (Massad, 2009, p.332)؛ إضافة إلى المقالة المنشورة في الجريدة الإسرائيليّة الرّوسية "نوفوستي" بعنوان "كيف نجبرهم على الرحيل؟" حين اقترحت الصّحفيّة فيها **"أن تهدّد الحكومة الإسرائيليّة بخصاء العرب من أجل دفعهم إلى مغادرة البلاد"** (Massad, 2009, p.332-333)، وهي مثال من أمثلة كثيرة على هذه النظرة المعادية للعرب الرّافضة لوجودهم؛ والتي أضحت نهجًا ثابتًا للصّهيونيّة إذ انتهجت "سياسة تتميّز بمزيد من التعصّب والتّطرف تجاه العرب عامّة، وتجاه الفلسطينيين بصفة خاصّة، وأبدت استعدادها من خلال الغيرة على "أرض إسرائيل الكاملة" لاتّخاذ جميع التدابير الممكنة (الطّرد- التّرحيل) لحلّ المشكلة الفلسطينيّة. ولم تعُد "المناطق المحتلّة" مجرّد وسيلة من أجل الدفاع عن الدّولة، وفق النّظريّات الأمنيّة، بل أصبحت، وفق هذه الأيديولوجيّة، هدفًا مقدّمًا، وتحوّلت صيغة "الوعد الإلهي" إلى برنامج سياسيّ ملزم"؛ فإذا كان الأمر كذلك يبقى السّؤال: إلى أيّ حدّ يمكن تغيير الماضي لإعطاء واقع مختلف؟

صورة الفلسطيني في رواية "خربة خزعة"

"خربة خزعة" بين الوعي القائم والوعي الممكن

التعريف بالرواية

ربما كانت رواية "خربة خزعة" من الروايات الأولى في الأدب العبري الحديث التي تحدّثت عن قصّة النكبة وما حصل للفلسطينيين من طرد وشتات عام 1948م من خلال شخصية السّارد الذي يسترجع شريط الذاكرة للأحداث التي شهدتها خربة خزعة التي ترمز إلى الأراضي الفلسطينية من تشتيت وعذابات غير مبرّرة، حيث تقوم وحدة من الجيش الإسرائيلي بتنفيذ أوامر النفي والطرد، وتطهير القرية عام 1948. منطلقين من اقتناع خاطئ بأنهم يقومون بذلك دفاعًا عن النفس كون القرويين الفلسطينيين إرهابيين يجب التخلّص منهم، لكن ما قام به هؤلاء الجنود لم يكن أكثر من إطلاق النار على الرّجال الهاربين، وقتل الحيوانات وإرهاب النّساء والأطفال وكبار السنّ الذين عجزوا عن الهرب، وتفجير المنازل، ومع استمرار هذه الأعمال التّطهيرية الوحشيّة يتساءل الجندي وهو يلملم شتات ذاكرته إن كان ما يقومون به هو إعادة تكوين تاريخ اليهود في المنفى من جديد؛ مما يجعله يشعر بالعار الكبير؛ فهذه الرواية ترصد رحلة سيطرة اليهود على فلسطين وتحويلها إلى دولة يهودية في سياق نشاط العصابات الصّهيونيّة التي توحّدت لاحقًا، وكوّنت ما يُعرف بـ "جيش الدفاع" الذي قام بكلّ الأنشطة الهجوميّة والجرائم التي لم يستطع "سميلانسكي" وأمثاله السّكوت عنها بحجّة الضّمير الحيّ والتّطهّر من الإثم؛ فرسم تلك الصورة المشينة لجيش يدّعي الدّفاع والأخلاقية في الحرب، وما تمثله "خربة خزعة" برمزيتها لفلسطين بأكملها، وهي تحمل هذا العنوان الذي جاء ليعطي وظيفة مناقضة للواقع؛ فالخربة بمعناها اللغويّ هي المكان الموحش المهدّم، لكن الجندي ورفاقه لا يرون سوى جمال الطّبيعة وسحرها؛ حين كانت الفكرة المسيطرة عليهم قبل مجيئهم – وربما بتأثير رواية "هرتزل"- بأنّهم سيأتون إلى مكان خَرِب موحش رسمه أدبهم كما رسمه إعلامهم.

مكانة الرواية وقيمتها الفنّيّة

تأتي قيمة الرّواية ودراستها العلمية كونها سرديّة تمتلك شروط العمل الروائي؛ وهي فنيًّا أفضل بكثير من رواية "أرض قديمة جديدة" كون السارد الذي هو كاتب روائي محترف يقدّم عملًا فنيًا معتمدًا تقنية تيار الوعي بما يحمله هذا النوع الأدبي من إمكانيات تساعد في إظهار مكان العمل إلا أنّ الأهمية الحقيقية تكمن في خارج العمل نفسه؛ أي ارتباطها بالسياق والإدراك الذي يوثّق جريمة الطرد وتوثّق تهجير الفلسطينيين الذي حصل عام 1948م من وجهة نظر إسرائيلية، إذ قدّم رواية تقوم على التّلميح والتّكثيف للوصول إلى هدفه الأساس وهو محاولة التّطهير، فالكاتب يعاني من لحظة صفاء وصحوة ضمير تسير في بناء دائري إذ يبدأ بها "**ولكنّني كنت أعود وأستيقظ بين حين وآخر من جديد، مستغربًا كم من السهل أن أغوى، وأن أضلل مفتوح العينين، وانضمّ بكليتي إلى هذه العصبة الكبيرة من الدّجالين- المجبولة جهالة، ولا مبالاة دودية، وأنانيّة مستهترة مطلقة- مستبدلًا حقيقة كبيرة بهزة كتف متذاكية لمجرم قديم**" (Smilansky, 1981, p.9)، وينتهي بها "**وبعد أن يطبق السّكوت على كلّ شيء، ولا يهتكن الصّمت أحد، ويعجّ بما خلف السّكوت خفية- يخرج الله عندها ويهبط السهل كي يطوّفه ويرى كيف تكون صرخته**" (Smilansky, 1981, p.126). وبإرضاء ضميره المعذّب الذي يبحث عن الصّفح من الضحية بتمثيلها دون حضورها.

وإذا كان "هرتزل" قد قدّم رواية استشرافية تبشيرية بوطن مثالي فإنّ "سميلانسكي" قدّم الصورة الحقيقية لهذا (الوطن)، أو بمعنى آخر إذا كان الأوّل قد حاول أنسنة الكيان وتسويغ الاستيطان؛ وهذا مغاير تمامًا لسياسات الاستيطان الصهيوني والاستعمار القائم على وضع حدود بيننا وبينهم، وما لنا وما لهم، وهو ما أشار إليه إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق حين عرّف المستوطنين بأنّهم "**جماعة من البشر تعيش في بضع هكتارات من الأرض ستقيم حدودًا بين أرضها ومحيطها المباشر وبين ما هو خارج عن ذلك. وتسمّي ما يقع عبر حدودها "أرض البرابرة"، وبكلمات أخرى إنّ هذه الممارسة الكونيّة؛ أيّ تحديد مجال مألوف خارج من مجال "نا" يسمّى مجال "هم" هي طريقة في خلق مجالات جغرافية يمكن أن تكون مطلقة الاعتباطية. وأنا أستخدم كلمة "اعتباطية" هنا لأنّ الجغرافيا التخيّلية من نمط**

"أرضنا- أرض البرابرة" لا تشترط أن يعترف البرابرة أنفسهم بهذا التمييز" (Said: 1984, p.84)؛ فإنّ "سميلانسكي" أظهر وحشية هذا الاحتلال، فقد انطلق من معضلة أخلاقية حاول إبرازها لشعوره بفداحة ما قاموا به، لا سيّما أنّها نشرت عام 1949م؛ أيّ بعد عام واحد على النّكبة التي ما زالت جرحًا نازفًا، أو أنّه فعل كما فعل "هرتزل"، بمعنى أنّه أيضًا حاول أنسنة صورة المحتلّ الغاصب ليجعلنا نقع في شَرَك أنّ هذا الاحتلال يملك جانبًا إنسانيًا وأخلاقيًا عاليًا "صحيح أنّ سميلانسكي وحينما وجد نفسه في مهمّة عسكريّة كمثل التي في الرّواية، فارقته وإن بدرجة محدودة الأحاسيس بالارتياح لما يحدث، إلّا أنّ ما ظلّ يلقيها على العرب من الصّفات المفتريات الكاذبات، يفوق تأثيرها على العربيّ كلّ ما تركته تلك الأحاسيس من الألم الداخلي له. قد يرى البعض أن "سميلانسكي" يحاول المضي بعكس تيار الأدب الصهيوني، وأنه يسعى إلى تقديم رؤية انتقادية للدولة اليهودية من خلال تصويره عالم المجموعة العسكرية وما يظهر فيه من العيوب، إلا أنه وهو يفعل هذا، ويصوّر السّلوك الوحشيّ للجنود الإسرائيليين، لم يوقف الهجوم على العربيّ، الذي ظلّ يُقتلُ أمامه بأعصابٍ باردة، تصاحبها اللذة في القتل على نحو ساديٍّ وغريب" (Al-Shami,1997)، وكان يتألّم وهو يرى فداحة ما قام به؛ مما أسقط الرواية في المثالية السّياسيّة والوعظ الأخلاقي، ولعلّ هذا الأمر هو ما دفع الاحتلال لإدراجها في مناهج المدرسة الثّانوية[5].

الفلسطينيّ و الصّورة النّمطيّة في (خربة خزعة)

قسّم "سميلانسكي" الفضاء الروائيّ المفعم بالقلق الوجوديّ وتأنيب الضمير لدى البطل إلى ثلاثة مقاطع سرديّة: مرحلة الـ (ما قبل) دخول الجيش، ثمّ دخول الجيش، وبعد ذلك الآثار المدمرة التي خلّفها وجودهم؛ ممّا يجعل هذه المقاطع تقوم على وظائف سرديّة مشتركة في الرّواية هي: الوصول، والقتل والدّمار، والشّعور بالإثم الذي يتطلّب التّطهّر بالكتابة، وهي وظائف قدّمها بصورة قائمة على منطق نفسيّ وإنسانيّ جدليّ؛ فنجد كثيرًا من الشّخصيّات والنّماذج الإنسانيّة في مواقف مختلفة أثناء تنقّل الجنود من منطقة إلى أخرى في رحلة تطهير الأرض من سكّانها الأصليين، وإن كان هذا الظّهور ظهورًا باهتًا؛ فالشّخصيّات هنا شخصيّات نمطيّة نموذجية في المخيال الصّهيونيّ، شخصية العربيّ الضّعيف الجبان المتهالك، وهذا المصطلح يُطلق عادة على **"الشّخصيّة متى كانت تمثّل –أرقى درجات التّمثيل- جملة من الخّصائص أو القيم أو المعطيات المعبّرة عن طائفة محدّدة اجتماعيًا أو مهنيًا أو طبيعيًا"** (Kassuma: 2000, p.98)، وهذه الشّخصيّات رغم ظهورها المحدود إلا أنّها في **"تفاصيل شؤونها فليست أقلّ حيوية وعناية من القاصّ، وكثيرًا ما تحمل الشّخصيّات آراء المؤلّف"** (Hilal: 1973, p.205)، بمعنى أنّه وهو ينتقي شخصيّاته الفلسطينيّة النّمطيّة ألبسها الفكر الذي يريد، وأعطاها الدّور المناسب لفكرته المحورية وقضيته الأساسية، وانطلاقه من وعي قائم بفداحة الجريمة التي ارتُكِبَت، ورغم أنّها شخصيّات ثانويّة، وأحيانًا هامشية إلا أنّها ذات أهمّيّة واضحة وكبيرة في تشكيل الخطاب السّرديّ الذي أراده، وتتوزّع وفق الأنماط الآتية:

العربي الهارب والقذر

قدّم "سميلانسكي" الشخصيّات الفلسطينية بصورة نمطية، والمقصود هنا هو تلك الصّورة السلبيّة التي تظهر الفلسطينيّ ضعيفًا أو متخاذلًا ومستسلمًا أو ضحية؛ فقد أظهره بداية دون ملامح ودون كيان؛ إمّا لأنه لا يراه فهو لا وجود له عنده، أو لأنّه يؤكّد فكرة أن فلسطين أرض بلا شعب، لذا لا يلقي بالًا لصفاته، ولا يعطيه سمته الإنسانية، فيبدو بوصفه أعرابيًا هاربًا هنا وهناك **"فإلى أين يهربون؟ قبل كلّ شيء إلى هناك. حسنًا وهناك نزرع لهم ألغامًا فاخرة. أعرابي واحد يتفجر وعشرة ينبطحون على الأرض... ويقعون في الشّرَك بكلّ بساطة"** (Smilansky, 1981, p.26)؛ وهذه الصفة "الأعرابي" دلالة على الفارق الكبير بين اليهود المتحضّرين والعرب الذين لا يعرفون شيئًا عن الحضارة، ولا يدركون قيمة ما يملكون **"فليأخذهم الشيطان" قال غابي "أيّة أماكن جميلة لديهم"** (Smilansky, 1981, p.29)، وفي هذه الاقتباسات نلحظ أمرين أساسيين: أولهما اختلاف النظرة إلى فلسطين بين الكاتبَيْن؛ فقد أظهرها "هرتزل" بوصفها مستنقعًا قبل وجود اليهود، بينما يعترف "سميلانسكي" بجمالها وبخيراتها الكثيرة **"كانت الأرض مقسمة بالأسيجة الشجرية إلى مربعات واسعة وضيقة، منقطة هنا وهناك ببقع خضرة دكنة، وهنا وهناك مكورة بقمم الأشجار الكروية، وبالتلال الموشّحة بزهر "الصفير"، وبالقسائم المحروثة هنا وهناك، كان السّهل مفروشًا بالسكينة، ولا يخجله شيء، ولا أثر لآدميّ على الأرض، ونشيد أرض خصبة يرنّم بالأزرق والأصفر والبنيّ والأخضر وبكلّ ما بينها، مستدفئ في شمس الأصيل،**

ترنو إلى نور وذهب وإلى قلبها المرتعش خصبًا" (Smilansky, 1981, p.28-29)، واختلاف الرؤية هنا هو الفرق بين المتخيّل عند "هرتزل" والواقع الحقيقيّ عند "سميلانسكي". والثّاني؛ انطلاقه كما "هرتزل" من نظرة استعلائيّة استعمارية للعرب، ونلمح ذلك من خلال التمييز بين العرب –المتخلّفين- واليهود المتحضّرين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فإذا كان يهود "هرتزل" متقدمين ويرتادون الأوبرا فإنّ يهود "سميلانسكي" في هذه المهمّة شخصيات مدلّلة ولا تملك أي رصيد من الشّعور بالتّعاطف والإحساس بالآخر "**سنصطاد البطّ، ونقطع رأسه وننتفه، ثم نشويه على السفود، ثم نحضّر القهوة وعدّة فتيات، ونغني ونبتهج ونستمتع بالحياة**" (Smilansky, 1981, p.28-29)، هم يستمتعون دون الشعور بأنّ ما يقومون به هو تدمير للآخر ويبتهجون بالقتل والدمار؛ لأنّهم يدركون بأنّهم سيعيدون بناءه "**سأخبرك ماذا"، قال غابي، "إنّك بقدر ما تراه جميلًا لديهم الآن – فإنّه عندما نأتي إلى هنا، سيكون أجمل ألف مرّة .. ثق بذلك**" (Smilansky, 1981, p.29)، ولكنّه لا ينسى أن ينظر نظرة احتقار للفلسطينيين لأنّهم جبناء فكما يقول غابي "**كان شبابنا يقاتلون كمن لا أعرف ماذا، وهؤلاء يهربون، إنهم لا يحاولون القتال!"، "دعنا من هؤلاء الأعراب، إنهم ليسوا رجالًا**" (Smilansky, 1981, p.29).

ولعلّ أولى الصّور الظّاهرة بوضوح تظهر من خلال العربيّ القذر أو نظرة هؤلاء اليهود لهم، فهم حتّى لا يستحقّون الحرب ضدّهم "**وكل أولئك العرب القذرون، المتسلّلون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة، أصبحوا مقيتين، مقيتين إلى حدّ الغضب، فما الذي نريده منهم، أي دخل لنا، لشبابنا وأيامنا العابرة، بقراهم المقمّلة المبقّقة، المقفرة، الخانقة، فإذا ما كان ما تبقى لنا هو أن نحارب، فتعالوا نحارب وننهي حربنا، وإذا ما كانت الحروب قد انتهت فدعونا نذهب إلى البيت**" (Smilansky, 1981, p.33)، نلاحظ كيف يتحدّث عنهم باشمئزاز، ويؤكّد أنّ العرب لا يستحقّون حتّى الحرب ضدّهم، أيّ أنّهم لا شيء.

العرب هنا ليسوا فقط قذرين ومتخلّفين، وإنّما مجموعة من الجبناء الهاربين "**صاح شموليك فجأة بالعربية، حين تبدّد الدخان الكثيف "إليك هم هناك إنهم يهربون!" وأشار بيده في اتجاه الكروم قُرب التلال التي تكبّل البساتين**" (Smilansky, 1981, p.40)، ويتكرّر ذكر الهروب في أكثر من موضع "**يهربون ... حتّى ولا طلقة واحدة، أنذال**" (Smilansky, 1981, p.40)، وهذا الهروب ليس صفة عارضة لبعض الفلسطينيين وإنّما هو سمة عامّة تنطبق عليهم جميعًا "**إليك هناك أيضًا، زأر أحدنا وهو يدلّ على حقل كانوا يركضون فيه كالنمل، أشباح كُثر، والذين كان اندفاعهم الغبيّ يتبدّد أكثر كلما كان الحقل أكبر**" (Smilansky, 1981, p.41)، يمكن قراءة كثير من الأمور من هذه الأمثلة، لعلّ من أهمّها التّأكيد على أن الفلسطينيين لم يقاوموا هذا الاحتلال الغاشم؛ فهم ليسوا أكثر من مجموعة جبناء يستحقّون الاحتقار؛ هذا الاحتقار الذي يتجلّى في استخدام اللغة العربية كلّما كان الكلام وضيعًا أو فيه شتيمة دلالة على أنّها وضيعة لا تصلح لأمور بنّاءة كما هو حال أصحابها. إضافة إلى أنّ صورة العربيّ هنا غائمة، فهو دون ملامح أو وجود ماديّ؛ كونه مجرّد كائن لا يمتلك الشخصيّة أو الكينونة الإنسانيّة.

تسيطر هذه الصّورة للعرب على النصف الأوّل من الرواية، ولا تغيب عن نصفها الثاني "**وفجأة نهض اثنان وجريا، وقبل أن نستوعب ما الذي حصل قفزا وغابا بين الشجرات، ثم قام آخر وجرى**" (Smilansky, 1981, p.47)، ""**يهربون، يهربون"، قال مويشي، " شدّوا العربات، وحملوا الجمال، ويهربون"، "أنذال" قال شموليك، "لا دم فيهم للاقتتال**"" (Smilansky, 1981, p.58).

الفلسطيني العاجز

لم يرسم "سميلانسكي" ملامح واضحة للعرب –كما ذُكِر- في النصف الأول من الرّواية، فلم نلمح أي بعد من الأبعاد التي ترسم فيها الشخصية في العمل الأدبي، والظهور الأول لملامح الشخصية الفلسطينية كان في الصفحة الثالثة والخمسين، إذ يظهر في المشهد عجوز فلسطينيّ يذكر لنا السّارد بعضًا من ملامحه الخارجية "**يا خواجا" قال العربي، الذي كان أبيض اللحية قصيرها، وهو لا يزال يسير**" (Smilansky, 1981, p.53)، هو يلاحق الجنود بذل "**الله يعطيك، يا خواجا"...**

يا خواجا، انتحب العجوز وهو يبسط يديه بتعاقب ويشير إلى الجمل، متنفساً بصعوبة، رعباً وليس عن وهن به، ... الجمل، يا خواجا، الأغراض.. نأخذها ونذهب من هنا، الله يبارك فيكم. نأخذ الجمل ونذهب..." (Smilansky, 1981, p.54) "**أي نعم يا خواجا، الله يعطيك يا خواجا، رغا العجوز متزلفاً وكان مستسلماً ومخلصاً ومؤملاً ومصلّيَا وجاهزاً لأي شيء**" (Smilansky, 1981, p.55)، ورغم أنّ العجوز وصل إلى مرحلة البكاء وهو يتزلّف ويرتعب من الجنديّ إلّا أنّ هذا كلّه لم يشفع له، وكانت رسالة الجنديّ واضحة إذ "**أطلق اريبه النار فوق رأسه، فتقيّأ العجوز واصطكت ركبتاه**" (Smilansky, 1981, p.56)، وحينها قال الجنديّ "**اسمح لي يا مويشي، الأفضل أن أنهيه هنا.. ما حاجتك إلى هذه الجيفة؟ وليعرفوا ولو مرة أننا لا نلعب**" (Smilansky, 1981, p.56)، هذه رسالة واضحة وصريحة بأنّ الفلسطيني سيواجه بالإرهاب، ومحاولة قتل العجوز هي المثال الواضح لذلك. وليس هذا فحسب، فهم فوق إجرامهم يدعون الإنسانيّة حين تركوا العجوز، ملصقين بالعرب تهمة الإرهاب والقتل "**تصوروا يهودياً في مكانه وعرباً في مكاننا! ... أين! لكانوا ذبحوه ببساطة**" (Smilansky, 1981, p.57). لقد كان مثل هذا التساؤل عن معاملة العرب لليهود نوعًا "**من إضفاء الشرعية على التصرفات اللاأخلاقية**" (Oron, 2015, p.340) التي مارسوها ضدّ الفلسطينيين.

العرب الأحياء الذين يواجهونهم هنا هم العجائز لا غير، فكلما توغلوا في رحلتهم لمحوا بعضًا منهم فـ "**على شفا الجرف كان ثمّة شبحان يجلسان كبومتين فوق غصن، أسودان متكربلان، قطعة واحدة، رأسًا وجسمًا. قفزنا، اثنان أو ثلاثة إليهما ولكننا سرعان ما جفلنا واقفين لما رأينا: عجوزين طاعنتين في السنّ، ترتديان ثوبين أزرقين وتتوشحان بمنديلين أسودين، وتربضان جامدتين، منكمشتين حتى الفزع، كانتا مسخين تفوح رائحة القبور المعدّة لهما، شيء لا آدمي، نتن حتى الغثيان، عيونهما صدفية زرقاوية في تغضن الوجه المتعفن، وتنظران إلى المجهول أمامهما، ربما بفزع شالٍ، ربما ببله سخيف**" (Smilansky, 1981, p.60)، هذا الاقتباس الطويل نسبيًا هو جزء يسير من وصف لحالة العربي المتعفّن، وصورته كما يراها هؤلاء اليهود، فهاتان العجوزان عيّنة من أهالي فلسطين الذين يظهرون تباعًا، دون أن تختلف هذه الصورة النمطية، إذ يرى أنهما "**تركتا معرضتين للشمس كخلدين في عزّ الظهيرة، كعاهة خبيثة أودعوها عقر البيت على الدوام، وتكشّفت على حين غرّة بكلّ فظاعتها- وها هما أمامنا**" (Smilansky, 1981, p.61)، وتكون النتيجة الحتمية لتعامل الجنود معهما هي نتيجة لا إنسانية، نتيجة تظهر قبحهم وفظاعتهم، حيث يتساءل السارد "**وما الذي تفعله بهما- إذا لم تبصق عليهما بقرف وتنسل دون أن تنظر إليهما، ثم تولي هارباً من هنا بعيداً- فزعًا**" (Smilansky, 1981, p.61).

واللافت للنظر في هذا كلّه هو تشابه وجهات النظر وتطابقها بين "هرتزل" و"سيملانسكي"، فكلاهما أظهر هذه الصورة البائسة النتنة للفلسطيني رغم أنّهما ظاهريًا ينطلقان من وجهتي نظر مختلفتين، كما أنّهما معًا قاما بتغييب صورة الفلسطينيّ المقاوم القويّ القادر على المواجهة؛ مما يدلّل على طبيعة المنطلقات والثوابت الصّهيونيّة الموحّدة للجميع فـ "بالطّبع ونحن نتحدّث عن يزهار سميلانسكي القادم من معطف الاستشراق ومن أقصى تمثلات الأدب الأوروبيّ في الدّولة اليهوديّة لن يغيب عن أذهاننا تلك المشتركات بين ما يكتبه وما كتبه آخرون صهاينة حول صورة العربيّ الذي (ليس) له صفات أخرى سوى التي نراها في روايته ... مما يعني صعوبة تناول أيّ من إنجازات سميلانسكي في منأى عن الخطابين كليهما معًا: الخطاب الصّهيوني وخطاب الاستشراق" (Yousef, 2021, p.151-152) .

يتجلّى هذا العجز في صُور عديدة؛ ففي ظهور آخر لشخصية العربي؛ يقول إنّ "**ملامح سحنته كانت فارغة من دمها ليس إلى حدّ الشحوب، وإنّما اليرقان والصفرة المخجلة. وفي النهاية بلع الرجل، بعد لأي، ريقه، ثم عاد ومدّ يديه مذعنًا وهو يحاول أن يبتسم ابتسامة قناع بائس، أو ربما ليقول شيئًا ما، فلم يسعفه صوت من داخله أو صدى**" (Smilansky, 1981, p.70)، فالعربي هنا أخرس عاجز عن التعبير غير قادر على الكلام، فكيف يكون في المواجهة؟

العربي الجبان المتخاذل

الفضاء الروائيّ هنا زاخر بواقع شخصيّات كلّها تدور في محور واحد هو الانهزام، وكأنّه يريد إيصال هذه الصورة بشتّى الطّرق؛ لذا لا يكتفي بالصّورتين السّابقتين وإنّما يكمل في محور إضافي وهو الجبن أو الشخصية الانهزامية غير القادرة على المواجهة، وهي الصّورة ذاتها التي رأيناها عند الفلسطيني الهارب والفلسطيني العاجز؛ ممّا يدفعنا للبحث عن ماهية الأسباب التي تجعل الروائيّ هنا يحاول زرع الفكر المنهزم وإلصاقه بالفلسطيني؛ وهذا يجعل المتلّقي يلمح تكثيفًا لهذه الصّورة السّلبيّة من خلال ظهور شخصيّة العربيّ الجبان؛ حيث يلعب السّارد البطل دورًا أساسيًا في تكريس هذه الصورة وتنميطها؛ إذ تتكشّف أحداث الرّواية عن ظهور شخصيّة العربيّ الجبان؛ وذلك أثناء سير الجيش في رحلة الاحتلال والتّطهير العرقيّ التي يقومون بها تجاه الفلسطينيين؛ إذ يظهر جبانًا غير قادر على الصمود؛ حيث يلتفت أحد هؤلاء الفلسطينيين إلى غابي مبتسمًا متخاذلًا **"سأقول كلّ شيء يا سيدي، سأقول كلّ شيء"** (Smilansky, 1981, p.70)، وحين تخونه شجاعته ويخونه لسانه الذي تشنّج من الخوف لا نجد سوى صفات التّحقير والشّكّ من اليهود **"جيفة، صرخ غابي، لا بدّ وأنّ هذا الحقير يضمر شيئًا"** (Smilansky, 1981, p.70)، إذ إنّ عدم قدرته على الكلام جعلته عرضة للتكهنات المشروعة ولمزيد من التحقير وبخاصة حين يصفهم بالأعراب دلالة على التخلّف وعدم التحضّر **"لا دم البتة لهؤلاء الأعراب في عروقهم. قال أرييه ساهمًا: ما كنت لأترك قرية كهذه بهذا الشكل، فلو أنّني كنت مكانه هنا لكنتم تجدونني في انتظاركم والبندقية في يدي ... قرية كبيرة كهذه ولا يوجد فيها حتى ثلاثة أشخاص يكونون هكذا، رجالًا. إنهم ما إن يروا اليهود حتى يتغوّطوا في سراويلهم. جيب واحد –كم نحن هنا- مجرّد جيب وبضعة رجال: نحتلّ قرية كاملة"** (Smilansky, 1981, p.71). هذا الكلام يحمل إدانة صريحة للفلسطينيين، ويبيّن أنهم هم من أضاعوا بلادهم لأنّهم جبناء، ولا يستحقون هذا الجمال الموجود في البلد، وتقوم هذه الإدانة على عقد المقارنات مع اليهود وهي في أساسها تقوم على ثنائية الحضور والغياب التي تعامل فيها "هرتزل" مع الوجود الفلسطينيّ؛ إذ يكملها "سميلانسكي" وبصورة أكثر سلبية؛ لأنّها الصّورة الواقعية المتولّدة في فكرهم تجاه الفلسطينيين، وليست الصّورة المزيّفة التي حاول من خلالها "هرتزل" خداع العالم، وتقديم صورة ورديّة للوجود الإسرائيلي في فلسطين. ويؤكّد ذلك التغييب المتعمّد لشخصية الفلسطينيّ الشابّ المناضل القادر على المواجهة في مقابل هذا الوجود المكثّف لليهود **"كيف أنّه لا يوجد في القرية حتى ولا شابّ واحد، وكيف أنّ الجميع هنا هم عجائز ونساء وأطفال فقط"** (Smilansky, 1981, p.73)، فغياب الشباب هو غياب للمقاومة؛ حيث يبدو الفلسطينيون وقد قدّموا بلادهم على طبق من ذهب لهؤلاء اليهود، وفي هذا تناقض واضح مع الإشارات المتعددة واللمحات الاستشرافية التي يقدمها "سميلانسكي" التي سيتناولها الباحث في الجزء الأخير من أنّ الفلسطينيين سيعودون لاسترجاع حقهم في بلادهم والمطالبة بها.

العربي اليائس المستسلم

يكمل "سميلانسكي" متلازمة الضعف والتّخاذل التي يقدمها للعربي في روايته، ومنها صورة العربي اليائس المستسلم الذي لا يحرّك ساكنًا لمواجهة خصمه؛ إذ **"كان قد تجمّع بعض العرب والعربيات الذين التقطناهم من هنا وهناك، فجمعناهم وسقناهم أمامنا دون أن نعيرهم أي انتباه، سواء كان ذلك بالنسبة إلى شكلهم أو توسلاتهم، أو إلى بكاء يرتفع هنا ودموع تتساقط هناك، حتى ولا إلى ذلك الذي كان قد أعدّ لنفسه، لسبب ما، علمًا أبيض، مما تيسّر له، وخرج إلينا يلوح به، ويتمتم خطابًا"** (Smilansky, 1981, p.82)، فالعربي لا يملك سوى الإذعان لمحتلّه ولا يفكّر حتّى بالدّفاع عن نفسه، وهذا يستوجب بالمقابل ردّ فعل مناسب من عدوّه فـ **"لم يثر فينا غير السأم، وغضب لا يفسّر، كان يزداد بنا حدّة شيئًا فشيئًا، إلى أن تحوّل إلى قسمات مضطهدة على وجوهنا"** (Smilansky, 1981, p.82).

لقد قدّم "سميلانسكي" هذه الصور السّلبية للعرب، وغيّب الصورة الإيجابيّة المقاومة؛ لأنّه يرى أنّ كلّ العرب مذنبون، فرغم حالة الضعف هذه فإنهم قادرون على إيذاء اليهود، فهم **"يستطيعون وأي استطاعة. فعندما يبدأون بزرع الألغام في الطريق لك، وينهبون المستوطنات، وفي كلّ فرصة تلوح لهم، فإنّك ستشعر عندها بهم"** (Smilansky, 1981,p.97).

ومن ثَمَّ فإنّ كلّ ما يحصل معهم ما هو إلا ردّ فعل لما قاموا به تجاه اليهود –من وجهة نظره- **"استعرضت أمام ناظري كلّ تلك المصائب والمآسي التي جرّها العرب علينا. ردّدت أسماء الخليل وصفد وبئر طوبيا وخولدا. تشبّثت بالضرورة وهي ضرورة مؤقتة، ستنتفي مع الأيام هي الأخرى، عندما يستتب كلّ شيء"** (Smilansky, 1981, p.101). وهو **"لم ينفِ صفة حرب الاستقلال كحرب اللا خيار، بل لم يستبعد حتى كونها حربًا دفاعية، وحرب حياة أو موت"** (Smilansky, 1981, p.102)، لكن مشكلة "سميلانسكي" كانت في الأداة وفي الأساليب العنيفة الجديدة التي خالفت ما كان يؤمن به من معتقدات.

خربة خزعة من الوعي القائم إلى الوعي الممكن

اختار "سميلانسكي" -كما ذُكر- لروايته أسلوب تيار الوعي، وقد يكون هو الأنسب للحالة النفسيّة التي يعاني منها السّارد؛ إذ يبدو أنّه كان واعيًا للمقارنة بين مثاليات الحركة الصّهيونيّة والواقع المشين الذي وقعت فيه، ولمسه لمس اليد عندما اكتشف طبيعتها من خلال تاريخ الصّهيونيّة وعلاقتها الوظيفيّة بالاستعمار الذي حوّلها إلى تابع في النظام الإمبرياليّ العالميّ؛ ثمّ جرّده من إنسانيته التي يحاول البحث عنها؛ لتضييق الهوّة الفاصلة بين السّارد والعالم هنا؛ لأنّه التزم بميثاقه الإرجاعي؛ أي أخرج التاريخ من الوهم الذي وضعه فيه "هرتزل" إلى الحقيقة، وخضع عمله لمقتضيات البيئة الفنية؛ إذ كثّف من تدخله عبر المونولوج الداخلي للتعليق على الحدث التّاريخي محاولًا تفسيره بتساؤلات وضعته في أزمة ضمير مع ذاته ومع إنسانيته التي اكتشف غيابها في "خربة خزعة"؛ مما سوّغ استخدام تيار الوعي. فتيار الوعي في علم النفس يعبّر عن الانسياب المتواصل للأفكار داخل الذهن" (Zaytouni, 2002, p.66)، أو أنّه **"جريان الذهن الذي يفترض عدم الانتهاء والاستواء"** (Ghanem, 1993, p.9)، وهو ينطلق من وعي واضح لما قد حصل؛ لأنّه جزء منه، والمقصود بالوعي **"منطقة الانتباه الذهني التي تبتدئ من أعلى مستوى في الذهن فتمثله، وهو مستوى التفكير الذهنيّ والاتصال بالآخرين"** (Hump.hrey, 1975, p.16)؛ بمعنى أنّ هذا الوعي يسير ضمن مستويات متدرجة كما يرى "همفري"، إذ يبدأ من **"أدنى مستوى وهو المستوى الواقع فوق منطقة النّسيان مباشرة، وتنتهي بأعلى مستوى وهو المستوى الذي يتمثّل في الاتّصال اللغويّ"** (Hump.hrey, 1975, p.17)، ومن يتبع معنى الوعي لا بدّ أن يرى أنّه يحمل معاني عديدة تبعًا لحالات الوعي التي هي في الغالب متغيّرة؛ لأنّها قد تكون عفوية أو مقصودة (Davidov, p.292)، ومن هذه النقطة بالذات يبدو أنّ "سميلانسكي" اختار حالة من حالات الوعي المقصودة، فانتقل بالوعي إلى أعلى حالاته، وهي مرحلة التّعبير اللغويّ، وهذا النّوع من الوعيّ هو ما أطلقت عليه البنيوية التكوينية اسم (الوعي القائم) وهو ذلك **"الوعي الواقعي الموجود لدى الشخصيّة في الحاضر، وهو الوعي الموجود تجريبيًا على مستوى السّلب"** (Hamdawi, 2006)، بمعنى أنّه **"وعيّ لحظيّ وفعليّ، من الممكن أن يعي مشاكله التي يعيشها، لكنه لا يملك لنفسه حلولًا في مواجهتها والعمل على تجاوزها"** (Abdel Azim, 1998, p.54)، هذا الوعيّ تشكّل عنده من مواجهته لنفسه، ومراجعته لما حصل بعد انتهائه، منذ أول كلمة في افتتاح السّرد **"صحيح، أنّ ذلك كله قد حصل منذ زمن بعيد، ولكنه، ومنذ ذلك الوقت لم يتركني"** (Smilansky, 1981, p.9)؛ ذلك أن قدرًا كبيرًا من السّرد هو وعيّ السّارد الذي يحارب إحساسه بالواجب والدّوافع التي يراها من وجهة نظره أقلّ احترامًا ممّا جعله يتساءل في نهاية العمل **"ما الذي نفعله، إلى الجحيم، في هذا المكان"** (Smilansky, 1981, p.9)، وجعلته عاجزًا عن الصراخ وعن التّراجع عمّا قاموا به وهو يرى الفلسطينيين وقد تهجّروا في الشّاحنات التي كانت تقلّهم **"لو أنّني أستطيع الذهاب إليهم الواحد تلو الآخر وأسر إليهم: عودوا الليلة، فنحن ذاهبون من هنا حالًا، وستظل القرية فارغة – عودوا. لا تتركوا القرية خالية!"** (Smilansky, 1981, p.124)؛ ولأنّه لم يتمكّن من فعل هذا بدافع الواجب العسكري الذي كان يقوم به هو ومجموعته، فلم يملك إلّا الاستسلام والشعور بالضآلة، فقد **"أصبح كلّ شيء شاسعًا فجأة، كبيرًا، كبيرًا. ونحن كلنا صغارا ولا أهمية لنا"** (Smilansky, 1981, p.125)، ومع أنّ الرّواية صدرت بعد النكبة بعامٍ واحد فقط؛ أي قبل وقت طويل من ظهور مسألة الذاكرة التي ركّز عليها السّارد غير مرّة في العمل، لكن الأمر يبدو وكأنّه كان

في لحظة الكتابة المشحونة لأنّه كان يرى أن مهمّته بالفعل هي إنقاذ هذا التاريخ من النسيان؛ فهو يعرف دون غيره من الجنود أنّ هذه القصّة لن تختفي بل ستبقى للأبد، وسيأتي من يطالب بحقه المشروع بهذا الوطن "**كان لدي وعي واحد كمسمار مثبت، بأنه لا يمكنني التسليم بشيء، ما دامت تتلألأ دموع طفل يسير مع أمّه المتمالكة لنفسها بغضب دموع صامتة، ويخرج إلى المنفى، حاملًا معه صيحة ظلم، وصرخة لا يمكن أن لا يكون في العالم ثمة من يلتقطها في الوقت المناسب**" (Smilansky, 1981, p.126)، وما يقوله السّارد ضمنًا في هذا الكلام أو يلمح إليه هو تلك الرؤية الاستشرافية بأنّ القصة لم تنتهِ وأنّ أصحاب الحقّ لن يتركوا حقّهم، وسيعودون يومًا للمطالبة به، حتى الصغير سيكبر يومًا وسيعاود الانتقام، وستكون العواقب وخيمة، إذ تداعت في السّياق النّصّي هنا ملامح لحركة استباقية من شأنها الإشارة لما سيحدث في المستقبل، وقد يكون قد قام بقياس الأمر على ما عاناه اليهود في رحلة شتاتهم كما يقولون؛ وهذا ما دفعه غير مرّة لإقرار بأنّ هذه الأرض ليست لهم، سواء على لسان السارد "**كانت أعماقي كلّها تصرخ: مستوطنون مغتصبون، صرخت من أعماقي، كذب، صرخت، خربة خزعة ليست لنا**" (Smilansky, 1981, p.126)؛ لذا كان طبيعيًا أن يؤكّد بأنّهم أجرموا في إخراج الفلسطينيين من أرضهم "**فقلت لمويشي: ليس لنا أي حقّ في إخراجهم من هنا**" (Smilansky, 1981, p.127)، وحتى الصوت الآخر، صوت الجنود الذين يمثلون وجهة النظر الأخرى لم يخرج عن الإقرار بأنّ فلسطين ليست لهم، وإن كانوا يحاولون التّسويغ وتقديم المبررات للجرائم التي قاموا بها كما جاء على لسان مويشي "**ولكنهم هؤلاء هم هناك في الشاحنات الآن ولن يكونوا، وفي الحال، سوى صفحة قد انتهت وانطوت. بالتأكيد. أليست هي حقّنا؟ أو لم نحتلها؟**" (Smilansky, 1981, p.130). إنّه المشروع الصهيوني القائم على أنقاض البشر، وعلى هجرة اليهود وإعمارهم للمكان "**كيف لم أفكّر في ذلك من قبل. خربتنا خزعة، مسائل إسكان ومشاكل استيعاب! بالهتاف نسكن ونستوعب، بل وكيف: سنفتح استهلاكية، وننشئ مركزًا ثقافيًا، وربما كنيسًا أيضًا. وسيكون هنا أحزاب، يتجادلون على أشياء كثيرة. يحرثون حقولًا، يزرعون، ويحصدون، ويصنعون العجائب. فلتحيا خزعة العبرية! من ذا الذي سيطرأ في ذهنه ذات يوم، بأنها كانت ذات مرة خربة خزعة التي طردنا أهلها وورثناها. وأننا جئنا، أطلقنا النار، حرقنا، نسفنا، ركلنا، دفعنا، وهجرنا؟**" (Smilansky, 1981, p.131-132)، بمعنى أنّ (خربة خزعة) كما يراها بائدة بالعرب منبعثة باليهود من ناحية، ولكنه من ناحية أخرى يختلف في وجهة نظره مع "هرتزل" الذي كان يرى أنّ فلسطين هي أرضه وأرض آبائه وأجداده، وهو يؤكّد أنّ ما قام به اليهود هو عملية تطهير عرقي واضح المعالم ومثبت، واستيلاء على أرض الغير، منطلقًا من وعي قائم حقيقي لما حصل إلى وعي ممكن "**فإذا كان الوعي القائم هو وعي التكيف والمحافظة على الواقع، فإن الوعي الممكن هو وعي التغيير والتطوير، ويصبح الوعي الممكن في كلية العمل الأدبي المنسجم رؤية للعالم وتصورا فلسفيا وإيديولوجيا**" (Hamdawi, 2006)، هذا التصور الذي أثبت فيه أنّ الفلسطينيين لن يسكتوا، وسيقاومون ويعودون للدفاع عن وطنهم واستعادته.

سميلانسكي وأدب ما بعد الصّهيونيّة والكولونياليّة

قد لا يكون "سميلانسكي" من التيّار المعادي للصّهيونيّة، أو ما يُعرف بما بعد الصّهيونيّة وهو "تيار فكري إسرائيلي ظهر نتيجة الأزمة الفكريّة المستمرّة في الصّهيونيّة منذ نشأة الدّولة اليهوديّة وحتّى الوقت الحاضر، يضمّ مجموعة من المؤرّخين الجدد وعلماء الاجتماع الانتقاديين وبعض الكُتّاب في مجالات الفكر والثقافة والفنّ ضمن إطار اتّجاهات تجديديّة وانتقاديّة وانقلابية للصّهيونيّة. وتدور أطروحاته الفكريّة حول جعل إسرائيل دولة إسرائيليّة طبيعيّة لكلّ مواطنيها" (Mahdi, 2016, p.40)، لكنّه قام بأعماله بتعرية الوجه الآخر للكيان المغتصب، واستطاع تفكيك سرديتها والتشكيك فيها؛ كما فعل غيره من أدباء ما بعد الصّهيونيّة؛ ممّا أقلق الحركة الصّهيونيّة قديمًا وحديثًا؛ فقد أشار الباحث جوزيف مسعد لهذا الأمر في ردّه على (بني مورس) في المناظرة التي حملت عنوان: التاريخ على المحكّ (2002)[6] جاء فيها أنّ الأصوات "**المناهضة للصهيونية تواجه باستمرار بالعداء وبسياسة إسكات أي نقد يهودي معادٍ للصهيونية داخل المنظمات اليهودية**" (Massad, 2009, p.334)، وهذا ما يفضح زيف الديمقراطية والتعدّد الإسرائيليين، وما يثبت كَذِب ادّعاءات "هرتزل".

الأرض عند "هرتزل" الممثل للعربي الفلسطيني لا تساوي شيئًا؛ وهي خربة مهجورة أو بور، واستغلالها واستيطانها مطلوب وضروريّ أو هكذا تقودنا المقدمات إلى هذا الحكم والاستنتاج، لكن ما وفّر له تماسك مغالطته هو تغييب الواقع؛ فقد فبرك ونمذج الآخر امتدادًا لا يملك احترام الآخر أو الاختلاف، لكن الحقيقية أنّ قضية الأرض ليست الإعمار بل السيادة، وليست الاستثمار بل الاحتلال والاستيطان ومن ثَمَّ فإنّ شخصيّة (رشيد بك) التي جعلها متعاونة وراضية ليست سوى منظور للمرور.

خاتمة

ينتهي تحليل الدراسة لصورة العربي في الأدب العبري، من خلال روايتيّ "أرض قديمة جديدة" و"خربة خزعة"، إلى حصره في ثنائية ضدية، لا تفسح المجال لاحتمالات إيجابية أخرى. وقد أوهمت ذاتها بالشمول والكلية، وخلصت إلى عدد من النتائج يُمكن إجمالها فيما يلي:

1. جاءت صورة العربي كما رسمها كلّ من الكاتِبَين منمّطة، مسقطة ومصطنعة، لكن مفرداتها ممثلة بالنخبة أو برشيد بك وأمثاله عند "هرتزل"، أو الهاربين الجبناء والضحايا المساكين الذين يثيرون الازدراء والشفقة عند "سميلانسكي".
2. ليست نماذج الرّوايتين كافية للتعميم من الناحيتين الواقعيّة والمنطقيّة، والحكم على الشعب الفلسطيني، بدون معرفة الفلسطيني الآخر (الثائر، والمقاوم والواعي لمخاطر الاستيطان).
3. احتكر الاثنان عملية التمثيل، فلم يفسحا للعربي الحقيقي أو الآخر التكلم والتعبير عن ذاته، وهي سرديّة صهيونيّة استشراقيّة تسوّغ ذاتها بذاتها بعيداً عن الموضوعية والتّاريخية.
4. غيّب الأدب العبريّ الآخر (الفلسطيني) كما ظهر في الروايتين؛ ليملأ الفضاء العام في الأرض التي كانت بلا شعب ثم صارت بيد شعب عديم الكفاءة لا يستحقها. وهي من المقدمات المغلوطة التي رسمتها الصّهيونيّة سياسيًّا وفكريًّا وأدت إلى النتيجة الحاسمة التي أوصلت الغرب المتعاطف مع طروحاتها لدعمها في إقامة الكيان الصهيوني في أرض الميعاد التي بقيت وستظل خربة إلى أن يأتي اليهودي المهاجر لإصلاحها واستيطانها.
5. لم يكن النّدم والتّطهير عند"سميلانسكي" قادرًا على تغيير مجرى الأحداث؛ وكأنّ التطهير العرقي والطرد متلازمة حتميّة وموضوعيّة لإقامة الوطن القوميّ اليهوديّ في فلسطين.

The Image of the Palestinian in Modern Hebrew Novel between "Old New Land" and "Khirbet Khazaa"

Nida'a Ahmad Masha'l
Department of Arabic Language, Philadelphia University, Amman, Jordan.

Abstract

This is a descriptive, analytical, and comparative study, within a postcolonial perspective, of two important novels in the Hebrew literature. The first novel is *Old New Land*, published in 1902 and often viewed as a political novel that promotes the Zionist ideology, which has used it as a means to justify settlement. This settlement was seen as beneficial to the indigenous people who were expected to welcome the new immigrants in a wishful way showing the Arabs as peaceful and cooperative, in line with the Zionist literature and ideology.

Smilansky's novel *Khirbet Khazaa*, published in 1949, subscribes to the literature of confession, testimony, and self-purification. This novel highlights the systematic expulsion and humiliation practices of the armed Zionist gangs. The writer, who has taken part in such practices, and thus felt guilty and unable to suppress his feelings any longer, has disclosed his confession through writing. In light of this, the novel has offered a description of an eyewitness of the Arab character as a victim surrendering to his/her destiny.

In contrast, the national, resisting, and conscious Palestinian character has been totally absent from the two novels and the Hebrew narrative at large. This Palestinian image is actually strong enough to demolish the subjective pillars of the Zionist narrative.

Keyword: Presence and absence, the other, possible consciousness, false consciousness, Hebrew novel.

الهوامش:

[1] يزهار سميلانسكي كاتب إسرائيلي من أبرز الكتّاب الإسرائيليين من جيل 1948، ولد سنة 1916 في مستعمرة رحبون في فلسطين لأبوين يهوديين من أصل روسي، هاجرا إلى فلسطين، كان ضابطًا في حرب 1948، ثمّ أصبح نائبًا في الكنيست الإسرائيلي، له العديد من الأعمال التي كشفت الوجه الآخر للاحتلال الغاشم.

[2] انظر كتاب ثيودور هرتزل (2007): الدولة اليهودية، ترجمة: محمد فاضل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة. وترجم أيضًا تحت اسم (دولة اليهود) وهو الاسم الأكثر شيوعًا.

[3] مؤتمر بال هو المؤتمر الأوّل المنظم للحركة الصهيونية، عقد في سويسرا في 1897/8/29م، وأقرّ بأن هدف الصّهيونيّة الأوّل هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

[4] حسن شكري هو رئيس بلدية حيفا ورئيس الاتّحادات الإسلاميّة الوطنيّة، انتخب رئيسًا لبلدية حيفا عام م1914، وتوفي سنة 1940م، وقد حضرت العديد من القيادات الصّهيونيّة جنازته.

[5] أثارت جدلا كبيرا جدا ، ومقالات ودراسات كثيرة أعدّت حولها ، كان معظمها مضادا لها ، فمنهم من اتهمه بأنه يشوّه صورة المحارب الإسرائيلي وضميره ، ومنهم من ادّعى أنه لم يبرز أبدا حقيقة الفلسطينيين.

[6] مناظرة نشرت للمرة الأولى عام 2002.

المصادر والمراجع بالعربية

أشكروفت، بيل – غريفث، غاريت- تيفن، هيلين. (2006). **الرّد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة.** ترجمة. شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة.

أورون، يائير. (2015). **المحرقة، "الانبعاث"، النكبة.** ترجمة. أسعد زعبي، مراجعة وتقديم. أنطوان شلحت، ط1، مؤسسة الأيام، رام الله.

باختين، ميخائيل. (1986). **شعرية ديستوفسكي.** ترجمة. د. جميل ناصيف التكريتي، دار توبيقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب.

حمداوي، جميل. (2012). **الرواية البوليفينية أو الرواية متعددة الأصوات.** الشبكة العالمية للمعلومات.

حمداوي، جميل. (2006)، **مدخل إلى البنيوية التكوينية.** الشبكة العالمية للمعلومات.

خمري، حسين. (2001). **الظاهرة الشعرية الحضور والغياب.** ط1، اتحادالكتاب العرب، دمشق، سوريا.

دافيدوف، لندال. (د.ت). **مدخل إلى علم النفس.** ترجمة. سيد الطواب وآخرون، ط2، القاهرة.

دريدا، جاك. (2005). **أركيولوجيا التوهم/ انطباع فرويدي.** ترجمة. عزيز توما، مشاركة وتعليق. إبراهيم محمود، ط1، دار التنوير مركز الإنماء الحضاري، حلب.

رافيندران، س. (2002). **البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي.** ترجمة. خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

زيتوني، لطيف. (2002). **معجم مصطلحات نقد الرواية.** ط1، دار النهار للنشر، لبنان.

سعيد، إدوارد. (1984). **الاستشراق (المعرفة، السلطة، الإنشاء).** نقله إلى العربية. كمال أبو ديب، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

سعيد، إدوارد. (1998). **الثقافة والإمبريالية.** نقله إلى العربية. كمال أبو ديب، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

سميلانسكي، يزهار. (1981). **خربة خزعة.** ترجمة. توفيق فياض، ط1، دار الكلمة، بيروت.

الشامي، رشاد. (1997). **إشكاليّة الهويّة في إسرائيل.** ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

العالم، محمود أمين. (1988). **الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر.** ط2، دار الثقافة الجديدة، مصر.

عبد العظيم، صالح سليمان. (1998). **سوسيولوجيا الرواية السياسية.** ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عبد الله، سيد. (2001). استراتيجيات الغياب في شعر سعدي يوسف (مدخل تناصي). **مجلة ألف**، ع 21، الجامعة الأمريكية، القاهرة.

عبيد الله، عادل. (2000). **التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل.** ط2، دار الحصاد، الأردن.

عاصي، عمر. **تحت أبيب .. الوجه الآخر للمدينة العبرية**، مقال على الشبكة العالمية للمعلومات. مدونات الجزيرة نت، تاريخ نشر المادة. 2018/2/11، تاريخ الاطّلاع عليها. 2021/4/28.

علوش، سعيد. (1985). **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة.** (عرض وتقديم وترجمة)، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

غنايم، محمد. (1993). **تيار الوعي في الرواية العربية.** ط2، دار الجيل، بيروت.

الفرطوسي، عبد الهادي أحمد. (2009). **تأويل النصّ الروائيّ في ضوء علم اجتماع الأدب.** بيت الحكمة، بغداد.

قسومة، الصادق. (2000). **طرائق تحليل القصة.** ط2، دار الجنوب للنشر، تونس.

الكتاب المقدس. كتب العهد القديم والعهد الجديد. (2002)، ط1، 2003، دار الكتاب المقدس، مصر.

كوهين، هِيلَيل. (2015). **جيش الظلّ (المتعاونون الفلسطينيون مع الصّهيونيّة 1917-1948).** ترجمة. هالة العوري، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت.

مبروك، أمل. (2011). **الأسطورة والإيديولوجيا.** ط1، دار التنوير، بيروت.

مسعد، جوزيف. (2009). **ديمومة المسألة الفلسطينية، حول الحركة الصَهيونيّة والحركة الوطنية الفلسطينية**. ط1، دار الآداب، بيروت.

مهدي، كاظم علي. (2016). **ما بعد الصهيونيّة**. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

نجمي، حسن. (2000). **شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)**. المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب.

هرتزل، ثيودور. (1968). **أرض قديمة جديدة**. ترجمة. مئير حداد، ط1، مطبعة دوكمة، يافا.

هلال، محمد غنيمي. (1973). **النقد الأدبي الحديث**. دار الثقافة، دار العودة، بيروت.

همفري، روبرت. (1975). **تيار الوعي في الرواية الحديثة**. ترجمة. محمود الربيعي، ط2، دار المعارف، مصر.

هرتزل، ثيودور. (2007). **الدولة اليهودية**. ترجمة. محمد فاضل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

يوسف، يوسف. (2021). **الأدب الصَهيوني والاستشراق**. ط1، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، الأردن.

Arabic References in English

Abdel Azim, Saleh Suleiman. (1998). *Sociology of the Political Novel*. 1st Edition, Egyptian General Book Authority, Cairo.

Abdullah, Sayed. (2001). Absence Strategies in Saadi Youssef's Poetry (Entrance to Tanassi). *Alf Magazine,* P.21, American University, Cairo.

AL-Alem, Mahmoud Amin. (1988). *Awareness and False Awareness in Contemporary Arab Thought*. 2nd Edition, New Culture House, Egypt.

Al-Fartousi, Abd al-Hadi Ahma. (2009). *Interpretation of the narrative text in the light of the sociology of literature,* House of Wisdom, Baghdad.

Alloush, Said. (1985). *Dictionary of contempp.orary literary terms (presentation, presentation and translation),* 1st Edition, Lebanese Book House, Beirut.

Al-Shami, Rashad. (1997). *The Identity Problem in Israel*, 1st Edition, The World of Knowledge Series, Kuwait.

Aschroft, Bill, Gareth Griffiths and Helen Tiffin. (2006). *The Empire Writes Back. Theory and Practice in Post-Colonial Literature*. Trans. Shohart ElAlem, Arab Organization for Translation.

Assi, Omar. (2021). *Under Tel Aviv . The other side of the Hebrew city*, an article on the World Wide Web of Information, Al Jazeera Net Blogs, the date of publication of article. 11/2/2018, date of access. 28 April.

Bakhtin, Mikhail. (1986). *Distovsky's poetry,* Tres Jemma. Dr. Jamil Nassif Al-Tikriti, Tobikal Publishing House, 1st Edition, Casablanca, Morocco.

Bible. 2022. *Books of the Old Testament and The New Testament.* 1st Edition, 2003, Bible House, Egypt.

Cohen, Hillel. (2015). *Shadow Army (Palestinian collaborators with Zionism 1917-1948),* translation. Hala Al-Auri, 1st Edition, Besan Publishing and Distribution, Beirut.

Davidov, Landal. (n.d). *Introduction to Psychology*, Translation. Sayyid Al-Tawab et al., 2nd Edition, Cairo

Dreda, Jack. (2005). *The Archeology of Delusion/Freudian Impression*, translated by Aziz Touma, particip.ation and commentary. Ibrahim Mahmoud, 1st Edition, Dar al-Enlightenment Center for Cultural Development, Aleppo.

Ghanem, Mohammed. (1993). *The Stream of Awareness in the Arabic Novel*, 2nd Edition, Dar al-Jil, Beirut.

Hamdawi, Jamil. (2006). *An Introduction to Formative Structuralism*, World Information Network.

Hamdawi, Jamil. (2012). *Bolivian novel or multi-voiced novel,* World Information Network.

Herzel, Theodore. (1968). *A New Old Land*, translated by. Meir Hadad, 1st Edition, Dokma Pres, Jaffa.

Herzl, Theodore . (2007). *The Jewish State*, translated by Mohammed Fadhil, 1st Edition, Al Shorouk International Library, Cairo.

Hilal, Mohammed Ghonimi. (1973). *Modern Literary Criticism*, Dar al-Culture, Dar al-Awda, Beirut

Humpp.hrey, Robert. (1975). *The Stream of Awareness in the Modern Novel*, translated by Mahmoud al-Rubaie, 2nd Edition, Dar al-Ma'af, Egypt.

Kassuma, Sadiq. (2000). *Methods of analysis of the story*, 2nd Edition, South Publishing House, Tunisia

Khumri, Hussein. (2001). *The poetic phenomenon of attendance and absence*, 1st Edition, Arab Writers Union, Damascus, Syria.

Mabrouk, Amal. (2011). *Myth and Ideology*, 1st Edition, Dar al-Enlightenment, Beirut.

Mahdi, Kazem Ali. (2016). *Post-Zionism*, 1st Edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut.

Massad, Joseph. (2009). *The Persistence of The Palestinian Question. Essays on Zionism and The Palestinian.* Dar Al Ada, Beirut.

Najmi, Hassan. (2000). *Space Poetry (Imagined and Identity in the Arabic Novel*) *Arab Cultural Center*, 1st Edition, Casablanca, Morocco.

Obaidullah, Adel. (2000). *Dismantling the will of difference and the power of reason*, 2nd Edition, the house of harvest, Jordan.

Oron, Yair. (2015). *Holocaust, "Rebirth", Nakba*, Translation. Asaad Zabi, Review and Presentation. Antoine Shalhat, 1st Edition, Al-Ayyam Foundation, Ramallah

Ravindran, Q. (2002). *Structuralism and dismantling developments in literary criticism*, translated by Khaleda Hamed, House of Public Cultural Affairs, Baghdad.

Said, Edward. (1984). *Orientalism (Knowledge, Authority, and Construction).* Trans. Kamal Abu-Deeb, Arab Research Institute, Beirut.

Said, Edward. (1998). *Cultural and Imperialism*. Trans.: Kamal Abu-Deeb, 2nd Edition, Dar Al Ada, Beirut.

Smilansky, Yazhar. (1981). *Khirbet Khuza'a*, Trans.: tawfiq Fayyad, 1st Edition, Dar Al-Kalima, Beirut.

Yousef, Yousef. (2021). *Zionist Literature and Orientalism*, 1st Edition, Lines and Shadows for Publishing and Distribution, Jordan.

Zaytouni, Latif. (2002). *Dictionary of Novel Criticism Terms*, 1st Edition, Nahar Publishing House, Lebanon.

انزياح الدلالة الشعرية
دراسة في بنية اللغة الشعرية عند إبراهيم بن العباس

سحر محمد الجاد الله * وأحلام واصف مسعد **

تاريخ الاستلام 2022/02/15 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.6 تاريخ القبول 2022/06/02

الملخص

تنهض هذه الدراسة على النظر إلى انزياح الدلالة الشعرية في شعر إبراهيم بن العباس ضمن إطار بنية اللغة الشعرية، من خلال غرابة الدلالات عمّا هو معهود ومتداول في عمود الشعر العربي المتوارث، والمبالغة فيها واتّساعها، وحاجتها أحيانًا إلى إعمال فكر ومزيد تأمّل. فقد استطاع ابن العباس أن يخرق النظام الدلالي المتوارث بملكته التي طوّعت اللغة وجعلتها تلبّي متطلبات نفسه المبدعة، وتراعي في الوقت نفسه إلى حد ما متطلبات دائرة النقد في عصره. فتبحث هذه الدراسة مواطن انزياح الدلالة عند الشاعر في أغراضه الشعرية المتنوعة محاولة قراءتها قراءة إنتاجية جديدة عبر استبطان الدلالة المختفية فيما وراء لغة النص من خلال الوقوف على مواضع اللامتوقع والمفارقة والتضاد التي تغذّي الدلالة وتجعلها فريدة غريبة تكسر أفق توقّع القارئ مولّدة اللذة الجمالية لذة الشعر، وأيّ قراءة، بحقّ، هي مرهونة بذلك القارئ المحكوم بمخزونه وكفاءته في معايشة النص من جديد وسبر عالمه الخاص.

الكلمات المفتاحية: بنية اللغة الشعرية، إبراهيم بن العباس، انزياح الدلالة، عمود الشعر العربي.

المقدمة

لقد تمّ النظر إلى الشعر منذ القديم على أنّه بنية لغويّة مختلفة عمّا هو مألوف ومعتاد، وجلّ التصورات النقدية عند القدماء والمحدثين على السواء تدور حول تفرّد هذا الفن اللفظي بطريقة بنائية تميزه عن نقيضه النثر العلمي. وتقييد النثر هنا بوصف العلمي جاء من باب الاحتراس؛ لأنّ للنثر أنواعًا تختلف في مدى قربها وبعدها عن قطب اللغة العلمية التي تكاد تخلو من المقوّم التأسيسي للشعر وهو الانزياح، كما ذكر ذلك جان كوهن في كتابه بنية اللغة الشعرية، فاللغة العلمية تدنو من درجة الصفر في الكتابة، والفرق بين الشعر والنثر الأدبي "كميّ أكثر ممّا هو نوعيّ. إذ إنما يتمايز هذان النوعان الأدبيان بكثرة الانزياحات" (Cohen, 1986, p.23)، ويقول رومان ياكبسون: "يحتل النثر الأدبي موضعًا وسيطا بين الشعر باعتباره شعراً ولغة التواصل المعتاد والعملي، ...، وعدم الإغفال أبداً عن ألا وجود لنثر أدبي وحيد، وإنما هناك سلسلة من الدرجات التي تقربه إلى أحد الطرفين المذكورين والابتعاد به عن الطرف الآخر" (Jakbson, 1988, pp.108-109).

وليس المهم هنا الإسهاب في الفروق الدقيقة بين الشعر والنثر، إنّما تبيّن الخاصيّة الأساسية التي تقوم عليها اللغة الشعرية، "ذلك لأنّ الشعر فن لفظي، وإذن فهو يستلزم، قبل كل شيء، استعمالًا خاصًا للغة" (Jakbson, 1988, p.77). تلك الخاصية التي تتجلّى في التعبير غير العادي، والأسلوب المختلف عمّا هو مألوف، "أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار" (Cohen, 1986, p.16). لكن الانزياح عن المعيار ليس اعتباطيًا أو عبثيًا، فالانزياح يخضع لقانون وقاعدة، تجعل من الممكن نفيه وإعادة البناء الذي تم هدمه بواسطته من جديد، ليكون معقولًا وجماليًا، فيتميّز النص بوصفه نصًا شعريًا جماليا، وإلّا سيكون الانزياح بغير ذلك ضربًا من الهذيان والتخليط. "الشعر اختراق لنمطية اللغة، فهو انزياح وتفارق عن المعيار في حدود الأدائية، وهذا الانزياح لا يعني انبتاتًا أو خرقًا غير محكوم للقواعد، فإنه إنْ جاوز احتمالات التأويل

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، اربد، الاردن.

** كلية الاداب، قسم المساقات الخدمية الانسانية، جامعة اليرموك، اربد، الاردن.

وقبول الممكن فذلك يعني فقدان ذلك الخيط الخبيء والذي يلعب الشعر على طرفيه الخفيين: تواصل وانزياح وإبهام وتفسير" (Eid, 1998, p.181).

ومصطلح الانزياح الذي نجد له معادلًا بلاغيًا قديمًا – كما يذكر صلاح فضل هو "العدول" قد نال تعدداً في الكلمات التي تشير إليه مثل "تجاوز" و"خطأ" و"انحراف" و"كسر" و"انتهاك"، ويسجل الباحثون لجان كوهن في كتابه "بنية اللغة الشعرية" مزية أنه جعل حصر الانحراف وتصويبه مرحلة في إعادة البناء، تتبع بالضرورة مرحلة تدمير البنية (Fadl, 1992, pp.63-64).

ولكل شاعر طريقة خاصة في حضور الانزياح لديه، تختلف في درجتها وكثرتها، وهنا يتمايز نص على نص، حتى عند الشاعر الواحد، والمقصود هنا بالتأكيد الانزياح الجمالي الذي تتصف به اللغة الشعرية، وهذا الانزياح لا بد له من معيار كما تقدّم، وقد اجْتُهد كثيراً في القديم والحديث في تحديد ذلك المعيار، لكونه الإشكالية الأولى التي تعتري مصطلح الانزياح؛ "فالانحراف يفترض مسبقًا أن هناك معياراً يتم تحديد الانحراف على أساسه، ويبدو أن الباحثين راحوا يفتشون عن العنصر الذي يتم الانحراف عنه. فسمّوه "القاعدة، والمعيار، واللغة العادية، والأسلوب المستعمل، و"اللغة النثرية"، ...، ويبدو أن حديث القدماء عن "الأصل"، و"المعنى الأصلي" و"أصل الوضع" يلتقي مع مفهوم حديث هو ما أطلق عليه رولان بارت "الدرجة الصفر للكتابة" (Rabab'a,1995, pp.150-152). إنّ الشعر نوع من اللغة يخرق نظام اللغة، "فالتراتب اللغوي المعهود يكسر انتظامه، تقديم وتأخير وحذوفات وإضافات، ...، ومن ثم فالشعر كامن في اللغة، ولكنه يبني لغة من لغة حتى جانبها الصوتي"(Eid, 1998, pp.181-182).

وعليه فإنّ مقاربة البنية اللغوية لأيّ نصّ شعري وسيلة آمنة تفضي إلى فهم ذلك النص عبر سبر أعماقه، وتحديد طبيعة علاقة العناصر المتنوعة بعضها ببعض، وارتباطاتها الداخلية والخارجية في مستويات عدة، للوصول إلى مكوّنات الإنتاج الشعري، ومكان الإبداع، وتجليات الشعرية، والكشف عن التصوّرات والأبنية الفكرية والوجدانية لدى منتج النص، كشفًا ليس اعتسافيًا، بل متساوقًا مع مجموع السياقات المحيطة بإنتاج النص والفاعلة فيه.

فطريقة بناء لغة النص الشعري والمعمار الذي تمّت فيه تحيل على دلالة ما، وتترك تأثيراً بشكل ما، وسيختلفان لو اختلفت تلك الطريقة، وذلك المعمار، فلا يمكن بحال أنْ يستقل شكل المحتوى عن مادته في الخطاب الشعري، إنّ "العبارة تعطي المحتوى حينئذٍ شكلاً أو بنية خاصة يعسر أو يستحيل جعله بخلاف ذلك. ولهذا يمكننا أنْ نحتفظ من القصيدة بالمعنى (في مادته)، في حين نضيّع شكله ونضيّع الشعر مرة واحدة" (Cohen, 1986, p.35).

وانطلاقًا من دور البنية اللغوية في إعطاء القصيدة الشعرية شيفرتها الخاصة، وأهميتها في تفجير مكامن الشعرية، وتوليد الطاقة التخييلية لدى المتلقي، كان المعوّل في النظر إلى الشعر وتحليله هو كيف يقول الشاعر، لا ماذا يقول، فربّما تشابهت المضامين والمعاني والأفكار عند كثير من الشعراء، لكن وجه الاختلاف والتمايز يكمن في كيف يقول كل واحد منهم فكرته ويعبّر عنها، دون التقليل بحال من قيمة مادة المحتوى المقدّم، لكن هذه المادة ستتغيّر بطريقة تقديمها. ولذا كان الانطلاق من البنية / المادة / شكل المحتوى / العبارة المصوغة إلى مادة المحتوى، من الدالّ إلى المدلول وليس العكس؛ "لأنّ الشكل هو الذي يحمل الشعر، فيمكن أن نصل بترجمة قصيدة إلى النثر أقصى ما نريد من الدقة دون الاحتفاظ، رغم ذلك، بشيء من الشعر" (Cohen, 1986, p.36). فتشكل اللغة المصدر الأساسي الأوليّ لدى القارئ في قراءة الشعر، وتلمّس رؤاه، وسبر أغواره، واستبطان دلالاته، إنّ النص يتشكّل من أبنية لغوية، "الأمر الذي يقتضي من أية مقاربة علمية له أن تتأسس على اللغة باعتبارها أهمّ متغيّر مناسب لطبيعته" (Fadl, 1992, p.18). ولهذا كانت سيرورة الإبداع ولا نهائيته، فكل شاعر "يقول ما يرغب فيه، وبذلك فهو لا يشبه أحداً، ...، نحن هنا إذن أمام جملة شعرية ليس بفضل مضمونها لكن بفضل بنيتها" (Cohen, 1986, p.145). إنّ الكلمات لا الأفكار هي مناط الإبداع، ومحلّ الشعرية، لأنّه ببساطة من الممكن أن نعبّر عن أفكارنا بطريقة اللغة العادية أو العلمية، ولذا فمفتاح النص الأدبي الفعلي "هو هذه الكلمات نفسها باعتبارها وحدة لا تنفكّ من الدالّ والمدلول" (Fadl, 1987, p.314).

إنّ للغة الشعرية سمتا خاصا مميِّزا يجعلنا نفرّق بينها وبين ما هو غير شعري، وهذا السمت يكمن في أن "القول الشعري يتميز بما هو كذلك – عن القول المعتبر علمياً – بامتزاج الدلالة بالرمز، وباستحالة ترجمته أو تلخيصه أو إنكاره أو تقديم أيّ معادل له مهما كان" (Fadl, 1992, p.64). إلاّ أننا يجب ألّا ننزلق إلى الاعتقاد بأن اللغة الشعرية هي فقط اللغة التي تتسم بالغموض والإبهام والاستغلاق على القارئ؛ كونها تختلف عن المألوف والمعتاد، فالاختلاف عن المألوف والعادي لا يقتضي بالضرورة الصعوبة والغرابة الشديدة والغموض العويص، فقد لا ينطوي الخطاب الشعري على أيّ من ذلك، ويتسم مع ذلك بشعرية أو شاعرية عالية ويكون محمّلًا بالدلالة، ومنتجًا لها بما ينطوي عليه من بنية لغوية خاصّة. فاللغة الشعرية أوسع من تلك الدائرة التي تعني "اللغة العليا الجزلة المفارقة للغة الشائعة المألوفة، إن على مستوى المفردات، وإنْ على مستوى الأنساق اللغوية. وقد تركت هذه الدلالة لدى القراء إحساسًا بأن الشعر مقترن بالإغراب، ...، وقد تجذرت هذه الدلالة في وعي القارئ بفعل استمرارية الحضور الطاغي للشعر العربي القديم" (Al-Zouby, 1996, pp.9-10). وقد عالج المنجز النقدي العربي القديم مصطلح الشعرية في مسميات أخرى، مثل وصف الصناعة، وصناعة الشعر وعمود الشعر، وعيار الشعر، وقد وقفت عليها عائشة المقدم في بحث بعنوان (ماهية الشعرية وتجليات قوانينها في الخطاب النقدي العربي القديم)، وتوصلت الباحثة إلى أن حازما القرطاجني سبق نقاد الغرب في رؤيتهم للشعرية عندما تحدث عن المتلقي والإغراب (Mokaddem, 2020, pp.49-66.).

إنّ اللغة الشعرية هي اللغة القادرة على إحداث الدهشة والمفاجأة والانفعال في نفس القارئ، وإن كانت بلغة مألوفة معتادة، "فالشاعر يتناول المألوف في الحياة موضوعًا ولغة ليعيد بناءه فنيًا في صورة اللامألوف (الفن)" (Al-Zouby, 1996, pp.9-11). إنّ الفارق بين ما هو شعريّ وغير شعريّ يكمن في ذلك الانزياح والتجاوز المتضمّن في بنية اللغة الشعرية لإنتاج الدلالات، وخلق المعنى الشعري، بما يتركه النص من عناصر مثيرة تحفز القارئ وتنشّط ذهنه للتفاعل والإنتاج. "فالشعرنة عملية ذات وجهين متعايشين متزامنين: الانزياح ونفيه وتكسير البنية وإعادة التبنين. ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة أولًا ثم يتم العثور عليها، وذلك كله في وعي القارئ"(Cohen, 1986, p.173).

وعليه فإن الشعرية تنهض من ذلك النسيج اللغوي للقصيدة، وما يتبعه من وظيفة منبثقة من طبيعته ومهيمنة، هي الوظيفة الانفعالية، وهي وظيفة تتحدّد بما يحدثه الخطاب الشعري من مفاجآت وعناصر جاذبة للانتباه وغير متوقعة عند القارئ؛ "لأنّ المنبهات الأسلوبية ترتبط بالبعد العاطفي أو المؤثر للغة" (Rabab'a, 1997, p.47). وتتضافر كل عناصر الشعر من عناصر متوقعة ومفاجئة لحفز القارئ على المشاركة والتفاعل معها والنطق بما هو مسكوت عنه في النص أو الغائب الكامن في بنية النص العميقة، وهذا بلا شك مرتبط بمخزون القارئ الثقافيّ، ومرجعيته المعرفية وكفاءته أيضًا في تلقي عناصر النص ومكوناته تلقيًا إنتاجيًا جديداً لا استهلاكيًا يقتصر على دور القارئ السطحيّ الذي يأخذ بظاهر المنطوق من النص، ولا يحاول أن يستبطن الرؤى القابعة تحت البنية اللغوية، وهذا أيضًا مرهون بذلك النص ذي الخصائص والسمات المميزة في بنيته اللغوية التي تسمح بذلك الإنتاج مرة أخرى عند التلقي، وتجعله نصًا مليئًا بالفراغات ينتظر مَنْ يكملها وفق ما تقتضي الأبنية اللغوية وعلاقاتها، مما يفضي بالتأكيد إلى تعددية في القراءات تشير إلى غنى النص وثرائه وجدارته بالمقاربة والتأمل. "فالشعر يستلزم إعادة تقويم شامل للخطاب ولكل مكوناته كيفما كانت" (Jakbson, 1988, p.60). ويذكر ياكبسون قصة، تستوجب الذكر، على أهمية كل عنصر لفظي في تحليل الشعر، يقول: "وفي إفريقيا، لام مُبَشّرٌ رعاياه لكونهم لا يرتدون ثيابا. فقال الأهالي مُشيرين إلى وجهه: "وأنت كذلك، أليس لك عضو عار؟" "طبعًا، لكن هذا وجهي". فردّوا عليه: "أي نعم، إنّ أيّ عضو، عندنا، هو بمثابة وجه". وهذا ينطبق أيضًا على الشعر: "إنّ كل عنصر لفظي يوجد في الشعر محوّلًا إلى صورة للغة الشعرية"(Jakbson, 1988, p.60).

ويمكن استنباط دلالة أخرى من هذه القصة الطريفة، في أن كل عضو في الجسد لا يعملُ بمفرده، ووظيفته لا تتحقق بوجوده خارج الجسد، وكذا العناصر اللفظية في القصيدة لا تؤدي أدوارها، ولا تقوم بوظائفها إلا عبرَ ذلك النسيج الذي يضمّها، ويحدّد علاقات بعضها ببعض، لتبرز في النهاية بنية خاصة لها سماتها التي تميزها عن غيرها في أسلوب تعبيرها، وطريقة تأثيرها، تماماً، كالبشر الذين يتشابهون في أعضائهم التي تؤدي الوظائف نفسها، لكنهم لا يتطابقون البتة، ولا يتكررون،

فلكل حضوره الخاص وانفعاله وكينونته. وما هذا الإنسان الذي نتحدث عنه إلّا منتج النص، فالعلاقة باتت واضحة، الناس لا يتطابقون ولا يتكررون وكذلك إنتاجهم. والأمر ببساطة ينسحبُ أيضًا على ذلك القارئ الذي يتلقّى النص، فيعيشه هو بدوره من جديد منتجًا له إنتاجًا لا يتطابق بالضرورة مع إنتاج المنتج الأول للنص. إنّ "كل جزء من العمل إنما هو في الآن ذاته كل أيضًا. إن هذه الوحدة بين ما هو خاص وما هو عام هي التي نجدها في كل كائن عضوي، ...، وكيفية الدلالة الفنية إنما هي تأويل العام والخاص، مما يحيلنا إلى علاقة الدال والمدلول" (Fadl, 1992, p.56).

وعليه فالانزياح كنه خفيّ أساسي في العمل الشعري وطريقة ما في الخروج عن المألوف والمعتاد، لا يمكن بحال أن تُقَنّن أو توضع لها قواعد معينة يُحظر الخروج عليها، فما قام به النقاد العرب الأوائل واللغويون من وضع القواعد والمقاييس الفنية للشعراء بما أسموه عمود الشعر العربي، يتنافى مع مفهوم الانزياح وطبيعته، فالتجاوز أو الانزياح لا يمكن أن يُحدّ بسقف ما أو شكل ما أو آلية ما، فذلك يصير من باب المفارقة العجيبة؛ لأنّ الانزياح، وهو السمة الجوهرية في اللغة الشعرية، يفترض سلسلة لا نهائية من صور الانزياح الجمالية لا تنفد حدودها. أمّا التزام مذاهب العرب وطريقتهم في ذلك فيعني الاجترار والتكرار والنسخ التقليدي. "إنّ الانزياح الشعري خلق أو رؤيا، وهو من هذه الزاوية لا يقبل أيّ عالم نهائي وألّا ينحصر فيه، بل يفجره ويتخطاه. فالانزياح هو هذا البحث الذي لا نهاية له" (Saloom, 1996, p.110).

وهنا نقف مع ذات أدبية متميزة؛ لكونها زاولَتْ فنين متناقضين الشعر والنثر، وأبدعت في كليهما وهي إبراهيم بن العباس، محلّ نظر هذه الدراسة التي صرفت اهتمامها إلى إبراهيم بن العباس الشاعر غير متوجّهة بحال لموازنته بذاته في فن النثر، رغم قدرته الواضحة على الجمع بين الشعر والنثر الواقعين على طرفي نقيض، ويعزو إحسان عباس هذه القدرة إلى قريحة ابن العباس المرنة التي جعلته قادراً على ذلك (Abbas, 1993, p.230).

ويقول محمد كرد علي في ذلك عن ابن العباس: "فأكذبَ من قالوا إنّه لا إجادة لشاعرٍ في الكتابة، ولا لكاتب في الشعر. فهو إمامٌ في الصناعتين، فرد في الكتابة، وبحقّ دُعي كاتب العراق، وعدّ في زمرة أعاظم الشعراء؛ وهذا من أندر ما وقع لمن عانوا صناعة القلم منذ القديم وإلى اليوم. يقول المسعودي إنه لا يعلم فيمن تقدّم وتأخر من الكتاب أشعر منه، وكان دِعْبلِ يقول: لو تكسّب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء" (Kurd Ali, 1969, p.230).

ومهما بلغت درجة الاجتهاد والدقّة في النقد، فالشرائط التاريخية والسياسية والاجتماعية وظروف تكوين تلك الذات الأدبية لا بد أن تسهم في بناء لغتها الشعرية، فكان لزاما قبل قراءة شعر ابن العباس قراءة تستبطن الدلالات، وتبلور الرؤى وتفتح المجال لرؤية الوحدة النفسية والفكرية التي تسري في أوصال ذلك الشعر الذي جاء في مقطّعات وليس قصائد تامّة؛ كان لزاما الإتيان بقبس عنه فيه كفاية وهداية أثناء رحلة القراءة.

إبراهيم بن العباس الصولي

أبو إسحاق الصولي البغدادي الكاتب الشاعر إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الذي نزح من طبرستان التركية إلى جرجان الفارسية ليتملكها هو وأخوه، فنشأت سلالته فيها، وسمّى عاصمة مملكته "صول" فعُرفت به وعُرف بها. وظلّ صُول جدّ إبراهيم على دين الفرس حتى كانت حملة "يزيد بن المهلب بن أبي صفرة" على جرجان وخضوعها له، فاعتنق صول الدين الإسلامي، وأصبح مولى من موالي يزيد، وظل معه حتى قُتلا يوم العقر 102هـ. وعائلة الصولي إحدى العائلات التي أسهمت بنصيب كبير في نشر الدعوة العباسية سراً في فارس، ثم في إسقاط دولة الأمويين، وقد شاركت بمجهود ضخم في خدمة الخلفاء ودواوينهم، وفي خدمة العلم والأدب والمعرفة.

ولد إبراهيم بن العباس على الغالب سنة 176هـ في عهد الرشيد في بغداد، وبها نشأ نشأة علية القوم في بيئة غنية بالعلم والمال، وفي بيت عريق شهد له بالعلم والأدب. فكان أهم ما يميز الرجل ثقافته الواسعة المتنوعة التي وضحت في نتاج فكره وأدبه.

توطّدت علاقة إبراهيم بن العباس وأخيه عبد الله بالوزير الفضل بن سهل، فقد اتّخذهما كُتّابًا له في الدولة، وتدرّجا في الأعمال الرسمية طيلة وزارته وحياته. وحين أحسّ إبراهيم بالمؤامرة تدبّر في الخفاء للنيل من الفضل بن سهل حذّره، فكان مصير ابن العباس التخفي والتشريد والمطاردة حتى عفا عنه المأمون بعد ذلك، فأخذ إبراهيم يتقرّب منه ويمدحه. ولما بويع المعتصم بالله ظلّ إبراهيم في خدمته فكان كاتب الدولة. وفي خلافة الواثق تولّى الخراج بالأهواز، لكنّ الوزير ابن الزيات تنكّر له وتناسى صداقته وعزله، فكتب إليه إبراهيم مرارًا يشكو إليه ويعاتبه حتى وقف الواثق على الأمر وردّ إبراهيم إلى الحضرة مصونًا، وأخذ بهجاء ابن الزيات هجاء مقذعًا. وحين تولّى المتوكّل على الله الخلافة أمر بمصادرة أموال ابن الزيات وإعدامه. وتعتبر فترة حكم المتوكل أزهر فترة في حياة الرجل؛ فقد اتّخذه كاتبا للدولة ثم نديمًا يرفّه عنه، وارتفع نجمه فتولّى ديوان النفقات والضياع بسُرّ مَنْ رأى، وظل في منادمته للمتوكل إلى أنْ انتقل إلى بارئه سنة 243هـ، وهو شيخ قارب السبعين من عمره. آثاره: ديوان شعره، وبعض الرسائل والمكاتبات الرسمية، أمّا كتبه: كتاب الدولة العباسية، وكتاب الطبيخ، وكتاب العِطر، فلم يبقَ منها سوى الاسم أو الإشارة (Al-emari, 1990, pp.77-114; Bakkar, 2016, pp.203-204; Kurd Ali, 1969, pp.230-250).

وأول ما يستوقف القارئ لشعر إبراهيم بن العباس أنّه مقطّعات وليس قصائد تامّة، ما يجعل مقاربته على جانب من الصعوبة والحذر، ففيه كثافة وجدّة وغرابة تحيل على انزياح جمالي حريّ الوقوف عليه وتأمله، وقد تمثّل ذلك عبر أساليب لغوية ظاهرة لديه من أهمها الثنائية الضدية واللامتوقع والمفارقة، ما غذّى النص وجعله محمّلًا بدلالات غريبة تكسر أفق توقع القارئ، كما أنها تنزاح عما هو معهود ومتداول من دلالات متوارثة تقليدية أقرّتها مذاهب العرب وقعّدت لها؛ فكان شعر ابن العباس حريًّا بالوقوف عليه، لكونه من دائرة الشعراء الذين تمرّدوا على ذلك المعهود من الدلالات الشعرية، وقاموا على تغريبها استجابة لوعيهم ماهية الإبداع التي لا يمكن أن تقام لها الحدود وترسم لها القواعد. فيُعدّ ابن العباس من الشعراء الذين لم يتمثلوا مواصفات الشعر العربي التقليدي كما يتوجب، ولم يسيروا على عموده شأنه شأن أبي تمام الذي يندرج "ضمن جمالية مزعجة تتطلب استكناه واستنباط المعنى الذي يعبر عنه، فهذا المعنى يندّ عن التوصيل، كما ينبغي أن يتحقق في القصيدة، إنه يظلّ خالداً فيها، مختفيًا في ثنايا مقوماتها اللغوية. وهو ينكشف عن طريق مفاجآت متعاقبة" (Ibn-Al-Shaikh, 2008, pp.36-37).

ويذكر محمد كرد علي رواية تاريخية تدور في فلك ذلك: "وكان أحمد بن ثعلب يقول: إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين، وما روى شعر كاتب غيره، ...، وسُمع إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي، وقد أنشده شعرًا له في المعتصم: يا أبا تمام أمراء الكلام رعية لإحسانك، فقال له أبو تمام: لأني أستضيءُ بك، وأرِدُ شِرعتك" (Kurd Ali, 1969, pp.230-231).

إلّا أنّ ابن العباس يبقى يحملُ العصا من الوسط، فحينًا تنزاح دلالاته إلى حدّ الغرابة الذي لا يتماشى مع المعهود من الدلالات الشعرية التقليدية، وأحيانًا يحاول التوفيق بين فكره الذي يدفع إلى التجديد وتلك الانزياحات البعيدة غير المألوفة، وارتباطه بدائرة النقد في عصره التي تدفعه إلى النهل من المعجم الشعري الذي توافق عليه النقاد واللغويون، ورأوا أن الخروج عليه هو خروج على مذاهب العرب المألوفة. فيطوّع إبراهيم بن العباس اللغة تطويعًا بديعًا في الجمع بين الانزياح الدلاليّ الجماليّ الملبّي لداعي الإبداع والتجديد والخلق الشعري الذي كان ضرورة أملتها تلك الثقافات والمرجعيات المعرفية المتنوعة في عصره، فتولّدت صور إبداعية جديدة من الانزياحات الجمالية، وبين السير على مناهج العرب القديمة تلبية لمتطلبات دائرة النقد السائدة آنذاك.

ومن هنا استحق شاعرنا أن نوليه اهتمامًا خاصًا، لاسيما وأنه قد حضر في الذاكرة الأدبية حضوراً تطغى عليه صورة ابن العباس الكاتب وليس الشاعر، وعند قراءة شعره بتمعّن ومزيد تأمّل نرى أن شعره ينطوي على طاقة شعرية جديرة بأن ينظر في مكامنها وتجلياتها ومقوماتها اللغوية.

انزياح الدلالة الشعرية عند ابن العباس

يتسم شعرُ ابن العباس بالغرابة والطرافة، ويكتسي طابع اللامتوقع، ففيه بكورة وجدّة، الأمر الذي يفاجئ القارئ ويحمله على الدهشة. وقد كانت سمة الغرابة ترافق شعر كثير من الشعراء زمن إبراهيم بن العباس، سعة وضيقا، لما أصاب الحضارة العباسية من احتكاك قويّ بثقافات الشعوب المتنوعة ومعارفهم، وما تيسّر لهم من اطّلاع واسع على علوم وفلسفات عدة عبر الترجمة، وقد كان من الطبيعي "أن يكون لهذه العلاقات الثقافية الجديدة التي عملت عملًا نافذًا في عقلية العباسيين أثرها الواسع في شعرائهم،...، فقد دعم المنطق تفكيرهم، ووسعت الفلسفة دوائره، فانصبغ عقل الشعراء بأصباغ من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم والبعد في الخيال والتجريد فيه"(Dhaif, 1960, p.132-134). لقد انصهرت تلك الثقافات المتعددة في المجتمع العباسي في العراق، ومثّلت "ظاهرة استثنائية في التاريخ، فقد استطاعت من خلال حركة ترجمة علمية امتدت قرونًا أن تكوّنَ بنية ثقافية كونية كبرى، أسهمت في نسيجها ثقافات ولغات وشعوب متعددة متباينة" (Al-Zouby, 2007, p.256).

لقد ساهمت هذه الثقافة في تشكيل بنية لغوية جديدة لدى الشاعر العباسي آنذاك، فاتسمت بالغرابة والبحث عن الجديد في المعاني والأفكار، والبعد عن الدلالات المألوفة في مذاهب العرب المعروفة، لتنطبع بهذا الطابع كضرورة من ضرورات التطور الذي أصاب المجتمع في بنيته الكلية في مختلف المجالات والأبعاد. وهو أمر يُمثّل الاستجابة الطبيعية عند الشعراء للتغيّرات العديدة، فلا يمكن أن يبقى هذا الشاعر الإنسان بمنأى عن الحياة التي يعيشها كل يوم، وهو أكثر من غيره حساسية وشعوراً بجوهر التغيّر والاختلاف. فلا يمكن إنكار أثر هذا التطور والتغيّر، بل إنّ ذلك متطلّب يتساوق وروح الإبداع القائمة على التوليد لا التقليد، والتعْبير المختلف عن المعهود لا المؤتلف مع الموجود، وهذه هي الخاصية الأساسية المرتكزة عليها بنية اللغة الشعرية "الانزياح".

والانزياح خاصية إبداعية جمالية إنْ لم تترافق بقصدية واضحة، وتعمّل واصطناع، فعندها يفتر الانفعال وتخفت الشعرية، فكان الأدباء يختلفون في انزياحاتهم، فأحيانًا تكون جمالية مميّزة، وأحيانًا باهتة فاترة قد أعمل فيها الفكر كثيراً على حساب الانفعال، وأحيانًا تكون الانزياحات في منطقة وسطى فيها جدّة لكنها لا تفقد الوظيفة الشعرية الانفعالية لها. وإبراهيم بن العباس صاحب الجمالية الانزياحية الوسطى التي تبقى توازن بين التغريب في الفكر والانفعالية، ولا عجب في ذلك فمرونته الإبداعية تسمح له بذلك فقد مارس فنيين نقيضين وأبدع في كليهما. فمن السهل على موهبته الإبداعية أن تطوّع اللغة لتكون أداة يجمع فيها جدّة الفكر إلى جانب الانفعال دون أن يطغى أحدهما على الآخر. رغم أنّ فكره أحيانًا يطغى على جانب الانفعال لديه، فقد كان يمارس سلطة انتقائية على شعره، كما تذكر المصادر، "يقول الشعر ثم يختاره، ويُسْقطُ رَذْله، ثم يسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلّا اليسير، وربّما لم يدعْ فيها إلّا بيتًا أو بيتين" (Al-Asfahany, 1994, p.271).

ولعلّ هذا ما يفسّر لنا شعره الذي جاء مقطّعات وليس قصائد تامّة. إن عملية البحث عن المختلف واللامألوف أو اللامعتاد كانت شغل معظم الشعراء العباسيين في وقته، وهذا يخالف ما يصدر من أحكام من دائرة النقد التي تطالب بالالتزام بعمود الشعر العربي. واللامألوف والمختلف لا يعني بالضرورة كما تقدّم التغريب والغموض، فربّما يكون الخطابُ الشعري سلساً بسيطًا معتاداً لكنه يحمل انزياحًا ما مختلفًا يجعل منه إبداعًا متميّزًا.

ولكي لا يكون الكلام على شعر ابن العباس كمن يرجم بالغيب، لا بدّ من استنطاق نماذج من شعره ومقاربتها في أغراضه الشعرية المتعددة؛ ليتسنّى الاطلاع على انزياح الدلالة لديه وفق آليات المفارقة واللامتوقع والثنائيات الضدية وغير ذلك من صور انزياحية أملتها طبيعة بنية لغته الشعرية.

أولًا- الهجاء

رغم قلة أشعار ابن العباس في هذا الغرض، إلّا أنّ الدراسة آثرت البدء به، لقصيدته الطويلة نسبيًا التي يسرد فيها حكاية بيعه لعبد سيئ كان عنده، يقول:

ولمّا رأيتُكَ لَا فَاسقا تُهَابُ وَلَا أَنْتَ بِالزَّاهِدِ
وَلَيسَ عَدُوّك بِالمتَّقَي وَلَيْسَ صَدِيقُكَ بالحامِدِ
أَتَيْتُ بِكَ السوقَ سوق الرقيق فنادَيْتُ هَلْ فِيكَ مِنْ زَائِد
علَى رَجُلٍ غادرٍ بالصَّدِيقِ كَفُورٍ لنعمائِهِ جَاحِدِ
فما جَاءَنِي رَجُلٌ وَاحِدٌ يزيدُ على دِرْهمٍ وَاحِدِ
سِوَى رَجُلٍ حَانَ مِنْه الشَّقَاءُ وحلَّتْ بِهِ دَعْوَةُ الوالدِ
فبعْتُكَ منه بِلَا شَاهِدٍ مَخَافَةَ رَدِّك بالشَّاهِدِ
وأَبْتُ إِلَى مَنْزِلي سَالِمًا وَحَلَّ البَلَاءُ علَى الناقِدِ
إِنْ كَانَ رِزْقِي إليكَ فارِمِ به فِي ناظِرَيْ حَيَّة على رَصَدِ
لو كُنْتُ حُرًّا كَمَا زعمتَ وقَدْ كَدَدْتَنِي بالمَطَالِ لم أَعُدِ
لكِنَّنِي عُدْتُ ثُمَّ عُدْتَ فإن عدتُ إِلَى مِثْلِها إِذًا فَعُدِ
أَعْتَقَنِي سوءُ ما أتيتَ من الـ ـرقّ فَيَا بَرْدَها على كَبِدي
فَصِرْتُ عَبْدًا للسُّوءِ فِيكَ وما أَحْسَنَ سوءُ قَبْلِي على أَحَدِ(29)

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.197).

تنقسم القصيدة لمحاور ستة تمثّل مفاصل هيكلية للحكاية:

المحور الأول- صفات العبد:

* لا فاسقًا يهاب
* لا زاهداً يُرتجى
* عدوّه ليس مُتقّيا
* صديقه ليس بالحامد

نستنتج (لا يخشى جانبه/ ضعيف) نستنتج (لا يحبّ/ غير لطيف المعشر)

* غدور بالعدو غير موثوق به
* غادر بالصديق كفور لنعمائه جاحد

نكّار لا يصون العهد

المحور الثاني- صفات مشتري العبد:

* حان منه الشقاء.

(حان منه الشقاء: تكشف قضاء الله وقدره في هذه المصيبة).

* حلّت به دعوةُ الوالد

(استجابة دعوة الوالد: تعكس لا إرادية المشتري في شرائه).

المحور الثالث- وصف عملية البيع:

* بلا شاهد، والعلة مخافة ردّ العبد بالشاهد.

(العملية فيها تكتّم وإسرار، ورغبة جامحة في التخلص من العبد).

المحور الرابع – الحال بعد عملية البيع:

* البائع/ سالم * المشتري/ حلّ به البلاء

المحور الخامس: مخاطبة العبد وهو غائب بعد بيعه بأسلوب شرطي:

* لو كان الرزق بيد العبد ← الجواب * ارم به في ناظري حيّة على رصد

(حالة افتراضية تشي بالرغبة العارمة في فراق العبد) (يأمره برمي رزقه باتجاه عيون حية مرصودة).

* لو كان السيد حراً كما زعم العبد ← الجواب * لما عاد السيد إلى قبول مطال العبد

(تعكس شعور السيد بالعبودية) (إثبات على أن السيد هو العبد).

* إن عُدْت إلى قبول المطال ← الجواب * عُد إلى ما كنت عليه من المطال

(تُشعر بتحدي الواثق بقراره) (سيكون السيد وقتها يستحق ما يحدث له)

المحور السادس- حقائق مدهشة:

* إعتاق السيد من الرقّ ← بسبب * سوء ما أتى العبد من الرقّ

المفارقة (السيد مبتهج بذلك/ يا بردها على كبدي)

* السيد عبد لسوء العبد * إحسان السوء للسيد

تتزحزح الدلالات وتتنافر في هذه القصيدة بصورة واضحة، وقد راتب الشاعر بنياته اللغوية فيها بطريقة تجلّي الدلالة وتجعلها تتوالد وتتداعى في ذهن القارئ بسلاسة رغم انطوائها على كثير من المفارقة واللامتوقع، ما أبرز جانب الانفعال فيها بلذة كبيرة وشعرية عالية، وهذا يدلّل على ما سلف من أنّ الانزياح لا يعني الإغراق في الغموض واللامفهوم، فقد يكون بلغة بسيطة لكنه يخرق النظام اللغوي بشكل كبير مولّداً لذة عجيبة.

لقد وفّرت المقابلة توازياً لغوياً دلالياً ننفذ من خلاله لمعرفة صفات العبد بأسلوب مكثّف محمّل بالدلالة، كما أن الفراغات التي تركها النص تنشّط الذهن لملئها بسهولة، إذ إنّ هناك "عناصر غائبة من النص ولكنها شديدة الحضور في ذاكرة القراء الجماعية في فترة معينة إلى درجة أنه يمكن اعتبارها عناصر حاضرة"(Fadl, 1987, p. 306). فعندما ذكر العبد بأنه (لا فاسقًا يهاب)، ترك النص لنا فراغاً لنملأه هو (لا زاهداً) (يرتجي)، وهذه حالة من (اللاشيئية) تفضي إلى حالة من الضياع، فلا يُعرف ما هو هذا العبد (لا فاسق ولا زاهد)، إذن يقفز السؤال ما هو؟ وهذا يُحَفّز القارئ للمضي للمعرفة أكثر عنه، عدوه لا يتقيه، فهو ضعيف لا يخشى جانبه، وصديقه ليس بالحامد فهو غير لطيف المعشر ولا يحبّ. وتزداد صورة العبد نفوراً وتشويهًا عند كونه غادراً بالصديق كفوراً لنعمته جاحداً بها، فهذه حاله مع الصديق، فكيف يكون مع العدو! يترك لنا النص الإجابة لنملأها وفق ما تقدّم. وموطن الغرابة في النص أنّ الشاعر لم يُخفِ حقيقة العبد عند بيعه، بل نادى عليه بصفاته، والنتيجة لم يأتهِ مشترٍ واحد يزيد على درهم واحد، فالعبد في مكانة من التنفير حالت دون أخذه عبداً بدرهم، ولهذا دلالة تؤازر بشاعة صفات العبد التي جعلت الآخرين يزهدون في التمتع بخدمته بلا ثمن.

ثم تبدأ عناصر المفاجأة بالظهور عند قول الشاعر (سوى رجل حان منه الشقاء وحَلّت به دعوة الوالد). إنّ المشتري هنا رجل قضى الله له بالشقاء وقدّر عليه المصيبة، واستجاب الله لدعوة والده في ابتلائه. وهذا يشي بلا إراديته، وبمشيئة الله النافذة في شراء العبد. وإلّا فلا عاقل سيرضى بشرائه، وتتم عملية البيع بلا شاهد خوفًا من ردّ العبد للسيد، وهنا تبدأ عملية التحوّل في حال السيد؛ فقد آب إلى منزله سالمًا، في حين حلّ البلاء على الناقد/ المشتري. ثم يصدمنا النص بمخاطبة السيد للعبد وهو غائب كأنه ما زال يشعر بثقل وجوده (إنْ كان رزقي...) فالسيد يتتبع أقصى حالات بُعد الرزق عنه، ويبالغ فيها من خلال أنها بيد العبد، ثمّ إن العبد يرمي الرزق باتجاه عيون حية مرصودة، فلا يُحرّر ذلك الرزق إلّا بكدّ وتعب وفكّ

الرصد، أنه يزهد برزقه مقابل خلاصه من العبد؛ لأنّ الحقيقة الغريبة التي يكشفها السيد والتي تشفّ عن مفارقة كبيرة هي أن السيد الذي يظن نفسه سيّداً وحراً هو في الحقيقة العبد، وعبده هو سيّده، ثم يبرهن على حقيقة عبوديته للعبد بحقيقة واقعية هي أن العبد كان يماطله إلى درجة الكدّ، ويعود الشاعر ويتجاوز عنه، وهذه الحالة المتكررة جعلت من السيد عبداً لدى عبده إلى درجة أن السيد تحدّى نفسه فقال (فإنْ عدت إلى مثلها إذا فَعُدِ)، ثمّ يُصرّح السيّد بحقيقة وضعه مع العبد:

أَعْتَقَني سوءُ ما أتيتَ من الـ رقّ فَيَا بَرْدَهَا على كَبدي

إنّ تلاعب العبد بسيّده جعل السيد عبداً، والمدهش أنّ السيد تخلّص من عبوديته لعبده بفعل سوء رقّ ذلك العبد، وكأنّ العبد تفضّل على سيّده بسوء رقّه فدفعه لبيعه لينعتق منه، ليصير سوءُ الرق برداً وسلاماً على كبد السيد، وهي مفارقة مدهشة غريبة. ويتابع النص إشباع تلك المفارقة وتجليتها في قول السيد:

فَصِرْتُ عَبْداً للسُّوءِ فِيكَ وما أَحْسَنَ سوءُ قَبْلِي على أَحَدِ

إنّ موطن الغرابة يكمن في (عبداً للسوء)، فالسيد ليس عبداً للعبد وإنّما للسوء فيه، وتزداد المفارقة طرافة حين يُفاجئنا النص بـ (وما أحسن سوء قبلي على أحد)، فمن المعهود أن السوء يولّد سوءاً، لكن سوء العبد هنا أحسن إلى السيد وأعتقه، فإسناد الإحسان إلى السوء من باب عكس النسق، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه لغة الخطاب الشعري، فـ "الخطاب الشعري يعاكس النسق،...، لغة داخل لغة، لامعقولية الشعر ليست موقفاً مسبقاً، إنها الطريق الحتمية التي ينبغي للشاعر عبورها إذا كان يرغب في جعل اللغة تقول ما لا تقوله اللغة أبداً بشكل طبيعيّ" (Cohen, 1986, p.129). لقد تضافرت في هذه المقطّعة آليات عدّة من مفارقة ومقابلة وتوازٍ وغرابة وكسر أفق التوقع؛ ما جعلها تحفل بزحزحة واضحة في الدلالات ومنافرة متعمّدة أفرزت بنى لغوية إبداعية على جانب كبير من الشعرية. ولا يستبد الفكر فيها على جانب الانفعال، بل هي خير مثال على تساوقهما، فلا يخلو الخطاب الشعري من جدّة الفكر والمعرفة ولذة الانفعال والدهشة والتشوّق. "وحينما يبدو أنّ الناقد الذي يتمتع بالذكاء والحساسية يثني على الصورة التي يراها بعينه الباطنة فالحقيقة هي أنه يثني على قدرة الصورة على التأثير في الفكرِ والانفعال" (Richards, 1961, p.176).

وتشارك البنية الموسيقية للمقطّعة البنية اللغوية في تضادها وانزياحها وانتهاكها لوحدة البحر العروضي، لتمثل خرقًا وانحرافًا متعمّداً يسهم في بناء الدلالة الفكرية والنفسية لدى القارئ؛ فالمقطعة تسير على بحر المتقارب حتى بداية وصول السيد إلى منزله دون العبد (إن كان رزقي إليك...)، فهنا تأخذ الموسيقا بالتغيّر إلى بحر المنسرح، ليعلن السيد من خلال هذا التغيّر بداية عهد حرية جديد يعيش على وقعه بعيداً عن عبده/ سيّده. "إنّ النظم لا يوجد،...، إلّا كعلاقة بين الصوت والمعنى، فهو إذن بنية صوتية – دلالية" (Cohen, 1986, p.52).

ثانياً- الغزل

يحضر هذا الغرض حضوراً لافتًا عند ابن العباس، لطرافة الانزياحات وكمّها، والمغايرة في الدلالات الشعرية المعهودة، ولاتجاه الشاعر نحو الغزل العذري حينًا، والحسّي حينًا آخر، لكنّه يستفزّ المخيلة، ويثير نشاط القارئ في غزله العذري أكثر من الحسّي، يقول:

فَدَعْني راغمًا أشقى بِوَجْدي وخذْ قلبي إليكَ بغير حَمْدِ
سَقامٌ لا ترقُّ عليّ منه ووجْدٌ لا تكافِئُه بودِّ
بنفسي مَنْ إساءته اعتمادٌ ومَنْ إحسانه عَن غير عَمْدِ
ومَنْ أَصفيْتُه في الودِّ جُهْدي فعارضَ في الجفاءِ بمثل جُهدي

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.196).

إنّ الذهن ينصرف مباشرة إلى ذلك المعمار الميزاني بين حال الشاعر وحال محبوبته التي خاطبها بصيغة المذكر (فَدَعْني)، ما يثير التساؤل ويعمل بعكس اتجاه المتوقع من كونها أنثى يغلب فيها اللين والعطف على القسْوة والعنف. هذا ما يبدو للوهلة الأولى، وبعد القراءة المتأنية تتضح طبيعة العلاقات الداخلية بين عناصر المقطّعة كالآتي:

الشاعر	حال معاكسة	المحبوب/ ــة
* الشقاء بالوجد راغمًا	⟵	* التنعّم بقلب المحبّ دون تعب وحمد
* سقام ظاهر في الجسد	⟵	* لا يرقّ لسقم المحبّ
* وجد باطن في القلب	⟵	* لا يُكافَأ بودّ
* التفدية بالنفس	⟵	* إساءة متعمّدة
* التفدية بالنفس	⟵	* إحسان غير متعمّد
* بذل الجهد في إصفاء الودّ	⟵	* بذل الجهد في الجفاء

إنّ كمّ المفارقات الواردة في الأبيات التي أتعبت الشاعر، وبثّها عبر هذه التجربة الشعرية تفصح عمّا لدى المحبوبة من سلطة قاهرة، وتحكّم موجع بحال الشاعر، فاختلال المساواة بين طرفي المعادلة، ورجحان كفة المحبوبة بهذا الشكل السافر الجائر لا يُناسبه مخاطبتها بصيغة المؤنث، فما يلاقيه منها يجعله يخاطبها بصيغة (المذكر/ العدو)، وليس (المؤنث/ المحبوبة)؛ فقوله: (راغمًا/ بغير حمد/ لا تكافئه/ الإساءة اعتماد/ الإحسان غير متعمد/ بذل الجهد في الجفاء) لا يحيل على علاقة حبّ، بل علاقة عدائية تناسبها صيغة المذكر العدو المتحرّي إذلال الشاعر المحبّ (راغمًا/ أشقى).

بل إن بنية اللغة في الأبيات تصعّد العلاقة العدائية إلى أقصى درجاتها إلى حدّ (العدو / اللاإنسان)؛ فالشاعر يعطي قلبه غير منتظر حمدًا، في حال أنه يشقى بوجدٍ مُذلّ من المحبوبة التي يطلب منها أن تدعه (فدعني)، ليشير إلى وصوله إلى تلك الحالة من كراهية القرب، لأنّ المزيد من القرب بات مذلا إلى حدّ يطلب معه البعد، ولا ينتظر منها حمدًا على بذله أغلى ما لديه (قلبه)، وهي حالة من اليأس والتعب تكشف لا إنسانية هذا المحبوب.

لا يصرّح نص ابن العباس بما تقدّم من قراءة، لكنّه يحفّز القارئ بما يملك من بنية لغوية على ملء فراغات النص وقول ما لم يقله، "وذلك عن طريق ترك فراغات على نحو متعمد لكي يملأها القارئ، وعادة ما تنجم هذه الفراغات من حيل أسلوبية لا يكتشفها ولا يفهم أبعادها إلّا قارئ متمرس" (Ibrahim, 1984, p.103)**.** ومن الممكن ببساطة أن يأتي قارئ آخر ويملأ النص بطريقة أخرى وفقًا لاستبطانه النص وخبرته، وأفق توقعه ومدى تفاعله مع ما يقدّمه النص له، "فلم يعد دور القارئ مرتبطًا بالاستهلاك وإنّما أصبح دوره دورًا تشاركيًا" (Rabab'a,1997, p.154).

ويتخذ الانزياح في غزل ابن العباس شكلًا آخر يتمثل في إطلاق الدلالة والمبالغة فيها واتّساعها بصورة لافتة، مثال ذلك قوله:

هوىً وغلتْ به الأحشاءُ منْها ... إلى حيثُ استقرّ بهِ مَدَاها
جرى والماءُ في سَنَنٍ فلمّا انْـ ... ـتَهَتْ بالماءِ غايتُهُ طواها
فَحَلَّ بحيثُ لم يبلغْ شرابٌ ... ولم تحلُلْ بِهِ أُنْثى سِواها

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.180).

تنطوي هذه الأبيات على غرابةٍ شديدة في الفكرة؛ إذْ يُجري الشاعر سباقًا بين هواه والماء داخل أحشائه، وتكون النتيجة أنّ الماء له غاية تنتهي به داخل الأحشاء، أمّا هواه فيطوي غاية الماء في مدى لا يستطيع أيّ شراب أن يبلغه، والغرابة هنا تأتي من كون الماء سائلًا يتغلغل وينساب ويحلّ في كل خلية في جسد الإنسان، إلّا إن ذلك الهوى تغلغل بعمق أكثر من الماء وسرى إلى حيث لا يمكن لأيّ شراب أن يسري، وكلمة (شراب) فيها إطلاق للدلالة، فقد يكون ذلك الشراب خمرًا، والخمر تعمل في العقل لا في الجسد فقط، أيْ أن فاعلية ذلك الهوى أشدّ من أيّ شراب، ثم يُفاجئنا النص بِـ (ولم تحلل به أنثى سواها) للتأكيد على استثنائية تلك التجربة عن التجارب السابقة، ما يحفّز الذهن للذهاب إلى أبعد من أن تكون تلك الأنثى

إنسانة أحبّها، فمن الممكن أن تكون تلك الأنثى معادلًا وقناعًا لعقيدة يُخَبّئها، أو لانتماءٍ يكتّمه؛ إذْ يؤكّد أحمد جمال العِمَري الذي تولّى جمع أشعار ابن العباس وقدّم لحياته وأدبه، أنّ كل الدلائل تشير إلى أنّ إبراهيم بن العباس كان يميل إلى طائفة الشيعة لاقتناعه بآرائها ومبادئها، وإيمانه بأحقية آل البيت الهاشمي في تولي الخلافة، مستنداً على مصادر الشيعة التي اعتبرته أحد أعلامها الكبار وأعيانها. وقد اتّصل ابن العباس بالفضل بن سهل أحد الوزراء المتشيّعين الكبار وأخيه الحسن، وتنقّل في بلاد فارس والعراق خاصّة الكوفة موطن الشيعة؛ ما ساعد على رسوخ المذهب الشيعي في قلب الرجل، فكان يمجّد أئمتهم وولاتهم وينشر تعاليمهم، لكنه كان معتدلًا في تشيعه بالرغم من صداقته لدِعبل الخزاعي الذي كان يجاهر بعدائه وهجائه للعباسيين. أمّا ابن العباس فقد أخفى حقيقة عقيدته الشيعية مستخدمًا أهمّ أصل من أصول المذهب الشيعي وهو (التقيّة). وهناك روايات، لا مجال لذكرها هنا، تذكر أنه قد أحرق جميع أشعاره في الشيعة؛ لأنّه كان وقتها على ديوان الضياع زمن المتوكل الذي كان يكره الشيعة وينكّل بهم، حتى إنّ ابن العباس غيّر اسمي ولديه أيضًا من الحسن والحسين إلى إسحق وعباس فزعًا وخوفًا من المتوكل (Al- emari, 1990, pp.93-97).

فلا غرابة إذن إنْ كان هذا الهوى المذكور في الأبيات هو انتماءه الشيعي الذي كان يكتّمه ويداريه. وهذا ما قد يفسّر لنا أمر توزّع الشاعر بين الغزل الحسّي حينا والغزل العذري حينًا آخر؛ ففي غزله العذري وجد وحزن وإخلاص يحفّز القارئ على الذهاب إلى أنّ المرأة المخاطبة في الأبيات هي ما يخفيه من عقيدة وانتماء.

ثالثًا- المديح

يحضرُ هذا الغرض عند ابن العباس بمستويين؛ الأول يردّدُ فيه المعاني المتوارثة التقليدية، ولا يخرج كثيراً عن سنن القدماء، والثاني فيه انزياحٌ جماليّ واضح يثير الاهتمام ويدفعُ للتأمل، ومثاله قوله:

أَسَدٌ ضارٍ إذا هَيَجْتَه وأبٌ بَرٌ إذا ما قَدَرا
يعرفُ الأَبْعَد إنْ أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.201).

* أسدٌ ضارٍ / الهيجان	* أبٌ بَرّ / القدرة
(التهييج يكون من سلطة أكبر/ هو المسيطَر عليه)	(هو المسيطِر)
* يعرف الأبعد / الثراء	* لا يعرف الأدنى/ الافتقار
(لا يقتصر خيره على القريب بل يتعداه إلى البعيد بل الأبعد)	(لا يعرف الأدنى بفقره وهذا يستوجب ألّا يعرف بحاله البعيد)

هذان بيتان في المديح ينطويان على مفارقة مدهشة وتقسيم تقابليّ ذي أبعاد دلالية عميقة قد لا تظهر من مجرد النظر السطحي إلى بنية النص، فـ (أسدٌ ضارٍ إذا ما هيجته) المقابِلة لِـ (أبٌ برٌ إذا ما قدرا)، لا يفعلان فعلهما من الإدهاش إلّا إنْ عرفنا أن التهييج لا يكون إلا من سلطة أكبر من هذا الممدوح، وردة الفعل المتوقعة هي الإذعان والخنوع لا مجابهة القوة بالقوة، وصفةُ (الضراوة) اختيار دقيق فاعل يكثّف الدلالة، ويتممها لتتساوق مع (أبٌ بَرٌ)؛ فالضراوة هي الاعتياد على أكل اللحم، وهي صورة تزخر بالافتراس والوحشية، ففي حالة القسر لا يجد مَنْ هَيّج الممدوح إلّا وحشًا لا يرحم، وهي حالة تفاجئ القارئ الذي يتوقع الخنوع والاستسلام. أمّا في حالة القدرة التي تسوّل للنفس اغتنامها وتُغري بالتنكيل بالمقدور عليه، فالممدوح يتحول بأعجوبة من أسد ضارٍ في حالة اللاقدرة على العدو المهيّج، إلى أبٍ برٍ في حالة القدرة. وصفتا (الأبوة / البرّ) تكادان تكونان مجمع الإحسان والرحمة؛ لما تختزنان من دلالات عميقة من الحب والتضحية والعطاء والحماية والمعروف. إنّ ألفاظ الشاعر التي يستدعيها دون غيرها لتعبّر عن أبعاد صورته تكشف عن وعيه "بالمكونات المتشابكة لتجربته، وبالصورة المثلى لإعطاء هذه الأبعاد تعبيراً شعرياً، لكنّ دور الوعي هنا ليس دوراً آلياً، ذهنياً، جافاً، بل دور خلاق يكثف المستوى النفسي للموقف الشعري في الصورة عن طريق خلق بنية تتداخل فيها العلاقات" (Abo Deeb, 2017, p.40).

ثمّ يسوق الشاعر حالتين أخريين للممدوح فيهما من الغرابة واللامتوقع ما يجعل القارئ يشتق منهما صفات كثيرة للممدوح. فالموقفان اللذان يخلقهما لنا الشاعر عبر تجربته الشعرية تجعل من هذا القول الشعري على سهولته محمّلًا بشعرية عميقة ومبدعة؛ فالممدوح يعرف الأبعد في حالة ثرائه (خيره وفضله يطال البعيد بل الأبعد)، ومن المؤكّد أنه يطال القريب، وهو لا يعرف الأقرب وليس فقط القريب في حالة افتقاره، ومن المؤكدّ أنه لا يعرف الأبعد والبعيد، إن الممدوح يخفي حاجته ويداري خلته عن الأدنى (أقرب إنسان إليه). وهنا يُنشّط الذهن ليقرأ صفات كثيرة للممدوح من خلال هذين الموقفين، فهو كريم معطاء، وخيره ينال الجميع القريب والبعيد بل الأبعد في حالة ثرائه، والمال العزيز على النفس يفرّقه على الأبعد، فما حاله مع غير المال، وهو يكتّم فقره عن البعيد والداني بل الأدنى لتترى في نفس السامع دلالات كتمان الألم، وعزة النفس، والصبر والاحتمال وعدم الرغبة في قض مضجع أحد بأزمته حبًا ورفقًا. إنّ صفات الممدوح تكاد تكتمل من خلال المواقف التي نقلتها لنا تجربة الشاعر بل تكاد تُشكّل سجلًا حافلًا بكل المفاخر التي يستحسن أن يمدحَ بها عربيّ.

ومن الأمثلة على صور الانزياح الجمالية التي حضرت في المديح قوله:

إذا طمعٌ يومًا غزاني مَنَحْتُه كتائبَ يأسٍ كرّها وطرادها
سوى طمع يُدني إليك فإنّه يُبَلّغُ أسبابَ العُلى مَنْ أرادَها

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.195).

يتجلّى الانزياح هنا في غرابة الاستعارة التي جاءت استجابة لغرابة الفكرة التي أرادها الشاعر أن تعبّر عن هدفين، إطراء الممدوح والفخر بذاته في الوقت نفسه، فكانت تجربة الشاعر فيها فرادة وانحراف عن المعهود والمتداول من دلالات، إذ يفاجَأ القارئ بتلك الاستعارة التي ابتدعها الشاعر وارتضاها لتنقل تجربته النفسية والشعرية؛ فالطمع عدو يمارس غزواته على الشاعر الفطن المتيقظ المتدبّر أمره، فيرسل كتائب من اليأس مجهّزة تمارس دورها في إزهاق الخصم وتبديد شمله (كرها وطرادها)، إن الاستعارة هنا موطن الغرابة، فـ "عندما يخلق الشاعر، إذن، استعارة أصيلة فإنّما يخلق الكلمات وليس العلاقة. إنه يجسد شكلًا قديمًا في مادة جديدة، وهنا يكمن إبداعه الشعري" (Cohen, 1986, p.44). ونتأمل كلمة (منحته) التي تعكس حسّ العطاء والحبّ، وكأنّ العلاقة العدائية الظاهرية بين الطمع واليأس في حقيقتها اتصال وتكامل؛ لأنها تصدر من ذات الشاعر وحده، فهو ينطوي على المتضادين، لكنه يعرف كيف يعالج ذاته بذاته، فهو أدرى بما يحتاجه، فكان العلاج بمنح اليأس للطمع لإذابته وإزالته. وتبرز دلالة (اليأس) من خلال تلك الخصومة القائمة بين (الطمع/ اليأس) كدلالة إيجابية ممتدحة، ودلالة (الطمع) كدلالة سلبية مذمومة؛ فالشاعر يؤوس ممّا ليس له، ليس بطمّاع. ثمّ يُفاجئ النص القارئ مرّة أخرى في البيت الثاني بكون الطمع صفة إيجابية لكنها مشروطة بكونها تقرّبُ من الممدوح، فالطمع هنا ليس ماديا خلافًا لما يستثيره الذهن بذكر الطمع من الأسباب المادية، إنّه طمعٌ في القرب، وهو قربٌ يبلّغ العلا لمن أراده. هذه الانزياحات المتتالية لدلالة اليأس والطمع تجعل الذهن يشعر بكسر التوقع، ما يولّد لذة في النفس وشعورًا بانفعال فريد؛ فـ "كلّما واجه القارئ تصادمات وتعارضات مع موقفه ووعيه وذوقه فإن ذلك يخلق لديه إمكانية الانفعال بالنص، ...، ولذلك يستطيع اللامتوقع أو التوقع الخائب أن يشكل لذة التقبل لدى القارئ، وهي لذة تقوده إلى ملازمة النص ومعايشته ومحاولة استبطانه بشكلٍ موحٍ ومؤثر" (Rabab'a,1997, p.49). وهذه الخطاطة توضّح الانزياحات الجمالية في البيتين:

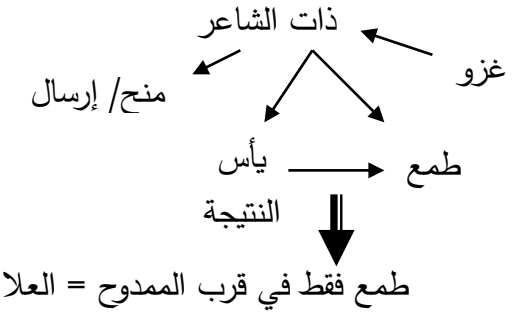

ومن أمثلة الانزياحات الجمالية على مستوى الفكرة قوله:

فَلَو كان للشكر شخصٌ يبين إذا ما تَأمّله الناظرُ
لمثّلْتُهُ لك حتى تراه فتعلمَ أنّي امرؤٌ شاكرُ

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.201).

إنّ أول ما يسترعي النظر في هذين البيتين صورة الشكر التي استدعاها الشاعر بأسلوب التعليق الشرطيّ، ليخرج من دائرة المبالغة المستحيلة، فكان الشرط المخرج اللغوي الذي اتّكأ عليه لينفذ من خلاله إلى ما أراد من تصوير مدى شكره للممدوح، وقد استنفر الشاعر كل مفردة لفظية في الجواب لننزلق عبرها لدلالات عديدة؛ فقال: (لمثّلته)، والتمثيل يتعلّق بأمرين في جواب الشرط هما؛ (حتى تراه) و (فتعلم أنّي امرؤ شاكر)، ولذا كان تمثيل الشكر بشخص مهارة كبيرة كان سيأتيها الشاعر لتصل حدّ الإبداع تتواءم مع شكره الكبير للممدوح. فمقدار الشكر يبرز من خلال تمثيل شخص الشكر، إنّ هناك جهداً إبداعياً فنياً نحتياً يليق بمقدار الشكر وكيفه، ليليق بهذا الممدوح المستحق له، وليليق أيضاً بذات الشاعر الأمينة بأداء حق الشكر. ولذا قال (حتى تراه)، فالرؤية هنا تكون ببساطة لا تحتاج إلى تأمّل كما جاء في البيت الأول (إذا ما تأمّله الناظر)، إنه تمثيل ظاهر للعيان بارز يتحصّل به علم الممدوح اليقيني بشكر الشاعر.

ثمّ إنّ قول الشاعر عن ذاته (فتعلم أنّي امرؤ شاكر) فيه اختزال كامل لذات الشاعر وكينونته وحقيقة وجوده بالشكر فقط، فقد حدّد وجوده بالشكر. وبالفعل مثّل النص الشكر تمثيلاً لغوياً شعرياً لا يدع القارئ إلاّ وقد رأى ذلك الشكر بعينه، واقتنع بمصداقية الشاعر في شكره.

رابعًا- الخمر

حضرت الخمر في شعر ابن العباس حضوراً مميّزاً؛ لطرافة وصفها وإصباغ صفات جديدة عليها غير معهودة، وبكونها تتداخل بالغزل حينا والإخوانيات حيناً آخر. ومن الأمثلة على انزياح الدلالة في وصفها قوله:

صفْ مِراحًا إنْ كُنْتَ تَهْوى مِراحًا صفةً تعقبُ الحليمَ مُزاحا
دُرّةٌ حَيثما أديرتْ أضاءتْ وَمَشَمّاً من حيثما شُمّ فاحا
ورداحٌ قال الإله لها كو ني فكانت رُوْحًا وَرَوْحًا وراحًا

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.192).

إنّ موطن الانحراف هنا يكمن في تحرّي صفة لـ (مراح/ الخمر) نتيجتها (تعقب الحليم مُزاحا)، أي يتحدّى الشاعر نفسه، إنْ كان يحبّها، بذكر صفة للخمر تجعل الحليم عقب سماعها في حالة مُزاح، فتنقله من النقيض إلى النقيض؛ من حالة الحلم والوقار والسكينة إلى المزاح والضحك، ولن تكون الصفة كذلك ما لم تنطوِ على إدهاش كبير يتساوق مع ذلك الانتقال الضدّي. ويشرع الشاعر في وصف مراح فيقول (درّة حيثما أديرت أَضاءت)، والإضاءة هنا دلالتها متسعة منفتحة؛ فالإضاءة قد تكون في الشكل والفعل، وكل ما يستلزم من أمور ماديّة حسيّة ومعنوية، والطريف هنا قوله (حيثما أديرت)، فهذا يستلزم تقلبها في الأحوال والمواقف والأوقات، وفي كلها تجدها مضيئة. ثمّ أعقب تلك الصفة (ومشمّاً من حيثما شمّ فاحا)، إنّ (حيث) تحيل على حيثيات لتلك الخمر، والخمر في الكاس لها حيثية واحدة، ما ينشّط الذهن لاعتبار تلك الخمر امرأة ذات مشمّ زكيّ ولها حيثيات، ومن أين شممتها فاحت شذى. لقد أسبغ عليها الحياة والكينونة، والبيت الثالث يرسّخ ما لمع من دلالات في البيت الثاني فقال (رداح) أي أنها امرأة عظيمة وافرة الأنوثة متفردة بكينونتها وخلقها، وقد قال لها الإله (كوني)، فأطلق لها مشيئة كينونتها كما تريد، فكانت (رُوْحًا) أي حياة بكل ما تعني الحياة، و(رَوْحا) أي راحة وسروراً ودعة ورحمة، و (رَاحا) أي تذهب الهموم وتنفي التعب وتبدّد المشاق وتُذيق الفرح والمرح، ولذا جاء في البيت الأول (مراحا) أي (لها مراح في الرأس وسورةُ يمرحُ مَنْ يشربها). فتتضافر صفات الخمر (مراح ورداح ورُوح ورَوح وراح) لتصيب وصف هذه الخمر التي تفرّدت في خلقها، وأطلق لها الإله حرية اختيار كينونتها فكانت كما أرادات. وحقّق النص أيضاً تفرّده في إدهاش القارئ والحليم على السواء بدقة ذلك الوصف الذي لا يفطن له أحد، فكان وصفاً موازياً لجعل الحليم في حالة مُزاح.

ومن أمثلة انزياحاته الجمالية في الجمع بين الخمر والغزل قوله:

ساعَدَنا الدهرُ فبتنا معًا نحملُ ما نجني على السُكْرِ
فكنتُ كالماءِ له قارعًا وكانَ في الرِّقةِ كالخمرِ

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.205).

بيتان شعريان فقط يختزلان عالمًا مفعمًا بالتفاصيل والحياة، ويشيعان فاعلية كبيرة عبر تلك الصورة التي تمور بالجمال والتفرّد، وتعجّ بالحركة الانفعالية خالقة تجاوبًا كبيراً مدهشًا لدى القارئ.

يشكّل البيت الأول مهاداً لسياق اللقاء وظروفه بين الشاعر ومحبوبته، وتوطئة رائعة لخلق انزياح البيت الثاني، ليشكّل البيتان قصيدة تامّة بكل التفاصيل قائمة على تباين واختلاف ينتهي بتمازج وانسجام وتكامل. وتلك الخطاطة توضّح التناقضات والتصادمات التي ستنفى بعد قليل لتكوّن معنًى شعريًا طريفًا.

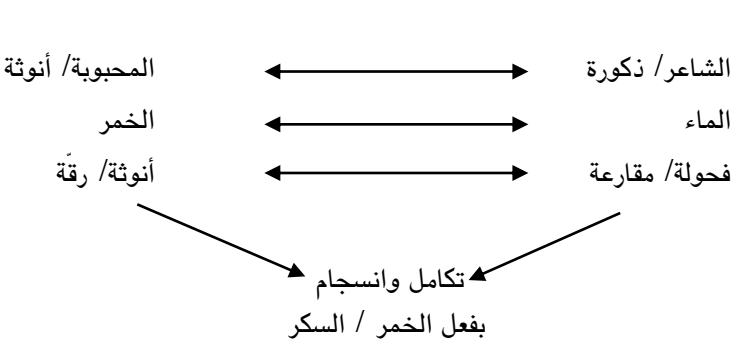

إنّ مدى الاختلاف الكبير بين فحولة الشاعر، وأنوثة محبوبته يتحول إلى اندغام وانسجام وتماهٍ فيه لذة كبيرة، تماماً كمزج الماء بالخمر، فعلى اختلاف تركيبيهما إلاّ أنهما يتمازجان ويتكاملان؛ إن الخمر وحدها بغير مزج بالماء لا تحقق لذتها رغم أن الماء يكسر حدتها، إلّا إنه كسر من أجل خلق لذة جديدة أكبر، فتعبير (قارعًا) يشي بتلك الفحولة وتلك المضاربة بين ذكورة قوية وأنوثة رقيقة، لتنتهي باستجابة رقيقة كاستجابة الخمر للماء. لقد كان السكر في البيت الأول يشكّل مصدر تلك الجناية، لكنها تحولت إلى جناية غريبة مدهشة، فتحوّل الاختلاف إلى تكامل تام واندغام لذيذ، والجناية لم تعد جناية، فقد نفى النص انزياحه بنفسه ليكوّن معنى شعريًا فريداً.

خامسًا- الإخوانيات/ الصداقة

وتظهر فيها لطائف فكرية جديدة، ودلالات غير معهودة تشدّ الانتباه وتسترعي النظر، وتحتاج لمزيد من التأمّل وإعمال الفكر لفهمها، والوصول للذة الكامنة في ذلك، فلا تسقط الدلالة في نفس القارئ سقوطا مباشراً سهلًا، بل إنّها تراوغ من خلال بنية اللغة التي تجعل القارئ يصمّم على سبر غورها واكتناه دلالتها، لما تضفيه من إغراء يجعل القارئ يستنفر كل وحدة لغوية واردة في الأبيات لتسهم في بناء الدلالة وتشكيلها.

ويأتي شعر ابن العباس عن الصديق من خلال الحكمة أحيانًا، ومن خلال العتاب أحيانًا أخرى. وكله شعر محمّل بدلالات تقع موقع غرابة في نفس القارئ، وتشكّل انزياحًا جماليًا يولّد اللذة المطلوبة لذة الشعر. يقول:

يا صديقي الذي بذلتُ له الوُ دّ وأنزلتُه على أحشائي
إنّ عينًا قذيتُها لتُراعيـ كَ على ما بها من الأقذاءِ
ما بِها حاجةٌ إليكَ ولَكن هي معقودَةٌ بِحَبْلِ الوفاءِ

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.179).

إنَّ الأبيات الثلاثة خطاب مباشر لصديق الشاعر الذي تركنا النص لا نعرفُ حقيقة موقفه من صداقة الشاعر، أصانها أم فرّط بها وأضاعها؟ النص يترك لنا ذلك الفراغ لنملأه نحن بعد إتمام القراءة، والفراغ آتٍ بعد عبارة (يا صديقي .....)، تُرى ماذا يكون ذلك الصديق، أيكون وفيًّا أم خائنًا؟ لا نعرف ولا مجيب عن ذلك سوى بنية النص نفسه، إن الأبيات الثلاثة تتحدث عن قوة الصداقة ومراعاة حرمتها لدى الشاعر، وقد عبّر عن ذلك النص ببنى لغوية ذات طاقة تخييلية عالية، وشحنات دلالية عميقة هي:

(إظهار خارجي للودّ)

/ بذلتُ له الودّ / (تعبير مستخدم لكنه ما زال ذا لمعان دلالّي)

(ودّ داخلي مصون متعمّق مُتجذّر)

/ وأنزلتُه على أحشائي/ (تعبير جديد وطريف، (والإنزال) فيه قصدية (الأحشاء) فيها باطن مفتوح، وهنا نشعر ببرد هذا الصديق وسلامه في نفس الشاعر).

(إظهار فعلي للود عبر المراعاة)

/ إنّ عينا قذيتُها لتراعيك/ (موطن الغرابة في إقذاء العين)

/ على ما بها من الأقذاء/ (أي إخراجه منها لمراعاة الصديق، رغم كثرة القذى).

(نفي احتمال وارد في نفس السامع بكون هناك مصلحة تربط الشاعر بصديقه، وترسيخ صفة الوفاء للشاعر)

/ ما بها حاجة إليك/ ولكن هي معقودة بحبل الوفاء/ (عين الشاعر معقودة بحبل الوفاء لا حرية اختيار لها).

إن إسناد المراعاة للعين، وجعل المشاقّ والمسؤوليات قذى في العين، وجعل تحييد المشاق من أجل الاعتناء بالصديق عملية إقذاء للعين، كلها مواطن فيها انزياح واضح أخّاذ، يقع من النفس فاعلًا معجبًا خالقًا دهشة جمالية ونشوة التذاذية، تشهد بفرادة ذلك النص وتميّزه واستحقاقه أن يكون محلّ نظر رغم قصره.

إنّ الاستعارة في (إنّ عينا قذيتها لتراعيك) خلقت مشهداً لا يُنسى؛ فالشاعر يغالب قذى عينيه الكثير ويزيله بيديه من أجل أن يستطيع متابعة صديقه ومراعاته، وكأنّ صديقه يحتاج كل لحظة إلى مراعاة وعناية، فلا يستطيع أن يغمض عينيه عنه أو يغفل، وهذه العين لا خيار لها فهي مدفوعة بوفائها إلى ذلك، ولا تفعله تكلّفا بل طبعًا راسخًا في جبلّتها، وإنْ كان الذي أمامها لا يستحق الوفاء.

وللإجابة عن الفراغ الذي تركه لنا النص: ما حقيقة صديق الشاعر؟ إنّ الأبيات تذهب بنا للقول بخيانة ذلك الصديق، وإلّا لما اضطر الشاعر الوفيّ إلى تذكيره بما بذله من أجله، رغم أنه لا حاجة له به. إن لغة النص تفور بالدلالات الغنية، وهي لغة مكثّفة مركّزة مشبّعة تحتاج إلى تفتيق واستبطان واستخراج رغم قصر شعر إبراهيم بن العباس، ولعلّ هذا ما يفسّر كونه مُقَطّعات لا قصائد.

ويقول أيضًا:

أخٌ بيني وبين الدّهـ ـرِ صاحبُ أيُنا غلبا
صديقي ما استقام فإنْ نبا دهرٌ عليّ نبا
وثبْتُ على الزمانِ بِهِ فعاد بِهِ وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا لعادَ به أخا حَدِبا

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.183).

رغم بساطة التعبير في النص وعدم استغلاقه على الفهم السريع، إلّا أنه يستحوذ على مواضع انزياح طريفة جميلة تستدعي الإشارة لها بهذه الخطاطة التي تقوم على البينية:

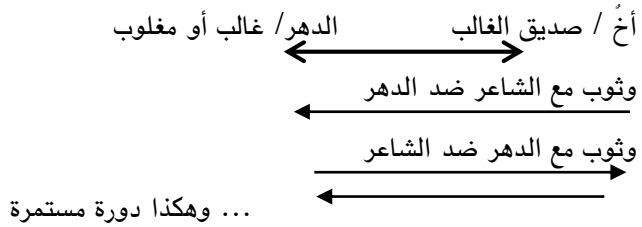

إن المفاجأة التي تصنعها بنية اللغة في قوله (وثبت على الزمان به ...) تتأتى من التسريع الذي تلقّاه الشاعر من وثوب الصديق بمعية الدهر عليه، وكأنه لم يلبث أن يستدير وينتهي من الوثوب، حتى تفاجأ بوثوب آخر ضدّه من صديقه الذي وثب به، فيشعر القارئ بتلقي ضربة مفاجأة على رأس الشاعر غير متوقّعة جعلته مصدوماً، كما صدم النص القارئ على بساطته. وموضع الطرافة الآخر في هذا النص بيته الأخير (ولو عاد الزمان ...) إنّ تكرار تغيّر موقف الصديق مع الشاعر مستمر ولا ينتهي، ولا يجد الصديق غضاضة في ذلك أو خجلًا، بل إنّ تلوّنه بات مكشوفًا واضحًا وهو لا يستحي منه بل يكرره كأمر عادي مألوف، فهو في دورة مستمرة بين الشاعر وبين الدهر، يُصاحب الغالب حَدِبا عليه. وهذا موطن مفارقة مدهش في شخصية ذلك الصديق.

إنّ الصورة التي ابتكرها الشاعر للصديق بكونه موزعًا بينه وبين الدهر يركض جهة الغالب قادرة على تخييله لدى القارئ بدلالة وافية بالغة تسدّ الحاجة لعكس حقيقته في النفس بفاعلية عالية على مستوى الفكر والانفعال، فلم يحظَ النص بتصوير بليغ وتعبيرٍ جزيل؛ إلّا أنه على بساطته صوّر صديق الشاعر ونقل تجربته معه بشعرية كبيرة.

ويقول أيضًا:

أخٌ كنتُ آوي منه عند ادّكاره إلى ظِلِّ أفنانٍ من العِزِّ باذِخ
سَعَتْ نُوَبُ الأيام بيني وبينه فأقلَعْن منّا عَنْ ظلومٍ وصارخ
وإنّي وإعْدادي لدهري محمّدًا كمُلتمِسٍ إطفاءَ نارٍ بنافخ

(Ibn Al- Abbas, 1990, p.193).

في هذه المقطعة تنزاح الدلالات عن الاستعمال الدلالي الشعري المعهود بوضوح كبير، فالشعر العربي لم يحفل بذلك النوع من الاستعارات الغريبة، مثل (ظل أفنان من العز باذخ)، فالعزّ شجرة باذخة (مفرطة في الطول والشموخ عظيمة ثابتة)، لها أفنان والأفنان لها ظل، والإيواء كان إلى جزء من ذلك الظل بسبب الجار والمجرور (منه)، للدلالة على عظمها وامتدادها، ومحلّ الإدهاش الثاني في هذه الأبيات يكمن في إسفار سعي الأيام بين الصديقين عن حال فيها تضاد عجيب (فأقلعن منّا عن ظلوم وصارخ)، فلم يكتفِ سعي الدهر بالتفريق بين الصديقين، بل حوّل العلاقة إلى ضدّها؛ فصار الشاعر صارخًا مستنجدًا، وصديقه ظالمًا بل ظلومًا مستبدًا، لينتهي النص بتشبيه تمثيلي فيه مفارقة مضحكة مؤلمة وتضاد آخر مدهش، فحين كان الشاعر يعدّ للدهر العدّة اللازمة وهي صديقه، كان كمن يلتمس إطفاءَ نارٍ بنافخٍ عليها يزيد احتراقها ويؤجّجها ويشعل صاحبها. فلا يملك القارئ بعد قراءة الأبيات إلّا أن يبتسم ابتسامة تعجب تخفي ألمًا وحزنًا.

إنّ الوقوف على مثل هذا الكم من الدلالات المنزاحة ومثل هذا التضاد المحمّل بالمعاني والعجيب بفاعليته، ينمّي الإحساس بفرادة شعر إبراهيم بن العباس لجمعه بين هذه الدقة في الأفكار وغرابة الدلالات، وتلك السلاسة في تلقيها وعدم الشعور بثقلها على النفس، بل يتلقّاها القارئ بمتعة ولذة لاختلافها عن المعهود والعادي،"إن ربط الغريب بما هو عجيب وطريف وبديع يكشف عن الأثر النفسي الذي يتجلى في تجاوز المألوف والعادي، وإن انبهار النفس بما هو غريب يتكشف من خلال قدرة الشاعر على إكساب لغته الذاتية فرادة وتميزًا عن لغة الآخرين" (Rabab'a,1995, p.148).

الخاتمة

بعد محاولات القراءة هذه في الدلالات المنزاحة في شعر ابن العباس عمّا هو معهود في الدلالات الشعرية العربية المتوارثة التقليدية فيما يسمّى بعمود الشعر العربي؛ نجد أن الشاعر كان مدفوعًا إلى ذلك النوع من التجديد في الدلالات عبر التغيير الجمالي المشروع في بنى اللغة الشعرية، استجابة لمتطلبات النفس المبدعة التي تشبّعت في ذلك العصر بدواعي الثقافة والعلوم المتنوعة، بعد أن تشرّبت الأدب العربي القديم بمقاييسه وموازينه وقوانين صياغته وقواعد ممارسته ومعاييرها، فما فتئت تعبّر عن روح عصرها خارجة خروجًا غير مزعجٍ عن معجمها الشعري التقليدي، بل أضافت إليه وأثرته بتلك الدلالات الجديدة الغريبة عبر ما استطاعت أن توظّفه من تجديد في بنية اللغة الشعرية التي كانت المُتّكأ لخرق النظام الدلالي المعهود والمتوارث. فاستطاع الشاعر أن يجد منفذه في تلك اللغة التي تتمتع بشجاعة كبيرة ومرونة جميلة تسعف كل نفس مبدعة وتمدّها بما يلزمها من أسباب الإبداع والتجديد، وعدم الوقوف عند أعتاب القدماء للقول بأنهم لم يتركوا للمحدثين شيئًا.

وقد تمثّل الانزياح الدلالي في شعر ابن العباس، بكون الدلالات غير معهودة ولا مألوفة بل جديدة مبتكرة تفترق عمّا عهدناه من دلالات شعرية تقليدية متوارثة، ثم باتساع هذه الدلالات وانفتاحها، والمبالغة في إطلاقها، وانطوائها أحيانًا على فكر دقيق بحاجة إلى تأمّل وتفكّر، وكلّ ذلك مرهون بالقارئ وكفاءته في تلقي النص وسبر عالمه الخاص، "إنّ القارئ حينما يستقبل النص فإنه يتلقاه حسب معجمه، وقد يمده هذا المعجم بتواريخ للكلمات مختلفة عن تلك التي وعاها الكاتب حينما أبدع نصه، ومن هنا تتنوع الدلالة وتتضاعف ويتمكن النص من اكتساب قيمٍ جديدة على يد القارئ، وتختلف هذه القيم وتتنوع بين قارئ وآخر، بل عند قارئ واحد في أزمنة متفاوتة، وكل هذه التنوعات هي دلالات النص" (Al-Ghothami, 2006, p.81).

The Deviation of Poetic Significance

A Study of the Structure of Poetic Language According to Ibrahim Ibn Al-Abbas

Sahar Mohammad Al Jadallah

Department of Arabic Language, College of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Ahlam Wasef Massd

Department of Humanitarian Services Courses, College of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This study proceeds by looking at the deviation of poetic significance in the poetry of Ibrahim ibn al-Abbas within the framework of the structure of poetic language, and that is via the estrangement of the signified from what is customary and accepted in the column of Arabic poetry as inherited from previous generations, and the exaggeration and enlargement of signification sometimes to the extent of necessitating deep thinking and additional contemplation. Al-Abbas was able to break the inherited semantic system with his faculty, which adapted the language and made it meet the requirements of his creative self and at the same time to some extent take into account the requirements of the criticism circle of his time.

This study researches the deviation of signified by the poet in his various poetic purposes, in attempt to offer a new productive reading through reflecting the hidden signified behind the language of the text by standing on the unexpected, the paradoxical and the opposite that nourishes the significance making it unique and strange, thus breaking the horizon of the reader's expectation, and creating the aesthetic pleasure; the pleasure of poetry. Moreover, any true reading of a text depends on the reader, who in turn is governed by his inventory and competence in re-experiencing the text anew and exploring its world.

Keywords: structure of poetic language, Ibrahim Ibn Al-Abbas, deviation of signified, Arabic poetry Column.

المراجع العربية

إبراهيم، نبيلة. (1984)."القارئ في النص نظرية التأثير والاتصال". **مجلة فصول**، ع1، الصفحات (101-108).

ابن الشيخ، جمال الدين. (2008). **الشعرية العربية**. تر: مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، ط (2).

أبو ديب، كمال. (2017). **جدلية الخفاء والتجلي**. دار فضاءات، عمان – الأردن، ط (5).

الأصفهاني، أبو الفرج. (1994). **كتاب الأغاني**. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط (1).

بكار، يوسف. (2016). **دراسات ونقود وتراجم**. دار البيروني، عمان- الأردن، ط (1).

الدوريات

ربابعة، موسى. (1995)."الانحراف مصطلحا نقديا". **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ع4، الصفحات (142-167).

ربابعة، موسى. (1997)."المتوقع واللامتوقع دراسة في جمالية التلقي". **أبحاث اليرموك**، ع2، الصفحات (45-86).

رتشاردز، إ. (1961). **مبادئ النقد الأدبي**. تر: مصطفى بدوي ومراجعة لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة.

الزعبي، زياد. (1996)."تبسيط الخطاب الشعري دراسة في بنية اللغة الشعرية ومصادرها عند حيدر محمود". **مجلة أبحاث اليرموك**، ع2، الصفحات (9-39).

الزعبي، زياد. (2007)."من الصفر إلى الشيفرة المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي". **مجلة عالم الفكر**، ع1، الصفحات (255-273).

سلوم، تامر. (1996)."الانزياح الدلالي الشعري". **مجلة علامات في النقد**، جدة، ع9، الصفحات (89-122).

ضيف، شوقي. (1960). **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. دار المعارف، القاهرة – مصر، ط (8).

عباس، إحسان. (1993). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)**. دار الشروق، عمان - الأردن، ط (2).

علي، محمد كرد. (1969). **أمراء البيان**. دار الأمانة، لبنان، ط (3).

العِمَري، أحمد جمال. (1990). **أمير البيان إبراهيم بن العباس حياته وأدبه وديوانه**. دار المعارف، القاهرة- مصر، ط (1).

عيد، رجاء. (1998)."ما وراء النص". **مجلة علامات في النقد**، جدة، ع30، الصفحات (179-194).

الغذامي، عبدالله. (2006). **الخطيئة والتكفير من البنيوية على التشريحية**. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فضل، صلاح. (1987). **نظرية البنائية في النقد الأدبي**. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط (3).

فضل، صلاح. (1992). **بلاغة الخطاب وعلم النص**. عالم المعرفة، الكويت.

كوهن، جان. (1986). **بنية اللغة الشعرية**. تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء – المغرب، ط (1).

مقدم، عائشة. (2020). "ماهية الشعرية وتجليات قوانينها في الخطاب النقدي العربي القديم دراسة كرونولوجية". **مجلة المدونة**، الجزائر، ع1، الصفحات (49-66).

ياكبسون، رومان. (1988). **قضايا الشعرية**. تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، ط (1).

Arabic References in English

Abbas, Ihsan. (1993). *Tareekh Al-Naqd Al-Adaby Ind Al-Arab.(Naqd Al-Sh'er Min Alqarn Al-Thany Hata Al-Qarn Al-Thamin Al-Hijry)*, Dar Al-Shorouq, Amman, Jordan.

Abo Deeb, Kamal. (2017). *Jadaliat Al-Khafa' Wa Al-Tajjali*, Dar Fada'at, Amman, Jordan.

Al-Asfahany, Abo Al-Faraj. (1994). *Ketab Al-Aghany*. Dar Ihy'a Altorath Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

Al-emari, Ahmad. (1990). Onthor*: Amir Al-Bayan Ibrahim Bin Al-Abbas*, Cairo, Egypt.

Al-Ghothami, Abdulla. (2006). *Al-Khate'a Wa Al-Tafkir Min Al-Bonyaweya Ela Al-Tashreehia*, Alhai'a Al-Masria Al-Ama Lal Kitab. Cairo, Egypt.

Ali, Mohammad Kord. (1969). *Omara' Al-Bayan*, Dar Al-Amana,Beirut, Lebanon.

Al-Zo'bi, Ziad. (1996). Tabseet Al-Khitab Al-Shi'ry Dirasa Fi Bonyat Allogha Al-Shi'ria Wa Masadirha Ind Haidar Mahmoud, *Abhath Al-Yarmouk* ,14(2), 9-39.

Al-Zo'bi, Ziad. (2007). Min Al-Sifr Ela Al-Shifra, Al-Mothaqafa Wa Tahawol Al-Mostalah Al-Naqdy. *Alam Al-Fikr*, 36(1), 255-273.

Bakkar, Yousef. (2016). *Fi Al-Shi'er Al-Arabi Al-Qadeem, Dirasat Wa Noqoud Wa Tarajim*, Dar Al-Bairouni, Amman, Jordan.

Bin Al-Shaikh, Jamal Al-Deen. (2008). *Al-Shi'ria Al-Arabia*, trans. Mubarak Hanoon, Mohammad Al-wali and Mohammad Oragh, Dar Tobqal, Casablanca, Morocco.

Cohen, J. (1986). *Bonyat Al-Logha Al-Shi'ria*, trans. Mohammad Al-Waly& Mohammad Al-Omari, Dar Tobqal, Casablanca, Morocco.

Daif, Shouqi. (1960). *AlfanWa Mathahibho Fi Al-Sh'er Al-Arabi*, Dar Al-Ma'arif, Cairo, Egypt.

Eid, Raja. (1998). Ma Wara Alnnas.*Alamat Fi Al-Naqd Journal*, 8 (30), 179-194.

Fadl, Salah. (1987). *Nathariet Albena'ia Fi Al-Naqd Al-Adaby*, Dar Al-Sho'oun Al-Thaqafia Al-Amma, Baghadad, Iraq.

Fadl, Salah. (1992). *Balaghat Al-Khitab Wa Elm Al-Nnas*, Alam Al-Ma'refa, Kuwait, Kuwait.

Ibrahim Nabila. (1984). Al-Qare' Fi Al-Nnas, *Majalat Fosoul*, 5(1), 101-108.

Jakobson, Roman. (1988). *Qadaya Al-Shi'rieh*, trans. Mohammad Al-Waly& Mubarak Hanoon, Dar Tobqal, Casablanca, Morocco.

Mokaddem. Aicha. (2020). Maheyat Al-Shi’rieh Wa Tajaliat Qawaneenha Fi Al- Kitab Alnaqdy Al-Araby Al-Qadeem, *Al-Modawaneh*, 7(1),49-66.

Rababa, Mousa. (1995). Alinhiraf Mostalah Naqdy. *Mutah Lal Bohouth Wa Al-Dirasat*, 10(4), 142-167.

Rababa, Mousa. (1997). Al-Motawaqa' Wa Al la Motawaqa', Dirasa Fi Jamaliat Al-Talaqi ,*Abhath Al-Yarmouk*, 15(2), 45-86.

Richards, I.A. (1961). *Mabade' Al-Naqd Al-Adaby*, Trans. Mostafa Badawi, ed.Luis Awad. Almo'saseh Al-Masrieh Al-Ameh. Cairo, Egypt.

Saloom, Tamer. (1996). Al-Inzeyah Al-Dalaly Al-Shi'ri. *Alamat Fi AlNaqd*, jadda, Kingdom of Saudia Arabia, 5(19), 89-122.

مصطلح "القَبَالَة" في سياق اللغة والتاريخ والفقه

إبراهيم صدقة * وفاطمة حموني **

تاريخ الاستلام 2022/01/07 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.7 تاريخ القبول 2022/06/09

الملخص

يناقش هذا البحث واحدة من الألفاظ الفريدة ذات السياق الاقتصادي والمتعلقة بخراج بيت مال المسلمين. اعتمد البحث على أمهات المصادر التاريخية؛ المصادر المباشرة وهي: الكتابات القديمة التي تعود إلى فترة ما قبل الميلاد والقرون الميلادية الأولى، والبرديات المصرية في الفترة الإسلامية. وغير المباشرة وهي كتب المؤرخين الأوائل والأحاديث النبوية الشريفة. بَيَّن البحث الجانب اللغوي والاصطلاحي والتاريخي للكلمة. كما بَيَّن الجانب الفقهي. وكان دَيْدَن المنهج التَّتَبُّع التاريخي والجغرافي لمراحل استخدام اللفظة ومشتقاتها. وخَلُص البحث إلى أن اللفظة ليست بذات بُعْدٍ في الاستخدام في العربية الفصحى قبل الإسلام، إذ يمكن أن تُعتَبَر من الألفاظ المولدة من حيث الاستخدام الاصطلاحي.

وينقسم البحث إلى مقدمة وأقسام ثلاثة: الأول يتحدث عن القبالة في اللغة، الثاني ورودها في المصادر، وجاء القسم الثالث ليتحدث عن مضامين فقهية خاصة للكلمة مدار البحث.

الكلمات المفتاحية: قِبَالَة، كِراء، خَراج، نقوش، برديات، فقه.

المقدمة

يُنظر إلى مسألة القَبَالة في أنها علاقة اقتصادية – اجتماعية – قانونية تمسّ الفرد والمجتمع والمؤسسة. وهذا في ضوء تعدد المرجعيات البيئية والسكانية في طبقات مجتمع متعدد الزمان والمكان. فالمنطقة الجغرافية التي جاءت فيها كلمة "القَبَالة/ القِبَالة" الجزيرة العربية -اليمن قبل الإسلام ومصر يضرب عمقًا في تاريخ تناوله في سياق اقتصادي وقانوني يعود إلى الفترة الميلادية المبكرة وربما إلى ما قبل الميلاد، وتمثل ذلك في وثائق تُعدُّ دليلًا مُعْتَبَرًا. انحدر المصطلح في الاستعمال إلى شمال الجزيرة العربية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في نصوص دينية منحصرة في الحلال والحرام، في حوالي الثلث الأول من القرن السابع الميلادي. وهذه تُعد دليلًا ثانيًا للأهمية الأساسية لنوع الوثيقة. وهذه الوثائق بمجملها تسمح لنا معرفة النشأة الأولى في استخدام الكلمة كمصطلح اقتصادي – قانوني، وظلاله على المجتمع.

القسم الأول

في سياق اللغة

بما يُعرَف بكلمة القَبَالَة في العربية وردت في لغات سامية أخرى تعود لفترة ما قبل الميلاد. فتناولتها النصوص بمعانٍ متنوعة.

دفع مال – عقد - كِراء

وردت في نقوش آرامية بمعنى "ضريبة، يدفع ضريبة" (Hoftijzer and Jongeling, 1995, p.412)، وتشير بيلا أنها تقابل كلمة *qabēl* الآرامية التي بمعنى "عَقْد وبخاصة المتعلق بكراء الأرض" (Biella, 1982, p.442)، وفي السريانية نجد عبارة *qablā namīnā* بمعنى "عقد، تلقى وعداً" (Smith,1903/1985, p.487). وفي النقوش العربية الجنوبية/اليمن قبل

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك،"سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* باحث مستقل في الكتابات السامية والتاريخ العربي القديم-الأردن
** دكتوراه في العلوم الإسلامية (فقه وأصول)، الجزائر

الإسلام بمعنى "أرض زراعية مؤجرة أو مستأجرة، أرض مُتَقَبَّلة" (Beeston et al., 1982, p.102). وهذه المعاني تتفق مع رأي السندي في معنى "أن نَتَقَبَّل" أي "نُكري الأرض" (Al-Suyūṭi, 1420H, p.43) وهذا ويُفهَم بوضوح من سياق مصطلح/عبارة "قِبالَة الأرض" بمعنى "أن يَتَقَبَّلَها الإنسان فيُقَبِّلُها الإمام أي يُعْطيها إياه مُزَارَعة أو مساقاة" (Al-Ṭurayḥi, 2007, p.285) ، يلاحظ من العبارة والتعريف أنهما خَلِيَّان من تحديد لمقدار الضريبة الواجبة (El Fadl, 1992, p.8). ويفصل الزمخشري في الدلالة: "وكل من تَقَبَّلَ بشيءٍ مقاطعة وكُتِبَ عليه بذلك الكتابُ فعملُه "القِبَالَةُ"، وكتابه المكتوب عليه هو "القَبَالَة" (Al-Zamaḫšari, 1998, p.49)، وقَبَّلَ الأرضَ من فلان أجَّر له مزرعة (Dozy, 1997, p.175) وهذه الدلالة تتضمنها مظلة معنى المُتَقَبِّل "الآخِذُ له" الواردة في شعر المُسَيَّب بن عَلَس البَكْري العائدة الى 48 قبل الهجرة/575م[1].

جباية مالية مُقَنَّنَة

وجاء توضيح دلالة "القَبَالَة" لدى المُحْدَثين: أنها تشير إلى نوع خاص من الترتيبات المالية التي تقدرها الدولة كضريبة على القرية ككل. وهي تؤول إلى شخص عن طريق الاتفاق يدفع بموجبه ما اتفق عليه، ثم في وقت لاحق يجمع المال اللازم بما فيه الزيادة عن المبلغ كربح له، وهذه الجباية بموافقة الدولة (El Fadl, 1992, pp.9-10). وعُبِّر عنها بعبارة "كَتَبَ عليه بالمبلغ ورقةً أقرَّ فيها بأنه مَدين" (Al-Sāmirrāʾi, 1986, p.42; Al-Sāmirrāʾi, 1987, p.151)، ويشير الخطيب - من غير سند تاريخي لغوي- إلى أنها استعملت بدايةً في العصر الإسلامي المتأخر بمعنى "ورقة يقر فيها بالدَّين" (Al-Ḫaṭīb, 1996, p.346). فالمصطلح ينطوي على عدد من الاستعمال: فهي تعادل الإيجار، ولبيان عقود السماح باستغلال أرض نظير دفع ضريبة أو تعويض، أو القيام بتسلم الأرض وتسليمها إلى شخص آخر بعقد الكراء أو الإيجار بقصد زراعتها (Grohmann, 1967, p.205; ʿAbd al-Fattāḥ, 1991, p.71; Al-Tsūli, 1994, pp.230-231).

المقابل اليوناني

وهي في صيغتها العامة تتماثل مع المصطلح اليوناني *misthosis/ μίσθωσης* - من حيث الاستخدام- من فترة مصر الرومانية ويعني "عقود إيجار الأرض" العائدة لفترة 30 ق.م وحتى نهاية القرن الرابع الميلادي في منطقة بهنسا – مصر، وقد استخدمها الأقباط في السياق القانوني في عقود الإيجار بذات الدلالة في القرن السادس الميلادي (Rowlandson, 1999, pp.139-140; Rowlandson, 2016, p.373, 388)، وتماثل المصطلح *monartabou /μοναρτάβου* المتعلق بضريبة الأراضي الخاصة وقيمتها إردب واحد في منطقة بهنسا- مصر، وأصبحت صيغة عامة لحيازة الأرض (Mountford, 2012, p.80).

عهد وصلح

وقد أبان دوزي أن "القَبَالة" تخص الرجال في استغلال الأرض للزراعة فعليهم تبعات ذلك من ضريبة تُدْفع سنويًا دراهم أو عينٌ. وقد استعملت الكلمة حين يترك الملك زراعة البلاد المفتوحة إلى سكانها بشرط أن يقدموا إلى بيت المال حصة من الغلة أو مبلغًا من المال، فصارت كلمة "قَبَالَة" ترادف كلمة "عهد وصلح". وجاء منه مصطلح "أهل القَبَالَة" تعني "أهل الذمة" (Dozy, 1997, p.178)، وهم "أصحاب الجزية" (Ibn ʾAbi Ḥātim, 1997, p.124).

القبالة هي الكفالة

القَبَالَة و"الكَفَالَة واحد وهي الخبر الدّال على الضَّمَانِ" (Al-Qarāfī, n.d., p.34, 58)؛ لتفاصيل أكثر انظر: (El Fadl, 1992, p.5-32) وبعبارة أخرى سُمِّيت الكَفَالَة قَبالَة؛ لأنها أوكد تَقَبُّلٍ، وعليه العهدُ المكتوب قَبَالَة (Al-Samīn, al-Ḥ. (n.d.)., part 5, p.113)، وهذه مستلة من معنى عبارة "قَبَلَ على الشَّيءِ وأقْبَلَ" بمعنى "لَزِمَه وأخَذَ فيه" (Ibn Manẓūr, n.d., p.3517). وفي هذا السياق يُسَمَّى الصَّكُّ الذي هو الوَثِيقَةُ التي تُكْتَبُ بها القَبَالَة قَبَالَةً وقَبَالًا؛ لأنه حِفْظُ الْحَقِّ (Al-Sarḫasi, 1993, p.168; Al-Ḥarši, n.d., p.36). ومن ألفاظها الخاصة بأهل اليمن "القِبَال" (Jāzim, 2003, part 1, p.406, ft. 3044) و"القَبِيلُ" صيغة مفرد وجمعها "قُبُلٌ وقُبَلاءُ" هي "الكَفِيلُ، الضَّامِن" (Al-Zamaḫšari, 1998, p.49; Al-Zubaydi, 1998, p.207, 214)، ويعود هذا المعنى لسنة 148ه/765م (https://dohadictionary.org/root/، (قبل) معجم الدوحة

التاريخي للغة العربية صادر من قطر 2018) في رواية سليمان بن مَهْران الأعمش: تَذَاكَرْنَا عِنْدَ إبْرَاهِيمَ الرَّهْنَ، والقَبِيلَ في السَّلَف .(Al-Karmāni, 1981, p.69).

وظيفة إدارية

ويُرادف أبو صفية "القِبَال" بكلمة "قَبَّال" ويناظرها باسم الوظيفة الإدارية المتعلقة بجمع المال كضريبة على حبوب القمح والشعير من أصحابها وكَيْلَها كَيْلًا صحيحًا وافيًا لا نقص فيه، ولا زيادة، ويسلمها إلى بيوت الأهراء (ʾAbū Ṣafiyah 2004, p.127). ونشير إلى شواهد في بردية مؤرخة إلى سنة 91هـ في منطقة أشقوة وردت بها "قبال/قَبَّال" (ʾAbū Ṣafiyah, 2004, p.124) وصيغة الجمع المعرَّف "القَبَّالين" (ʾAbū Ṣafiyah, 2004, p.125)، وفي بردية مؤرخة إلى سنة 134 هـ من شهر رجب/ 23 يناير- كانون ثاني إلى 22 فبراير سنة 752م في منطقة أشمون بصيغة "قبال قريتك"/ القَبَّال قريتك (Grohmann, 1955b, p.99, 101) وفي بردية تعود إلى 250 هـ /864م بصيغة "مينا القبال"/ مينا القَبَّال (Grohmann, 1967, p.60) ، و"قَبَّال" (ʾAbū Ṣafiyah, 2004, p.124) وصيغة الجمع المعرَّف "القَبَّالين" (ʾAbū Ṣafiyah, 2004, p.125).

التأثير والتأثر

نشير إلى كلمة *gabelle* في الإنكليزية المنحدرة من *Anglo-French* ومن لغات ولهجات رومانية أخرى من اللاتينية المتأخرة والوسطى *gabella* بمعنى "ضريبة، ضريبة ملح/الرأس" وهذه مستعارة من "القَبَالَة" في العربية بذات معناها "قبالة، ضريبة"، حيث قُلِبَ صوت حرف "القاف" إلى صوت حرف "*g*"[(2)]، وهي في اليونانية *gapela* أو *kampela* (Fleet, 2003, p.254).

في سياق البرديات العربية في مصر، يشير جروهمان Grohmann إلى أن التعبير "مُتَقَبِّل البقط والمقبوض" المتعلق بصيغة القَبَالَة في الإكراء مأخوذ من التعبير القبطي *pakhton pakton*/paxton pakton وتعني "الإيجار، كراء قطعة أرض أو استغلالها" (Grohmann, 1955a, p.38; Crum in Bell, 1910/ 1973, p.496-497)، وتقابل *mpemtho*/mpemqo القبطية كلمة "قَبَالَة" في العربية (Crum, 1939, p.607a).

القسم الثاني

في سياق المصادر العربية

يتناول دراسة الروايات المتنوعة في مصادرها الأولية والثانوية التي جاءت للحديث عن القَبَالة. وكانت المصادر موصوفة في كونها أولية مباشرة، وهي المصادر المتمثلة بالبرديات العربية في مصر "وينضم إليها اليسير من البرديات اليونانية في مصر"، والنقوش/الكتابات ما قبل الإسلام بقرون عِدَّة. وهناك مصادر تاريخية غير مباشرة، وترتكز على كتب التراث التاريخية وروايات الحديث الشريف، ومصادر ثانوية مما كتبه المؤرخون المحدثون.

أولًا: المصادر المباشرة: وتشمل:

1. النقوش/الكتابات القديمة

أ. اليمن قبل الإسلام - النقوش العربية الجنوبية:

ترد كلمة "ق ب ل" في معنى "القبالة":

في واحدة من **النقوش القتبانية:**

2. **ق ب ل**/ ا ر ض ن (Ja, 1268/ 1-2 in Jamme, 1972; Ricks, 1989, p.141) وتعني:

- ل ح ي ع م/ ذ م و ع ب ا

1. لحي عم من قبيلة موعبا
2. **قَبْلَ** الأرض.

وفي النقوش السبئية:

- ن خ ل[3]/ و ا ع ن ب[4]/ و م ذ ر ا[5]/ و م و ه ت ن/ و **م ق ب ل ت**/ ق ن ي و/ و **ق ب ل ن**/ ا م ل ك/ س ب ا (CIH 604/ 2) وتعني: نخيل وعنب وأرض زراعية **مؤجرة/مُتَقَبَّلة** التي يمتلك ملوك سبأ **تَقْبِيلَها**.
- ه ج ب أ ن[6]/ إ ل م ق ه/ ه ي ت[7]/ ا ر ض ن/ و ل/ **ي ه ق ب ل ن**/ ا ل م ق ه (CIH 376/ 10-11) والمعنى "نقل الإله إلمقه ملك تلك الأرض؛ لأجل أن **يَتَقَبَّلَها/ يَستَكْرِيها/يَستَأجِرَها** (الإله) إلمقه".

ب. الكتابات الآرامية

- ل **ق ب ل**[8]/ ز ي[9]/ ق د م ن[10]/ ف م و ن[11]/ ا ب و ه ي[12]/ ه و ه[13]/ ح ش ل[14]/ ي ح ش ل/ ع ل[15]/ ب ي ت ا[16] والمعنى "**الضريبة** التي يدفعها أبوه (الذي يُدعى) ف م و ن المعتادة/من قَبْل، عليه أن يدفعها للبيت/للدولة" (Hoftijzer and Jongeling, 1995, p.412, 982).
- **ق ب ي ل**/ ا ر ع ا[17]/ ب ط س[3] ق ا[18] "**أجَر** قطعة الأرض مقابل (ضريبة) الطسق" (Jastrow, 1903, p.542) جاء ذلك في نص يذكر تأجير الأرض/تَقْبيل مع بيان الأجر المدفوع.
- وفي بردية من مصر عبارة عن رسالة تعود إلى ما قبل سنة 410 قبل الميلاد: 3. ه و/ **ق ب ل**/ ف ت ي ف ر س ن/ ح د/ ز ي و ك/ ه و/ ق ب ل/ ف ت ي ف ر س/ ا[ح ر ن " هو **أستلم/قبض** حصة يوم واحد، هو استلم حصة إضافية (Cowley, 1923, p.133). ويحتمل النص المعنى "هو **فرض ضريبة** يوم واحد، هو استلم حصة إضافية.

ج. الكتابات النبطية/ مصر وفلسطين:

من بردية تعود إلى بداية القرن الثاني الميلادي من مدينة أوكسيرينخوس[19] Oxyrhynchus -بهنسا في صعيد مصر. جاء في نص Bodleian MS Heb. D. 89: 1. ا[و ش و/ ب ر/ ع و د و/ ز ب ن ه(؟) 2. **ق ب ل ت**/ د م ي ا/ و ز ق(؟)]. **والمعنى:** 1. أوسو بن عودو البائع 2. **استَلَمْتُ** الثمن و .... (Healey, 2004, p.183-184)، وفي نص يعود إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين من منطقة وادي سيّال في وسط فلسطين ضمن سياق قانوني بمعنى "ضمان، اتفاق، عقد" P.Yadin 3:13. و **ق ب ل ه** و ت: : و ر ش ي:: و :::::: ك ل ه 39. و ق ب ل ه/ و [ت:]: و و ر ش ي و:: ت/ [ ]: : ك ل ه والمعنى ".... **والاتْفَاق/ العَقْد** و ... و ....، ..... كله"، وفي نص P.Yadin 36: 35.]س م ع/ و **ق ب ل ت**/ و د ي ن/ و ف ت و ر/ و ا س رت ج والمعنى " .... [...، و]إعلان/سَمْع **وضمان** من ملك وقاضٍ ومال صرف وآمر (Yardeni, 2000, p.302; Yardeni, 2014, p.320-321).

2. البرديات العربية في مصر

تعتبر البرديات من المصادر الرئيسة والأكثر أهمية التي تمدنا بمعلومات عن مفهوم القَبَالَة؛ إذ هي شاهد يُوَثِّق واقع استخدام معاملات الكراء بين الأطراف التي تتعامل بهذا النمط من المعاملات الاقتصادية، وتبين البرديات في كثير من الحالات تاريخ التوقيع وحالة المتعاملين ومراكزهم.

تشير بعض البرديات المصرية إلى مصطلح "القَبَالَة" كمصطلح قانوني مؤرخة إلى القرن الثالث الهجري/ حوالي التاسع الميلادي، واحدة جاءت بصيغة "متقبل البقط والمقبوض"/ مُتَقَبِّل البَقْط "إتاوة من العبيد الرقيق يدفعها أهل النوبة كل سنة أو كل ثلاثة سنين" (Dozy, 1980, p.393) تعود إلى أوائل القرن الثالث الهجري (Grohmann, 1955a, p.37)، وبصيغة "قبالة"/ قَبَالَة "كَفَالَة تَعَهُد لدفع المال" مؤرخة إلى 30 طوبة لسنة 261هـ/ 25 يناير- كانون ثاني سنة 875م (Grohmann, 1955b, p.147-148)، وذات الصيغة "قبالة"/قَبَالَة "كَفَالَة تَعَهُد لدفع المال عن خراج المراعي" تعود إلى أول طوبة لسنة 262هـ/ 27 يناير- كانون ثاني سنة 875م (Grohmann, 1955b, p.171)، وفي بردية تعود إلى سنة 273هـ/886م (Grohmann, 1967, p.208)، وأخرى بصيغة "تقبل به"/تَقَبَّل به "تعهد بِأعمال الخراج والضياع" وبصيغة "قبالة"/قَبالَة

"تَعَهُد" مؤرخة لسنة 312هـ "9 من إبريل- نيسان سنة 924 إلى 29 من مارس-آذار سنة 925م (Grohmann, 1955a, p.56)، وتكررت هذه "تقبل"/ تَقَبُّل "قبالة"/ قَبالَة "مؤرخة لسنة 321ه (Grohmann, 1955a, p.61)، وبصيغة "قبلنا"/"قَبَّلْنا "أوكَلَّنا/ عَهِدْنا القِبَالَة إلى" في القرن الثالث الهجري/ حوالي التاسع الميلادي (Grohmann, 1955b, p.127)، وجاءت "مقبل"/ مُقَبِّل "الشخص الذي يتولى تَقْبيل الأرض" في بردية تعود تاريخها إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين/حوالي العاشر والحادي عشر الميلادي (Grohmann, 1955a, p.143). وصيغة "قبالة بلا مساحة"/"قَبَالَة (Grohmann, 1967, p.204-205) وأخرى ذات محتوى إيصال دَفْع ضريبة المراعي.

بردية رقم 79 (Grohmann, 1955a, p.37-40): هذه البردية من كورة الأشمونيين. تتعامل بكراء أرض تابعة للدولة. تناولت البردية إكراء الأرض بالقَبَالَة من قِبَل محمد بن عيسى مولى أمير المؤمنين "مُتَقَبِّل البقط والمقبوض". وكان كلا المُتَقَبِّل والمُتَقَبَّل من سكان مدينة أشمون. وكانت الأرض المُتَقَبَّلَة ثلاثين فدانًا من البقط المعروف بسفط (Grohmann, 1934, p.222-223) من الضيعة التي شرقي [ ] مسيس أرض معاني. تعود تَقْبِيل الأرض إلى مُتَقَبَّل من أهل الذمة (Bell, 1910/ 1973, p.562).

بردية رقم 185 (Grohmann, 1955b, p.147-148): غير معروفة المكان. تتحدث البردية عن دفع شخص يُدْعى "سسنه" دينار ونصف وربع وثمن مثقال ما يلزم عن آبار بقلو بدر من قبالة رشوان إلى بقام لخراج سنة (261هـ). تعود تَقْبِيل الأرض إلى مُتَقَبَّل من أهل الذمة سسنة جرجه وبقام بن بقطر القسطال. والأرض المُتَقَبَّلَة تعود لشخص ذمي "بقلو بدر" والمُتَقَبِّل مسلم رشوان بن عمر بن أحمد.

بردية رقم 196 (Grohmann, 1955b, p.171-172): هذه البردية من الفيوم؟ المُتَقَبَّل ذمي يدعى زيد راعي نصر أدى ما يلزم من خراج المراعي عن المدينة قَبَالَة شخص محمد مقدارها ستة دنانير ونصف وثلث ثمن وأودعت بيت المال بعد تمام توزينه إلى علي بن سليمان القسطال بحضور خليفة عامل أبي القاسم.

بردية رقم 271 (Grohmann, 1967, p.208-211): غير معروف المكان العثور. تشير البردية إلى أسماء قبطية/أهل الذمة كمُتَقَبَّلين ومُتَقَبِّل الفضل بن جعفر لنتاج أرض تابعة لعبد الصمد بن اسماعيل وعبد المعز بن اسماعيل. وعملية التَّقْبِيل متعلقة بنتاج الحبوب من قمح وسواها.

بردية رقم 86، ورقم 87 (Grohmann, 1955a, p.54-64): البرديتان من نواية في ولاية هرمو بوليس المصرية في كورة الأشمونيين. وهي اليوم نواي التابعة لمديرية أسيوط. الشهود والمُتَقَبِّل/ المشهود له من أقباط من أهل الذمة، ويتصف المُتَقَبِّل أنه صحيح العقل والبدن وجواز أمره/مالك لأمره. والمُتَقَبِّل مزاحم بن اسحاق بن محمد بن أحمد من أهل الإسلام. وكانت مدة التَّقْبيل أربع سنوات متتاليات: من 312-315هـ، ومقدار التَّقْبيل 20 دينارًا عينًا ذهبًا مثاقيل معسولة بنقد بيت المال ووزنه لكل سنة. يبدو أن التَّقْبيل متوارث من الجد إلى الحفيد، ويشمل الأرض والزرع، ويوجد سعة فيما يزرع من الأرض. وعليه عمارة الأرض بشروط ديوان الخراج، وعليه دفع جميع الخراج لبيت المال.

يشير السطر السادس من رقم 86 والخامس من 87 إلى عبارة ذات أهمية في المعجم التاريخي للألفاظ، كلمة "بدلالة"، يذكر الناشر المعنى معتمداً على معجم دوزي "البيع بالمزاد العلني"، ويضيف الناشر توضيحًا "إنه يشير إلى هذه الحقيقة وهي أن كراء أرض الدولة (قَبَالَة الأراضي) كان ينفذ على طريقة المزاد على يد متولي خراج مصر بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط حيث ينادى على الأرض جزءًا جزءًا (أو كورة كورة)، ويعطى لمن يرسو عليه المزاد لمدة أربع سنوات (Grohmann, 1955q, p.59).

بردية رقم 177 (Grohmann, 1955b, p.126-128): تتضمن إخطار وشخوص مُتَقَبَّلين من أهل الذمة من منطقة ساقية بلاوه، وتشير البردية بعدم الترخص/التهاون في الأمر.

بردية رقم 113 (Grohmann, 1955a, pp.143-144): غير معروف مكان العثور عليها. وهي أبسط صيغة لما يسمى "حوالة مطلقة". تشير البردية إلى خطاب من الأب إلى الابن أن يدفع إلى أبي الحسن المُتَقَبِّل أرض الأمير مقدار أربعين دينارًا معسولة، وأن يحسب ذلك من حسابه الجاري. وتشير إلى توقيع كاتب البردية. لا يوجد أشخاص من أهل الذمة.

بردية رقم 270 (Grohmann, 1967, pp.203-207): لم يعرف مكان العثور على البردية. كشف خاص بمساحة الأرض. أبرز ما في البردية القَبالَة بلا مساحة.

ثانيًا: المصادر التاريخية غير المباشرة وتضم كتب التاريخ وروايات الحديث الشريف، وكانت في المدينة المنورة ومصر والعراق والمغرب العربي والأندلس واليمن، وهذا في عهد النبوة والخلافة الراشدة والعصر الأموي والعصر العباسي.

1. عصر النبوة

تفيد روايات عدة أن التعامل بمفهوم "القَبَالَة" كان معروفًا في العهد الإسلامي في القرن الأول الهجري في عام 73هـ/692م (https://dohadictionary.org/root/)، (قبل) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية صادر من قطر 2018). وهي ذات علاقة بالأرض والفلاحة؛ إذ كان الناس يتعاملون بالقَبَالَة في العهد الأول للرسالة الإسلامية، لورود حديث –يُعَدُّ من مراسيل النَّسَائي- مروي عن رافع بن خَديج، قال: "نَهَانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أمرٍ كان لنا نافِعًا، وأمْرُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الرأسِ والعَيْن، نَهَانا أن نَتَقَبَّلَ الأرضَ" (Al-Ṭabarāni, 1995, p.124; Al-Tirmḏi, 1998, p.61; Al-Nasāʾi, 2001, p.393; Al-Suyūṭi, 1420H, p.43). ووردت كلمة "مُتَقَبَّل" بمعنى "المُكَاتَبُ على زِرَاعَةِ الأرْضِ بِمَا يَخْرُجُ مِنْهَا" في رواية عن مسروق بن الأجدع الوداعي الهَمْداني والتي تعود لسنة 63هـ/683م (https://dohadictionary.org/root/ ، (قبل) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية صادر من قطر 2018) باسناد ضعيف، عن أبي شهاب، عن ليث، عن يزيد، عن مَسْروق، قال: "ما ظَلَمْتُ مُسْلِمًا ولا مُعاهِدًا، ولا أدَعُ ذَهَبًا ولا فِضَّةً إلا حَلَقَةَ خَاتَمي هذا، وإذا مِتُّ فاسْتَقْرِضُوا ثَمَنَ كَفَني، ولا تَسْتَقْرِضُوا مِن زرّاع ولا مُتَقَبِّل" (Al-Mūṣili, 1999, p.183).

وفي رواية ابْنُ أَبِي الْخَطَّابِ عَنِ الْبَزَنْطِيِّ عَنِ الرِّضَا (عليه السلام) قَالَ: وَمَا أُخِذَ بِالسَّيْفِ فَذَلِكَ لِلْإِمَامِ **يُقَبِّلُهُ** بِالَّذِي يَرَى كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِخَيْبَرَ **قَبَّلَ** أَرْضَهَا وَنَخْلَهَا وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: لَا تَصْلُحُ **قَبَالَةُ** الْأَرْضِ وَالنَّخْلِ إذا كان الْبَيَاضُ أَكْثَرُ مِنَ السَّوَادِ، وَقَدْ **قَبَّلَ** رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَيْبَرَ وَعَلَيْهِمْ فِي حِصَّتِهِمُ الْعُشْرُ وَنِصْفُ الْعُشْرِ (Al-Majlisi, n.d., p.83; see Al-Qumi, 1413H, p.384).

بالنظر إلى الرواية الواردة في السيرة النبوية لابن إسحاق وابن هشام عن فتح خيبر وفدك الذي بُنِي الحديث السابق على سياقه، نلتمس بعض جانب ذلك في فهم كلمة "فقبلوا" في عبارة "وأقرّكم ما أقرّكم الله، فقبلوا فكانوا يعملونها" على أنها تعني "فَقَبَّلوا/قَبَّل المسلمون اليهود" إشارة إلى القَبَالَة الواردة في الحديث السابق (ʾIbn ʾIsḥāq, 2004, pp.492-493; ʾIbn Hišām, 1990, pp.297-304)، إذ أن اليهود ليس في وسعهم أن يُقَبِّلوا أرض ونخيل خيبر للمسلمين. وإذا ما عطفنا ذلك إلى الرواية في معجم البلدان في أن اليهود طلبوا من الرسول –صلى الله عليه وسلم- عمارة الأرض والقيام على النخيل، فأقرهم على ذلك، وكان ذلك عام 8/7هـ (Al-Ḥamawi, 1997, pp.409-410).

2. الفترة الراشدة

ومن خلال رواية حرب الكرماني وأبو زُرْعة الدمشقي وغيرهما بإسناد ثابت وصحيح: أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- قَبَّلَ حديقة أسيد بن حضير –لما مات- ثلاث سنين، وتسلّف القَبَالَة، ووفى بها دينًا كان على أسيد (ʾIbn Taymiyah, 2005, p.264; ʾIbn Taymiyah, 2004, p.284)، ورواية ابن عباس –رضي الله عنه – "إياكم والقَبالاتِ فإنها صَغارٌ وفَضلُها ربًا؛ وهو أن يَتَقَبَّل بِخراج أو جِبَاية أكثر مما أعْطى، فذلك الفَضْلُ رِبا، فإن تُقَبِّل وزَرع فلا بأس" (ʾIbn al-ʾAṯīr, 1963, p.10) وهو أن يَتَقَبَّل القرية فيها النخل والعلوج. "قيل له: فإن لم يكن فيها نخل، وهي أرض بيضاء؟ قال: لا بأس؛ إنما هو مستأجر: قيل: فإن فيها علوجًا؟ قال: فهذا هو القَبَالَة المكروهة" .... (ʾIbn Taymiyah, 2004, p.68; ʾIbn Taymiyah,

(2005, p.39. وراوية ابن عمر –رضي الله عنهما- في أن القَبَالات ربا[20]: أن يضمن الأرض والفلاحون بقدر معين من جنس مَغَلِّها، مثل أن يكون لرجل قرية فيها شجر وأرض، وفيها فلاحون يعملون له تَغِل له ما تَغِل من الحنطة والتمر بعد أجرة الفلاحين أو نصيبهم. فيضمنها رجل منه بمقدار معلوم من الحنطة والتمر ونحو ذلك. فهذا مظهر نسميه بالربا[21]. فأما ضمان الأرض بالدراهم والدنانير فليس من باب الربا بسبيل (ʾIbn Taymiyah, 2004, p.69; ʾIbn Taymiyah, 2005, p.39). ثم إن أحمد لم يكره ذلك إذا كانت أرضًا بيضاء، وإن كانت الأجرة من جنس الخارج على إحدى الروايتين؛ لأن المستأجِر يعمل في الأرض بمنفعته وماله، فيكون المغَلّ بكسبه؛ بخلاف ما إذا كان فيها العلوج، وهم يعالجون العمل. فإنه لا يعمل فيها شيئًا لا بمنفعته ولا بماله، بل العلوج يعملونها. وهو يؤدي القَبَالة ويأخذ بدلها. فهو طلب الربح في مبادلة المال من غير صناعة ولا تجارة، وهذا هو الربا؛ لأجل العلوج على الأخص؛ فإن العلوج يقومون بها. فتَقْبيلها لآخر مراباة له؛ ولهذا كرهها أحمد (ʾIbn Taymiyah, 2004, pp.69-70; ʾIbn Taymiyah, 2005, pp.39-40).

ولكن استخدام "القَبَالَة" كأمر ذي سَنَد تاريخي تعود بداياته إلى زمن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- في ولاية عمرو بن العاص –رضي الله عنه-، على مصر في بداية الثلث الأول من القرن الهجري الأول/حوالي السابع الميلادي، وهذا من خلال ما ذكره المقريزي في الخطط. وجاء مناط ذلك في سياق متعلق بالخراج والأراضي. وقد نص الكتاب "... إن متولي خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قَبَالَة الأراضي، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن، فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات، وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما ينتهي إليه مبالغ الكور والصفقات على من يَتَقَبَّلها من الناس، وكانت البلاد يَتَقَبَّلها مُتَقَبِّلوها بالأربع سنين لأجل الظمأ والاستبحار[22] وغير ذلك. .... خرج كل من كان تَقَبَّل أرضًا وضمنها إلى ناحيته، فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك، ويحمل ما عليه من الخراج في إبانه على أقساط، ويحسب له من مبلغ قَبَالَتُه وضمانه لتلك الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خُلجِها، بضرائب مقدرة في ديوان الخراج (Al-Maqrīzi, 1998, p.239).

3. العصر الأموي

بَيْدَ أن الإشارة إلى القَبَالَة والتَقْبيل كأمر مُوَثَّق "وقت التَّقْبيل" يعود مَظْهَر انبثاقه عن نظام الخراج إلى العصر الأموي (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1990, p.80)، ويعود ذلك إلى الربع الأخير من القرن الأول الهجري في سنة 91هـ المذكورة في البرديات الأموية في فترة ولاية قُرَّة بن شَرِيك (ʾAbū Ṣafiyah, 2004, pp.123-127). ويستنتج جروهمان أن الشخص القائم على الأمر يَتَقَبَّل (أي يستأجر) قطعة من أرض الدولة ويقوم بجمع ضرائب على الأرض المُتَقَبَّلة (Grohmann, 1955a, p.38).

وقد انتشر التعامل بأسلوب القَبَالَة حتى أصبح نظاماً في العديد من ولايات الدولة الإسلامية في العصر الأموي، إلا أنه كان يقتصر على الأراضي سواء كانت سواد أو بيضاء، فإن فروخ أبا المثنى كان يَتَقَبَّل[23] ضياع هشام بن عبد الملك بنهر الرمان[24]، وكان هشام بذلك يستفيد تعجيل المال، بينما يستفيد أبو المثنى الفرق بين ما دفعه وما حصله. وكانت القِبَالة وسيلة قوة يتسلح بها الخليفة أو الأمير؛ وذلك بالتفاضل لمن يدفع أكثر (Al-Jahšyāri, 1988, p.43).

4. العصر العباسي

تشير المصادر العربية إلى أنه في زمن خلافة إبي جعفر المنصور (136-158هـ/ 753-775م) أجرى العباسيون تغييراً في نظام الجباية إذ عملوا بـ "نظام القَبَالَة" (ʿAbd al-Fattāḥ, 1991, pp.70-71) وكان ذلك في ولاية محمد بن الأشعث على مصر لخمس خلون من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين ومائة/ 758م (Al-Kindi, 1908, pp.108-109; Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1990, p.80)، ويذكر أبو يوسف يعقوب –في فترة الخليفة هارون الرشيد- النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/حوالي الثامن الميلادي - عدم رضاه عن إجراءات التقبيل لما فيها من تعسف وظلم، وكراهيته للقَبَالة نابع من كونها غير آمنة من حَمْل المُتَقَبِّل على أهل الخراج ما ليس عليهم فيحصل الخراب عمران. وكان من قوله: وإنَّما أكره القَبَالَة؛ لأني لا آمَنُ أن يَحْمِلَ [25] هذا المُتَقَبِّل على أهل الخراج ما ليس يجب عليهم ....، فيضرُّ ذلك بهم فَيُخَرِّبوا ما عمَّروا .... (Abū

(Yūsuf, 1979, p.105-120; Abū Yūsuf, n.d., p.119). وقد ذَمَّ الجاحظ –فترة الثالث الهجري/ حوالي التاسع الميلادي/ الفترة العباسية- التعامل بالقَبَالَات بقوله: "أو بَخيلًا أنفق ماله في طمع كاذب، وعلى أمل خائب، وعلى طلب الولايات، والدخول في القَبَالَات" (Al-Jāḥiẓ. (n.d.), p.159)؛ إذ إنها موضع طمع البخيل لكسب ربح كبير.

وجاءت المصادر العربية من فترة القرن الرابع الهجري/حوالي العاشر الميلادي باستخدام لفظة "قَبَالَة" كمصطلح قانوني، وكان ذلك في سياق توثيق الدَّيْن (بما يُسمى سند قبض)، ويورد الرواية من الثقات من العراق، ومن حيثياتها: وورَكت[26] على ابن قديدة مالًا عظيمًا، فلم يكن له فيه وجه. فأنا جالس في بيتي ليلة، إذ جاءني، فدخل إليّ. فقلت ما هذا يا أبا جعفر؟ وقمت إليه، وسلّمت عليه، فعاتبني، وخَضَعَ لي. فقلت: ما تريد؟ فقال: تخفف عنّي من التقسيط، وتعاونني بمالك، فوالله ما معي ما أؤدّيه. فخففت عنه منه شيئًا يسيرًا، وأقرضته ثلاثين ألف درهم، وكتبت بها عليه "قَبَالَة"، وأشهدت فيها عدول البلد ... (Al-Tanūḫi, 1995, p.218). ويفهم المراد من عبارة القَبَالَة "قَبِلَ الدين قَبَالَةً أي كفل به وضمنه أي كفالة الدين وضمانه (Al-Tanūḫi, 1995, p.218). وقد وُصِفت مرويات التنوخي التاريخية في "نشوار المحاضرة ..." بأنها موثوقة وواقعية (Yūsuf, 1999, pp.18-21).

5. العصر الفاطمي

في فترة حكم الفاطميين لمصر وفي سياق التمليك والمنح المُوثَّق كان للكلمة استخدام في فترة القرن الرابع الهجري حوالي 361هـ/972م، ورد في كتاب "الديارات" العبارة ".... وأنعم "المعز لدين الله" على الدير من أراضي ناحية طهرمس من الجيزة تمليكًا ثابتًا منه بخط يده، قطعة أرض قَبَالَة بغير مساحة، ما يقارب ثلاثين فدانًا، .... (Al-Šābšti, 2008, p.432).

6. بلاد المغرب والأندلس

وقد عُرِفَت القَبَالَة والمُتَقَبِّلين في عهد ملوك الطائف التي خلفت الأمويين في الأندلس، فقد وُصِفَت بالظلم وكانت شرًا عليهم. فابن عبدون[27] من القرن السادس الهجري يحمل على المُتَقَبِّل، ويعتبره شر خلق الله، ويصفه بالزنبور الذي خُلق للضر لا للنفع؛ لأنه لا يسعى إلا بمضرة المسلمين، فقال: ملعون من الله ومن الناس أجمعين، فيجب على القاضي أن يستحلفه ويحد له ما صنع في تصرفه، ولا يتركه يتحكم في أموال الناس باختياره وعلى ما يراه أنه صواب لنفعه، وغلظ له القول والتوبيخ، وأن يرتب له الوزير بحضرة القاضي ما يأخذ من الأشياء التي يَتَقَبَّلها ولا يزيد فيها ولا ينقص، ومن تعدى على أكثر من ذلك أُدِّبَ وسُجِنَ ونُكِّلَ به (Al-Ḫalaf, 2003, p.385).

يظهر في بعض بلاد المغرب العربي في فترة القرن الثالث إلى السادس الهجريين أنهم كانوا يتعاملون بالقَبَالَة. يُرْوى عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله السدري[28] (ت 309هـ) أنه قال لعبيد الله وزداجة:... ولو كنت أمير المؤمنين ما أمرتَ بسَبِّ السَّلَف وأظهرتَ الخمر والقَبَالَات ... (Al-Māliki, 1994, p.173)، ورُوِيَ عن أبي الأزهر أنه بلغه عن أبي جعفر القمودي[29] (ت 324هـ) عمّا يأكل ... فقلت له: فالحيتان؟ فقال لي: بما اشتهى منه اللّجي[30] (من أجل) إنه ليس عليه قَبَالَة (Al-Māliki, 1994, p.217).

وفي زمن حكم يوسف بن تاشفين 500-537هـ/1143-1083م، أُمِر بِكَتْبِ الصُّكوك ورَفْع أنواع القَبالات والخراج (Lisān al-Dīn, 1424H, p.290; Lisān al-Dīn, 1975, pp.380-381). إلا أن ذلك تخلله انقطاع في الفترة التي حكم بها الموحدون في خلافة عبد المؤمن المولود عام 487هـ والمتوفى عام 558هـ. فقد رأوا عدم شرعية القَبَالَات؛ وذلك من خلال بعض النصوص وما كتبه المؤرخون. وبخاصة عدم شرعية القَبَالَات في مراكش وسوسة والمهدية. لعله من ظاهر الكلام في النصوص أن المدن خلت من غير المسلمين بعد دخول الفاتحين لها. فمثلًا إن عبد المؤمن عندما دخل مراكش أمَرَ اليهود والنصارى بدخول الإسلام أو اللحاق بدار الحرب أو القتل، فأسلم مَن أسلم ولحق بدار الحرب مَنْ لحق (Al-ʿAnān 1990, p.421; Al-Ṣalābi 1998, p.119)، وإن أهل الشيعة يرون التعامل بالقَبَالَة على أهل الإمارة مسلمين وغيرهم. إلا فيما ذكره ابن صاحب الصلاة أن القَبَالَة نوع من الخراج وَظَّفَه الموحدون على الجسور والأبواب يدفع عند المرور (Ibn Ṣāḥib al-Ṣalah, 1987, pp.166, 372).

وقد بيّن الإدريسي (القرن السادس الهجري/حوالي الثاني عشر الميلادي) والحميري – ما بين القرن السابع والقرن الثامن الهجريين/حوالي الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)- أن أهل مراكش كانوا قد تعاملوا بالقَبَالَة، فالجراد الذي يُباع عليه قَبَالَة، وأن الصنائع المُتَقَبَّلَة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون وغيرها، وعلى كل شيء يُباع عليه قَبَالَة. فلما صار الأمر للمصامدين/الموحدين في خلافة عبد المؤمن (ت 558هـ) قطعوا تلك القَبَالات واستحلوا قتل المُتَقَبِّلين لها، ولا تذكر في أي شيء من بلاد المصامدة (Al-ʾIdrīsi, 2002, p.235-236; Beibīrs, 1957, p.45; Al-Ḥimyari, 1984, p.541).

7. بلاد نيسابور

وظهر التعامل بالقَبَالات/القَبَالة في نَيْسَابُور في القرن السادس الهجري/حوالي الثاني عشر الميلادي. وألْبِسَت بمظهر خاص، وربما كانت تُسْنَد لشخص ما بما تشبه وظيفة يقوم بها الشخص، إذ جاءت كلمة "الشَّاهِد" في النص معرفة، فتكون صفة أو بدل. وكان من العادة أن يكون الشاهد في أمر القَبَالة في مكان يرتاده الناس ويُعْطى أجراً على ذلك. فأبو الحسن علي بن الحسن المَخْلَدِي، الشَّاهد، من أهل نَيْسَابور كان يقعد على مدخل دكان الشَّحَّامين، ويشهد في القَبَالات، ويعطيه الشَّحَّامية شَيئًا (Al-Samʿāni, 1996, p.1231).

8. بلاد اليمن

وعرفت اليمن في القرن السابع الهجري/حوالي الثالث عشر الميلادي القَبَالَة جاء في كتاب أُلِّف ما بين 690-695هـ - وكانت في النَّخْل في أَمْلاَك السَّعِيدَة الأشْرَفِيَّة لسنة 691هـ. وكانت القَبَالَة 2827 ونصف (دينار)، الأبْيَض[31] بـ 225 (دينار)، العُنَيْنِي[32] بـ 1540 (دينار)، الجُعَادي بـ 421 (دينار)، العَنْبَرِي بـ 433 (دينار)، نخل أبُو المَعَالي بـ 175 (دينار)، قطعَة السَّعْفُوري بـ 51 (دينار)، المَغَارِس[33] بـ 702 ونصف دينار. المُكَتَّب[34] من ذلك جميعه 943 (دينار)، خارجًا عن المُسَامَحَات. كذلك تفيد النصوص من القرن الحادي عشر الهجري/حوالي السابع عشر الميلادي أن اليمنيين تعاملوا بالقَبَالَات على ما ذكر الوزير (Al-Wazīr, 1985, p.216).

9. العهد العثماني

لم تُفِد ما جاء في الوثائق العثمانية من مصر في استعمال مصطلح القَبَالَة في عملية الكراء وتأجير الأراضي الزراعية، إلا أنه ورد استخدام نظام الأمانة والالتزام في عملية الكراء، وهي من حيث المضمون العام ذات شبه بنظام القَبَالة (Muḥammad, 2004; ʿĀbdīn and al-Ḥammūri, 2016, p.257, 258, 262, 267; ʿĀbdīn, 2017, p.84). بَيْد أن بداية استخدام العثمانيين لنظام ضريبة الأرض تعود إلى فترة حكم السلطان العثماني مراد الأول 761-791هـ/1360-1389م، أو إلى فترة أبكر من ذلك. وكان في بداية الأمر ضريبة تفرض على العبيد؛ إذ لم تكن لها علاقة بالأرض ونتاجها. وكان في المنطقة الحدودية على الشواطئ الغربية للأناضول نظامٌ ضريبيٌ مماثل. وكان يعقد فيها صفقات تجارية في القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين بين الدولة العثمانية وفينيسيا وغيرها من دول الجوار، وكان سياق المعاهدات يكتب بلغة لاتينية وإغريقية. وكانت المواد والبضائع المتاجر بها تُخَزَّن في مكان أطْلِق عليه *gabella* أو *appalto* والمعرفتان بـ "القَبَالَة، ضريبة الأرض" و "عَقْد، اتفاق" (Fleet, 2003, p.253). وهذه التسمية صدى لنظام القبالة المعروف في الفترات الإسلامية السابقة للأمبراطورية العثمانية. ولم تُمكننا الوثائق العثمانية من أن كلمة "قَبَالَة" استخدمت توصيفًا للنظام الضريبي الخاص بالأرض، إلا أن أصداء نظام القَبَالة ظل متجليًا لدى العثمانيين؛ إذ عثرنا على صيغة اسمية وصفًا لشخص حمل لقب تبجيل "قلم سعادة الإقبال[35]" في وثيقة تعود ل 12 شوال 1204هـ، صادرة عن محكمة الباب العالي (Ḥammūdah, 1999, p.355). والحال كذلك في بلاد الشام من خلال وثيقة في سجلات محكمة دمشق الشرعية مؤرخة لأوائل شهر محرم عام 927هـ/1520م. تعود هذه الوثيقة لوقفية مراد أفندي الدفتري أمين الخزائن السلطانية بدمشق، إذ أوقف على ذريتة طواحين مائية على نهر العاصي وغيرها من بساتين ونواعير وقناطر قائمة على نهر العاصي في حماة وحمص. وكان الوقف بشهادة مَا جاء في واحدة من أوصافه أنه "قدوة أرباب الأقبال": "العمدة العلامة والحجة الفهامة، الحنبلي الموقع أعلاه، دام علاه، قدوة أرباب الأقبال، صدر أصحاب الإجلال، عامر الخزائن بأحسن الأعمال، المخصوص بعون عناية الملك الد[يان فخ]ر الأماجد المكرمين" (Šiḥādah, 1973, pp.109-110).

القسم الثالث

المصادر الفقهية

اعتنى الفقهاء بمسألة القَبَالَة[36] لأنها متعلقة بمسائل الشريعة وحياة الناس وشؤون الدولة، وهي مورد من موارد بيت مال المسلمين، حيث أبدوا بها رأيهم الفقهي مستعينين باللغة والسياق التاريخي. فهي في الاصطلاح متعلقة بالخراج "أن يتكفل شخص بتحصيل الخراج، وأخذه لنفسه مقابل قدر محدد يدفعه. وهو ما يُعرف باسم نظام الالتزام" (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1990, p.80). وذلك مُشْتَمَل فيما أوضحه الشافعي: وتَقَبَّل "كَفِلَ" والتَّقْبِيل "يكون في الأرض الخارجة التي عليه خراج معلوم في السنة، أي يأخذ الأرض ويتكفل بأداء أخراجها (Al-Šāfiʿi, 2001, p.21). وعَبَّر بعضهم بقوله: "أن يجعل الرجل من أهل الخراج لنفسه قَبِيلًا أو كَفِيلًا يُحَصِّل باسمه الخراج، ويأخذ لنفسه لقاء أجر معلوم يدفعه إليه، والقَبِيل من العمال وذوي الجاه والسلطان" (Al-Ṣāliḥ, 1417H, p.386). فهي من جانب متعلقة بالسلطان حيث يدفع السلطان أو نائبه صقعاً أو بلدة أو قرية إلى رجل مدة سنة مُقَاطَعَة[37] بمال معلوم يؤديه إليه عن خراج أرضها وجزية رؤوس أهلها إن كانوا أهل ذمة، فَيُقَبِّل ذلك ويَكْتُب عليه بذلك كِتَاب (Al-Raḥabi, 1975, p.3).

فالْقَبَالَةُ عند بعض الفقهاء أعمُّ من الْكَفَالَةِ (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1995, p.289) ، وكثير من الفقهاء يستعمل لفظ الْقَبَالَةِ بمعنى الْكَفَالَةِ زِنَة ودلالة، وبعضهم خَصَّ الْكَفَالَةَ بِالنَّفْسِ أو الْعَيْنِ، وعمَّم الْقَبَالَةَ في الْمَال والدِّيَةِ والنَّفْسِ والْعَيْنِ (Al-Kafawi, 1974, p.142) ، والْقَبَالَةَ تستعمل بمعنى الضَّمَانِ وبمعنى الْأَمَانَةِ، فمن قال: لا حَقَّ لي على فلان يبرأ عن الدَّيْنِ، ومن قال: لا حَقَّ لي عند فلان أو معه يبرأ عن الأمانة. ولو قال: لا حَقَّ لي قِبَلَهُ يبرأ عن الدَّيْنِ والْأَمَانَةِ جميعاً، فكانت الْقَبَالَةُ محتملة لِلضَّمَانِ وَالْأَمَانَةِ (Al-Kāsāni, 1986, p.208). وجعل الفقهاء صلة ذات وجه بين القَبَالَة والاقْتِطَاع[38]، وفرقوا بينهما بالعموم للاقتطاع إذ يكون بِبَدَل أو من غير بَدَل، وبالخصوص للقَبَالَة فلا تكون إلا بِبَدِل (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1995, p.243). لم يخرج فقهاء العصر الحديث في فهمهم من المراد من القَبَالَة إذ هي الوثيقة المكتوب عليها القَبَالَة، بقولهم: "القَبَالَة: اسم المكتوب من ذلك لما يلتزمه الإنسان من عَمَلٍ ودَيْنٍ وغير ذلك" (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1988, p.125).

1. **مسائل فقهية في القبالة**

كشف الإمام الشافعي في مسألة التَقْبِيل، إذا تَقَبَّلَ الرجل الأرض من الرجل سنين، ثم أعارها رجلًا أو أكْرَاهَا إياه، فزرع فيها الرجل، فالعُشْرُ على الزَّارِع والقَبَالة على المُتَقَبِّل، وهكذا أرض الخراج إذا تَقَبَّلَها رجل من الوالي، فَقَبَالَتُهَا عليه، فإن زرعها غيره بأمره بِعَارِيَة أو كِرَاء فالعُشْرُ على الزَّارِع والقَبَالَة على المُتَقَبِّل، ولو كان المُتَقَبِّل زَرَعَهَا كان على المُتَقَبِّل القَبَالَة والعُشْر في الزَّرْع إن كان مسلمًا، وإن كان ذِمِيًّا فَزَرْع أرض الخَرَاج فلا عُشْر عليه. وكذلك لو كانت له لأرض صلح فزرعها، لم يكن عليه عُشْر في زَرْعِها؛ لأن العُشْر زكاة،/ ولا زكاة إلا على أهل الإسلام، ولا أعرف ما يذهب إليه بعض الناس في أرض السواد بالعراق من أنها مملوكة لأهلها، وأن عليهم خَرَاجًا فيها، فإن كانت كما ذهب إليه فلو عطَّلها رَبُّها، أو هرب، أخذ منه خَرَاجَها إلا أن يكون صلحه على غير هذا فيكون ما صالح عليه (Al-Šāfiʿi, 2001, pp.21-22).

فالْقَبَالَةُ تتضمن دلالة التَّضْمِينَ أو الالْتِزَامَ بشروطها، وفي ذلك يبين أبو يوسف ذلك بقوله: «وإن جاء أهل طُسُوج[39] أو مصر من الأمصار ومعهم رجل من البلد المعروف موسر، فقال: أنا أتضمن عن أهل هذا الطسوج أو أهل هذا البلد خراجهم ورضوا هم بذلك، فقالوا: هذا أخف علينا، نظر في ذلك، فإن كان صلاحاً لأهل هذا البلد والطسوج قَبِّلَ وضَمَّنَ وأشهد عليه، وصيِّر معه أمير من قبل الإمام يوثق بدينه وأمانته، ويجري عليه من بيت المال، فإن أراد ظلم أحد من أهل الخراج أو الزيادة عليه أو تحميله شيئاً لا يجب عليه منعه الأمير من ذلك أشدّ المنع (Abū Yūsuf, (n.d.), pp.119-120).

روى سعيد بن منصور – ورواه عنه حرب الكرماني في مسائله - قال حدثنا عباد بن عباد، عن هشام بن عروة، عن أبيه: "أن أسيد بن حضير توفي وعليه ستة آلاف درهم فدعا عمر غرماءه، فَقَبَّلَهُم أرضه سنين، وفيها النخل والشجر" (Ibn ʾTaymiyah, 2004, p.59; Ibn ʾTaymiyah, 2005, p.35). فإن عمر قَبَّل الأرض والشجر الذي فيها بالمال الذي للغرماء... فقد اضطروا في هذه المعاملة (المقصود الحيل في (Ibn ʾTaymiyah, 2004, p.65; Ibn ʾTaymiyah, 2005, p.38)

إجارة الأرض والنخيل مُزارعة) إلى أن تسمى الأجرة في مُقَابَلَة منفعة الأرض، وَيَتَبَرَّعُ لَهُ إمَّا بِإِعْرَاءِ الشَّجَرِ، وَإِمَّا بِالْمُحَابَاةِ فِي مُسَاقَاتِهَا[40] (ʾIbn Taymiyah, 2004, p.62; ʾIbn Taymiyah, 2005, p.36).

يظهر من أمر القَبَالَة فيما أدْرج من بيان، ومن غير شروطها التي سلكها عهد النبوة والصحابة إنها عند جمهور الفقهاء "غير مشروعة وباطلة شرعًا؛ لأن العامل مؤتمن يستوفي ما وجب، ويؤدي ما حَصَّل، فهو كالوكيل الذي إذا أدّى الأمانة لم يضمن نقصانًا، ولم يملك زيادة، وضمان الأموال بقدر معلوم يقتضي الاقتصار عليه في تملك ما زاد، وغرم ما نقص، وهذا مناف لوضع وحكم الأمانة فبطل، ولما يترتب عليه من عسف أهل الخراج، والحمل عليهم ما لا يجب عليهم، وظلمهم، وأخذهم بما يجحف بهم، لأن المتقبِّل لا يبالي ما يصيب أهل الخراج (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1995, p.243). وقد عاقب ابن عباس لسائل القَبَالة ضربًا وصلبًا لأن القَبالات هي الغُلّ والذلة والصغار والندم والاثم[41]، وكان يريد أن يَتَقَبَّل من ابن عباس الأُبُلَّة بمائة ألف (ʾIbn Sallām, 1989, p.148, no. 177, p.198, no. 198)، وكان ابن عباس حين ذاك واليًا على الكوفة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (Faraj, 2007, p.171).

2. مسألة في قبالة حصة من أرحاء الحناء بقرطبة

عقد الفقيه ابن دحون وثيقة قَبَالَة في حصة من أرحاء الحناء على نهر قرطبة، فقال: وذكر في آخر العقد: وعلم المتقبل أحمد أن هذه الرحى تتعذر في مدة الشتاء، وتمتنع من الطحن وإنما طحنها باستقامة زمن الصيف ومدته فرضى أحمد بذلك والتزمه، فقام المُتَقَبِّل أحمد عند صاحب السوق أبي علي ابن ذكوان يذهب إلى استغلال أشهر الشتاء لما وقع في هذا الفضل، فشاور في ذلك واختلف الفقهاء فيها.

فأفتى القرشي: إن الرحى غير مأمونة، وإن القَبَالَة لا تجوز.

وأفتى ابن جريح: إن القَبَالَة جائزة، وإن الرحى مأمونة، وللمُتَقَبِّل استغلال أشهر الشتاء والصيف.

وأجاب ابن عتاب: قرأت ما خاطبتنا به وفهمته، وتأملت ما وقع في عقد القَبَالَة من أن انعقادها كان على أن تطوع المُتَقَبِّل أحمد بإحضار العدة المذكورة في العقد المذكورة، فخرج ذلك بهذا اللفظ الواقع في العقد عن حد الطوع إلى حد الشرط المصرح، وصار ذلك شرطًا في نفس العقد.

واشتراط تعجيل النقد في قَبَالَة الإرجاء لا يجوز إلا فيما كان منها مأمونًا، وأما غير المأمون، وما يخاف نضوب الماء من أنهارها؛ فلا يجوز لما يدخله من الغرر والكراء والسلف (Al-ʾAsadi, 2007, pp.557-358).

3. مسألة في قَبَالَة أرض محبسة

وسئل ابن الحاج عمن قَبَّلَ أرضاً محبسة عليه وعلى ابنه لأربعة أعوام، وبقي من المدة عام ونصفها وتوفي الأب في شهر مارس-آذار أو ابريل-نيسان. فأجاب بأن القَبَالَة تنتقض في جهة الأب لأنها راجعة إلى الابن وتبقى في نصيب الابن، والزرع المُتَقَبَّل لأنها قَبَالَة وليست مُزارَعَةَ وعليه للابن الحصة المُصَيَّرَة إليه من الأب كراء المثل فيما بقي من الشهور إلى تمام الزرع وهي شهر مارس-آذار وابريل-نيسان ومايو-أيار إلى حصاد الزرع ويرجع هو بما يجب من الكراء لهذه الأشهر على تركة الأب إن كان قد قام إليه الكراء على الطوع (Al-Walnšūri, 2011, pp.228-229).

4. مسألة في قَبَالَة الفنادق والرحى إذا قل الواردون لسكنى الفنادق وطحن الطعام

وسئل ابن رشد عن المتقابلين للفنادق والأرحى إذا قل الواردون لسكنى الفنادق والطعام للطحن، فهل ذلك جائحة يحط به الكراء عنهم أم لا؟

فأجاب: إذا قل الواردون من البلاد لسكنى الفنادق المكتراة المتخذة للنزول فيها من فتنة أو حرب حدث في الطرق وما أشبه ذلك أو قل الواردون للطحن في الأرحى المكتراة لجهد أصاب ذلك المكان وما أشبه ذلك، كان ذلك عيباً فيما اكتراه المكتري، فيكون مخيراً بين أن يتمسك بكرائه أو يرده ويفسخه عن نفسه فإن سكت ولم يقم حتى مضت المدة أو بعضها لزمه جميع الكراء ولا يسقط عنه الكراء إلا لخلاء أهل ذلك الموضع حتى تبقي الرحى معطلة لا تطحن والفنادق خالية لا تسكن. ولا يلزم المكري إذا قلت الواردة أن يحط المكتري من كرائه بقدر ما نقص من الواردة بغير رضاه، وإنما يوجب ذلك للمكتري التخيير على ما وصفناه (Al-Walnšūri, 2011, pp.227-228).

الخاتمة

تعود البدايات الأولى لمصطلح القَبَالَة ذات الوجه الاقتصادي الزراعي إلى فترة تسبق العصر الاسلامي بقرون عديدة. جاء ذلك في النقوش/الكتابات العربية الجنوبية "السبئية والقتبانية"، ومن خلال ذكرها في النقوش الآرامية. ولكن البحث لم يقف على أن العرب قُبَيْل الإسلام "بما تُعرَف بالفترة الجاهلية" كانوا قد استخدوا كلمة قَبَالَة وتصريفاتها كمصطلح بمعنى "كراء" متعلق بالزراعة؛ وذلك عائد إلى عدم وصولنا من أدبيات تلك الفترة المتعلقة بالحياة الاقتصادية. وفضلًا عن أن المعاجم العربية غير ذاكرة لأي نص أدبي من شعر ونثر وسواهما بهذا الخصوص من فترة العصر الجاهلي، بدءاً "بالعين" للفراهيدي القرن الثاني الهجري/ حوالي الثامن الميلادي ، ولم يورد المعجم التاريخي للغة العربية أي شاهد من هذه الفترة. بالرغم من شواهد الكلمة في نصوص سامية كالعربية والعربية الجنوبية والآرامية والنبطية، إلا أن تأصيل الكلمة مدار تأويل وبحاجة إلى المزيد من الدراسة، وبخاصة أن للفظة "قبالة" أكثر من معنى في الفترات المختلفة في مثل: "ضريبة" و "أجرة أرض" و "أرض مؤجرة"، ولم تستخدم اللفظة في فترة حكم الأيوبيين والمماليك توصيفًا لنظام اقتصادي. وبالرغم من الفجوة الكبيرة التي اعترت استخدام كلمة "قبالة" فإنها استخدمت في العصر الحديث في المملكة العربية السعودية توصيفًا لمحلات تجارية متعدد الأغراض بصيغة "محلات للتَقْبيل".

يشير البحث - بما يخص الفترة الإسلامية- هو خلال المتاح من المصادر المتنوعة، أنه من المؤكد أن الربع الأخير من القرن الهجري الأول البداية الأولى المُوَثَّقَة ذات الطابع الرسمي لاستخدام كلمة "القَبَالة" وذلك في برديات قُرَّة بن شريك العائدة لسنة 91هـ. هذا بالرغم من أن المصادر التاريخية غير المباشرة مثل الأحاديث النبوية الشريفة والكتاب المعروف "بالخطط للمقريزي" يُفهم منها أن استخدام كلمة القَبَالَة كمصطلح يعود إلى الفترة النبوية، وإلى ولاية عمرو بن العاص (الثلث الأول من القرن الهجري الأول). فالمصادر غير المباشرة لا يُرْكَن إليها في تحديد الدقيق لبدايات استخدام الكلمة كمصطلح اقتصادي؛ وهذا عائد إلى الفجوة الزمنية بين الاستخدام والتوثيق. هذا لا ينفي أن العرب المسلمين كانوا يستخدمون مفهوم القَبَالَة في حياتهم وتعاملهم في بداية الفترة النبوية؛ إذ إنه مُنْطَوٍ تحت مظلة الكراء. أما كونه نظامًا اقتصاديًا رسميًا فإنه يعود إلى الربع الأخير من القرن الهجري الأول. ولم يقف البحث على أن بلاد الشام في الفترة الإسلامية على معرفة بهذا المصطلح إلا من خلال صيغة جمع التكسير "إقبال" لرجل وُسِم بتلك المهنة، وكان ذلك في فترة الحكم العثماني لبلاد الشام. وقد اقتصر استخدامها في مصر في الفترة العثمانية كذلك بصيغة اسمية دالة على لقب تبجيلي. وعُرفت كاسم مكان *gabella* في المناطق الحدودية لتخزين السلع التجارية المعدة للتجارة مع بلدان أوروبية.

شكر وعرفان

يشكر الباحثان العالم الإنكليزي أ.د. جون هيلي J. Healey لإرساله مقاله: A Nabataean Papyrus Fragment (Bodleian MS Heb. d. 89). ونشكر أ.د. عمر الغول/أستاذ اللغات السامية الغربية، و أ.د. صالح ساري/ أستاذ علم النميات (جامعة اليرموك - كلية الآثار)، كما نشكر أ.د. نزار الطرشات/ أستاذ التاريخ والآثار الإسلامية (الجامعة الأردنية) لاطلاعهم وتصويباتهم السوية على مسودة البحث. وكل خطأ ناجم يقع على عاتق الباحثين.

The Terminology of *al-Qabālah* in the Linguistic, Historical and Doctrinal Contexts

Ibrahim Sadaqah

Independent researcher- Semetic Writing/ Inscriptions and Ancient Arab History-Jordan

Fatmah Hammoni

Islamis Science "Jurisprudence and Fundamental of Religion"-Algeria

Abstract

The research discuses the unique economic term, *qabālah*, that is related to Kharāge. It refers to a lump-sum duty levied upon the land for the benefit of Islamic Treasure House "*Bayt Māl al-Muslimīn*". In the course of the discussion of this term, the research depends on direct and indirect historical sources. The direct sources include ancient writings/inscriptions that date back from the pre-Christ era to the first centuries A.D., in addition to the Egyptian-Islamic papyri of the first century of Hijra. The indirect sources are comprised of books that deal with the histories and the Hadīth of the Prophet Mohammad, peace be upon Him. The research has also benefited from late historians' books. The research shows the linguistic, idiomatic and historical use of the word. It follows the historical method to trace step by step the use of the term and its derivations.

The research concludes that, though the word is not used in Classical Arabic before Islam, it has attestation in the period before Christ and the first centuries A.D.

The paper is divided into introduction and three parts: the first, deals with the linguistic case, the second follows its recordings in the sources and the third is allotted to doctrinal contents of the term.

Keywords: taxes, qabālah, papyri, inscriptions, Kharāge, doctrine.

الهوامش

1 فَهَرَاق في طَرَفِ العَسِيبِ إلى **مُتَقَبِّل** لِنوَاطِفٍ صُفْرِ (https://dohadictionary.org/root/) (قبل).

2 ويعود ذلك إلى الحروف الصائة في العربية يتم التركيز عليها من قِبَل البلعوم، ويكون أداة في نطقها ويكون جزء اللسان الخلفي مرتفعًا، ومن هذه الحروف حرف القاف الذي يماثل صوتيًا واحداً من أصوات الحروف الإنكليزية "*g, k, q*" (Huehnergard, 2011, p. 2067, 2075; www.dictionary.com/e/word-of-the-day/gabelle).

3 صيغة جمع من المفرد المؤنث "ن خ ل" وتعني "نخل، نخيل، بستان نخيل" (Beeston et al., 1982, p. 94).

4 صيغة جمع من المفرد "ع ن ب" وتعني "كرم (عنب)".

5 من الجذر "ذ ر أ" وهي صيغة جمع من المفرد "م ذ ر أ ت" وتعني "حقل مزروع، أرض مزروعة" (Beeston et al., 1982, p. 40).

6 نقل/ حَوَّل الملك أو المال (Beeston et al., 1982, p. 48).

7 اسم إشارة للمفرد المؤنث "تلك" (Beeston, 1984, no. 24, p. 40).

8 ضريبة.

9 اسم إشارة "التي".

10 حرف جر/ظرف "قَبْل، قدام، أمام".

11 اسم علم على شخص.

12 أبوه.

13 ضمير مفرد غائب "هو".

14 يعطي، يدفع (Hoftijzer and Jongeling, 1995, p. 412).

15 حرف جر على، إلى.

16 تعني "البيت/ الدولة"، اسم مُعَرَّف بأداة التعريف الآرامية "الألف/ا" (Hoftijzer and Jongeling, 1995, p. 156ff).

17 تعني الأرض، حرف العين في الآرامية يقابل حرف الضاد في العربي، والألف في نهاية الاسم هي للتعريف في الآرامية.

18 "ط س3 ق ا" تعني "سلة تُتَّخَذ مقياسًا للكيل/مِكْيال"، وهي من أصل فارسي "اسم ضريبة الأرض – وهي عبارة عن مكيال محدد يُكال به ما يؤخذ ضريبة عن إنتاج الأرض- (Jastrow, 1903, p. 542; for mor detail see: Newman, 1932, p. 161-168)

19 هذا الاسم اليوناني وتُعْرَف باسم Per-medjed في المصرية القديمة وهي عاصمة مصر العليا، وحديثًا باسم بهنسا (Bierbrier, 2008, p. 170).

20 هذا الحديث موقوفًا على ابن عمر. وفي هذا السياق (see ʾAbu ʿUbayd 1996, no. 179; Al-Dūlābi 2000, part 3, no. 1148; Al-Ḏahbi, 1374H, part 4, no. 582).

21 وهذا النوع من الإيجار/التَقْبِيل كان معروفًا في مصر الرومانية فإن المُتَقَبِّل/المستأجر/الملتزم يقوم بتسليم جزء من المحصول ἀντί φόρου "مقابل إيجار" للمزارع/صاحب الأرض. وهي كذلك موجود في العقود الديموطيقية (Rowlandson, 2016, p. 395) وهي جزء من الحضارة المصرية القديمة، وهي منبثقة من الهيرقريطية منذ القرن السابع قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الخامس الميلادي، وهذه من الهيروجرفية (Naveh, 1982, p. 16-17).

22 عبارة "الضمأ والاستبحار" متعلقة بمفهوم نقص منسوب نهر النيل، إذا نقص عن ستة عشر ذراعًا يؤدي إلى الإضرار بالري والزراعة، وينتج بسبب ذلك "الضمأ"، وقيل أن الحد الذي يقحط بها أهل مصر أربعة عشر ذراعًا من منسوب نهر النيل، والذي يروي بها ولا يُقْحَطُ أهلها ستة عشر ذراعًا. وكلا الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار مخوفتان، اثنا عشر ذراعًا في النقصان و ثمانية عشر ذراعًا في الزيادة. والزيادة على الستة عشر ذراعًا أو النقص عنها ينقص من خراج السلطان (Al-ʾAtāki, 1993, part 3, p. 373-374, ft. 3).

23 يكري الأرض، وهذه قِبالَة بين فروخ أبي المثنى وهشام بن عبد الملك.

24 نهر الرمان واحد من أنهار الموجودة في العراق (Al-Suyūṭi, 2015, 279).

25 حَمْلهم أي "تكليفهم بما لا يطيقون" (Al-Raḥabi, 1975, part 2, p. 4).

26 أوجبته.

27 محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي مؤلف ثلاثة رسائل في الآداب الحسبة والمحتسب (see Lévi-Provençal 1955).

28 وُصِفَ بأنه رجل خير وزاهد وكثير العبادة (Al-Māliki, 1994, part 2, p. 166, ft. 4).

29 كان ذا أوصاف جليلة بلغ من العبادة مبلغًا عظيمًا حتى صار كالشن، ولم يكن في عصره أكثر منه عبادة (Al-Māliki, 1994, part 2, p. 211).

30 السمك اللَجي "أسماك المحيطات (Dozy, 1999, part 9, p. 211).

31 تقع شمال غرب مدينة زبيد (Jāzim, 2003, part 1, p. 401, ft. 3002)، وزَبِيد هي قرية الحُصيب وتقع جنوب مدينة الحُدَيْدة بمسافة 85كم (Al-Hamdāni, 1990, p. 96, ft. 3; Al-Ḥijri, 1984, vol. 1, part 1, p. 381; Al-ʾAkwaʿ 1988, p. 138-140; Jāzim, 2003, part 1, p. 59, ft. 467).

32 موقع غير معروف، ويطلق "العُنِيني" اليوم في زبيد على نوع من النخيل والبلح (Jāzim, 2003, part 1, p. 405, ft. 3041).

33 يسمى اليوم "ممشى المغرس" يحده من الشمال "التحتيا"، ومن الجنوب "ممشى مجهصي والروية"، ومن الشرق "الرَوية وزبيد" (Jāzim, 2003, part 1, p. 404, ft. 3021).

34 ما دوُن أو سُجِّلَ من مبالغ مالية مستحقة السداد سنويًا لمالك النخيل (Jāzim, 2003, part 1, p. 404, ft. 3026).

35 يتعذر على معرفة ضبط الاسم بطريقة صحيحة؛ وذلك أن ناشر الوثيقة لم يضبطها. ولكن على دَرْج الشائع في هذه الفترة ضُبِطَت "الإقبال" من غير ترجيح.

36 نشير هنا إلى مصطلح الإبْضاع "بَعْثُ المال مع من يتَّجر به تبرُّعًا، والربح كله لربِّ المال"، والقِراض "دَفْع الرجل ماله إلى آخر ليتَّجر فيه، على أن يكون للعامل جزء شائع من الربح" القراض شركة في الربح بين ربِّ المال والعامل، بينما الإبضاع لا يحمل صورة المشاركة، بل صورة التبرُّع من العامل في التجارة لربِّ المال دون مقابل (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah 1983, part 1, p. 172)، فهذا الضربان من المعاملات الاقتصادية يختلف عن "القَبالَة" حيث أنها متعلقة في الأصل بالأرض وزراعاتها مقابل مال يُدْفع أو ما تنتجه الأرض، وهي ناشئة من مصطلح الخراج أحد موارد بيت مال المسملين. والقِراض عَقْد كان في الجاهلية، وأقره الإسلام، وفعله النبي –صلى الله عليه وسلم – (Al-Maʿāfiri, 2007, part 6, p. 200).

37 مقاطعة أي "دفع مبلغ من المال مضمون" (ʿĀbdīn and al-Ḥammūri, 2016, p. 5).

38 معروف من حيث اللغة. في الاصطلاح "ما يَقْطَعُه الإمام – أي يعطيه – من الأراضي رقبة، أو منفعة لمن ينتفع به (Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah, 1995, part 32, p. 234).

39 تعني الناحية، أي مكان (Al-Zubaydi, 1969, part 6, p. 86).

40 يُنْظَرُ في فهم سياق العبارة من وجهة الجمع بين الإجارة والإعارة أو التبرع. كأن يقوم مالك النخيل بإجارة جميع بستانه سوى ما فيها من نخل أو شجر، ويتبرع بالشجر للمستأجر أو يعيره إياه. هذه حيلة تبرع محض وإباحة واضحة. فيها جواز بعض الفقهاء: تارة بأن يؤجر الأرض فقط ويبيحه ثمر الشجر، وتارة بأن يكريه الأرض بجميع الأجرة، ويساقيه على الشجر بالمحاباة، وهذه الحيلة إنما يجوزها من يجوز المساقاة، كأبي يوسف ومحمد والشافعي في القديم، فأما أبو حنيفة فلا يجوزها بحال، وكذلك الشافعي إنما يجوزها في الجديد في النخل والعنب، فقد اضطروا في هذه المعاملة إلى أن تسمى الأجرة في مقابلة منفعة الأرض، ويتبرع له إما بإعراء الشجر، وإما بالمحاباة في مساقاتها (Al-Sḥībāni, 2013). على ضوء ذلك "إعراء" تَعني "إعارة، إعطاء".

41 في هذه الروايات انظر (ʾIbn Zanjawayh, 1986, part 1, ft. 2,3,4, p. 215, 268-277).

المراجع العربية

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن. (1997). **تفسير القران العظيم مسنداً عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين**. المجلد1. تحقيق أسعد الطيب. مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزتر الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض.

ابن اسحاق، محمد. (2004). **السيرة النبوية**. جزء 2. تحقيق أحمد المزيدي. دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الأثير، مجد الدين. (1963). **النهاية في غريب الحديث والأثر**. الجزءان 1، 4. تحقيق محمد الطناجي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية، أحمد. (2004)**. مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: كتب الفقه، البيع**. مجلد 29، جزء 9، مجلد 30. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومحمد عبد الرحمن بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

ابن تيمية، أحمد. (2005). **مجموع فتاوي شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، كتب الفقه، البيع**. مجلد 29، جزء 9. طبعة 3. اعتنى به وخَرَّج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.

ابن حبان، محمد. (1993). **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. 18جزء. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن زنجويه، حميد. (1986). **كتاب الأموال**. جزءان. تحقيق شاكر فياض. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ابن سلام، ابو عبيد القاسم. (1989). **كتاب الأموال**. تحيق محمد عمارة. دار الشروق، بيروت، القاهرة.

ابن صاحب الصلاة عبد الملك. (1987). *المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين*. الطبعة 3. تحقيق عبد الهادي تازي. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل. (1998). **تفسير القرآن العظيم.** جزء 2، وضع حواشيه وعلق عليه محمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل. (2000). **تفسير القرآن العظيم**. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ابن منظور، محمد. (ب.ت). **لسان العرب**. تحقيق عبد الكبير و محمد حسب الله وهاشم الشاذلي. دار المعارف، القاهرة.

ابن هشام، عبد الملك. (1990). **السيرة النبوية**. جزء 3. ط3. تحقيق عمر تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت.

أبو صفية، جاسر. (2004). **برديات قرة بن شريك العبسي، دراسة وتحقيق**. تحقيق التراث 5. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

أبو عبيد، البغدادي. (1996). **الأموال**. تحقيق خليل هراس. دار الفكر، بيروت.

أبو نعيم، أحمد. (1996). **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. جزء 1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مكتبة الخانجي، القاهره.

أبو يوسف، يعقوب. (1979). **كتاب الخراج**. جزء 2. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

أبو يوسف، يعقوب. (ب.ت). **الخراج**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد. المكتبة الأزهرية التراث، القاهرة.

الإدريسي، محمد. (2002)**. نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**. مجلد 1. تحقيق عدد من العلماء. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الأسدي، أبو الأصبغ عيسى بن سهل عيسى بن سهل بن عبدالله الجياني. (2007). **الإعلام بنوازل الأحكام**. جزء 1. تحقيق يحيي مراد، القاهرة: دار الحديث، القاهرة.

الأكوع، إسماعيل. (1988). **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**. مؤسسة الرسالة، بيروت ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

الأكوع، إسماعيل. (2003). **الدولة الرسولية في اليمن: 626-858هـ/ 1228-1454م**. إصدار جامعة عدن، الجمهورية اليمنية.

الألباني، محمد (محقق). (1417هـ). **سنن النَّسائي**. اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

الألباني، محمد. (1979). **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. جزء 3، إشراف محمد الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

بيريس، هنري (محرر). (1957). **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**. تأليف محمد الإدريسي، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، الجزائر.

الترمذي، محمد. (1998). **سنن الترمذي – الجامع الكبير**. جزء 3، تحقيق بشار معروف. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

التسولي، علي. (1994). **البهجة في شرح التحفة**. جزء 2، دار الفكر، بيروت.

التنوخي، علي المحسن بن علي. (1995). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**. مجلد 1، تحقيق عبود شلخي. دار صادر، بيروت.

الجاحظ، عمرو. (ب.ت). **البخلاء**. ط7. تحقيق طه الحاجري. دار المعارف، القاهره.

جازم، محمد (محقق). (2003). **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في عهد المظفري الوارف**. جزء 1، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء.

جروهمان، أدلف. (1934). **أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية**. سفر 1، ترجمة المؤلف وحسن إبراهيم حسن ومراجعة عبد الحميد حسن، مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة.

جروهمان، أدلف. (1955أ). **أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية**. سفر 2، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومراجعة عبد الحميد حسن. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

جروهمان، أدلف. (1955ب). **أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية**. سفر 3، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومراجعة عبد الحميد حسن. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

جروهمان، أدلف. (1967). **أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية**. سفر 4، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومراجعة عبد الحميد حسن. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس. (1988). **الوزراء والكتّاب**. ط1. تقديم حسن الزين. دار الفكر الحديث، بيروت.

الحجري، محمد. (1984). **مجموع بُلدان اليمن وقبائلها**. مجلد 1، جزء 1، تحقيق إسماعيل الأكوع. وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.

حسن، سيد كسروي. (1998). **تقريب الداني في مراسيل النسائي**. دار الكتب العلمية، بيروت.

حمودة، محمود. (1999)**. الوثائق العثمانية في شمال اركيا ومصر ودول شمال أفريقيا، زواج – طلاق – بيع – إيجار – وقف – استبدال**. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

الحموي، شهاب الدين. (1997). **معجم البلدان**. مجلد 2، دار صادر، بيروت.

الحميري، محمد. (1984). **الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي**. ط2. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان، بيروت.

الخرشي محمد. (ب.ت). **شرح الخرشي لمختصر خليل**. جزء 6، دار الفكر، بيروت.

الخطيب، مصطفى. (1996). **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**. مؤسسة الرسالة، بيروت.

الخلف، عبد الله. (2003). **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**. جزء 1، ط1، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

دوزي، رينهارت. (1980). **تكملة المعاجم العربية**. جزء 1، ترجمة محمد النعيمي. وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

دوزي، رينهارت. (1997). **تكملة المعاجم العربية**. جزء 8، ترجمة محمد النعيمي، مراجعة جمال الخياط. وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

دوزي، رينهارت. (1999). **تكملة المعاجم العربية**. جزء 9، ترجمة جمال الخياط. وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الدولابي، الأنصاري. (2000). **الكنى والأسماء**. جزء 3، تحيق أبو قتيبة الفاريابي. دار ابن حزم، بيروت.

الذهبي، محمد (1374). **تذكرة الحافظ**. جزء 1، تحقيق عبد الرحمن المعلمي. دائرة المعارف العثمانية.

الرحبي، عبد العزيز. (1975). **فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج**. جزء 2، تحقيق أحمد الكبيسي. رئاسة ديوان الأوقاف الجمهورية العراقية، بغداد.

رولاندسون، جين. (2016). **ملاك الأراضي والملتزمون في مصر الرومانية، العلاقات الاجتماعية للزراعة في لإقليم البهنسا**. ترجمة آمال الروبي. المركز القومي للترجمة، القاهرة.

الزبيدي، محمد مرتضى. (1969). **تاج العروس من جواهر القاموس**. جزء 6، تحقيق حسين نصّار. مراجعة جميل سعيد وعبد الستار فراج. التراث العربي. سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت. 16. مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

الزبيدي، محمد مرتضى. (1998). **تاج العروس من جواهر القاموس**. جزء 30، تحقيق مصطفى حجازي. مراجعة أحمد مختار وآخران. التراث العربي. سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت. 16. مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

الزمخشري، جار الله. (1998). **أساس البلاغة**. جزء 2، تحقيق محمد السود. دار الكتب العلمية، بيروت.

السامرائي، إبراهيم. (1986). **التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية**. وزارة الثقافة والشباب والآثار، الأردن.

السامرائي، إبراهيم. (1987). **المجموع اللفيف، معجم في المواد اللغوية التاريخية الحضارية**. دار عمار، عمان.

السرخسي، محمد. (1993). **المبسوط**. جزء 19. دار المعرفة، بيروت.

السمعاني، عبد الكريم. (1996). **المنتخب من معجم شيوخ الإمام الحافظ أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي**. مجلد 2، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المجلس الأعلى. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

السمين الحلبي، أحمد. (د.ت). **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. جزء 5. تحقيق أحمد الخراط. دار القلم، دمشق.

السيوطي، جلال الدين. (1420ه). **سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي**. مجلد 4، جزء 7، تحقيق مكتب التراث الإسلامي. دار المعرفة، بيروت.

لسيوطي، جلال الدين. (2015). **الكنز المدفون والفلك المشحون**. تحقيق محي الدين الصغير. دار الكتب العلمية، بيروت.

الشابشتي، علي بن محمد. (2008). **الديارات**. الطبعة 3، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.

الشافعي، محمد بن إدريس. (2001). **الأم**. جزء 5، تحقيق رفعت عبد المطلب. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة/مصر.

شحادة، كامل. (1973). "تاريخ الطاحون كمؤسسة اقتصادية-دراسة وثائقية، القسم الثاني". **الحولية الأثرية العربية السورية**، المجلد 23، الجزءان1، 2.

الصالح، صبحي. (1417ه). **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**. منشورات الشريف الرضي، بيروت.

الصلابي، علي. (1998). **صفحات من التاريخ الإسلامي: دولة الموحدين**. صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي 5. دار البيارق للنشر، عمّان.

الطبراني، سليمان. (1995). **المعجم الوسيط**. جزء 1، تحقيق طارق محمد وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين، القاهرة.

الطريحي، فخر الدين. (2007). **مجمع البحرين**. مجلد 3، قسم 5-6، تحقيق أحمد الحسيني. موسسة التاريخ العربية، بيروت.

عابدين، معاذ والحموري، قاسم. (2016). "التزام الضرائب في الدولة العثمانية: دراسة تاريخية شرعية". **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد الإسلامي**، مجلد 29، عدد 3.

عابدين، معاذ. (2017). **التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية (974-1342ه/1566-1924م)**. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الاقتصاد الإسلامي، جامعة اليرموك.

عبد الفتاح، صفاء. (1991). **الإدارة المحلية في مصر زمن الولاة: 21-254ه/ 642-868م**. المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة.

عنان، محمد. (1990). **الدولة الإسلامية في الأندلس، العصر الثالث، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية**. مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.

غربالي، عائشة. (2006-2007). **منهج الألباني في تصحيح الحديث وتضعيفه**. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، أصول الدين، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

الفراهيدي، الخليل. (1410هـ). **كتاب العين**. جزء 5. ط2. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. مؤسسة دار الهجرة، إيران.

فرج، أمبارك. (2007). **تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام، 1-132ه/622-749م**. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الخرطوم.

الفيفي، محمد. (2005). **الدولة الرسولية في اليمن، دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، 802-827ه/1400-1424م**. الدار العربية للمسوعات، بيروت.

القرافي، أحمد. (د.ت). **الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق**. جزء 3، عالم الكتب، بيروت.

القمي، الحميري. (1413هـ). **قرب الإسناد**. مصادر الحديث الشيعية، قسم الفقه، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. مهر/قم، إيران.

الكاساني، مسعود. (1986). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**. جزء 7، الطبعة 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكرماني، شمس الدين. (1981). **كتاب الكواكب الداري في شرح صحيح البخاري**. جزء 11، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكفوي، أيوب. (1974). **الكليات**. دمشق، وزارة الثقافة.

الكندي، محمد. (1908). **الولاة وكتاب القضاة**. تصحصح رفن گست. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.

لسان الدين، الخطيب محمد. (1424هـ). **الإحاطة في أخبار غرناطة**. جزء 3. دار الكتب العلمية، بيروت.

لسان الدين، الخطيب محمد. (1975). **الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب**. المجلد 3، تحقيق محمد عنان. مكتبة الخانجي، القاهرة.

المالكي، عبد الله. (1994). **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**. جزء 2. طبعة 2. تحقيق بشير البكوش، راجعه محمد المطوي. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المجلسي، محمد باقر. (د.ت). **بحار الأنوار، العقود والإيقاعات**. كتاب 23. إحياء الكتب الإسلامية، قم/إيران.

محمد، أيمن. (2004). "العثمانيون ونظاما الالتزام والأمانات في مصر في القرن السادس عشر: دراسة في البدايات والتطبيق". **حوليات إسلامية**، عدد 38.

المصري، أنس. (2018). "منهج الألباني في تصحيح الحديث على شرط الشيخين". **مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)**، مجلد 26، عدد 2.

المعافري، محمد. (2007). **المسالك في شرح موطأ مالك**. جزء 6. قراءة وتعليق محمد السليماني وعائشة السليماني. تقديم يوسف القرضاوي. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية صادر من قطر 2018م. (قبل https://dohadictionary.org/root/)

المقريزي، تقي الدين أحمد. (1998). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**. جزء 1. تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي. مكتبة مدبولي، دار الأمين، القاهرة.

الموسوعة الفقهية. (1983). الجزء 1. الطبعة 2. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. دار السلاسل، الكويت.

الموسوعة الفقهية. (1988). الجزء 13. الطبعة 2. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. دار السلاسل، الكويت.

الموسوعة الفقهية. (1990). الجزء 19. الطبعة 2. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. دار السلاسل، الكويت.

الموسوعة الفقهية. (1995). الجزء 32. الطبعة 1. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.

الموصلي، أبي مسعود المعافى. (1999). **كتاب الزهد. يليه مسند المعافى بن عمران الموصلي**. سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية 12، 13. تحقيق عامر صبري. دار البشائر الإسلامية، بيروت.

النسائي، أحمد. (2001). **السنن الكبرى**. جزء 4. تحقيق وتخريج الأحاديث حسن شلبي. تقديم عبد الله التركي. إشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

النيسابوري، مسلم. (2001). **صحيح مسلم**. دار الكتب العلمية، بيروت.

الهمداني، أحمد. (1990). **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد الأكوع. مكتبة الإرشاد، صنعاء.

الوزير، عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد الصنعاني. (1985). **تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري**. جزء 1. تحقيق محمد عبد الرحيم جازم. دار المسيرة، بيروت.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى. (2011). **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**. جزء 6. تحقيق محمد عثمان. دار الكتب العلمية، بيروت.

يوسف، مي. (1999). "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي". **أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات**، مجلد 17، عدد 2.

Arabic References in English

ʿAbd al-Fattāḥ, Ṣ. (1991). *Al-ʾIdārah al-Maḥaliyah fī Miṣr Zaman al-Wulāh: 21-254H/642-868C*, al-Maṭbaʿah al-ʾIslāmiyah al-Ḥadīṯah, Qairo.

ʿĀbdīn, M. (2017). *Al-Tāriḫ al-ʾIqtiṣādi li-al-Dawlah al-ʿUṯmāniyah (974-1342H/1566-1924C)*, Dissertation, unpublished, Yarmouk University.

ʿĀbdīn, M. and al-Ḥammūri, Q. (2016). Al-ʾIltizām al-Ḍarāʾib fī al-Dawlah *al-ʿUṯmāniyah*, Dirāsah Tārīḫiyah Šarʿiyah. *King Abdulaziz University Journal, Islamic Economic*, vol. 29, no. 3, pp. 257-278.

ʾAbū Ṣafiyah, J. (2004). *Bardiyāt Šarīk bin Qurrah al-ʿAbsi, Dirasah wa Taḥqīq*, Taḥīq al-Turāṯ 5. The King Faisal Center for Islamic Studies, al-Riyāḍ.

ʾAbu ʿUbayd, B. (1996). *Al-ʾAmwāl*, Ḫalīl Harrās. Dār al-Fikr, Beirut.

Abū Yūsuf, Y. (1979). *Kitāb al-Ḫarāj*, part 2. Dār al-Maʿrifah li-al-Ṭibāʿh wa al-Našr, Beirut.

Abū Yūsuf, Y. (n.d.). *Kitāb al-Ḫarāj*, part 2. Ṭāha ʿAbd al-Raʾūf and Saʿd Muḥammad (edt.). al-Maktabah al-ʾAzhariyah li-al-Turūṯ, Qairo.

Al-ʾAkwaʿ, ʾIsmāʿīl. (1988). *Al-Buldān al-Yamāniyah ʿinda Yāqūt al-Ḥamawi*, Muʾsasit al-Risālah, Beirut and Maktabat al-Jalīl al-Jadīd, Ṣanʿāʾ.

Al-ʾAkwaʿ, ʾIsmāʿīl. (2003). *Al-Dawlah al-Rasūliyah fī al-Yemen, 626-858CE/1228-1454H*, issued from Adan Yniversity, Yemen Republic.

Al-ʾAsadi, al-Jiyāni. (2007). *Al-ʾIʿlām bi Nawāzil al-ʾAḥkam*, vol. 1. Yaḥya Murād. Dār al-Ḥadīṯ, al-Qahirah.

Al-ʾAtāki, Jamāl-ʾal-Dīn. (1993). *Al-Nujūm al-Zāhirah fī Mulūk wa al-Qāhirah*. Part 3. Muḥammad Šams ʾal-Dīn (edr). Dār al-Kutub al-ʿIilmiyah, Beirut.

Al-Ḍahbi, M. (1374H). *Taḏkirat al-Ḥāfiẓ*, part 1, ʿAbd al-Raḥman al-ʿAlami. Dāʾirat al-Maʿarif al-ʿUṯmāniyah.

Al-Dūlābi, ʾA. (2000). *Al-Kunā wa ʾAsmāʾ*, part 3, ʾAbū Qutaybah al-Fārābi (edt.). Dār ʾIbn Ḥazim, Beirut.

Al-Ḫalaf, ʿA. (2003). *Nuẓum Ḥukm al-ʾAmawyīn wa Rusūmuhum fī al-ʾAndalus*, part 1, Deanship of Academy Research, Islamic University, al-Madīnah al-Munawwarah.

Al-Ḥamawi, Š. (1997). *Muʿjam al-Buldān*, vol. 2. Dār Ṣādir, Beirut.

Al-Hamdāni, ʾA. (1990). *Ṣifat Jazīrat al-ʿArab*, Muḥammad al-ʾAkwaʿ (edt.). Maktabat al-Rašād, Sanʿāʾ.

Al-Ḫarši, M. (n.d). *Šarḥ al- Ḫarši li Muḫtaṣar Ḫalīl*, part 6, Dār al-Fikr, Beirut.

Al-Ḫaṭīb, M. (1996). *Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt wa al-ʾAlqāb al-Tārīḫiyah*, Muʾasasat al-Risālah, Beirut.

Al-Ḥijri, M. (1984). *Majmūʿ Buldān al-Yemen wa Qabāʾlihā*, vol. 1, part 1. ʾIsmāʿīl al-ʾKwaʿ (edt.). Ministry of Information and Culture.

Al-Ḥimyari, M. (1984). *Al-Rawḍ al-Miʿṭār fī Ḫabar al-ʾAqṭār, Muʿjam Juġrāfi*, 2ed edition. ʾIḥsān ʿAbbās (edr.). Maktabat Lubnan, Beirut.

Al-ʾIdrīsi, M. (2002). *Nuzhat al-Muštāq fī ʾIḫtirāq al-ʾĀfāq*, vol. 1. Many scholars (edt.). Maktabat al-Ṯaqāfa al-Dīnyah, al-Qahirah.

Al-Jāḥiẓ, ʿA. (n.d). *Al-Buḫalāʾ*, 7ed. Ṭāha al-ḥājiri (edt.). Dār al-Maʿārif, Qairo.

Al-Jahšyāri, ʿA. (1988). *Al-Wuzarāʾ wa al-Kuttāb*. Dār al-Fikr al-Ḥadīṯ, Beirut.

Al-Kafawi, ʾA. (1974). *Al-Kulyāt*, Damascus, Ministry of Culture.

Al-Karmāni, Š. (1981). *Kitāb al-Kawākib al-Dāri fī Šarḥ Ṣaḥīḥ al-Buḫāri*, part 11, Dār ʾIḥyāʾ al-Turāṯ al-ʿArabi, Beirut.

Al-Kāsāni, M. (1986). *Badāʾiʿ al-Ṣanāʾiʿ fī Tartīb al-Šarāʾiʿ*, part 7, 2nd edition, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyah, Beirut.

Al-Kindi, M. (1908). *Al-Wulāt wa al-Quḍāt*, Rivin Kist (edt.). Maṭbaʿat al-ʾĀbāʾ al-Yasūʿiyīn, Beirut.

Al-Maʿāfiri, M. (2007). *Al-Masālik fī Šarḥ Muwaṭʾ Mālik*, part 6. Muḥammad Al-Sulaymāni and ʿĀʾišah Al-Sulaymāni (edt.). Dār al-Ġarb al-ʾIslāmi, Beirut.

Al-Majlisi, M. (n.d.) *Biḥār al-ʾAnwār, al-ʿUqūd wa al-ʾĪqāʿāt*. Kitāb 23. ʾIḥyāʾ al-Kutub al-ʾIslāmiyah, Qum/Iran.

Al-Māliki, ʿA. (1994). *Riyāḍ al-Nufūs fī Ṭabaqāt ʿUlamāʾ al-Qīrawān wa ʾIfrīqiyah wa Zuhhādihim wa Nussākihim wa Siyar min ʾAḫbārihim wa Faḍāʾilihim wa ʾAwṣāfihim*, part 2, 2nd edition. Bašīr al-Bakūš. Dār al-Ġarb al-ʾIslāmi, Beirut.

Al-Maqrīzi, T. (1998). *Al-Mawāʿiẓ wa al-ʾIʿtibār bi Ḏikr al-Ḫiṭaṭ wa al-ʾĀṯār: Ḫiṭaṭ al-Maqrīzi*, part 1. Muḥammad Zeinhum and Madīḥa al-Šarqāwi. Maktabat Madbūli, Dār al-ʾAmīn, Qairo.

Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah. (1983). Part 1, 2nd edition. Ministry of ʾAwqāf and Islamic Affairs. Dār al-Salāsil, Kuweit.

Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah. (1988). Part 13, 2nd edition. Ministry of ʾAwqāf and Islamic Affairs. Dār al-Salāsil, Kuweit.

Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah. (1990). Part 19, 2nd edition. Ministry of ʾAwqāf and Islamic Affairs. Dār al-Salāsil, Kuweit.

Al-Mawsūʿa al-Fiqhiyah. (1995). Part 32, 1st edition. Ministry of ʾAwqāf and Islamic Affairs. Dār al-Salāsil, Kuweit.

Al-Mūṣili, al-M. (1999). *Kitāb al-Zuhd*. ʿĀmer Ṣabri (edt.). Dār al-Bašāʾir al-ʾIslāmiyah, Beirut.

Al-Nasāʾi, ʾA. (2001). *Al-Sunan al-Kubrā*, 4th edition. Šuʿayb al-ʾArnaʾūṭi (edt.). Muʾasasat al-Risālat li-al-Ṭibāʿah wa al-Našr, Beirut.

Al-Qarāfi, ʾA. (n.d.). *al-Furūq, ʾAnwār al-Burūq fī ʾAnwaʾ al-Furūq*, part 3, ʿAlam al-Kutub, Beirut.

Al-Qumi, al-Ḥ. (1413H). *Qurb al-ʾIsnād, Maṣādir al-Ḥadīṯ al-Šīʿiyah*, Qisim al-Fiqih, Muʾasasat ʾĀl al-Bayt, Qum, Iran.

Al-Raḥabi, ʿA. (1975). *Fiqh al-Mulūk wa Miftāḥ al-Ritāj al-Marṣid ʿlā Ḫizānat Kitāb al-Ḫarāj*, part 2, ʾAḥmad al-Kubaysi (edt.). Presidency of the Diwan of ʾAwqāf of the Republic of Iraq, Baghdad.

Al-Šābšti, ʿA. (2008). *Al-Dyārāt*, 2nd edition, Dār al-Madā li-Lṯaqāfah wa al-Našr, Damascus.

Al-Šāfiʿi, M. (2001). *Al-Umm*, part 5, Rifʿt ʿAbd al-Muṭṭalib (edt.). Dār al-Wafāʿ li-al-Ṭibāʿah wa al-Našr wa al-Tawzīʿ, al-Manṣūrah, Egypt.

Al-Ṣalābi, ʿA. (1998). *Ṣafaḥāt min al-Tārīḫ al-ʾIslāmi, Dawlat al-Muwaḥidīn*, Ṣafaḥāt min al-Tārīḫ al-ʾIslāmi fī al-Šamāl al-ʾIfrīqi 5, Dār al-Bayāriq li-al-Našr, Amman.

Al-Ṣāliḥ, Ṣ. (1417H). *Al-Nuẓum al-ʾIslāmiyah, Našʾatahā wa Taṭawuruhā*, Manšūrāt al-Šarīf al-Raḍi, Beirut.

Al-Samʿāni, ʿA. (1996). *Al-Muntaḫab min Muʿjam al-ʾImām al-Ḥāfiẓ ʾAbi Saʿīd ʿAbd al-Karīm al-Samʿāni*, vol. 2, Muwafaq bin ʿAbd Allah bin ʿAbd al-Qādir. Islamic University of al-ʾImām son of Suʿūd – The Higher Council. Dār ʿĀlam al-Kutub fo Publishing and Distribution, al-Riyāḍ.

Al-Samīn, al-Ḥ. (n.d.). *Al-Dur al-Maṣūn fī ʿUlūm al-Kitāb al-Maknūn*, part 5. ʾAḥmad al-Ḫarrāṭ. Dār al-Qalam, Damascus.

Al-Sāmirrāʾi, (1986). *Al-Takmilah li-al-Maʿājim al-ʿArabiyah min al-ʾAlfāẓ al-ʿAbbāsiyah*, Ministry of Culture and Youth, Jordan.

Al-Sāmirrāʾi, (1987). *Al-Majmūʿ al-Laftf, Muʿjam fī al-Mawād al-Luġawiyah al-Tārīḫiyah al-Ḥaḍāriyah*, Dār ʿAmmār, Amman.

Al-Sarḫasi, M. (1993). *AL-Mabsūṭ*, part 19. Dār al-Maʾʿrifah, Beirut.

Al-Sḥībāni, ʿA. (2013). ʾIjārat al-Nḫīl. *Majalat al-Buḥūṯ al-ʾIslāmiyah*, no. 100, pp. 281-344

Al-Suyūṭi, J. (1420H). *Sunan al-Nasāʾi bi Šarḥ Jalāl al-Dīn al- Suyūṭi, wa Ḥāšiyat al-Sindi*, vol. 4, part 7, Islamic Culture Office (edt.). Dār al-Maʿrifah, Beirut.

Al-Suyūṭi, J. (2015). *Al-Kinz al-Madfūn wa al-Fulk al-Mašḥūn*, Muḥy al-Dīn al-Ṣaġīr, Dār al-Kutub, al-ʿIlmiyah, Beirut.

Al-Ṭabarāni, S. (1995). *Al-Muʿjam al-Wasīṭ*, part 1, Ṭāriq Muḥammad and ʿAbd al-Muḥsin al-Ḥusayni (edrs.). Dār al-Ḥaramayn, Qairo.

Al-Tanūḫi, A. (1995). *Nišwār al-Muḥāḍarah waʾAḫbār al-Muḏākah*, vol. 1, ʿAbūd Šalḫi (edt.). Dār Ṣādir, Beirut.

Al-Tirmḏi, M. (1998). *Sunan Al-Tirmḏi, al-Jāmiʿ al-Kabīr*, vol. 3, Baššār Maʿrūf. Dār al-Ġarb al-ʾIslāmi, Beirut.

Al-Tsūli, A. (1994). *Al-Bahjah fī Šarḥ al-Tuḥfah*, vol. 2. Dār al-Fikr, Beirut.

Al-Ṭurayḫi, F. (2007). *Majmaʿ al-Baḥrayn*, vol. 3, parts 5-6, ʾAḥmad al-Ḥusayni (edt.). Muʾassat al-Tārīḫ al-ʿArabiyah, Beirut.

Al-Walnšūri, Y. (2011). *Al-Miʿyār al-Muʿarrab wa al-Jamiʿ al-Muġarrab ʿan Fatāwi ʾAhl ʾIfrīqah wa al-ʾAndalus wa al-Maġrib*, part 6. Muḥammad ʿUṯmān. Dār al-Kutub al-ʿIlmayah, Beitut.

Al-Wazīr, ʿA. (1985). *Tārīḫ al-Yemen ḫilāl al-Qarn al-Ḥādi ʿaAšar H.*, part 1. Muḥammad Jāzim. Dār al-Masīrah, Beirut.

Al-Zamaḫšari, J. (1998). *ʾAsās al-Balāġa*, part 2, Muḥammad al-Sūs (edt.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiayah, Beirut.

Al-Zubaydi, M. (1969). *Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qamūs*, part 6, Ḥasan Naṣṣār (edt.). Serial published by Ministry of Information, Al- Kuweit. The Government of Al-Kuweit Press, Al-Kuweit.

Al-Zubaydi, M. (1998). *Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qamūs*, part 30, Mustafa Ḥijāzi (edr.). Serial published by Ministry of Information, Al- Kuweit. The Government of Al-Kuweit Press, Al-Kuweit.

ʿAnān, M. (1990). *Al-Dawlah al-ʾIslāmiyah fī al-ʾAndalus, al-ʿAṣr al-Ṯāliṯ, al-Qisim al-ʾAwal, al-Murābiṭīn wa Bidāyat al-Dawlah al-Muwahidah*, Maktabat al-Madni, al-Muʾsasah al-Suʿūdiyah bi Miṣr, Qairo.

Beeston, A.F.L. (1977). "Crop-taxation of Client for their Lords, as Imposed by the Parton-Deity". *Corpus des inscriptions et Antiquité sud-arabes*. Tome I, section inscriptions. Académie des inscriptions et Belles-Lettres. Éditions Peeters – Louvain. Pp. 207-210.

Beeston, A.F.L. (1984). *Sabaic Grammar*. Journal of Semitic Studies. Monograph no. 6. University of Manchester. Imprimerie Orientalist – Louvain.

Beibīrs, H. (1957). *Waṣf ʾIfrīqiah al-Šimāliyah wa al-Ṣaḥrāwiyah, Nuzhat al-Muštāq fī ʾIḫtirāq al-ʾĀfāq*, written by Muḥammad Al-ʾIdrīsi, Maktabat Maʿhad al-Durūs al-ʿulyā al-Islāmiyah, Algeria.

Bell, H.I (editor). (1910/ 1973). *Greek Papyri in the British Museum: Catalogue, with Texts*. Vol. IV. The Aphrodito Papyri. With an Appendix of Coptic Papyri, edited by W.E. Crum. Printed by Order of the Trustees. Oxford University Press, Amen Corner – London; Cisalpino-Goliardica – Milano.

Bestoon, A.F.L., Ghul, M., Müller, W., and Ryckmans, J. (1982). *Sabaic Dictionary*, Éditions Peeters, Louvain-la-Neuve and Librairie du Beytouth.

Biella, J. (1982). *Dictionary of Old South Arabic: Sabaean Dialect*. Harvard Semitic Museum. Harvard Semitic Studies. Edited by Frank Moore Cross. No. 25 - USA.

Bierbrierm M. (2008). *Historical Dictionary of Ancient Egypt*. 2nd edition. Historical Dictionaries of Ancient Civilozations and Historical Eras, No. 22. Scarecrow Press, Inc. USA

Cahen, C. (1992). Bayt al-Mal. *Encyclopedia of Islam*. Vol. 1. New edition, apud El Fadl.

CIH: *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, pars quarta, Inscriptions Himyariticas et Sabaeas Contines.

Cowley, A. (1923). *Aramaic Papyri of Fifth Century B.C.* Oxford University Press - London.

Crum, W. (1939). *A Coptic Dictionary*. Clarendon Press - Oxford.

Dozy, R. (1980). *Supplément aux dictionnaires Arabes*, part 1, Moḥammad al-Nuʿaymi (tranlater). Ministry of Culture and Information, the House of General Affairs and Culture, Baghdad.

Dozy, R. (1997). *Supplément aux dictionnaires Arabes*, part 8, Moḥammad al-Nuʿaymi (tranlater). Ministry of Culture and Information, the House of General Affairs and Culture, Baghdad.

Dozy, R. (1999). *Supplément aux dictionnaires Arabes*, part 9, Jamāl al-Ḫayāṭ (tranlater). Ministry of Culture and Information, the House of General Affairs and Culture, Baghdad.

El-Fadl, Khaled. (1992). "Tax Farming in Islamic Law (Qibālah and Ḍamān of Kharāj): A Search for A Concept". *Islamic Studies*, vol. 4, no. 1. Pp. 5-32.

English References

Faraj, ʾIm. (2007). *Taṭawur Niẓām Mulkiyat al-ʾArāḍi fī al-ʾIslām*, 1-132H/622-749C, Dissertation, Unpublished, al-Ḫurṭūm University.

Fleet, K. (2003). "Tax-Farming in the Early Ottoman State". *The Medieval History Journak*. No. 6. Pp. 249-258.

Grohmann, A. (1934). *ʾAwrāq al-Burday al-ʿArabiyah bi Dār al-Kutub al-Miṣriyah*, book 1, Adolf Grihmann and Ḥasan Ibrahim (trans.). Dār al-Kutub al-Miṣriyah Print, Qairo.

Grohmann, A. (1955a). *ʾAwrāq al-Burday al-ʿArabiyah bi Dār al-Kutub al-Miṣriyah*, book 2, Ḥasan Ibrahim (trans.). Dār al-Kutub al-Miṣriyah Print, Qairo.

Grohmann, A. (1955b). *ʾAwrāq al-Burday al-ʿArabiyah bi Dār al-Kutub al-Miṣriyah*, book 1, Ḥasan Ibrahim (trans.). Dār al-Kutub al-Miṣriyah Print, Qairo.

Grohmann, A. (1967). *ʾAwrāq al-Burday al-ʿArabiyah bi Dār al-Kutub al-Miṣriyah*, book 4, Ḥasan Ibrahim (trans.). Dār al-Kutub al-Miṣriyah Print, Qairo.

Ḥammūdah, M. (1999). *Al-Waṯāʾiq al-ʿUṯmāniyah fī Šamāl ʾArkya wa Miṣr wa Duwal Šimāl ʾAfriqya, Zawāj-Ṭalāq-Bayʿ- Waqf-ʾIstibdāl*, Dār Ġarīb for Publishing and Distribution.

Healey, J. (2004). "A Nabataean Papyrus Fragment (Bodleian MS Heb. d. 89)". *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, Bd. 146. Pp. 183-188.

Hoftijzer, J. (1995). and Jongeling, K.: *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions*. Netgerland – Brill, Leiden.

Huehnergard, J. (2011). "Proto-Semitic Language and Culture". In *The American Heritage Dictionary of English Language*. 5th edition. Boston, New York – Houghton Mifflin Hardcourt. www.dictionary.com/e/word-of-the-day/gabelle.

ʾIbn ʾAbi Ḥātim, ʿAbd al-Raḥman. (1997). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm Musnadan ʿan Rasūl Allah - ṣalla Allah ʿalihi wa sallam- wa al-Ṣaḥābah wa al-Tābiʿīn*, vol. 1, ʾAsʿad al-Ṭayib (edt.). Studies and Researches Center. Makkah, al-Riyāḍ.

ʾIbn al-ʾAṯīr, M. (1963). *Al-Nihāyah fī Ġarīb al-Ḥdīṯ*, vol. 1, 4. Muḥammad al-Ṭanāji (edt). Dār ʾIḥyāʾ al-Turāṯ al-ʿArabi, Beirut.

ʾIbn Hišām, ʿA. (1990). *Al-Sīrah al-Nabawiyah*, part 3, 3rd edition. ʿOmar Tadmuri (edt.). Dār al-Kitāb al-ʿArabi, Beirut.

ʾIbn ʾIsḥāq, M. (2004). *Al-Sīrah al-Nabawiyah*, vol. 2. ʾAḥmad al-Mazīdi (edt.). Dār al-Kutub al-ʿIilmiyah, Beirut.

ʾIbn Manẓūr, M. (n.d.). *Lisān al-ʿArab*. ʿAbd al-Kabīr, Muḥammad Ḥasab Allah and Hāšim al-Šāḏili (edt.). Dār al-Maʿārif, Qairo.

ʾIbn Ṣāḥib al-Ṣalah ʿAbd al-Malik. (1987). *Al-Man bi al-ʾImāmah, Tārīḫ Bilād al-Maġrib wa al-ʾAndalus fī ʿAhd al-Muwaḥidīn*, 3rd edition. ʿAbd al-Hādī Tāzī (edt.). Dār al-Ġarb al-ʾIslāmi, Beirut.

ʾIbn Sallām, ʾAbu ʿUbaid. (1989). *Kitāb al-ʾAmwāl*, Muḥammad ʿAmārah (edt.). Dār al-Šarq, Beirut, Qairo.

ʾIbn Taymiyah, ʾA. (2004). *Majmūʿ Fatāwi Šeiḫ al-ʾIslām ʾAḥmad bin Taymiyah, Kutub al-Fiqh, al-Bayʿ*, vol. 29, part 9, vol. 30, collected by ʿAbd al-Raḥmān Muḥammad and Muḥammad ʿAbd al-Raḥmān. King Fahd Academy for the Printing of the Nobel Qurʾān, al-Madīhah al-Munawarah.

ʾIbn Taymiyah, ʾA. (2005). *Majmūʿ Fatāwi Šeiḫ al-ʾIslām ʾAḥmad bin Taymiyah, Kutub al-Fiqh, al-Bayʿ*, vol. 29, part 9, 3rdprint, ʿĀmer al-Jazār and ʾAnwar al-Bāz (edt.). Dār al-Wafāʾ for Publishing and Distribution, Al-Manṣūrah.

ʾIbn Zanjawayh, Ḥ. (1986). *Kitāb al-ʾAmwāl*, 2 parts. Šākir Fayāḍ. The King Faisal Center for Islamic Studies.

Ja = Jamme, A. (1972). *Miscellanées d'aneient arabe*. III. Washington, D.C.

Jastrow, M. (1903). *A Dictionary of the Targumim,the Talmud Babli and Yerushlimi, and the Midrashic Literature*. Vol. 1. London-W.C. Luzac & Co. – New York – G.P. Putnam'ss Son.

Jāzim, M. (edr.). (2003), *Nūr al-Maʿārif fī Nuẓum wa Qawānīn waʾAʿrāf al-Yemen fīʿAhd al-Maẕfari al-Wārif*, part 1, Centre Français d' Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa, Sanaa.

Lévi-Provençal, É. (1955). *Trois Traités Hispaniques de Ḥisba (texte arabe)*. Documents Arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident Musulman au moyen âge. Publiaés avec une introduction et un glossare. Imprimerme de l'institut Françis D'archéologie Orientale, le Cairo.

Lisān al-Dīn, al-Ḫ. (1424H). *Al-ʾIḥāṭa fīʾAḫbār Ġirnāṭa*, part 3. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyah, Beirut.

Lisān al-Dīn, al-Ḫ. (1975). *Al-ʾIḥāṭa fīʾAḫbār Ġirnāṭa*, vol. 3, Muḥammad ʿAnān (edt.). Maktabt al-Ḫānji, Qairo.

Mountford, M. (2012). *Documented Papyri from Roman and Byzantine Oxyrhyncus*. Submitted for the Degree of PhD in Papyrology. University College - London.

Muḥammad, ʾA. (2004). Al-ʿUṯmānyūn wa Niẓām al-ʾIltizām wa al-ʾAmānāt fī Miṣr fī al-Qarn al-Sādis ʿAšar: Dirāsah fī al-Bidāyāt wa al-Taṭbīq. *Annales Islamologiques* 38, pp. 17-56.

Naveh, J. (1982). *Early History of the Alphapet*. The Magnes Press, the Hebrew University, Jerusalem. Leiden, Brill.

Newman, R. (1932). *The Agricultural Life of the Jews in Babylonia: Between the Years 200 C.E. and 500 C.E.*Oxford Universaity Press – London.

Ricks, S. (1989). *Lexicon of Inscriptional Qatabanian*. Editrice Pontificio Isstituto Biblico, Roma. Studia Pohl. Dissertiones Scientificae de Rebus Orientis Antiquo 14.

Rowlandson, J. (1999). "Agricultural Tenancy and Village Society in Roman Egypt". *Proccding of the British Academy*, 96. Pp. 139-158.

Rowlandson, J. (2016). *Landowners and Tenants in Roman Egypt, the Social Relations of Agriculture in the Oxrhynchite Nome*. ʾĀmā al-Rūbi (trans.). The Center of National for Translation, Qairo.

Šiḥādah, K. (1973). Tārīḫ al-Ṭāḥūn ka Muʾssash ʾIqtiṣādiyah, Dirāsah Waṯāʾqiyah, part 2, *Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes*, vol. 23, parts 1, 2, pp. 241-273.

Smith, P. (1903/1985). *A Compendious Syriac Dictionary*. The Clarendon Press, Oxford.

The Historical Dictionary of Dawḥ for Arabic Language, 2018, **(**https://dohadictionary.org/root/ قبل)

Yardeni, A. (2000). *Textbook of Aramaic, Hebrew and Nabataean: Documentary Texts from the Judaean Desert and Related Material: A, The Documents*. The Hebrew University, the Ben-Zion Dinur Center for Research in Jewish History - Jerusalem.

Yardeni, A. (2014). "A List of the Arabic Words Appearing in Nabataean and Aramaic Legal Documents from the Judaean Desert". *Scripta Classica Israelica*, vol. 33. Pp. 301-324.

Yūsuf, M. (1999). Našwār al-Muḥḍir waʾAḫbār al-Mḏākarh lil-al-Qāḍi al-Tanūḫi, *Abhath al-Yarmouk, Literature and Linguistic Series*, vol. 17, no. 2, pp. 9-56.

التحليل الجغرافي لأهم العوامل الجغرافية المؤثرة في إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية 1975م ـ 2015م

صالح بن محمد المالكي*

تاريخ الاستلام 2022/03/16 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.8 تاريخ القبول 2022/06/28

الملخص

هدفت هذه الدراسة بشكل عام إلى التحليل الجغرافي لأهم العوامل الجغرافية المؤثرة في إنتاج النخيل في المملكة العربية السعودية، والذي يرى الباحث أنها تؤثر بشكل مباشر في إنتاج التمور، وهي: السكان، والحرارة، والأمطار، والرطوبة، ومتوسط درجة ملوحة التربة ومدى صلاحيتها، ومدى تأثيرها، وربط هذه العوامل مع إنتاج محصول التمور في المملكة العربية السعودية للفترة ما بين 1975م ــ2015م. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهجين التاريخي والتحليلي؛ وكان ذلك عن طريق أداة نظم المعلومات الجغرافية، والتي استخدمت في تحليل المعلومات المكانية للدراسة من خلال التحليل الإحصائي المكاني (spatial statistics tools)، والتحليل الجيو إحصائي الذي توفره أدوات البرنامج GIS Desktop (Arc) لدراسة العلاقات الارتباطية بين المتغيرات، كما حلّل الباحث بيانات الدراسة في هذا المنهج باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، والمتمثلة في التوزيع التكراري، والنسب المئوية، والرسوم البيانية، والمتوسط الحسابي لمتغيرات الدراسة.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج كان من أهمها: العلاقة الارتباطية بين متغيري إنتاج التمور في المملكة ومتوسط درجات حرارة فصل الصيف للفترة ما بين 1975م ـ 2015م علاقة طردية قوية بلغت قوتها بمقياس بيرسون (0.66). وبينت الدراسة طبقًا للتحليل المكاني أن متوسط ملوحة التربة في المملكة العربية السعودية بلغت 5.19 ملليموز/ سم، أي نحو 5190 جزءًا في المليون. وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات كان من أهمها: جميع مناطق إنتاج التمور في المملكة تقع ضمن المنطقة ذات التربة الآمنة لزراعة النخيل، والواقعة ما بين (1500 -6000) ppm، ماعدا منطقة المدينة المنورة، والتي ارتفعت بزيادة طفيفة لم تتجاوز (6062.31) ppm، وينبغي التعاون بين الجهات الحكومية ذات العلاقة لاستصلاح التربة القابلة للاستصلاح، والتي يمكن أن تُسهم في رفع كميات إنتاج التمور إلى نحو 500%.

الكلمات المفتاحية: التربة الآمنة للزراعة، التوزيع الحجمي، معدل الحرارة السنوي، طبيعة النخلة الفسيولوجية.

المقدمة

احتلت حرفة الزراعة مكانة خاصة على مر التاريخ؛ بوصفها أهم الركائز الأساسية للتنمية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي العقود الثلاثة الماضية تقدمت لتصبح ركيزةً للتنمية ببعدها البيئي أيضًا، بما ينطوي على ذلك من حفاظ على التنوع الحيوي والتوازن البيئي الذي يكفل ديمومة الموارد وحفظ حقوق الأجيال القادمة فيها، ويؤمّن ظروف التنمية المستدامة. وبنت جميع الدول بما فيها المتقدمة منها استراتيجياتها الزراعية على هذا الأساس، فلم تتوقف عند البعد الاقتصادي المباشر للزراعة، بل نظرت فيما هو أعمق من ذلك متمثلًا في البعدين الاجتماعي والبيئي للتنمية الزراعية وارتباطهما مع البعد الاقتصادي.

ورافقت النخلة الإنسان منذ أقدم العصور والحقب التاريخية المختلفة، فهي النبتة الوحيدة التي ورد ذكرها في جميع الكُتب السماوية، كما خصّها أكثر الكتّاب والفلاسفة العرب في كتبهم ومؤلفاتهم وبحوثهم وأشعارهم، كما قُدّست النخلة عند كثير من الأقوام والحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند،وفي الجزيرة العربية قبل الإسلام (Hussain,2002).

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم العلوم الإدارية والإنسانية بكلية الملك عبد العزيز الحربية، المملكة العربية السعودية.

وشهدت المملكة العربية السعودية نهضة زراعية شاملة خلال العقدين الماضيين. من خلال خطط التنمية الخمسية المتتابعة التي أولت الزراعة اهتماماً كبيراً؛ بهدف إنتاج قدر معقول من الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي، وتطوير المجتمعات الريفية والبدوية، وتحقيق فرص عمل تزايدية للسكان المزارعين، والتي كان من أبرزها تلك السياسات المتعلقة بالدعم الزراعي، وتوزيع الأراضي البور، والإقراض الزراعي بدون فوائد، وتقديم الإعانات للمزارعين وللمشروعات الزراعية. وكان نتيجة تلك السياسات حدوث طفرة في حجم الإنتاج الزراعي ترتب عليها تحقيق الاكتفاء الذاتي في بعض المنتجات الزراعية وتحقيق فائض للتصدير في البعض الآخر (Mallah and Husseini, 2013).

ونتيجة لذلك أسهمت المساحة الكبيرة للدولة والتنوع النوعي للمناخ إلى تنوع أصناف التمور، حيث تجاوزت 450 صنفًا من الأصناف العالمية الفاخرة، موزعة على نطاق متباين ضمن عدة مناطق أهمها: المنطقة الوسطى، والمنطقة الغربية، والمنطقة الشرقية، وأجزاء قليلة من المنطقة الجنوبية.

من أجل ذلك اهتم الباحثون في مجال الجغرافيا الاقتصادية بتحليل النشاطات الاقتصادية، وتوزيعها، وذلك من خلال معرفة العوامل أو المتغيرات الجغرافية المؤثرة في توزيع هذه النشاطات، وانتشارها (Alhadithia, 2000).

مشكلة الدراسة وأهدافها والدراسات السابقة

مشكلة الدراسة وأهميتها

تُعد التمور من أهم الثروات الوطنية إلى جانب الثروات الطبيعية كالنفط والموارد الأخرى في المملكة العربية السعودية، وتُعد المملكة العربية السعودية من الدول الرئيسة المنتجة للتمور؛ لتميزها بإنتاج أصناف عديدة ومتنوعة، مما يعقد الآمال على إعطاء هذا المورد بعده الاقتصادي والاجتماعي المهم، والذي يسهم في زيادة الإنتاج المحلي للدولة.

ورغم الدعم الحكومي والاهتمام بعمليات التوسع المساحي لإنتاج التمور، إلا أن هناك تباينًا نسبيًا ملحوظًا بين كميات إنتاج التمور وتوسعها بين مناطق المملكة، وهذا يشير إلى العديد من التساؤلات حول واقع إنتاج التمور، ومعرفة أسباب هذا التباين، وما يواكبه من ضعف في الحركة التجارية الداخلية والخارجية، أضف إلى ذلك قلة الدراسات الجغرافية التي اهتمت بدراسة التمور وتحليلها خاصةً تلك الدراسات التي تعتمد على البعد التقني المتطور.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة جغرافية تحليلية تهتم بدراسة التوزيع والتحليل الجغرافي حسب مناطق المملكة، وهي من الدراسات القليلة جداً، التي تعطي بعداً وأهميةً كبرى لمخططي وواضعي السياسات الاقتصادية والزراعية.

كما تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال ارتباطها بالبعدين الاقتصادي والاجتماعي لمنظومة التنمية الاقتصادية المستدامة، كونها أتت مواكبة لحاجة السياسات الزراعية في البلاد، والتي تتماشى مع أهداف الخطة الخماسية المستحدثة للدولة للفترة ما بين 2015-2020م. (برنامج التحّول الوطني) ورؤية المملكة 2030.

هدف الدراسة وأسئلتها

تهدف الدراسة بشكل عام إلى التحليل الجغرافي لأهم العوامل الجغرافية المباشرة التي يرى الباحث أنها تؤثر بشكل مباشر في إنتاج التمور، وهي: السكان، والحرارة، والأمطار، والرطوبة، ومتوسط درجة ملوحة التربة ومدى صلاحيتها، ومدى تأثيرها، وربط هذه العوامل مع إنتاج محصول التمور في المملكة العربية السعودية للفترة ما بين 1975م- 2015م. ويمكن أن يتحقق هذا الهدف العام من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. ما مدى تأثير كل من عوامل السكان والحرارة والأمطار والرطوبة ومتوسط درجة ملوحة التربة في إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية؟
2. كم يبلغ متوسط ملوحة التربة الملائمة لزراعة النخيل في المملكة العربية السعودية؟
3. ما مناطق إنتاج التمور في المملكة، والتي تقع ضمن نطاق التربة الآمنة لزراعة النخيل؟

الدراسات السابقة

تعد الدراسات السابقة ذات العلاقة مصدراً علمياً مهماً للدراسة الحالية، وذلك بالاطلاع على المنهجية العلمية، ومعالجة البيانات المتبعة في هذه الدراسات، والتعرف على ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات قد تضيف للدراسة الحالية بعداً وأصالة بحثية تسهم في تحقيق الأهداف.

ورغم وجود الكثير من الدراسات عن النخيل والتمور وصناعتها بوجه عام، والتي أسهمت في تمحور فكرة هذه الدراسة، إلا أن نصيب الدراسات الجغرافية التحليلية المعتمدة على التقنية الحديثة في هذا المجال قليلة جداً ومحدودة. ويمكن استعراض أهم الدراسات السابقة وفق الآتي:

- درس الجاسم (2009م) أثر العوامل المناخية على إنتاج النخلة في العراق. واستخدم الباحث المنهج الوصفي المعتمد على التحليل باستخدام برنامج SPSS وبعض البرامج الحاسوبية الأخرى، واعتمدت الدراسة على التركيز على 10 محطات مناخية تعد من أهم المحطات لزراعة النخيل؛ وذلك للكشف عن التباين في كميات إنتاج التمور وإنتاجية النخلة. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها ما يلي:

1. كان لعامل الأمطار خلال مرحلة التلقيح أثر سلبي على إنتاجية النخلة في منطقة الدراسة وخاصة المناطق الجنوبية منها.
2. يعد السطوع الشمسي (الحرارة) من العوامل الأساسية والمهمة في إنتاجية النخلة خاصة في وقت التزهير؛ إذ يساعد طول الفترة الضوئية على تهيئة النخلة للإنتاج.
3. تباين الحرارة من منطقة إلى أخرى يسهم في تباين وقت تلقيح النخيل.
4. كان للرطوبة دور واضح على إنتاجية التمور وخاصة في المناطق التي ترتفع فيها الرطوبة النسبية؛ لأنها تزيد من تكاثر الحشرات وكثير من الأمراض النباتية.

- استعرضت حنون (2013م) الحدود المناخية لزراعة النخيل وإنتاجها في محافظة واسط، وهدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة الجوهرية بين المناخ وإنتاج النخيل في محافظة واسط، وقد افترضت الدراسة أن المناخ عامل محدد لزراعة النخيل وإنتاجها في محافظة واسط، واستخدمت الباحثة المنهج التحليلي المعتمد على التقنية الحديثة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان من أهمها ما يلي:

1. أثبتت التحليلات الإحصائية مدى قوة العلاقة بين العناصر المناخية ومتوسط إنتاجية أشجار النخيل؛ نظراً لدور الحرارة وتأثيرها المميز على أشجار النخيل ومن ثم على الإنتاج.
2. يزداد مجموع الوحدات الحرارية المتجمعة خلال فصل نمو النخيل تدريجياً ابتداءً من شهر نيسان ليصل ذروته في تشرين الأول، ويبقى مرتفعًا في أشهر الإنتاج أو النضج.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

منهج البحث

نظراً لتعدد أهداف الدراسة، ورغبة الباحث في تحقيق هذه الأهداف بطريقة علمية صحيحة، تم اختيار منهجين لهذه الدراسة؛ وذلك وفق الآتي:

1. المنهج التاريخي، وكان ذلك من خلال دراسة تطور النخيل وإنتاج التمور وفق المرحلة الممتدة من العام 1975م إلى 2015م.
2. المنهج الكمي (التحليل المكاني)؛ حيث اعتمد على تحليل البيانات الرقمية التي تم جمعها ونمذجتها، وإيجاد أثر بعض المتغيرات الجغرافية في ظاهرة إنتاج التمور، وإيجاد العلاقات المتبادلة المختلفة والمؤثرة على التوزيع وأسباب تباينها، وذلك من خلال توظيف تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في التحليل المكاني، وبرنامج (spss) في التحليل الإحصائي وبعض البرامج الحاسوبية الأخرى مثل: برنامج إكسل (Excel).

مصادر البيانات

للحصول على البيانات اعتمدت هذه الدراسة على الإحصاءات، والتقارير، والدراسات ذات العلاقة الصادرة من الجهات الحكومية وغير الحكومية كالهيئة العامة للإحصاء، والندوات الجغرافية، والتعدادات الزراعية السنوية الصادرة من وزارة البيئة والمياه والزراعة، وصندوق التنمية الزراعية، والمركز الوطني للتمور، ومراكز وكراسي البحث الخاصة بإنتاج التمور في بعض مناطق المملكة.

المعالجة الإحصائية

اعتمدت هذه الدراسة على (التحليل المكاني)، باستخدام أداة نظم المعلومات الجغرافية، وهي من أهم أدوات البحث الجغرافي التي تستخدم في تحليل المعلومات المكانية، وذلك من خلال التحليل الإحصائي المكاني spatial statistics tools (Obeidat, 2013).

وتحديداً تم الحصول على بيانات الدراسة عن طريق المؤسسات الرسمية، بعد مراجعتها والتأكد من صحتها، وجدولتها. بعد ذلك تم بناء قاعدة بيانات مكانية من النوع File Geodatabase، ثم بناء طبقات فرعية layers تختص بأشجار النخيل في المملكة وكميات الإنتاج ومساحته، بالإضافة إلى المتغيرات الجغرافية المعنية بالدراسة، وهي: درجات الحرارة، وحجم السكان على مستوى المناطق لعام 2015م، وطبقات ملوحة التربة على مستوى المملكة polygon feature class، وخريطة تصنيف التربة حسب وحداتها، وخريطة صلاحية التربة polygon feature class، والرطوبة الجوية، والأمطار.

كما اعتمدت الدراسة على التحليل الجغرافي لمساحة أشجار النخيل وإنتاجها في المملكة العربية السعودية، وذلك من خلال تحليل المتغيرات الجغرافية وعلاقتها بإنتاج التمور في مناطق المملكة المختلفة، أو ما يسمى علمياً بالتحليل الجيو إحصائي، الذي توفره أدوات البرنامج ArcGIS Desktop، وبناء الطبقات المكانية المختلفة بالاعتماد على البيانات التابعة للمؤسسات الحكومية الرسمية، ومنها المحطات المناخية على مستوى المملكة Point feature class وطبقات خلوية لمتغيرات المناخ، ومعدل درجات الحرارة العامة. كما اعتمدت الدراسة على استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) من خلال التوزيع التكراري، والرسوم البيانية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لتحليل معامل بيرسون لدراسة العلاقة بين العوامل الجغرافية وإنتاج التمور في المملكة.

وبناءً على ذلك توصلت الدراسة إلى كشف حالات التباين على مستوى الوحدة المكانية، وذلك من خلال معرفة مدى تأثير أهم العوامل الجغرافية مثل: الحرارة، والسكان، والرطوبة، والأمطار، وملوحة التربة، ومناطق التربة الصالحة للزراعة على إنتاج التمور، ومدى ارتباطها بالتوسع الجغرافي لإنتاج التمور في المملكة، وانتهاءً بإنتاج خرائط وجداول ورسوم بيانية تم تحليلها وقراءاتها، وإيضاح أهم النتائج والارتباطات التحليلية التي حققت الهدف الرئيس من هذه الدراسة.

التحليل الجغرافي لأهم العوامل الجغرافية المؤثرة في إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية

تقع المملكة العربية السعودية فلكياً ضمن المنطقة الصحراوية الجافة بين خطي عرض 16ـ 32 شمالًا وخطي طول 36 ـ 56 شرقًا، وتبلغ مساحة المملكة 2 مليون كم مربع، ووصلت المساحة المزروعة بالنخيل في نهاية عام 2015م 157653هكتاراً (The ministry of Environment, 2016).

وتختلف طبوغرافية المملكة العربية السعودية من منطقة إلى منطقة متضمنة السهول الساحلية والوديان والجبال الشاهقة، وأسهمت هذه الاختلافات في تباين العوامل الجغرافية من منطقة إلى أخرى.

وأسهم هذا التذبذب في تنوع المناخ من منطقة إلى منطقة أخرى، والذي بدوره كان له أثر على عمليات زراعة النخيل وتباين زراعتها، وتوسع مساحتها وأعدادها، فعلى سبيل المثال بلغت أعداد النخيل في المملكة في العام 2006م (22.287.857) نخلة، وتطور هذا العدد في العام 2010 ليصل إلى (23.437.090) نخلة، وبزيادة نسبية تجاوزت (5%) عن العام 2006م.

ومع الاهتمام بالعمليات الزراعية، من قبل المزارعين، متمثلًا في إعانة فسائل النخيل منذ عام 1397هـ، بقيمة 50 ريالًا عن كل فسيلة، وإعانة إنتاج التمور بواقع 250 ريالًا/طن منذ عام 1396هـ، ومنع تصدير فسائل النخيل خارج المملكة، كل ذلك أسهم بشكل تراكمي في ارتفاع أعداد النخيل في المملكة في العام 2015م لتتجاوز (28.570.804) نخلة. انظر الشكل (1).

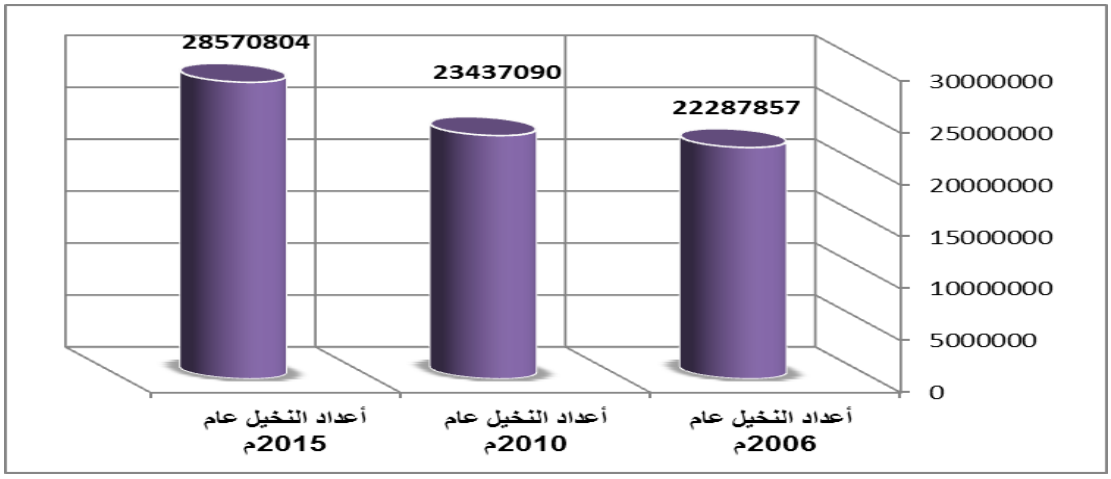

الشكل (1): التطور الكمي لأعداد النخيل في المملكة للأعوام 2006م، و2010م، و2015م

من جهة أخرى رافق هذا التوسع في أعداد النخيل زيادة في المساحات الجغرافية لزراعة النخيل، ومن ثم كان هناك تزايد في كميات الإنتاج؛ إذ بلغت المساحة المزروعة بالنخيل في المملكة في العام 2015م (157653) هكتاراً، وبواقع إنتاج تجاوز (1230599) طناً، مدعوماً بالتطور الزراعي والدعم الحكومي الذي تقدمه الدولة للمواطنين، وبقوة الحركة الاقتصادية، وتنوع أسواق التمور، وظهور مهرجانات الترويج والبيع لمنتوجات التمور داخل وخارج المملكة. (انظر الجدول (1)).

الجدول (1): التوزيع الجغرافي والأهمية النسبية لمساحة التمور وإنتاجها في مناطق المملكة العربية السعودية للعام 2015م

المنطقة	المساحة (هكتار) Area	النسبة (%)	الإنتاج (طن) Prod	النسبة (%)
الرياض	42408	26.9	380211	30.9
مكة المكرمة	7783	4.9	37976	3.1
المدينة المنورة	18297	11.6	133123	10.8
القصيم	39081	24.8	247419	20.1
الشرقية	15365	9.7	229431	18.6
عسير	4356	2.8	24369	2.0
تبوك	4257	2.7	27793	2.3
حائل	17647	11.2	94121	7.6
الحدود الشمالية	586	0.4	602	0.0
جازان	107	0.1	639	0.1
نجران	2598	1.6	12529	1.0
الباحة	382	0.2	2465	0.2
الجوف	4786	3.0	39921	3.2
المجموع	**157653**	**100**	**1230599**	**100**

* المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات وزارة البيئة والمياه والزراعة، 2016م.

ونظراً للدور الجوهري لبعض العوامل الجغرافية في التأثير المباشر في عمليات زراعة التمور وإنتاجها في المملكة العربية السعودية، عمل الباحث على التحليل الجغرافي لأهم العوامل المؤثرة في عمليات إنتاج التمور في المملكة تبعًا لتوفر البيانات، وذلك من خلال الربط بين متغير إنتاج التمور كمتغير تابع، ومتغيرات: الحرارة والرطوبة، والسكان، والأمطار، وملوحة التربة، والمساحات الصالحة للزراعة كمتغيرات مستقلة؛ للوصول إلى إنتاج خرائط رقمية يتم قراءتها وتحليلها ليتحقق من خلال نتائجها وتفسيراتها أهداف الدراسة. (انظر منهجية الدراسة).

التوزيع الحجمي والنسبي للسكان في المملكة العربية السعودية وعلاقته بإنتاج التمور

يُعد التوزيع السكاني من الموضوعات التي يوليها الجغرافيون أهمية خاصة؛ لكونه المرآة التي تنعكس من خلالها كثير من العناصر الجغرافية المتشابكة طبيعية كانت أم بشرية في المناطق المختلفة، ومنها: توزيع المزارع، وحجم إنتاج النخيل، ولما قد تظهره تباينات حجم السكان في الوحدات الإدارية من تأثير على عملية الزراعة بشكل عام وزراعة النخيل بشكل خاص، ومن هنا يتضح دور العلاقة التبادلية التي قوامها السكان والتنمية، ففهم العلاقات السكانية يعد أساسًا لفهم كثير من المتغيرات التي تهم المخططين وصناع القرار والمهتمين بالدراسات الإنسانية؛ لأنها العامل المؤثر في توزيع كافة الخدمات (Ghonim, 1991).

ويُقَدر عدد سكان المملكة العربية السعودية وفقًا لنتائج المسح الديمو جرافي الذي أجري نهاية العام 2015م (31742308) نسمة مقارنةً بـ (27236156) نسمة خلال تعداد 2010م، وذلك بزيادة مقدارها (4506152) نسمة، ونسبة (16.54%) وبمعدل نمو سنوي بلغ (2.54%). ويتوزع السكان في المملكة حسب الجنس بما نسبته (57.44%) ذكوراً، و(42.56%) إناثًا، من جملة السكان (General Authority for Statistics, 2016).

كما يتوزع سكان المملكة جغرافيًا بشكل متباين على ثلاث عشرة منطقة إدارية، فعلى حسب الجنس والجنسية تحتل منطقة مكة المكرمة المركز الأول بين جميع المناطق الإدارية بالمملكة من حيث النسبة المئوية لإجمالي السكان بها، وتليها على الترتيب: منطقة الرياض، والمنطقة الشرقية، ومنطقة عسير، ومنطقة المدينة المنورة، ومنطقة جازان، ومنطقة القصيم، ومنطقة تبوك، ومنطقة حائل، ومنطقة نجران، ومنطقة الجوف، ومنطقة الباحة، ومنطقة الحدود الشمالية.

وبالنسبة للسكان السعوديين فتحتل منطقة الرياض المركز الأول من حيث نسبة السكان السعوديين القاطنين فيها، وتليها على الترتيب: منطقة مكة المكرمة، والمنطقة الشرقية، ومنطقة عسير، ومنطقة المدينة المنورة، ومنطقة جازان، ومنطقة القصيم، ومنطقة تبوك، ومنطقة حائل، ومنطقة نجران، ومنطقة الجوف، ومنطقة الباحة، ومنطقة الحدود الشمالية. بينما تأتي منطقة مكة المكرمة في الترتيب الأول بين مناطق المملكة من حيث النسبة المئوية لإجمالي السكان غير السعوديين القاطنين فيها، ثم تليها منطقة الرياض. (انظر الجدول (2)).

الجدول (2): التوزيع النسبي والحجمي لسكان مناطق المملكة وعلاقته بإنتاج التمور للفترة 1975م – 2015م

المنطقة	عدد السكان (2015)		متوسط إنتاج التمور (1975. 2015م)	
	نسمة	%	(طن)	%
الرياض	8.002.100	25.2	7.577.756	46.4
مكة المكرمة	8.325.304	26.2	2.160.459	7.5
المدينة المنورة	2.080.436	6.6	3.149.126	11
القصيم	1.387.996	4.4	4.287.321	14.9
المنطقة الشرقية	4.780.619	15.1	4.453.712	15.5
عسير	2.164.172	6.8	2.026.370	7.1
تبوك	890.922	2.8	781.783	2.7
حائل	684.619	2.2	2.695.079	9.4
الحدود الشمالية	359.235	1.1	3632	0.0
جازان	1.533.680	4.8	13335	0.0
نجران	569.332	1.8	489.706	1.7
الباحة	466.384	1.5	112.220	0.4
الجوف	497.509	1.6	947.585	3.3
الجملة	31.742.308	100	28.698.084	100
نتيجة الارتباط	معامل ارتباط بيرسون (0.67)*			

* المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة العامة للإحصاء 2016م.

(*) حساب الباحث.

ومن الجدول السابق رقم (2) يمكن تقسيم المملكة وفقًا لحجم إنتاج التمور، وعلاقتها بالسكان إلى ستة مستويات:

- مناطق ضخمة الإنتاج تزيد أحجامها عن (7000.000 طن)، وتضم منطقة الرياض النسبة الأكبر من جملة عدد سكان مناطق المملكة العربية السعودية، وحجم المجتمع السكاني في هذا المستوى نحو ما يزيد عن 8 ملايين نسمة سنويًا، وبنسبة تزيد عن 25%، وفي المقابل ينتشر إنتاج التمور بمنطقة الرياض - التي تتوسط المملكة العربية السعودية وتُعد أكبر المناطق إنتاجًا - حيث يبلغ (7.577.756) طنًا، بنسبة 46.4% من جملة إنتاج التمور في المملكة.
- مناطق كبيرة الإنتاج تتراوح أحجامها بين (4.000.001: 5000.000 طن)، ويبلغ الحجم السكاني لهذه الفئة نحو ما يزيد عن 6 ملايين نسمة (6.168.615) نسمة بنسبة 19.4% من جملة سكان المملكة العربية السعودية، بينما يبلغ حجم إنتاج التمور (8.741.033) طنًا. بنسبة تزيد عن ثلث جملة إنتاج التمور بالمناطق، وتظهر في منطقتين: الأولى تمتد شرقًا وتحديدًا في المنطقة الشرقية التي تصل نسبة إنتاج التمور بها إلى نحو (15.5%) من الإنتاج الكلي. والثانية منطقة القصيم بنسبة بلغت (14.9%)، من جملة إنتاج التمور بالمملكة، وبحجم سكاني يزيد عن (1.3) مليون نسمة، والتي تعادل نحو (4.4%) من جملة سكان المملكة.
- مناطق متوسطة الحجم الإنتاجي تتراوح أحجامها بين (2.000.001:4000.000 طن)، وتضم أربع مناطق شكلت ما يزيد عن ثلث جملة مناطق المملكة العربية السعودية بنسبة (30.8%)، وتمتد شمالًا في المدينة المنورة وحائل، والتي تشكل نسبة إنتاج التمور بهاتين المنطقتين حوالي (11.0%) و(9.4%) على التوالي من جملة إنتاج التمور بالمملكة، بينما تشكل نسبة السكان بهما (6.6%) و(2.2%) على التوالي من جملة سكان المملكة، أضف إليها منطقة مكة المكرمة التي يزيد الحجم السكاني بها عن 8 ملايين نسمة. وبذلك تكون أكبر مناطق المملكة من حيث الحجم السكاني والبالغ نسبته (26.2%)، من جملة سكان المملكة، وتشكل نسبة إنتاج التمور بها (7.5%) من جملة إنتاج تمور مناطق المملكة، مع إضافة مساحة منطقة عسير التي تصل نسبة السكان بها (6.8%) من جملة السكان. ويبلغ الحجم السكاني لهذه الفئة (10.031.034) نسمة، بنسبة تزيد عن ثلث جملة سكان المناطق (35.0%).
- مناطق منخفضة الإنتاج نسبيًا تتراوح أحجامها بين (500.01: 100.000 طن)، وتضم منطقتي الجوف وتبوك؛ ففي منطقة الجوف، بلغت نسبة السكان (1.6%) من جملة سكان المملكة، يقابلها نسبة إنتاج للتمور التي لم تتجاوز نسبة (3.3%) من جملة الإنتاج الكلي للتمور في المملكة، بينما تمثل منطقة تبوك نسبة (2.8%) من جملة السكان، مع نسبة ضئيلة لإنتاج التمور تمثل نحو (2.7%) من جملة الإنتاج العام للمملكة، ويدور الحجم السكاني لهذه الفئة نحو (1.388.431) نسمة أي بنسبة (4.4%) من جملة السكان، وبنسبة (6.0%) فقط من جملة إنتاج التمور.
- مناطق منخفضة الإنتاج تتراوح أحجامها (100.01: 500.000 طن)؛ إذ ينخفض إنتاج التمور بشكل كبير في منطقة نجران جنوب غرب المملكة بنسبة (1.4%) من جملة إنتاج التمور بالمملكة، بينما يبلغ الحجم السكاني (569.332) نسمة بنسبة (1.8%)، ويظهر في هذه المنطقة انخفاض للحجم السكاني يقابله انخفاض في كمية التمور.
- مناطق متدنية الإنتاج، وأحجامها أقل من (100.000) طن؛ إذ ينخفض إنتاج التمور بها ليصل إلى أدناه، وتستحوذ هذه الفئة على ثلاث مناطق بنسبة (23.1%) من جملة مناطق المملكة، وحجم المجتمع السكاني بهذه الفئة نحو (2.359.299) نسمة بنسبة (7.4%) من جملة السكان، بينما تشكل نسبة إنتاج التمور بنحو (0.5%) من جملة إنتاج التمور بالمملكة، ويصل إنتاج التمور في هذه الفئة إلى أدنى مستوياته في منطقتي جازان والحدود الشمالية. انظر الشكل (2).

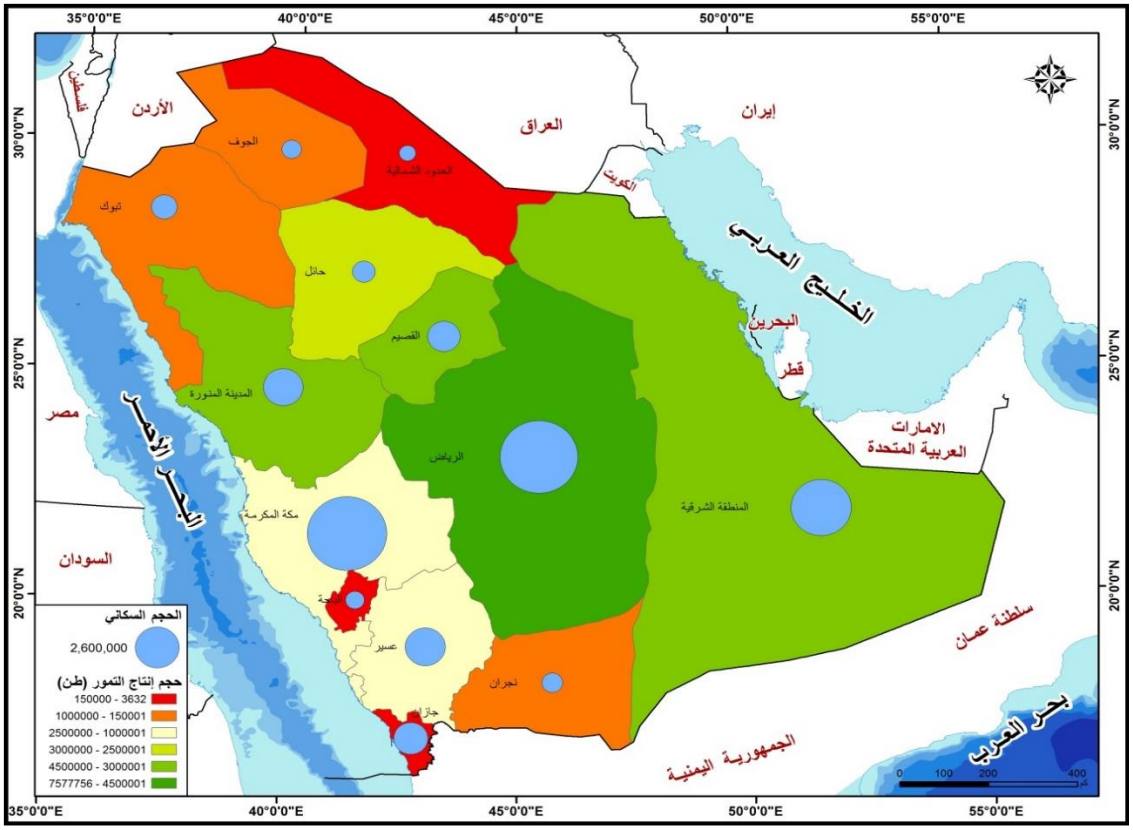

الشكل (2): التباين المكاني للسكان وتأثيره على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975م ـ 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول (2).

مما سبق وبتحليل العلاقة الارتباطية بين متغيري حجم السكان والتوزيع الجغرافي لإنتاج التمور للفترة ما بين 1975م 2015م، تبين أن هناك علاقة طردية قوية بلغت قوتها بمقياس بيرسون 0.67 مما يعنى أن التباين في إنتاج التمور يعزى في كثير من الأحيان إلى التباين في حجم السكان، والذي بدوره يواجه تباينًا في حجم الطلب على التمور بين سكان مناطق المملكة.

الحرارة

تُعدّ الحرارة من أكثر وأهم الظواهر المناخية تأثيراً في توزيع النباتات وإنتاجها، ولاسيما على المستوى العالمي، حيث تؤثر الحرارة في معدلات التفاعلات الكيميائية والفيزيائية، ومن ثم فسيولوجية النبات، ويرجع التأثير الأساسي لدرجات الحرارة على تأثيرها في العمليتين الأساسيتين، وهما عمليتا التمثيل الضوئي والتنفس.

كما تُعد درجة الحرارة عنصراً مهماً من عناصر المناخ؛ إذ ترتبط بها جميع العناصر المناخية الأخرى، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، فاختلاف الحرارة من مكان إلى آخر يؤدي إلى اختلاف الضغط الجوي، وبالتالي اختلاف نظام هبوب الرياح وحركتها، ومن ثم سقوط الأمطار، وهذا يؤكد أنه عند دراسة أثر أي عنصر من العناصر المناخية على الزراعة، إنما هو بمثابة دراسة أحد عناصر المنظومة المناخية بأكملها دون فصل هذا العنصر عن باقي العناصر الأخرى؛ وذلك بسبب تأثيرها الكبير على مختلف أوجه النشاط البشري (Badr, 2001).

وقد كان من الضروري وقبل تحليل العلاقة بين إنتاج التمور في المملكة ومتغير الحرارة أن يتم التعرف على الحدود الحرارية المثلى لنمو أشجار النخيل، وهي التي يحقق فيها أعلى مستوى من النمو والإزهار والإثمار. وتتباين هذه الحدود، فهناك حدود عليا وحدود دنيا، وتختلف هذه الحدود بحسب مرحلة النمو والصنف، حيث تتراوح هذه الدرجة في النخيل ما بين 9 ـ 44 درجة مئوية، ويطلق عليها المدى الطبيعي لانتشار زارعة النخيل؛ إذ يبدأ بالإزهار عند درجة حرارة (18) درجة

مئوية، وحتى تتحول إلى ثمار عند (25) درجة مئوية، ويفضل غرس النخيل عندما تتراوح درجة الحرارة بين درجتي 32 ـ 38 درجة مئوية.

كما يجب التنويه هنا إلى أن انخفاض درجة الحرارة الشديدة في فصل الشتاء قد يؤثر على أشجار النخيل؛ لأنه لا تستطيع أن تقوى في البرد الشديد. كما يحتاج النخيل إلى فصل نمو طويل وحار ومشمس معتدل الحرارة شتاءً، ولا يتحمل النخيل الصقيع، حيث تتجمد أطراف سعفها عند (6) درجات مئوية، ويتجمد جريدها عند (9) درجات مئوية. فلا ينبغي أن تهبط درجة الحرارة عن (-4) مئوية، ويفضل إجراء الغرس عندما تتراوح درجة الحرارة بين 32-38 درجة مئوية (Khion, 2013).

وسوف يركّز العمل في هذا الجزء على التحليل الجغرافي لمتوسط متغير الحرارة وعلاقته بإنتاج التمور في المملكة العربية السعودية، وذلك خلال فترتين زمنيتين، الفترة الأولى: طيلة أشهر العام. والفترة الثانية: خلال أشهر الصيف الأربعة، والتي تسمى (فصل الإنتاج).

أولًا: المعدل السنوي لدرجات الحرارة في المملكة وعلاقتها بإنتاج التمور.

الجدول (3): المعدل السنوي لدرجات الحرارة وعلاقته بإنتاج التمور في مناطق المملكة للفترة 1975م – 2015م

المنطقة	معدل درجة الحرارة السنوية (درجة مئوية)	متوسط إنتاج التمور (طن)
الرياض	26.21	7.577.756
مكة المكرمة	25.65	2.160.459
المدينة المنورة	26.70	3.149.126
القصيم	25.07	4.287.321
المنطقة الشرقية	26.35	4.453.712
عسير	23.46	2.026.370
تبوك	23.68	781.783
حائل	23.80	2.695.079
الحدود الشمالية	22.51	3632
جازان	27.38	13335
نجران	26.76	489.706
الباحة	23.32	112.220
الجوف	22.34	947.585
نتيجة الارتباط	معامل ارتباط بيرسون (0.36)(*)	

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات مصلحة الأرصاد وحماية البيئة 2015م.
(*) حساب الباحث.

ويتضح من الجدول السابق رقم (3) ما يلي:

- سجلت منطقة جازان أعلى درجة حرارة (27.38م) بالجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، بينما نجد انخفاضًا في إنتاج التمور في تلك المنطقة، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة المنطقة التضاريسية التي لا تسمح بتوافر مساحات زراعية كبيرة.
- ترتفع معدلات درجة الحرارة في منطقة نجران، حيث تصل إلى (26.76م)، وتنخفض قليلًا شرق نجران وفي المقابل نلاحظ إنتاجًا متوسطًا للتمور.

- تصل درجة الحرارة في المنطقة الشرقية إلى (26.35م)، ثم تصل درجة الحرارة في منطقة الرياض وسط المملكة السعودية إلى (26.21م)، وهذا الاختلاف في معدلات الحرارة ربما يكون انعكاسًا للارتفاع النسبي لمستوى سطح الأرض وحركة الرياح.
- يلاحظ بشكل عام ارتفاع درجة الحرارة في شرق وجنوب وغرب المملكة، ويصاحب هذا الارتفاع زيادة في إنتاج التمور في بعض المناطق، كما يرتفع المعدل السنوي لدرجات الحرارة بالاتجاه إلى الجنوب مع تذبذب لمناطق الإنتاج في كميات التمور.
- تسجل معدلات الحرارة في الجزء الشمالي الشرقي من المملكة العربية السعودية في منطقتي الجوف والحدود الشمالية نحو (22.51م5) و(22.31م5)، لكل منهما على الترتيب، وتعد بذلك أقل المناطق من حيث معدلات درجات الحرارة التي يصاحبها انخفاض في إنتاج التمور. انظر الشكل (3).

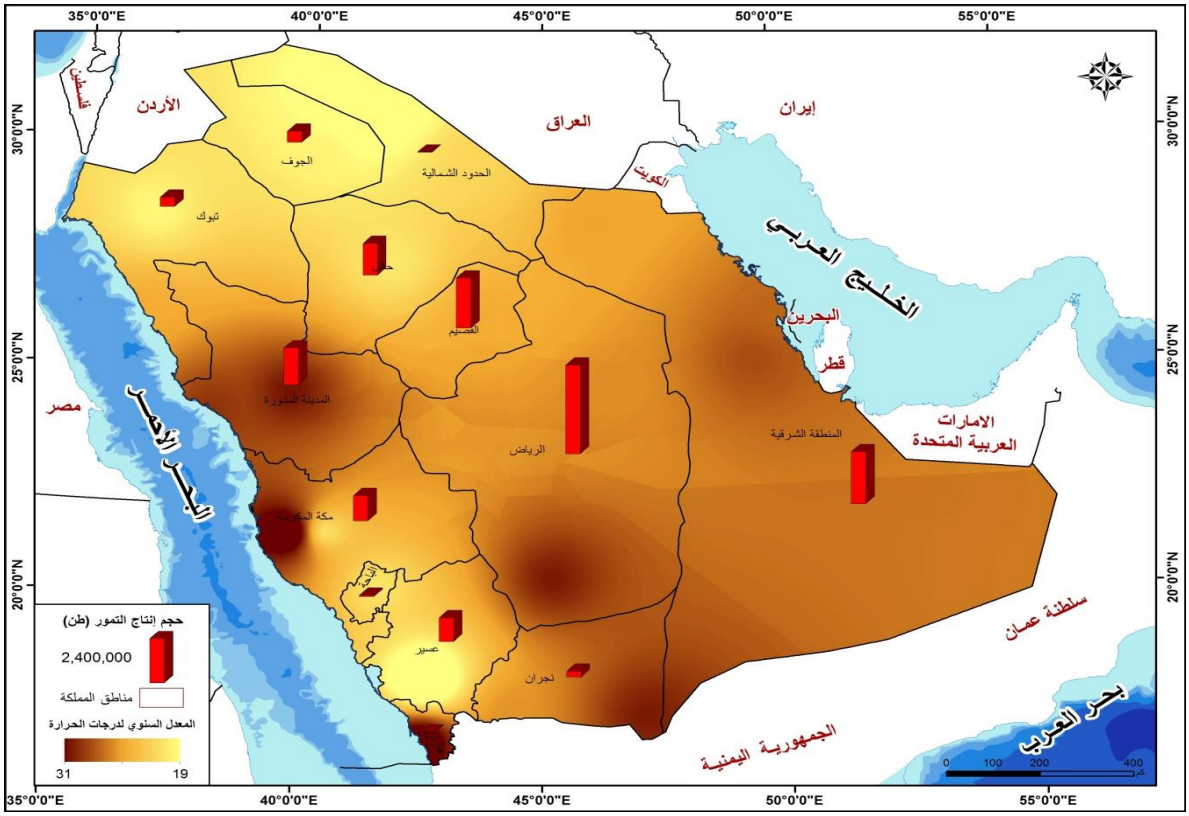

الشكل (3): تأثير درجات الحرارة السنوية على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975-2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (3).

وأثبت التحليل الإحصائي للعلاقة بين المتوسط الحراري السنوي وإنتاج التمور في مناطق المملكة وجود علاقة طردية ضعيفة جداً بلغت (0.36) وفقًا لمعامل بيرسون، مما يعني أن تأثير متغير معدل درجة الحرارة السنوي محدودٌ على إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية كما في الشكل (4).

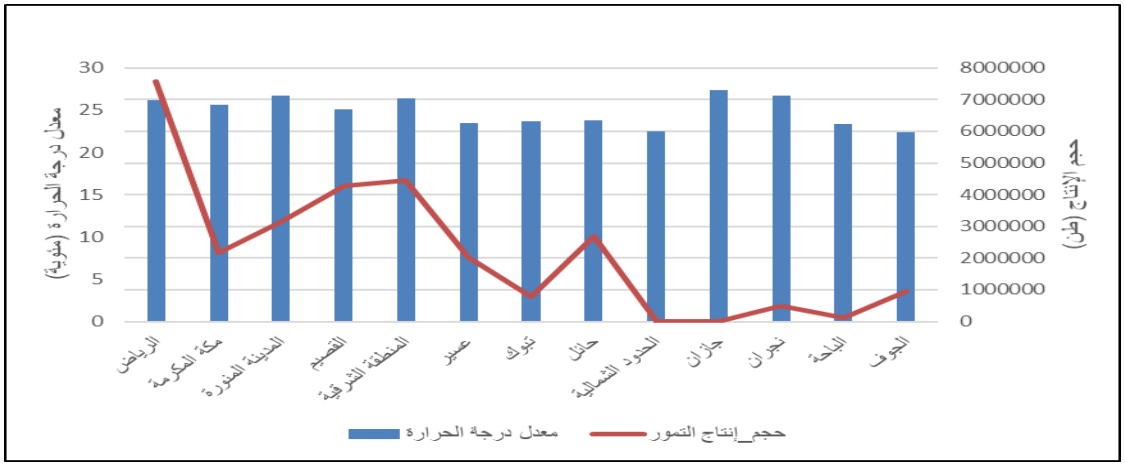

الشكل (4): علاقة المعدل السنوي لدرجات الحرارة بإنتاج التمور في مناطق المملكة للفترة 1975- 2015م.

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على جدول رقم (3).

ثانيًا: المعدل الحراري لأشهر الصيف (أشهر الإنتاج) وأثرها على إنتاج التمور:

الصيف هو فصل من فصول السنة الأربعة، وهو أشد الفصول حرارة، ويبدأ من 21 يونيو، وينتهي في 21 سبتمبر في البلاد الواقعة شمال خط الاستواء، ويبدأ في 21 ديسمبر، وينتهي في 21 مارس في البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء، أي أنه عندما يكون هناك صيف في نصف الكرة الشمالي يكون هناك شتاء في نصف الكرة الجنوبي.

الجدول (4): معدل درجة حرارة أشهر الصيف وعلاقتها بإنتاج التمور في مناطق المملكة للفترة 1975م – 2015م

المنطقة	معدل درجة الحرارة (م 5)	متوسط إنتاج التمور(طن)
الرياض	34.73	7.577.756
مكة المكرمة	31.76	2.160.459
المدينة المنورة	33.81	3.149.126
القصيم	34.50	4.287.321
المنطقة الشرقية	35.12	4.453.712
عسير	29.08	2.026.370
تبوك	31.58	781.783
حائل	33.21	2.695.079
الحدود الشمالية	32.67	3632
جازان	31.21	13335
نجران	33.47	489.706
الباحة	29.32	112.220
الجوف	31.89	947.585
معامل ارتباط بيرسون 0.66		

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات مصلحة الارصاد وحماية البيئة 2016.

يتضح من الجدول (4) ما يلي:

- يبلغ المعدل العام لدرجة الحرارة في المملكة في فصل الصيف نحو 32.5 درجة مئوية.
- ترتفع معدلات درجة الحرارة في فصل الصيف بالجزء الشرقي للمملكة العربية السعودية مقارنة بالجزء الغربي.
- تمثل المنطقة الشرقية والرياض أعلى المناطق من حيث درجة الحرارة بفصل الصيف بقيم تقدر بنحو (35.12) و(34.73) درجة مئوية على التوالي، وهذا يتواكب مع ارتفاع إنتاج النخيل في هذه المناطق، بينما كانت أقل المناطق في درجة

الحرارة منطقتي عسير والباحة؛ حيث بلغ معدل درجة الحرارة في فصل الصيف في كل منهما نحو (29.08 و29.32) درجة مئوية على التوالي. انظر الشكل رقم (5).

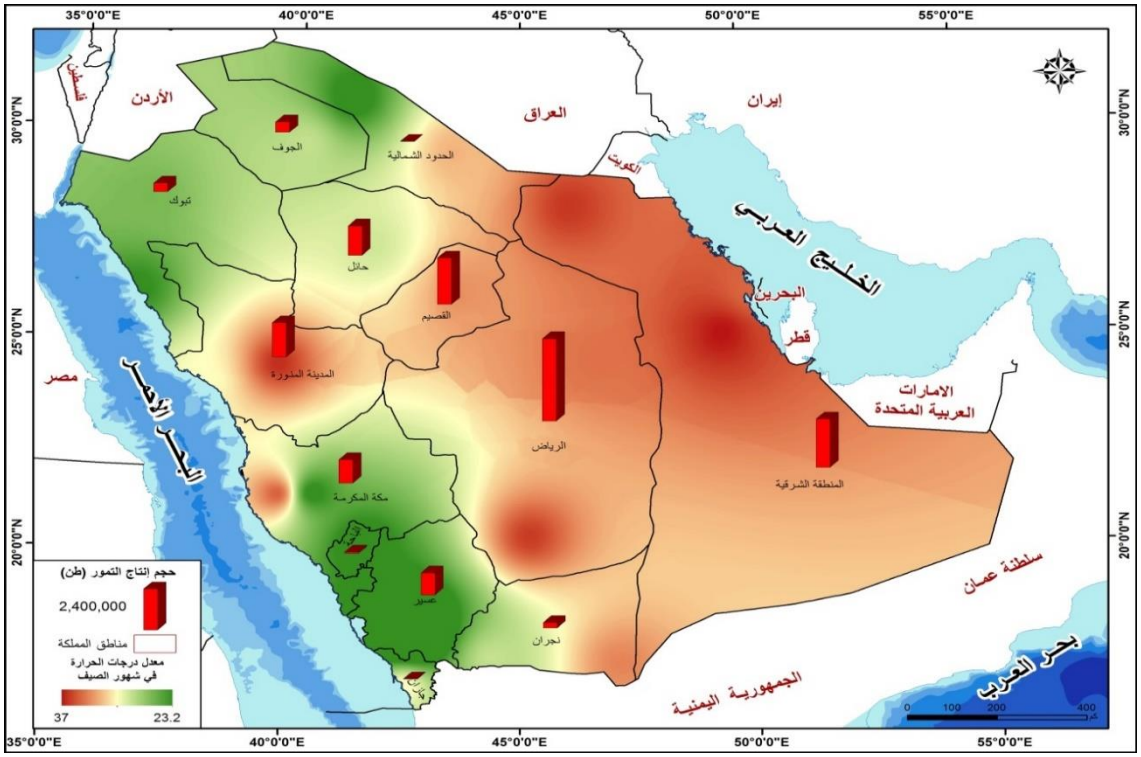

الشكل (5): تأثير الحرارة في فصل الصيف على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975-2015م)

*المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (4).

وأثبت التحليل المكاني بين المتغيرين أن العلاقة بين معدل الحرارة في أشهر الصيف وبين إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية علاقة طردية قوية بلغت طبقًا لمعامل بيرسون نحو (0.66)، وهذا دليل على أن درجة الحرارة في فصل الصيف من أكثر وأهم المتغيرات تأثيراً على الإنتاج، بالإضافة إلى أنها عامل رئيس في تحديد مناطق الإنتاج ووقته؛ نظراً للارتباط الكبير بين درجة الحرارة ونضج محصول التمور. انظر الشكل (6).

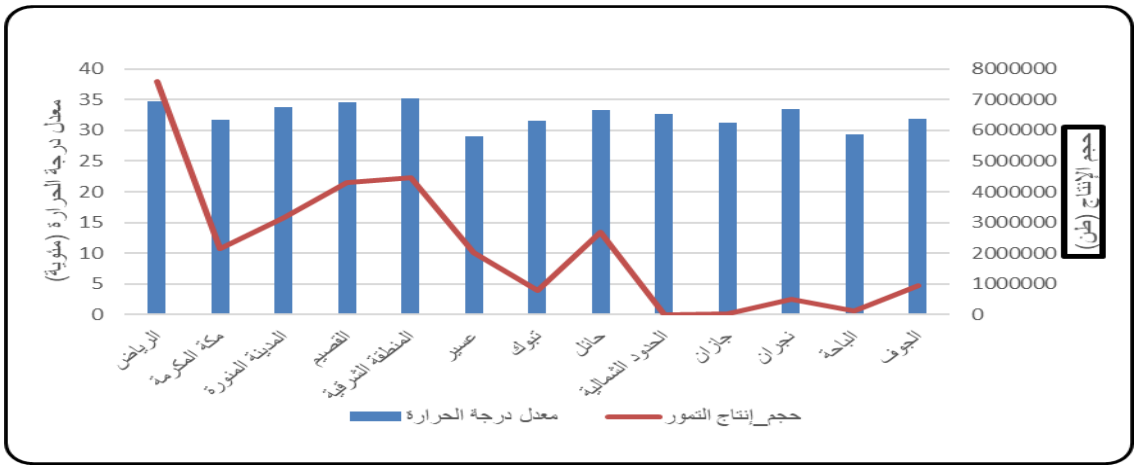

الشكل (6): معدل درجات الحرارة في فصل الصيف وعلاقته بإنتاج التمور في المملكة للفترة 1975-2015م.

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على جدول رقم (4).

وعلى الرغم من أهمية درجة الحرارة العالية للتمور، وهي عامل مؤثر وأساسي لبناء عملية النضج، إلا أن الدرجة العالية والشديدة جداً قد تؤثر سلباً على التمور. فعلى سبيل المثال أسهمت درجة الحرارة المرتفعة جداً والمسجلة في مدينة الرياض في نهاية عام 2014م والبالغة أعلى من (45) درجة مئوية خلال شهري يوليو وأغسطس في رصد ظاهرة سُجلت لأول مرة على ثمار النخيل، خاصةً في صنف السكري، حيث حدث فوران للرطوبة (طبخ) داخل لحم الثمرة؛ نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والمصاحب للجفاف الشديد الذي ألمّ بالمنطقة في ذلك الوقت، مما أدى إلى تكرمش الثمرة وجفافها مع خروج الماء وما تحمله من سكريات خارج جسم الثمرة لتقابل درجات حرارة عالية ورياح ساخنة وجافة أدت إلى تبخر الماء وبقاء السكريات على هيئة كريستالات متكرملة جافة لونها أبيض كريمي، بقيت على جسم الثمرة من الخارج ملتصقة بها، مما أدى إلى تشوه ورداءة شكل الثمار وهي على العذوق ومن ثم خسارة جزء كبير من المحصول في ذلك العام (Solomon and athers, 2015:24).

معدل التساقط السنوي (الأمطار)

يعد المطر من أهم العوامل المؤثرة على الزراعة بشكل عام، حيث تعتمد عمليات الري بالمزارع على المياه الجوفية أو الأمطار التي تغذي المياه الجوفية بشكل مستمر، كما أنها تتجمع في بحيرات ما قبل السدود أو المناطق المنخفضة.

كما أن الأمطار مفيدة لمزارع النخيل؛ لأنها تغسل الأملاح في التربة، وهي المشكلة الرئيسة في معظم مناطق زراعة النخيل. ولكن سقوط المطر في فترة التلقيح، أو بعد عدة ساعات من التلقيح يسبب فشل عملية التلقيح، ويقلل نسبة العقد، ما لم يُعَدْ التلقيح عندما يجف الجو، وإذا سقط المطر قبل تفتح الأغاريض، فإننا نجد كثرة الإصابة بعفن الطلع، وإذا سقط المطر خلال النضج فإن ذلك يسبب تعفن الثمار وتساقطها، أما إذا سقط المطر بعد وقت طويل من التلقيح فلا يظهر له أي أثر واضح. انظر الجدول (5).

الجدول (5): العلاقة بين معدل التساقط السنوي (الأمطار) وعلاقته بإنتاج التمور في مناطق المملكة للفترة 1975م-2015م

المنطقة	متوسط التساقط (مم)	متوسط حجم إنتاج التمور(طن)
الرياض	96.30	7.577.756
مكة المكرمة	126.82	2.160.459
المدينة المنورة	68.75	3.149.126
القصيم	117.17	4.287.321
المنطقة الشرقية	98.67	4.453.712
عسير	143.29	2.026.370
تبوك	45.44	781.783
حائل	87.79	2.695.079
الحدود الشمالية	79.27	3632
جازان	156.97	13335
نجران	86.92	489.706
الباحة	131.40	112.220
الجوف	61.47	947.585
نتيجة الارتباط	**معامل ارتباط بيرسون: (0.02)**	

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات هيئة الأرصاد ومصلحة البيئة لعام 2015م.

يتضح من الجدول السابق رقم (5) ما يلي:

- تتفاوت معدلات الأمطار السنوية داخل المملكة العربية السعودية تفاوتًا كبيرًا، ففي الأجزاء الجنوبية الغربية للمملكة يزيد المعدل السنوي للأمطار عن 143 مم؛ وذلك بسبب أن هذه المناطق مطلة على الشواطئ الشرقية للبحر الأحمر، ورغم

هذا الارتفاع فإن إنتاج النخيل في هذه المناطق ضئيل في الوقت الذي ينخفض فيه معدل الأمطار السنوي انخفاضًا كبيراً جداً في الأطراف الشمالية من المملكة.

- وصل معدل الأمطار السنوية إلى (156.97) مم في منطقة جازان أقصى الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية والمطلة على ساحل البحر الأحمر، وتلتها منطقة عسير (143.29) مم جنوب غرب المملكة، ورغم ارتفاع كمية الأمطار في هاتين المنطقتين إلا أنها تحتل مراكز متأخرة في إنتاج النخيل.
- اتسمت المناطق الجنوبية الغربية ومنطقة القصيم بالارتفاع في معدل الأمطار السنوي؛ إذ سجلت منطقة مكة المكرمة (126.82) مم، وتليها منطقة القصيم بمعدل تساقط (117.16) مم.
- يسود نوع من التوسط في معدل سقوط الأمطار في وسط وشرق المملكة العربية السعودية ممثلةً في منطقة حائل والمنطقة الشرقية والرياض رغم ارتفاع زراعة وإنتاج التمور في هذه المناطق.
- ينخفض معدل تساقط الأمطار السنوي بشكل كبير في منطقة الحدود الشمالية بمعدل تساقط (79.27) مم، مع انخفاض لمتوسط الأمطار بالمدينة المنورة حيث تعادل (68.74) مم، مع أن هذه المنطقة أغنى مناطق المملكة زراعةً وانتاجًا للتمور كما في الشكل (7).

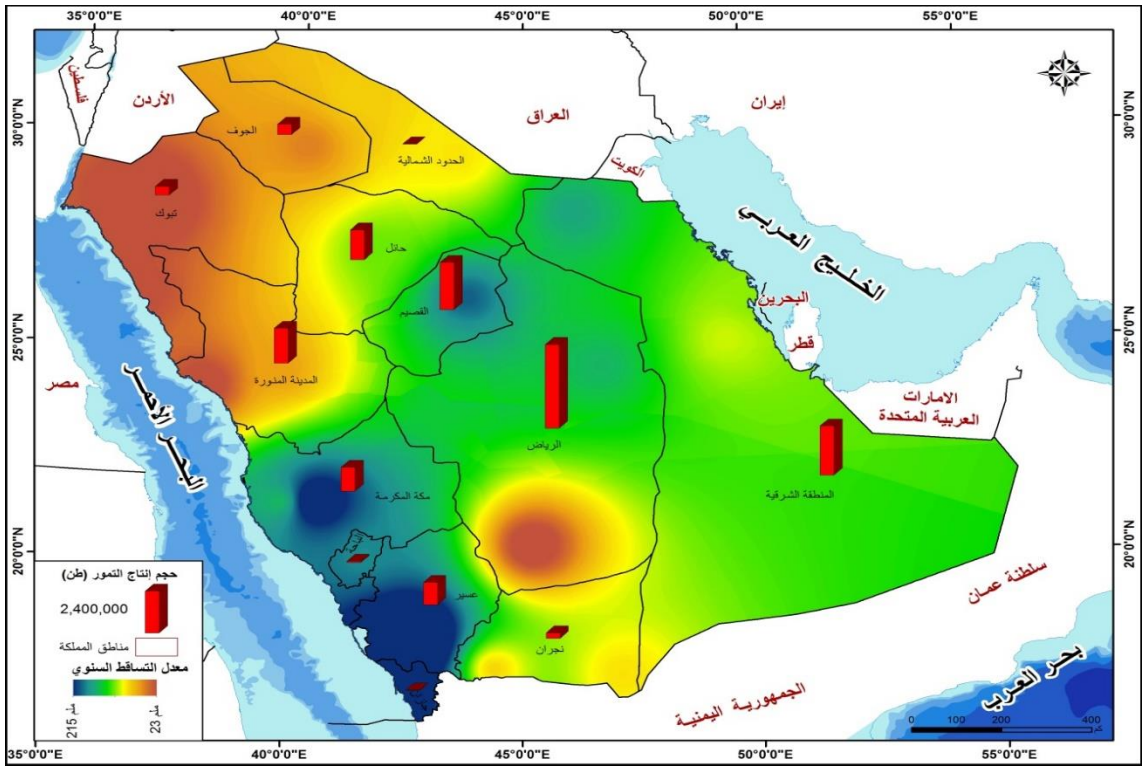

الشكل (7): تأثير سقوط الأمطار على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975- 2015م)

*المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على بيانات جدول رقم (5).

وعلى الرغم من التباين في معدل الأمطار السنوية الساقطة على مناطق المملكة، إلا أن العلاقة الإحصائية بينه وبين إنتاج التمور ضعيفة جداً، حيث بلغت قوتها طبقًا لمعامل ارتباط بيرسون نحو (0.2) كما في (الجدول (5)).

وقد يرجع سبب ضعف هذه العلاقة إلى اعتماد المزارعين بشكل أساسي في ري مزارعهم على الآبار الجوفية، أضف إلى ذلك طبيعة النخلة الفسيولوجية، والتي تتحمل الجفاف والعيش في المناطق الصحراوية قليلة الأمطار. انظر الشكل (8).

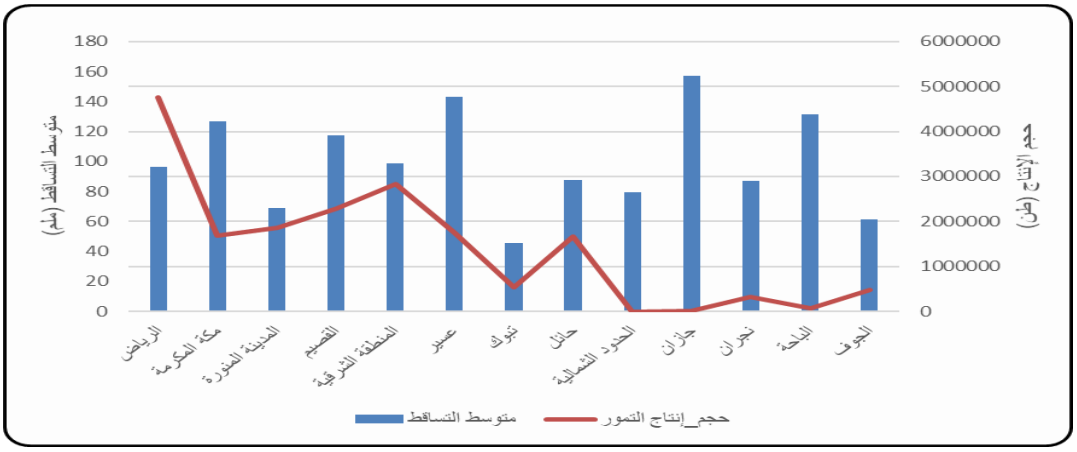

الشكل (8): معدل الأمطار وعلاقته بإنتاج التمور في المملكة العربية السعودية للفترة 1975م – 2015م.

*المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على جدول رقم (5).

المعدل السنوي للرطوبة الجوية

لا شكّ أن الرطوبة الجوية عنصر فعال ومؤثر على كثير من العمليات الطبيعية والجوية وعلى الزراعة بشكل خاص، فهي تعدّ من العوامل المساعدة على الاحتفاظ بالحرارة الكامنة؛ حيث إن وجودها بكثرة يعرقل فاعلية الإشعاع الأرضي، بينما يكون الهواء بدون الرطوبة الجوية عرضة لفقد حرارته بسرعة، ولذلك فإن الرطوبة الجوية عنصر أساسي لتكوين مختلف الظواهر المائية في الغلاف الجوي، حيث إنها تعطي تقديرات عن احتمالية سقوط المطر أو على سقوطه عند قدوم منخفض جوي مثلًا، أو عند صعود الهواء بتيارات الحمل أو على سطح جبل أو تل.

ولمعرفة تأثير الرطوبة الجوية على إنتاج التمور في المملكة العربية السعودية يجب أولًا دراسة التوزيع السنوي للرطوبة الجوية لمناطق المملكة، وبعد ذلك يصبح المجال خصبًا لربطها بشكل مباشر بإنتاج التمور ومن ثم دراسة مدى الارتباط الإحصائي بينهما. انظر الجدول (6).

الجدول (6): المعدل السنوي للرطوبة الجوية وعلاقتها بإنتاج التمور في مناطق المملكة للفترة (1975م ـ 2015م)

المنطقة	معدل الرطوبة الجوية (%)	متوسط إنتاج التمور(طن)
الرياض	32.12	7.577.756
مكة المكرمة	41.00	2.160.459
المدينة المنورة	33.83	3.149.126
القصيم	31.72	4.287.321
المنطقة الشرقية	37.74	4.453.712
عسير	43.88	2.026.370
تبوك	40.53	781.783
حائل	33.47	2.695.079
الحدود الشمالية	36.63	3632
جازان	60.33	13335
نجران	32.76	489.706
الباحة	39.35	112.220
الجوف	34.80	947.585
نتيجة الارتباط	معامل ارتباط بيرسون ـ 0.45	

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات مصلحة الأرصاد وحماية البيئة 2015م.

يتبيّن من الجدول (6) وجود تفاوت في معدل الرطوبة الجوية بين مناطق المملكة العربية السعودية؛ إذ تكون أعلاها في الطرف الجنوبي الغربي من المملكة، وذلك بسبب مجاورة شواطئ البحر الأحمر وجزء من المنطقة الشمالية الشرقية المطلة على الخليج العربي، بينما تنخفض إلى الحد الأدنى في الأطراف الشمالية من المملكة. وترتفع الرطوبة الجوية لتصل إلى أعلى نسبة وهي 60.33% بمنطقة جازان في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية والمطلة على ساحل البحر الأحمر، ثم منطقة عسير 43.88 % جنوب غرب المملكة وشمال منطقة جازان. أما منطقة مكة المكرمة فقد سجلت الرطوبة النسبية بها41%، لتستمر الرطوبة في الارتفاع بمنطقة تبوك بنسبة 40.53% في شمال غرب المملكة.

وسجلت بقية المناطق، ممثلة في المنطقة الشرقية والحدود الشمالية نسبة فوق المتوسط للرطوبة الجوية مع انخفاض ملموس وبشكل كبير في منطقتي الجوف وحائل في الأطراف الشمالية من المملكة بنسبة 34.80 و33.47% لكل منهما على التوالي، وانخفاض لمنطقة نجران بنسبة 32.76%، مع وقوع مناطق الرياض والقصيم والمدينة المنورة كأقل مناطق المملكة في الرطوبة الجوية: 31.12%، 31.72% ، 33.83%على التوالي، والذي يقابله ارتفاع في إنتاج التمور بشكل ملحوظ. انظر الشكل (9).

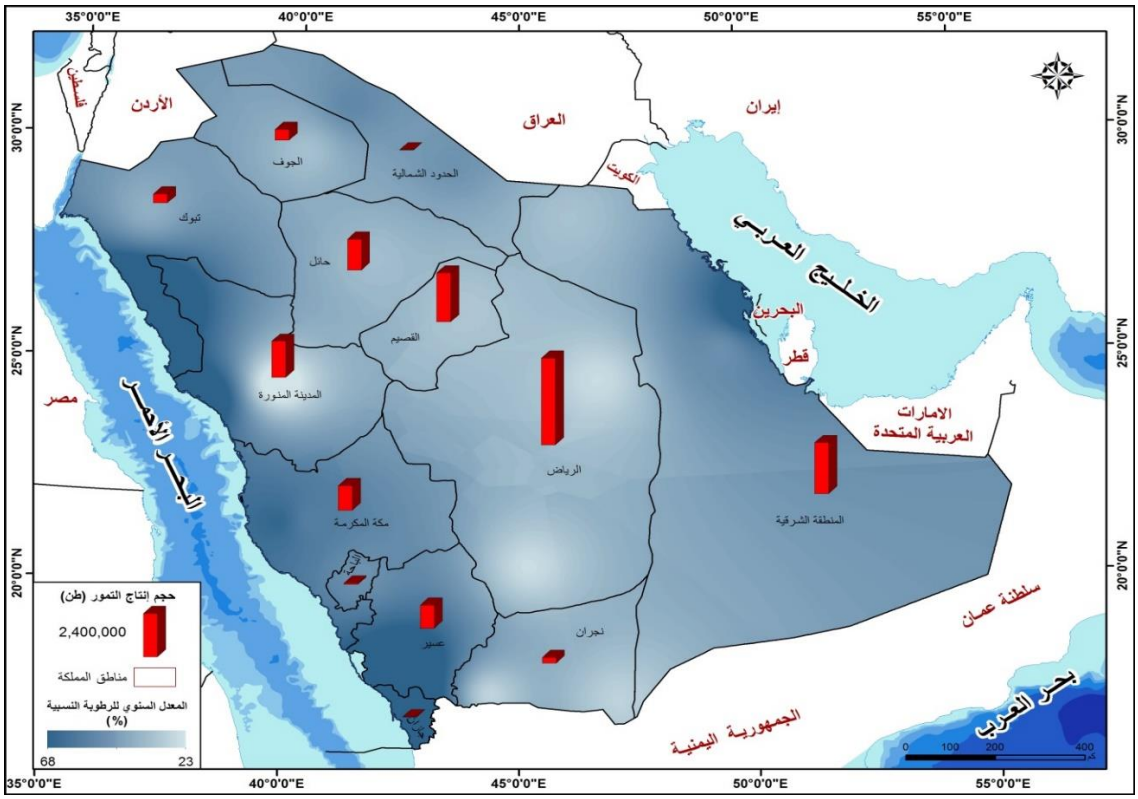

الشكل (9): تأثير الرطوبة الجوية على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975- 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (6).

ومن خلال تحليل العلاقة بين معدل الرطوبة الجوية لمناطق المملكة، وحجم إنتاج النخيل بتلك المناطق، اتضح وجود علاقة عكسية متوسطة القوة بلغت طبقًا لمعامل بيرسون نحو (0.45) أي أن ارتفاع الرطوبة في منطقة ما يقلل من فرصة زراعة النخيل وإنتاج التمور بتلك المنطقة، وهذا ما يلاحظ بشكل واضح في المناطق الساحلية من المملكة، والتي ترتفع بها نسبة الرطوبة الجوية كما في الشكل (10).

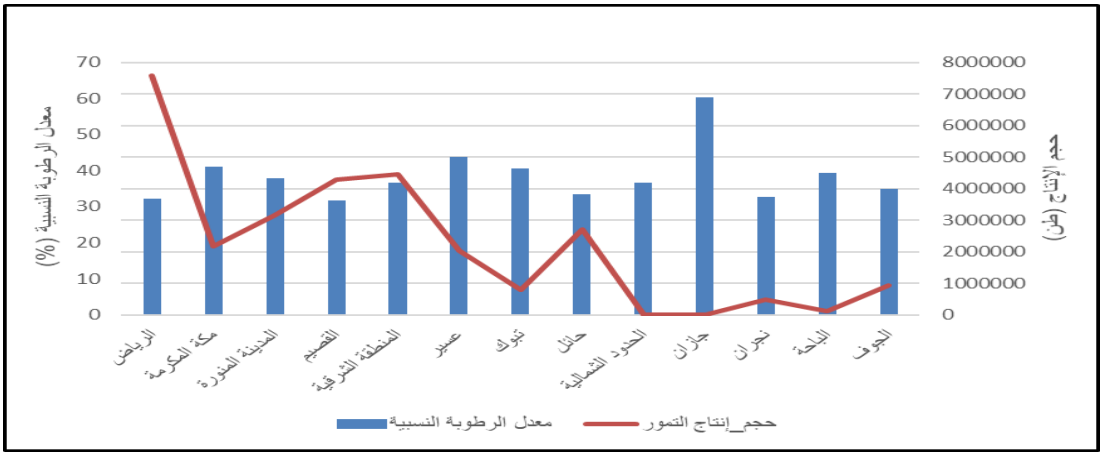

الشكل (10): العلاقة بين معدل الرطوبة وحجم إنتاج التمور في المملكة للفترة (1975 – 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات جدول رقم (6)

متوسط ملوحة التربة وأثرها في إنتاج التمور في المملكة

تتحمل أشجار النخيل ملوحة التربة بدرجة تفوق الكثير من أشجار الفواكه الأخرى، ولو أن إنتاجيتها تقل مع زيادة ملوحة منطقة انتشار الجذور، ولا ينصح بزراعة النخيل في الأراضي التي تتعدى نسبة ملوحتها 6000 جزء في المليون في منطقة انتشار المجموع الجذري، إلا أن نسبة الملوحة في الطبقة السطحية قد تزيد عن ذلك، ولكن العبرة في المنطقة التي تنمو بها الجذور.

وتبين دراسة العلاقة بين متوسط ملوحة التربة وإنتاج التمور مدى تأثير هذه العلاقة على زراعة وإنتاج محصول التمور في المملكة العربية السعودية. انظر الجدول (7)

الجدول (7): متوسط ملوحة التربة في مناطق المملكة العربية السعودية وعلاقتها بإنتاج بالتمور

المنطقة	معدل ملوحة التربة (ملليموز/سم)	معدل ملوحة التربة (جزء في المليون)	حجم إنتاج التمور(طن)
الرياض	5.46	5463.20	7.577.756
مكة المكرمة	5.72	5718.31	2.160.459
المدينة المنورة	6.06	6062.31	3.149.126
القصيم	5.17	5167.33	4.287.321
المنطقة الشرقية	5.43	5428.25	4.453.712
عسير	4.01	4009.20	2.026.370
تبوك	4.14	4141.55	781.783
حائل	5.26	5263.32	2.695.079
الحدود الشمالية	5.00	4998.39	3632
جازان	4.47	4474.24	13335
نجران	3.61	3613.40	489.706
الباحة	3.97	3973.89	112.220
الجوف	5.60	5601.50	947.585
نتيجة الارتباط	معامل ارتباط بيرسون (0.50)		

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات وزارة البيئة والمياه والزراعة عام 2016م.

يتباين متوسط الملوحة داخل المملكة تبايناً كبيراً حيث تزيد الملوحة في المناطق المجاورة للبحر الأحمر والخليج العربي، وتنخفض في نجران والباحة جنوب المملكة العربية السعودية. ويبلغ متوسط ملوحة التربة أقصاه بمنطقة المدينة

المنورة بمتوسط ملوحة (6.06 ملليموز/ سم)[1](*)، ثم منطقة مكة المكرمة في الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية والمطلة على ساحل البحر الأحمر، وبمتوسط يبلغ (5.72 ملليموز/سم)، وتليها منطقة الجوف بمتوسط ملوحة يبلغ (5.60 ملليموز/سم) والتي تقع في الطرف الشمالي من المملكة العربية السعودية .

أما منطقة الرياض في وسط المملكة العربية السعودية فقد سجلت متوسط ملوحة قدره (5.46) ملليموز/ سم)، بينما ينخفض متوسط ملوحة التربة في المنطقة الشرقية ليصل الى (5.60 ملليموز/ سم).

كما ينخفض متوسط ملوحة التربة بشكل كبير في منطقة عسير بمعدل (4.01ملليموز/ سم)، ثم يستمر الانخفاض مرة أخرى بمنطقة الباحة جنوب غرب المملكة، وأخيراً منطقة نجران في جنوب المملكة بمعدل (3.61 ملليموز/ سم)، والتي تُعد أقل مناطق المملكة من حيث درجة ملوحة التربة. انظر الشكل (11).

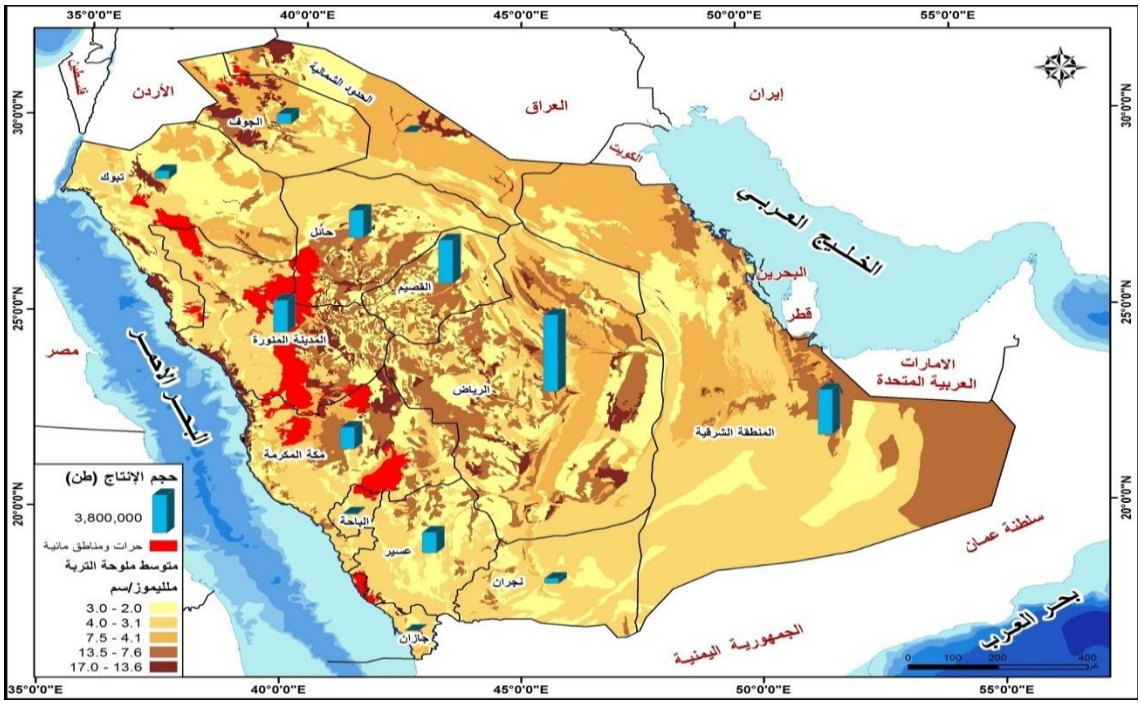

الشكل (11): تأثير ملوحة التربة على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975- 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (7).

بلغ متوسط ملوحة التربة في المملكة العربية السعودية بشكل عام طبقًا للتحليل المكاني الذي أظهرته الدراسة نحو 5.19 ملليموز/ سم، أي نحو 5190 جزءاً في المليون. وبالاستناد إلى متوسط ملوحة تربة زراعة النخيل والتي تتراوح بين 1500 -6000 ppm (مركز البحوث الزراعية المصرية، 2004م) يتضح أن متوسط ملوحة التربة التي تتراوح بين (1500-6000) ppm هي الآمنة لزراعة أشجار النخيل في المملكة العربية السعودية.

وبالمقارنة بين متوسط ملوحة التربة (الجدول (7)) ونتائج التحليل المكاني التي أظهرته الدراسة فإن جميع مناطق المملكة العربية السعودية تقع ضمن نطاقات التربة الآمنة لزراعة النخيل، وإنتاجه، والتي لم تتجاوز 6000 ppm ، ماعدا منطقة المدينة المنورة فقد بلغ معدل ملوحة التربة بها نحو6062.31 جزءاً في المليون (ppm). ورغم هذا التجاوز إلا أن تلك النسبة لم تتجاوز بشكل كبير الحدود الملائمة لزراعة النخيل، لذا يستطيع المزارعون التغلب على هذا التجاوز الطفيف بسهولة، وبقليل من الجهود، وذلك من خلال الاهتمام بغسل التربة التي تقلل من ملوحتها، أضف إلى ذلك زيادة الاهتمام بالعمليات الزراعية مثل: أساليب الري والطرق الزراعية المناسبة. انظر الشكل (12).

(*) لمقارنة متوسط ملوحة التربة في مناطق المملكة مع نتائج التحليل المكاني الذي أظهرته الدراسة للتربة الآمنة لزراعة النخيل لمناطق المملكة، تم توحيد وحدة القياس وذلك بالتحويل من ملليموز/سم إلى جزء من المليون (ppm) بإجراء عملية الضرب في (1000).

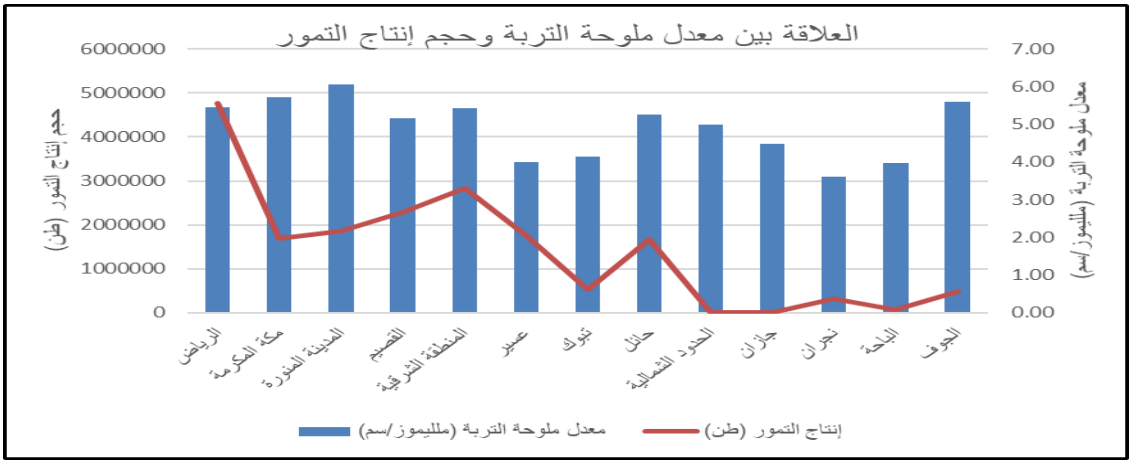

الشكل (12): العلاقة بين متوسط ملوحة التربة وحجم إنتاج التمور في مناطق المملكة (1975- 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (7).

مدى صلاحية التربة وعلاقتها بزراعة وإنتاج التمور في المملكة

من الجدول (8) والشكل (13) يمكن التمييز بين ثلاث فئات من التربة في المملكة من حيث صلاحيتها ومدى علاقتها بإنتاجية التمور، وهي:

1. **تربة غير قابلة للاستصلاح**: تبلغ مساحة التربة غير القابلة للاستصلاح نحو 1.602.700 كم^2 بنسبة 83.3% من جملة المساحة الكلية للمملكة، وتزيد عن المتوسط العام ثماني مناطق بنسبة 61.5%، وتتمثل في منطقة الباحة والمنطقة الشرقية بنسبة 99.3% و93.3% من جملة المساحة، ثم مناطق: الحدود الشمالية، وتبوك، والجوف، وعسير، وحائل، ونجران، أما المناطق التي تقل عن المتوسط العام تضم خمس مناطق بنسبة 38.4% من جملة مناطق السعودية، وتتمثل في منطقتي المدينة المنورة ومكة المكرمة بنسبة 79.4% و71.3% من جملة المساحة للمناطق سالفة الذكر، بينما تبلغ مساحة المناطق غير القابلة للاستصلاح في القصيم 41731 كم^2 بنسبة 68.2% من جملة المساحة، تضاف إليها منطقتا الرياض وجازان.

الجدول (8): مدى صلاحية التربة في مناطق المملكة العربية السعودية وعلاقتها بإنتاج التمور.

المنطقة	تربة قابلة للاستصلاح (كم^2)	تربة غير صالحة (كم^2)	تربة صالحة (كم^2)	حجم إنتاج التمور(طن)
الرياض	14312.00	237711.00	104172.00	7.577.756
مكة المكرمة	6517.00	97087.50	32558.50	2.160.459
المدينة المنورة	11061.00	113954.75	18492.75	3.149.126
القصيم	529.00	41731.50	18941.25	4.287.321
المنطقة الشرقية	154.00	529220.75	38065.00	4.453.712
عسير	524.75	73781.00	10775.50	2.026.370
تبوك	6406.25	136422.00	3781.00	781.783
حائل	2611.50	98856.25	12849.00	2.695.079
الحدود الشمالية	5893.75	106336.75	1966.00	3632
جازان	228.50	5770.25	4271.50	13335
نجران	0.00	79858.50	14874.75	489.706
الباحة	0.00	10560.50	71.25	112.220
الجوف	6080.00	71410.00	4640.25	947.585
نتيجة الارتباط	**معامل ارتباط بيرسون (0.88)**			

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات وزارة البيئة والمياه والزراعة عام 2016م.

2. **تربة قابلة للاستصلاح**: تبلغ الأراضي القابلة للاستصلاح نحو 54317 كم^2 بنسبة 2.8% من جملة المساحة الكلية للمملكة، وهناك ست مناطق تزيد فيها التربات القابلة للاستصلاح عن المتوسط العام هي: المدينة المنورة بنسبة 7.7% من جملة المساحة، ثم منطقة الجوف شمال شرق السعودية بنسبة 7.4% من جملة مساحتها، تليهما منطقتا الحدود الشمالية ومكة المكرمة، وأخيراً منطقتا تبوك والرياض بنسبة 4.4% و4.0% لكل منهما، من جملة المساحة، أما المناطق التي تقل عن المتوسط العام فتضم سبع مناطق بنسبة 53.8% من جملة مناطق السعودية، تتمثل في منطقتي حائل وجازان بنسبة 2.3% و2.2% على التوالي، من جملة المساحة للمناطق سالفة الذكر، بينما تبلغ مساحة المناطق القابلة للاستصلاح في القصيم 529 كم^2، بنسبة 0.9% من جملة المساحة، وتضاف إليها منطقة عسير والمنطقة الشرقية، وتكاد تنعدم التربة القابلة للاستصلاح بمنطقتي نجران والباحة. انظر الشكل (13).

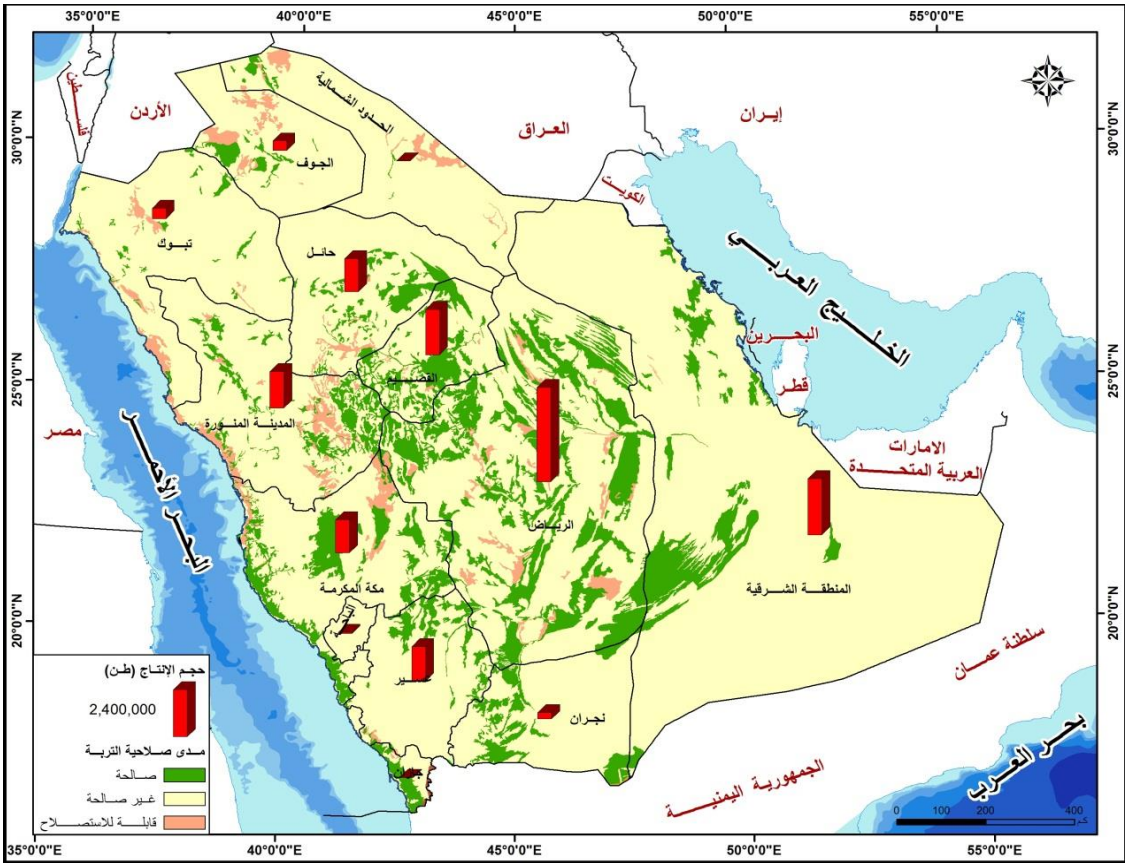

الشكل (13): مدى صلاحية التربة وتأثيرها على التوزيع الجغرافي لإنتاج التمور في المملكة (1975- 2015م)

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (8).

من جهة أخرى تبلغ نسبة التربة القابلة للاستصلاح إلى نسبة التربة الصالحة لزراعة النخيل 20.4%، كما تبلغ أكثر من 2% من المساحة الكلية للمملكة والبالغة 2 مليون كيلومتر مربع، ويمكن من خلال استصلاح هذه النسبة رفع كمية إنتاج النخيل في المملكة من 1.230.602 طن إلى أكثر من 5.68 مليون طن، وذلك بزيادة نسبية تتجاوز 500%. انظر الشكل (14).

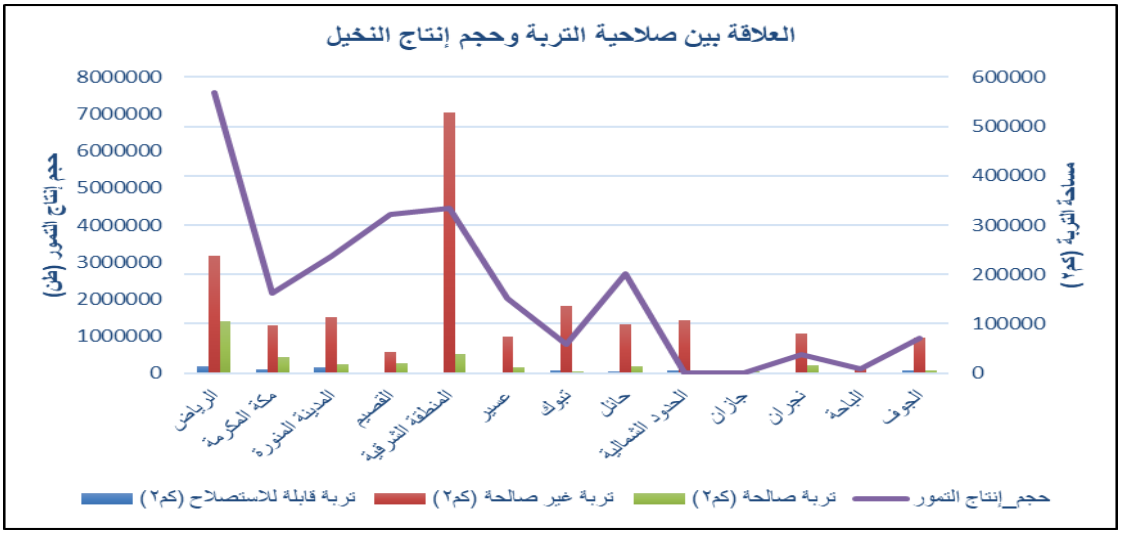

الشكل (14): مدى صلاحية التربة وعلاقتها بإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975- 2015م)

*المصدر : من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات جدول رقم (8).

3. **التربة الصالحة**: تبلغ مساحة التربة الصالحة للزراعة في المملكة نحو 265.458 كم^2 بنسبة 13.8% من جملة المساحة، وتتباين التربة الصالحة للزراعة، وترتبط ارتباطًا قويًا بإنتاج التمور، حيث تزيد عن المتوسط العام في خمس مناطق بنسبة تزيد عن 38.4% من جملة عدد مناطق المملكة، وتتمثل في منطقتي جازان والقصيم بنسبة 41.5% و30.9% من جملة المساحة، ثم مناطق الرياض ومكة المكرمة ونجران، أما عن المناطق التي تقل عن المتوسط العام فتضم ثماني مناطق بنسبة 61.5% من جملة مناطق المملكة، حيث تتوزع جغرافيًا في منطقتي المدينة المنورة وعسير بنسبة 12.8% و23.9% على التوالي من جملة المساحة للمناطق سالفة الذكر، بينما تبلغ مساحة المناطق الصالحة للزراعة في حائل 12849كم^2، بنسبة 11.2% من جملة المساحة الكلية، وتضاف إليها المنطقة الشرقية والجوف وتبوك والحدود الشمالية والباحة. انظر الشكل (14).

وبتحليل العلاقة الارتباطية بين إنتاج التمور في المملكة ومساحة التربة الصالحة للزراعة وجد أن العلاقة بينهما طبقًا لمعامل بيرسون علاقة طردية قوية جدًا بلغت (0.88)، مما يعنى أن التباين في إنتاج التمور على مستوى مناطق المملكة يتأثر بشكل كبير بتوافر التربات الصالحة للزراعة. انظر الشكل (15).

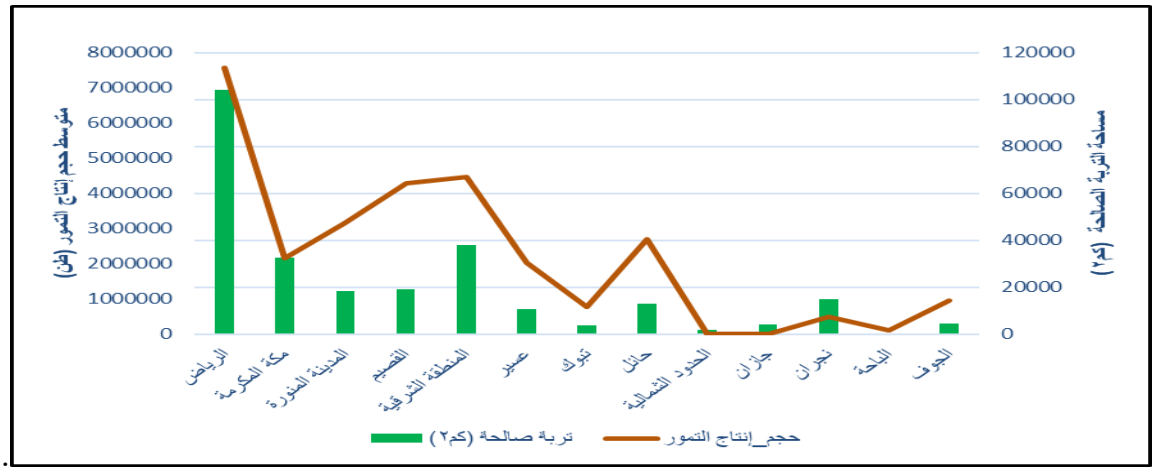

الشكل (15): التربة الصالحة للزراعة وعلاقتها بإنتاج التمور في مناطق المملكة (1975م -2015م

*المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات جدول رقم (7).

النتائج

- أثبتت الدراسة أن هناك علاقة طردية بين حجم السكان وكمية إنتاج التمور للفترة الممتدة ما بين 1975م ـ 2015م، حيث بلغت قوتها بمعامل بيرسون (0.67).
- هناك علاقة طردية ضعيفة جداً بين كمية إنتاج التمور في المملكة والمعدل السنوي للحرارة للفترة الممتدة ما بين 1975م ـ 2015م حيث بلغ معامل بيرسون (0.36).
- العلاقة الارتباطية بين متغيري إنتاج التمور في المملكة ومتوسط درجات فصل الصيف للفترة 1975م ـ 2015م هي علاقة طردية قوية، وبلغت قوتها بمقياس بيرسون (0.66).
- العلاقة الإحصائية بين تساقط الأمطار على المملكة وإنتاج التمور للفترة 1975ـ2015م ضعيفة جداً؛ حيث لم تتجاوز قوتها (0.2).
- وجود علاقة عكسية متوسطة القوة بين إنتاج التمور في المملكة وكمية الرطوبة المائية للفترة الممتدة ما بين 1975م ـ 2015م، فبلغت العلاقة طبقًا لمقياس بيرسون (-0.45).
- بينت الدراسة وطبقًا للتحليل المكاني، أن متوسط ملوحة التربة في المملكة العربية السعودية بلغت 5.19 ملليموز/ سم، أي نحو 5190 جزءاً في المليون.
- جميع مناطق إنتاج التمور في المملكة تقع ضمن المنطقة ذات التربة الآمنة لزراعة النخيل والواقعة ما بين (1500 ـ 6000) ppm، ماعدا منطقة المدينة المنورة والتي ارتفعت بزيادة طفيفة لم تتجاوز6062.31 pmm.
- وجود علاقة طردية قوية بين إنتاج التمور والمساحات الجغرافية للتربة الصالحة للزراعة في المملكة للفترة الممتدة ما بين 1975م ـ 2015م، فقد بلغت قوة العلاقة وفقًا لمقياس بيرسون (0.88).
- يمكن مضاعفة إنتاج التمور في المملكة بنسبة 500%، وذلك من خلال استصلاح التربة القابلة للاستصلاح، والبالغة مساحتها 54317 كيلومتراً مربعًا.

التوصيات

- التعاون بين الجهات الحكومية ذات العلاقة لاستصلاح التربة القابلة للاستصلاح والتي يمكن أن تُسهم في رفع كميات إنتاج التمور إلى نحو 500%.
- الاهتمام بالعمليات الزراعية واستخدام التقنية الحديثة المعتمدة على الآلة التي تقلل الجهد والوقت، وتسهم في التوسع الزراعي للنخيل.
- استحداث طرق جديدة لخروج مزارع النخيل من تركزها الموقعي حول المياه الجوفية، والاعتماد على الزراعة المطرية.
- السعي إلى التغلب على بعض الظروف الطبيعية التي يمكن أن ترفع من إنتاجية النخلة، وتعزز التوسع النوعي للنخيل.

ربط نتائج الدراسة بنتائج الدراسات السابقة

اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة الجاسم (2009م)؛ فقد كانت نقطة الاتفاق بين الدراستين في نتائجهما هي زيادة ونجاح الإنتاج وخاصة في فصل الصيف الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، ومن ثم يرتفع الإنتاج. كما اتفقت هذه الدراسة أيضًا مع دراسة الجاسم في عامل الرطوبة؛ إذ اتضح لدى الدراستين - من خلال نتائجهما- أن الرطوبة لها دور سلبي في التأثير على الإنتاج العام للتمور، فقد أشار التحليل الإحصائي لهذه الدراسة ضعف العلاقة الترابطية بين إنتاج التمور والمناطق التي ترتفع فيها الرطوبة، وهذا ما ظهر في نتائج دراسة الجاسم؛ وذلك عندما بينت أن المناطق التي ترتفع فيها الرطوبة تكون عرضة لكثرة الأمراض النباتية والذي بدوره يسهم في التقليل من الإنتاج وانخفاض مردوده وانخفاض هوامشه الربحية.

كذلك اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة خيون (2013م) في كونهما أظهرتا في نتائجهما الدور الجوهري لعامل الحرارة في التأثير على إنتاجية النخلة وخاصة في فصل الصيف أو ما يعرف بفصل الإنتاج.

Geographical Analysis of the Mos Important Geographical Factors Affecting Palm Production in the Kingdom of Saudi Arabia 1975-2015

Saleh Mohmmed Al Malky

Department of Administrative Sciences and Humanities, King Abdelaziz Military College, Kingdom of Saudi Arabia

ABSTRACT

This study was aimed generally at geographical analysis of the most important geographical factors affecting palm production in Saudi Arabia. The researcher believes that certain geographical factors, namely population, heat, rain, humidity, average salinity and suitability of the soil, directly affect the production of dates. The study discusses these factors and their impact on the production of dates crop in Saudi Arabia for the period 1975-2015.

To achieve the objectives of the study, the researcher used the analytical method through the GIS tool, which was used in the analysis of spatial statistical analysis (spatial statistics tools), and geostatic analysis provided by arc GIS Desktop tools to study the correlations between variables, The researcher also analyzed the study data in this curriculum using the Social Science Statistical Packages Program (SPSS), which is the repetitive distribution, percentages, and graphics, graphs and arithmetic average of the study variables. The most important results of the study were the study proved that there is a direct positive correlation between the kingdom's date production variables and the average summer temperatures for the period 1975-2015. According to spatial analysis, the average soil salinity in Saudi Arabia was 5.19 millimes/ cm, or about 5,190 ppm. All dates production areas in the Kingdom are located within the area with safe palm growing soils located between (1500 6000) ppm, except for Mzedina, which increased slightly by only 6062.31 pmm 0.66 per cent. The study concluded with several recommendations, the most important of which was Cooperation between relevant government authorities for reclamation of reclaimable soils that can contribute to raising date production to about. 500%

Keywords: Safe soil for farming, Volume Distribution, Annual average temperature, Physiological nature of the palm.

المصادر والمراجع

بدر، عزيزة محمد على. (2001م). **اللاجئون وتحديات التنمية في الصحراء الأفريقية الكبرى منظور جغرافي بيئي**. ضمن أعمال الملتقى الدولي حول التواصل الجزائري الأفريقي والتنمية الصحراوية، المركز الجامعي بأدرار، الجزائر.

الجاسم، كاظم عبادي حمادي. (2009م). **أثر العوامل المناخية على إنتاجية النخلة في العراق**. آداب، الكوفة، الجمهورية العراقية، المجلد (2)، العدد (5).

الحديثي، عبد الله بن سليمان. (2000م). **إنتاج وصناعة التمور في المملكة العربية السعودية "دراسة جغرافية"**. بحث منشور، جامعة أم القرى، مركز بحوث العلوم الاجتماعية، مكة المكرمة.

خيون، انتصار سكر. (2013م). الحدود المناخية لزراعة وإنتاج النخيل في محافظة اوسط. بحث منشور، **مجلة كلية التربية**، جامعة ذي قار، العدد (14).

سليمان، سعيد سعد وآخرون. (2014م). **ظواهر فسيولوجية في نخيل التمر**. سلسلة الإصدارات العلمية للجمعية السعودية للعلوم الزراعية، جامعة الملك سعود، الإصدار(29)، السنة (14).

عبيد، سعد صالح. (2013م). التوزيع المكاني للمساحات المزروعة بالقمح والشعير بناحية العياضة في الموصل باستخدام نُظم المعلومات الجغرافية .GIS بحث منشور، **المجلة العربية الدولية للمعلوماتية**، العدد(4).

غنيم، عبد الحميد. (1991م) .التوزيع الجغرافي لسكان الإمارات العربية المتحدة. بحث منشور، **سلسلة رسائل جغرافية**، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، العدد (97).

مركز البحوث الزراعية المصرية. (2004م). **زراعة وإنتاج نخيل البلح**. الإدارة المركزية للإرشاد الزراعي، جمهورية مصر العربية. القاهرة.

الملاح، جلال عبد الفتاح، والحسيني، عبد العزيز. (2013م). **تحليل الأنظمة الزراعية في مناطق زراعة النخيل وتقييم المنعكسات الاقتصادية والاجتماعية للمعوقات الفنية التي تجابه قطاع النخيل بالمملكة العربية السعودية**. رسالة ماجستير غير منشورة الدمام، جامعة الملك فيصل.

الهيئة العامة للإحصاء، (2016م). **المؤشرات الأولية للتعداد السكاني للسكان والمساكن في المملكة العربية السعودية**. نشرة إحصائية منشورة، الرياض.

وزارة البيئة والمياه والزراعة، (2015م). **مؤشرات إحصائية عن إنتاج وصناعة وتصدير التمور في المملكة العربية السعودية**. نشرة سنوية غير منشورة، العدد (19).

Arabic References In English

Al-Jassim, Kazem Ebadi Hammadi. (2009). *Impact of climatic factors on palm productivity in Iraq*. Literature. Kufa. Volume 2. P5-279.

Al-Mallah, Jalal Abdel Fattah, Husseini, Abdul Aziz. (2013). *Analysis of agricultural systems in palm plantation areas and assessment of economic and social impacts of technical constraints facing the palm sector in Saudi Arabia.* unpublished master's thesis Dammam. King Faisal University.

Badr, Aziza Mohamed Ali. (2001). *Refugees and development challenges in the Sahara*. as part of the International Forum on Algerian-African Communication and Desert Development. University Center in Adrar. Algeria: 249-278.

Egyptian Agricultural Research Center. (2004). *Planting and producing date palms*. Central Department of Agricultural Extension. Arab Republic of Egypt. Cairo.

General Statistics Authority. (2016). *Preliminary indicators of the population and housing census in Saudi Arabia*. published statistical bulletin. Riyadh.

Ghonim, Abdul Hamid. (1991). *Geographical Distribution of the Population of the United Arab Emirates*. Published Research. Geographical Letters Series. Kuwait Geographical Society. Issue 97. Kuwait. p. 5.

Haditha, Abdullah bin Suleiman. (2000). *Production and industry of dates in Saudi Arabia* "Geographical Study". published research. Um al-Qura University. Center for Social Sciences Research. Mecca.

Khyun, Intisar Sukkar .(2013). *The Climatic Boundaries of Palm Cultivation and Production in Central Province*. Beshr Manshar. Issue 14. Dhi Qar University. Faculty of Education Magazine. Department of Geography.

Ministry of Environment, Water and Agriculture. (2015). *Statistical indicators on the production. industry and export of dates in Saudi Arabia*. unpublished annual bulletin. issue Nineteenth.

Obeid, Saad Saleh. (2013). *Spatial distribution of wheat and barley-grown areas in Mosul using GIS*. published research. Arab International Journal of Informatics. Issue Fourth.

Suleiman, Saeed Saad and others. (2014). *Physiological phenomena in date palms*. series of scientific publications of the Saudi Society of Agricultural Sciences. 29th edition. 14th year. King Saud University.

التوظيف المتكامل لمخرجات النماذج الهيدرولوجية والمناخية في نمذجة عناصر الميزانية المائية بحوض وادي فاطمة (المملكة العربية السعودية)

صالح عبد المحسن الشمري *

تاريخ الاستلام 2022/04/28 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.9 تاريخ القبول 2022/07/24

الملخص

تعتمد هذه الدراسة على تطبيق نموذج منحنى التربة National Resources Conservation Service (NRCS-CN) في تقدير معامل الاستخلاص الأولي (Ia) والطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالمياه (S) والفائض المائي (Water Surplus) المائي والجريان السطحي المباشر (Qa) من جهة، وعلى تطبيق نماذج Makkink وTurc وJensen-Haise في تقدير الفاقد المائي بواسطة التبخر- نتح نظراً لعدم توفر قياسات فعلية يومية لهذا العنصر لحساب عناصر الميزانية المائية.

ولتحقيق أهداف الدراسة، تم استخدام خريطة موارد الأراضي لوزارة الزراعة بمقياس 500,000:1 لتحديد أرقام منحنى الجريان السطحي الموزون CNw الذي يعتمد عليه نموذج NRCS-CN في حساب متغيرات الجريان السطحي. كما تم توظيف أدوات التحليل المكاني المتاحة ببرنامج (Watershed Modeling System) (WMS) في تحديد مساحات التصريف لحوض وادي فاطمة وأحواض روافده المدروسة. كما اعتمدت منهجية الدراسة على أربعة مصادر خرائطية هي مخرجات المعالجة الرقمية لنموذج الإرتفاعات الرقمي للقمر الصناعي الياباني الأمريكي العلمي المشترك (ASTER GDem) بوضوح مكاني 30م في تحديد مساحات التصريف لحوض وادي فاطمة والأحواض الفرعية والخريطة الجيولوجية بمقياس 250,000:1 في تحديد التكوينات الصخرية والخريطة الطوبوغرافية بمقياس 250,000:1 في تحديد مسميات التضاريس. بالاضافة إلى ذلك اعتمد تقدير عناصر الميزانية المائية على بيانات الأمطار اليومية القصوى المسجلة خلال 36 سنة مشتركة (1976-2011) بمحطات مكة (J114) وبحرة الجديدة (J102) الطائف (القديرة)(TA004) ووادي محرم (TA106) ومدركة (J214) التابعة لوزارة البيئة والمياه والزراعة.

ولقد أظهرت نتائج هذ الدراسة أن أرقام منحنى الجريان السطحي الموزون تتراوح بين 78.8 (حوض وادي مكة) و92.5 (حوض وادي حورة) وأن المتوسط اليومي للأمطار اليومية القصوى يتراوح بين 29.4 ملم/يوم (أحواض أودية حورة وملح وصفية وذعر وبشم) و39.0 ملم/يوم (حوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر) وأن المتوسط اليومي للطاقة القصوى لإحتفاظ التربة بالمياه يتراوح بين 19.4 ملم/يوم (حوض وادي ملح) و68.5 ملم/يوم (حوض وادي مكة) وأن المتوسط اليومي لمعامل الاستخلاص الأولي يتراوح بين 4.1 ملم/يوم (حوض وادي حورة) و13.7 ملم/يوم (حوض وادي مكة) وأن عمق الجريان السطحي المباشر المناسب لها يتراوح بين 8.9 ملم/يوم (حوض وادي ذعر) و22.5 ملم/يوم (حوض وادي ملح) وأن الفائض المائي اليومي من مياه الأمطار الناتج يتراوح بين 22.4 ملم/يوم (حوض وادي مكة) و34.0 ملم/يوم (حوض وادي الفيضة) وأن كمية التسرب من مياه الأمطار تتراوح بين 6.3 ملم/يوم (حوض وادي حورة) و9.3 ملم/يوم (حوض وادي مكة) وأن كمية التبخر- نتح اليومي تتراوح بين 3.6 ملم/يوم (بستة أحواض مائية) و4.1 ملم/يوم (بثلاثة أحواض مائية).

وبناء على هذه النتائج توصي الدراسة بتطبيق نموذج NRCS-CN بأحواض التصريف التي تتوفر بها بيانات الأمطار وتغطية خرائطية طوبوغرافية وجيولوجية كاملة تتيح الوصول إلى تقديرات دقيقة لعناصر الميزانية المائية بجميع مناطق المملكة العربية السعودية. كما توصي هذه الدراسة باعتماد مخرجات نموذج NRCS-CN كمرجع لأي نتائج يتم الحصول عليها بتطبيق النماذج الهيدرولوجية والمناخية الأخرى. كما توجه هذه الدراسة بتحديث نتائجها بما يستجد من بيانات مطرية ومناخية من فترة لأخرى.

الكلمات المفتاحية: الأمطار اليومية القصوى، نموذج NRCS-CN، التبخر- نتح، النماذج الهيدرولوجية والمناخية، الميزانية المائية، حوض وادي فاطمة، المملكة العربية السعودية.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* مستشار تقني وأكاديمي بمجالات تقنية المعلومات والاتصالات، وعضو هيئة تدريس متعاون بجامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

المقدمة

تتعرض منطقة غرب المملكة العربية السعودية ذات الطبيعة الجافة لأمطار شديدة غير منتظمة تؤدي في كثير من الأحيان إلى حدوث سيول مباغتة تشكل خطرا يهدد المناطق العمرانية الممتدة في حدود أحواض تصريف أوديتها. ويزداد الوضع سوءاً داخل المناطق العمرانية التي تكثر بها مساحات السطوح غير المنفذة للماء كالشوارع والأبنية. ويتطلب الوضع الذي تتعرض له المناطق السكنية والعمرانية خلال فترات تساقط الأمطار إيجاد حلول كفيلة للحد من أخطار مياه السيول كإنشاء شبكات تصريف المياه الجارية السطحية داخل المدن أو بناء السدود وتحويلات إصطناعية على مجاري الأودية قبل دخولها إلى المناطق السكنية والعمرانية. ويعتمد إنشاء مثل هذه الحواجز لحماية البنى التحتية وغيرها للتعرف على قدرة الأحواض المائية في سرعة تحويل مياه الأمطار إلى جريان سطحي وما يشكله من خطر بيئي. ويتم عادة تحديد هذه القدرة بتحليل نظام الجريان الهيدرولوجي للأحواض المائية بواسطة القياسات الفعلية التي تتم للصبيب في المحطات الهيدرومترية المتواجدة على مجاري الأودية أو تقديرها بتطبيق النماذج الهيدرولوجية التي تم تصميمها لتقدير تدفق الجريان السطحي بأحواض التصريف التي لا تتوفر على محطات هيدرومترية كما هو الحال بالمناطق الجافة وشبه الجافة.

وفي هذا الإطار يعتبر نموذج NRCS-CN أكثر النماذج الهيدرولوجية استخداماً بأحواض التصريف الجافة وشبه الجافة كحوض وادي فاطمة موضوع هذه الدراسة. في عام 1933، تم إنشاء خدمة مصلحة حماية التربة Soil Erosion (SES) Service التي تم تغييرها لاحقاً إلى مصلحة صيانة التربة Soil Conservation Service (SCS) وتم تكليفها بإنشاء مشاريع حماية التربة من التعرية والتقهقر. وحينها أدركت مصلحة صيانة التربة SCS الحاجة إلى البيانات الهيدرولوجية عن معدلات الجريان السطحي. ولإقرار قانون مكافحة الفيضانات لعام 1936 (القانون العام 74-738)، تم تكليف وزارة الزراعة بإنشاء محطات هيدرومترية لمراقبة نظام الجريان السطحي وعمليات تآكل التربة. وكخطوة أولى، تم إجراء آلاف القياسات لمعدلات التسرب في العديد من المواقع التي تم إنشاؤها في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي لهذا الغرض من طرف مصلحة صيانة التربة SCS وغيرها من الوكالات في جميع أنحاء البلاد. وفي أوائل الأربعينيات من القرن العشرين، تم إستنباط بعض الطرق التي تستند إلى بيانات التسرب في تحديد الخصائص الهيدرولوجية للأحواض المائية وتقدير الجريان السطحي (Woodward et al., 2003).

وفي عام 1949 اقترح شيرمان (Sherman, 1949) فكرة تقدير الجريان السطحي المباشر من الجريان السطحي للعاصفة المطرية. وبناءً على هذه الفكرة، كما إقترح أيضاً في نفس الوقت موكيس (Mockus, 1949) تقدير الجريان السطحي من مجموعة من العوامل هي (نوع التربة، إستخدام الأرض، المساحة، الموقع، هطول الأمطار السابق، مدة وعمق العاصفة، متوسط درجة الحرارة السنوية وتاريخ العاصفة). كما أن (Andrews, 1954) قام بتجميع بيانات غير منشورة عن التسرب من تكساس، أوكلاهوما، أركنساس ولويزيانا ووجد أن صنف نسيج التربة هي السمة الوحيدة المتسقة داخل كل مجموعة من التربة.

وقد تمكن Andrews من تطوير طريقة بيانية لتقدير الجريان السطحي المباشر تعتمد على الاستخدام المتكامل لتركيب التربة ونسيجها ونوع ونسبة الغطاء الأرضي وطرق صيانة التربة. وقدم (Musgrave, 1955) وصفاً للتصنيف الهيدرولوجي للتربة على أساس معدل تسربها، وتمكن من تحديد أربع مجموعات أساسية للتربة اعتماداً على الحد الأدنى لسعة التسرب هي A وB وC وD (Woodward et al., 2003). ويعد هذا التصنيف الهيدرولوجي لأنواع التربة اللبنة الأساس لتصميم نموذج منحنى الجريان السطحي. وقد اعتمدت مصلحة صيانة التربة SCS على عملي Mockus وAndrews في توحيد طريقة تقدير الجريان السطحي بجميع أحواض التصريف التي لا تحتوي على محطات هيدرومترية دون اللجوء إلى معايرة التقدير. وقد شكل هذا العمل الأساس لوضع معادلة النموذج العام لتقدير الجريان السطحي التي تمكن من تطويرها لاحقاً بوضع الصيغة التالية: (Mockus Woodward et al., 2003)

$$F/S = Q/P$$

وفيها يمثل F الاحتفاظ الفعلي للتربة بالماء أثناء العاصفة المطرية وS الطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالماء عند بداية العاصفة المطرية وQ الجريان السطحي المباشر وP مجموع الأمطار أو الجريان السطحي الأقصى الممكن. وهي المعادلة التي تم تعديلها لاحقاً من طرف USDA Soil Conservation Service لتصبح في عام 1972 على شكل:

$$Q= [\langle\!\langle (P-0.2\ S) \rangle\!\rangle \ ^2/ ((P-0.8\ S))]$$

وفيها Q كمية الجريان السطحي (ملم) وP كمية الأمطار (ملم) وS الطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالماء (ملم) وهي تساوي:

$$S=254\ [100/CN-1]$$

وفيها يمثل CN رقم منحنى التربة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة التي تستخدم هذا النموذج ونماذج تقدير التبخر في استخلاص عناصر الميزانية المائية لحوض وادي فاطمة وتقدير جريانه السطحي.

موضوع الدراسة وأهميته

يمثل تقدير حجم الفيضانات والسيول بالمناطق الجافة وشبه الجافة مشكلة بيئية كبيرة لما تلحقه من أضرار بالغة بالبنية التحتية وبالمناطق السكنية والعمرانية التي تمتد داخل أحواض التصريف. كما يمثل غياب القياسات الفعلية للجريان السطحي السيلي مشكلة لدراسة النظام الهيدرولوجي للأحواض المائية بهذه المناطق. ولذا يعتبر تقدير الجريان السطحي من المواضيع التي نالت اهتماما كبيراً لدى الباحثين في المناخ والهيدرولوجيا والجيومورفولوجيا والهندسة، بحيث ظهرت منذ ثلاثينيات القرن الماضي الكثير من النماذج الهيدرولوجية التي يتم تطبيقها لهدف تقدير تدفق الذروة للسيول في الأحواض التي لا تحتوي على محطات هيدرومترية كحوض وادي فاطمة موضوع هذه الدراسة.

ولا يخفى على أحد مدى تفاقم هذه المشكلة في المملكة العربية السعودية خلال العقد الحالي وما نتج عن ذلك من خسائر بشرية واقتصادية، مما يستوجب تكثيف الدراسات الهيدرولوجية باستخدام التقنيات الحديثة التي تتصف بالدقة والسرعة في دراسة الخصائص الهيدرولوجية، التضاريسية والمساحية لأحواض التصريف. ومن هنا جاءت هذه الدراسة التطبيقية لتقدم إمكانية الاستفادة من التطبيقات المتكاملة لنموذج NRCS-CN ونماذج تقدير التبخر- نتح في حساب عناصر الميزانية المائية للفترة الممتدة من 1976 إلى 2011 (36 سنة) بحوض وادي فاطمة بمنطقة مكة المكرمة. وتعتبر هذه الفترة مشتركة بثماني محطات مطرية تم اعتماد بيانات أمطارها اليومية القصوى في حساب الميزانية المائية لحوض وادي فاطمة. ولقد تم اختيار نموذج الهيئة الأمريكية لحماية التربة نظراً لدقته في تقدير الطاقة القصوى للتربة للاحتفاظ بالماء التي تُعتبر مصدر حساب الفاقد المائي. كما تم استخلاص متوسط التبخر- نتح بتطبيق ثلاثة نماذج هي نموذج ماكينك (Makkink,1957) ونموذج جنسن-هايس (Jensen-Haise, 1973) ونموذج تورك (Turc, 1961). وتسهم منهجية هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الهيدرولوجية في إبراز فاعلية الاستخدام التكاملي للنماذج المناخية والنماذج الهيدرولوجية في دراسة الجريان السطحي العادي والسيلي لأحواض التصريف بالمملكة العربية السعودية وتقدير تدفق الذروة لجريانها السطحي ونمذجة المخاطر الناجمة عنه.

منطقة الدراسة

يتبع حوض وادي فاطمة محافظة مكة المكرمة ويُعد وادي فاطمة أحد أكبر أودية الحجاز ويقع حوض تصريفه في الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية ممتداً من أعلى السراة قرب الطائف حتى بلدة بحرة بالقرب من جدة، بين خطي طول°39 و'30°40 شرقاً وبين دائرتي عرض '15°21 و'45°22 شمالاً بمساحة تصريف تصل إلى 4943 كم² (الحربي، 1998) (الشكل1).

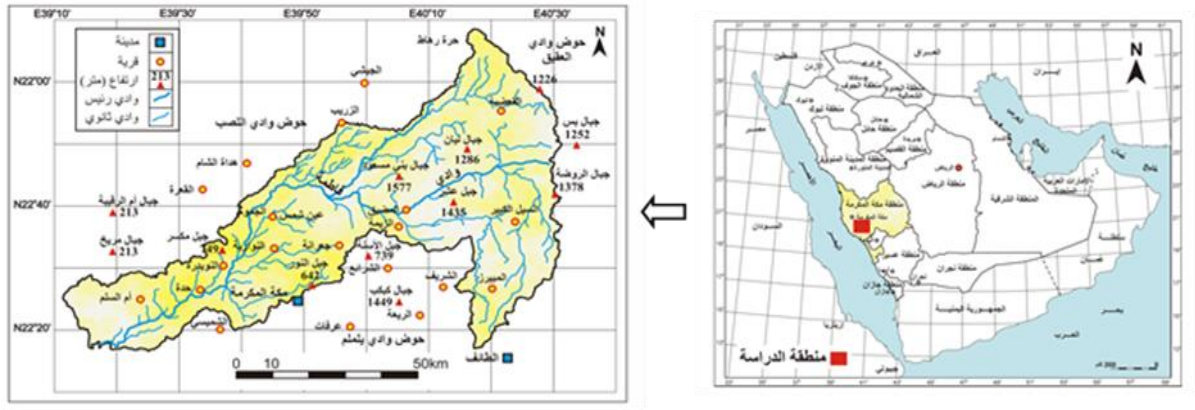

الشكل 1: الموقع الجغرافي لحوض وادي فاطمة

ويتشكل المجرى الرئيس لوادي فاطمة من إلتقاء ثلاثة أودية كبيرة هي:

1. وادي الشامية الذي يتشكل من إلتقاء مجرى السيل الكبير الذي ينبع من شمال مدينة الطائف على إرتفاعات تصل إلى 1593م ويجري باتجاه جنوبي- شمالي ووادي كندة ووادي بِري اللذين ينبعان من ارتفاعات تتراوح بين 1150م و1250م على التوالي. ويصب في وادي الشامية العديد من الأودية أهمها وادي حراض ووادي السيل الكبير ووادي بِري ووادي كندة.
2. وادي اليمانية الذي ينبع من ارتفاعات تصل إلى 1271م عند جبل دمه غربي مجرى وادي السيل الكبير وأهم روافده وادي الكفو ووادي الأشقر.
3. وادي حوره الذي ينبع من ارتفاعات تصل إلى 1379م عند جبل النجدية بحرة رهاط. ويصب في وادي الشامية العديد من الأودية أهمها وادي وعاجل ووادي الضريبة.

ويلتقي وادي الشامية مع وادي اليمانية على ارتفاع يصل إلى 500م قرب بلدة بني عمير ويشكلان مجرى واحداً قبل أن يقترنا بوادي حورة غرباً على ارتقاع يصل 350م. ويشكل إلتقاء الأودية الثلاثة المجرى الرئيسي لوادي فاطمة شمال مركز الريان. وتُصرف أودية الشامية واليمانية وحورة أحواضاً مائية بمساحات تصريف تبلغ على التوالي 1094 كم^2 ,537 كم^2 و1064 كم^2 (Italconsult, 1969).

ويتشكل حوضا وادي الشامية ووادي اليمانية بالأساس من الصخور المتبلورة كالجرانيت، الجرانوديورايت، النايس والشست التي تعتبر جزءاً من صخور الدرع العربي، في حين يتشكل حوض وادي حورة بالأساس من الصخور البازلتية ومن الصخور المتحولة التي تنكشف عند مجراه الأدنى بالقرب من مصب الحوض (الشكل 2). وترتبط منكشفات صخور الدرع العربي بالقرب من المصب بصورة أساسية ببنية الحوض الانكسارية. كما تظهر الصخور الرسوبية بالحوض الوسط لوادي فاطمة وهي تتشكل بالأساس من الحجر الرملي والطفل والحجر السلتي والكونغلوميرايت القارية والدلتاوية التابعة للأيوسين والأوليقوسين (Al-Shanti, 1966).

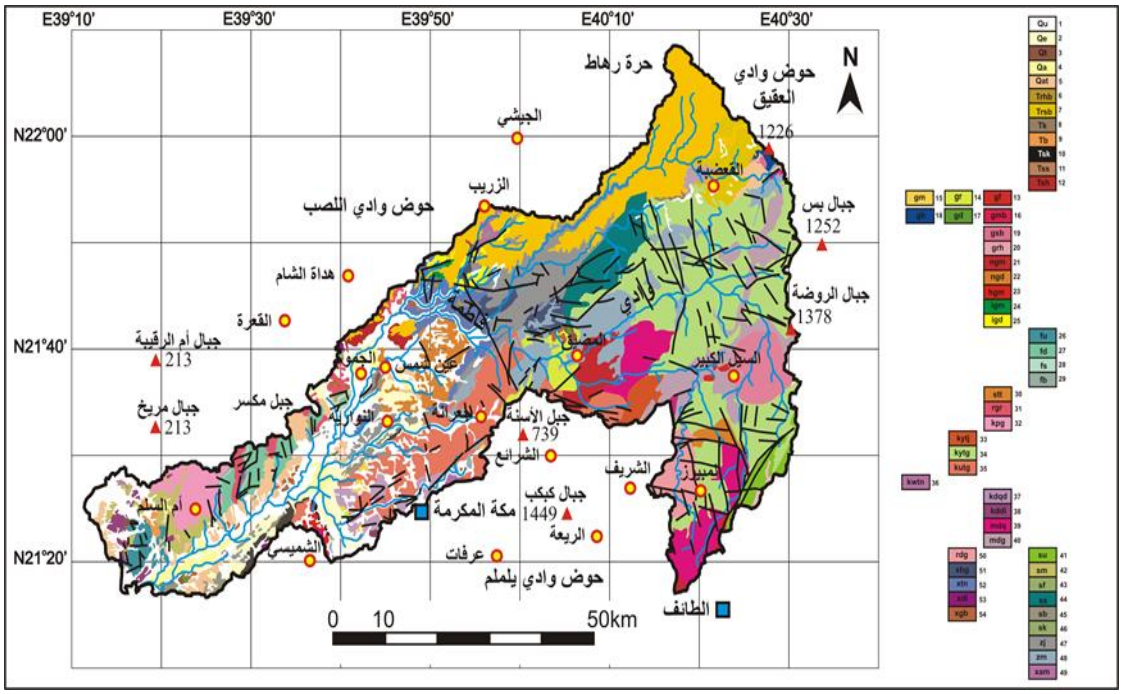

الشكل(2): خريطة التكوينات الجيولوجية لحوض وادي فاطمة.

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على الخريطة الجيولوجية، 1:250000، مربع مكة، لوحة 21 D، 1989.

(1)- رسوبات الزمن الرابع

Qu-1: رسوبات متنوعة، 2- Qe: رمال ريحية، 3- Qt: رسوبات المنحدرات، 4- Qa: رسوبات المراوح الفيضية (غير متدرجة)، 5- Qat: رسوبات المراوح الفيضية (متدرجة).

(2)- تكوينات النيوجين الرسوبية

6- Trhb: بازلت حمه (مجموعة رحات)، 7- Trsb: بازلت شواحيط (مجموعة رحات)، 8- Tk: تكوين خليصية.

(3)- تكوينات الميوسين الرسوبية

9- Tb: تكوين بطحان (ميوين سفلي وأوسط)، 10- Tsk: تكوين خليص (باليوسين إلى بداية الأيوسين)، 11- Tss: تكوين شميسي (باليوسين إلى بداية الأيوسين)، 12- Tsh: تكوين هداة الشام (باليوسين إلى بداية الأيوسين).

(4)- صخور ماقبل الكمبري الاندساسية

13- gf: فلسبار، 14- gr: مونزوجرانيت، 15- gm: ميكاجرانيت، 16- gmb: جرانوديورايت، 17- gd: ميغاتيت، 18- gb: جابرو، 19- gsb: سينوجرانيت (جرانيت بهيته)، 20- grh: مزنزوجرانيت وسينوجرانيت متكتل (معقد حلقة)، 21- ngm: بيوتايت ومونزوجرانيت (معقد نعمان)، 22- ngd: جرانوديورايت دقيق (معقد نعمان)، 23- gmh: مزنزوجرانيت (معقد حشفه)، 24- igm: هونبلاند وبيوتايت مونزوجرانيت (معقد حيشه)، 25- igd: جرانوديورايت (معقد حيشه).

(5)- صخور ماقبل الكمبري الرسوبية (مجموعة فاطمه)

26- fu: صخور مجموعة فاطمه، 27- fd: تكوين داف، 28- fs : تكوين شبيريم، 29- fb: تكوين بقر.

(6)- صخور ماقبل الكمبري الاندساسية

30- stt: تونالايت صمد، 31- rgr: جرانيت رميضة، 32- kpg: معقد قطانه، 33- kytj: تروندجمايت (معقد الشامية)، 34- kytg: جرانوديورايت (معقد الشامية)، 35- kutg: هورنبلاند تونالايت (معقد جعرانه)، 36- kwtn: هورنبلاند تونالايت (معقد شيوان)، 37- kdqd: كوارتز ديورايت (معقد ملح)، 38- kddi: ديورايت (معقد ملح)، 39- mdq: ديورايت وكوارتز ديورايت (معقد ملح)، 40- mdg: ديورايت وجابرو (معقد ملح).

(7)- صخور ماقبل الكمبري الرسوبية (مجموعة سمران)

41- su: تكوين محرم، 42- sm: تكوين مدركه، 43- sf: تكوين فائضة، 44- ss: تكوين سليمان، 45- sb: تكوين بحران، 46- sk: تكوين كشب، 47- zj: تكوين جموم، 48- zm: تكوين مادق، 49- xam: أمفيبولايت وصخور متنوعة.

(8)- صخور ماقبل الكمبري الاندساسية

50- rdg: جابرو وديورايت (معقد شرقه)، 51- xbg: بيوتايت جرانيت، 52- xtn: تونالايت وكوارتز ديورايت، 53- xdi: ديورايت وكوارتز ديورايت، 54- xgb: ميتاجابرو وجابرو.

وتمتد صخور تكوين وادي فاطمة الرسوبية التي تغطي بعد ما توافق صخور الدرع العربي بين جبل مكسر ومركز أم السلم على الضفة الشمالية للمجرى الأدنى لوادي فاطمة. ولقد ساهمت الصدوع والانكسارات في تشكيل المجرى الرئيسي لوادي فاطمة، بحيث يمتد مجرى وادي الشامية على طول انكسار شمالي شرقي - جنوبي غربي بطول حوالي 20 كم، كما يمتد المجرى الأدنى لوادي فاطمة بمحاذة مجموعة من الانكسارات التي أصابت صخور تكوين فاطمة الرسوبية. ولقد أدت أيضاً الانكسارات الشمالية الغربية - الجنوبية الشرقية إلى تشكيل مجاري العديد من الأودية الرافدة للمجرى الأدنى وكذلك بروز الظهور Horsts التي شكلت جبل مكسر (749م) وغيره من الجبال الأخرى (Moore and Al-Rehaili, 1989) . وتمتد الرسوبات الرباعية بشكل كبير بعد إتساع مجرى الروادي الرئيسي بعد خروجه من المنطقة الجبلية من شرق الجموم وعين شمس حتى مصب الحوض بالقرب من أم سلم.

ويرتبط الوضع التضاريسي لحوض وادي فاطمة بالخصائص الصخرية وبالبنية الجيولوجية، بحيث تتمثل أهم أشكال التضاريس في منطقتين، منطقة جبلية وأخرى سهلية (الشكل 3).

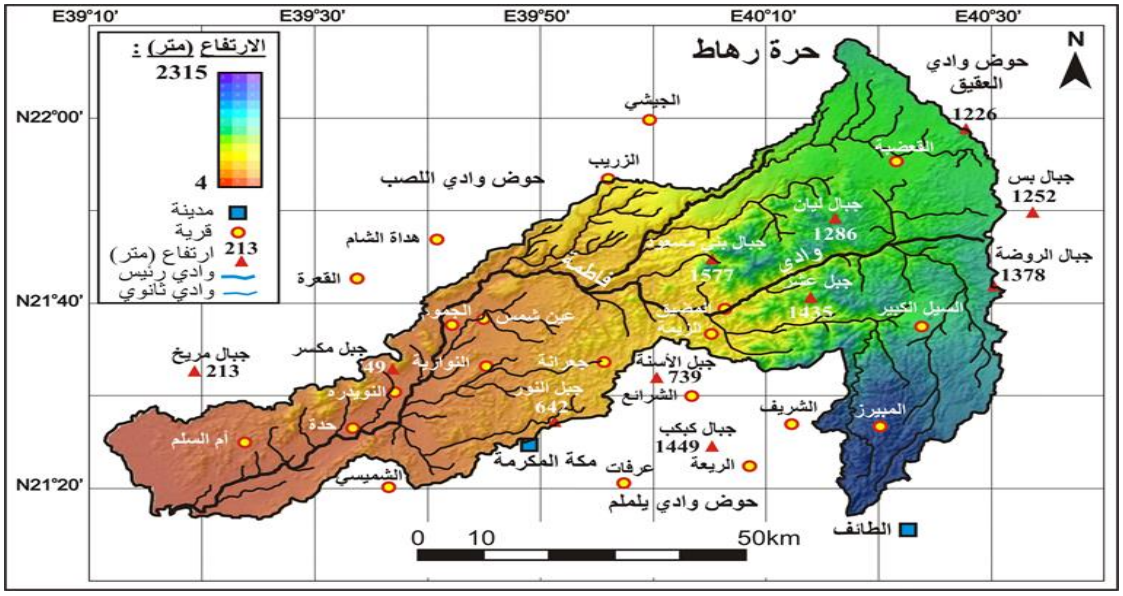

الشكل(3): نموذج لارتفاع الرقمي ASTER Dem 30m لحوض وادي فاطمة

(أ)- المنطقة الجبلية

وهي تتشكل من المرتفعات التي نشأت وتطورت بصخور الدرع العربي بشرق حوض وادي فاطمة وشكلت الحوض الأعلى وخط تقسيم المياه بين حوض وادي فاطمة من جهة وحوض وادي نعمان جنوباً وحوض وادي اللصب شمالاً وحوض وادي العقيق شرقاً من جهة آخرى. ومن أهم جبال هذه المنطقة جبال ليان (1286م) وجبال بني مسعود (1566م) وجبل بام (1118م) وجبل عشر (1435م) وجبل مسوليا (1226م) وجبل دمة (1271م) وضلع الجرة (1575م) وجبل كنشيل (1754م) وغيرها.

(ب)- المنطقة السهلية

وهي الممتدة من حرة العجيفة (483م) شرقاً حتى مصب الحوض غرباً (4م). وتتشكل هذه المنطقة من رسوبيات الزمن الرابع التي جمعتها مياه الجريان السطحي والرياح ببطون الأودية على ارتفاعات تتراوح بين 400م شرقاً و50م غرباً عند أبار أبو جعالة غرباً. وتظهر التضاريس السهلية على شكل سهل يتراوح عرضه بين 2 و10 كم ويمتد بطول حوالي 70 كم ويتكون من الرواسب الرملية والحصوية والطينية غير المتماسكة ويزيد سمكُها عن 40م (البارودي، 1986).

(ج)- المنحدرات والسفوح

تتجه الانحدارات من الشرق إلى الغرب مُشكلةً سفوح تضيق تدريجياً من منطقة المنابع باتجاه المصب. وتمتد السفوح والمنحدرات على سطح تتراوح نسبة انحداره بين 4.6% و32.7% وبمتوسط ارتفاع يتراوح بين 60م و1396م. وتتشكل السفوح عند منطقة المنابع من الصخور النارية، البركانية والمتحولة بينما تتشكل سفوح الحوض الأدنى من الصخور الرسوبية ورسوبيات الزمن الرابع التي تعرضت لعمليات التعرية المائية على امتداد مجاري الأودية حتى مصب وادي فاطمة. وتساهم هذه السفوح في سرعة الجريان السطحي التي تتناقص تدريجياً من منطقة المنابع باتجاه منطقة المصب مع انخفاض انحدار سطح الأرض.

ويقع حوض وادي فاطمة ضمن الاقليم المناخي المداري الجاف، وهو يتأثر بنوعين من المنخفضات الجوفية، منخفض البحر المتوسط خلال فصل الشتاء ومنخفض السودان خلال فصل الصيف. ويرتبط التوزيع المكاني للأمطار بالوضع التضاريسي للحوض، بحيث يتراوح المتوسط السنوي للأمطار بين 6.2 ملم بمحطة مكة على ارتفاع 280م و144.9 ملم بمحطة الطائف على ارتفاع 1567م. وعليه نجد أن معدل تغير الأمطار مع الارتفاع يبلغ 10.8 ملم/100م خلال الفترة 1976-2011. كما

يرتبط متوسط الأمطار السنوي بعدد الأيام الممطرة، والذي بلغ خلال الفترة المذكورة 92 يوم/سنة بمحطة بحرة الجديدة (116م) و115 يوم/سنة بمحطة مكة (280م) و325 يوم/سنة بمحطة البرزة (350م) و346 يوم/سنة بمحطة مدركة (710م) و470 يوم/سنة بمحطة وادي محرم (1237م) و1220 يوم/سنة بمحطة الطائف (1567م). وعليه فإن متوسط عدد الأيام الممطرة يتراوح بين 3 يوم/سنة بمحطتي مكة وبحرة الجديدة و34 يوم/سنة بمحطة الطائف.

وتتراوح درجات الحرارة الشهرية بين 15.4 مo خلال شهر يناير و29.0 مo خلال شهر يونيو بمحطة الطائف بالحوض الأعلى وبين 24.2 مo خلال شهر يناير و36.1 مo خلال شهري يونيو ويوليو بمحطة مكة بالحوض الأدنى لوادي فاطمة، أي بفارق مدى حراري يتراوح بين 8.8 مo خلال شهر يناير و7.1 مo خلال شهر يونيو. ومن جهة أخرى تتراوح المتوسطات الشهري للرطوبة النسبية بين 32.5% خلال شهر يونيو و58.8% خلال شهر ديسمبر بمحطة مكة وبين 24.1% خلال شهر يونيو و60.6% خلال شهر ديسمبر بمحطة الطائف. ويتعرض الحوض الأدنى لوادي فاطمة لهبوب الرياح الشمالية بمتوسط سرعة يتراوح بين 4.1 كم/ساعة خلال شهر نوفمبر و5.9 كم/ساعة خلال شهر مارس وبسرعة قصوى تتراوح بين 16.7 كم/ساعة خلال شهر ديسمبر و20.9 كم/ساعة خلال شهر أبريل بمحطة مكة. وتهب خلال شهر أكتوبر الرياح الجنوبية على مكة بمتوسط سرعة يبلغ 4.3 كم/ساعة وبسرعة قصوى تصل إلى 18.9 كم/ساعة. كما يتعرض الحوض الأعلى لوادي فاطمة إلى هبوب الرياح الغربية بمتوسط سرعة يتراوح بين 10.2 كم/ساعة خلال شهر نوفمبر و19.6 كم/ساعة خلال شهر يوليو وبسرعة قصوى تتراوح بين 28.3 كم/ساعة خلال شهر نوفمبر و39.4 كم/ساعة خلال شهر يوليو بمحطة مكة. وتهب خلال شهر أكتوبر الرياح الشرقية على الطائف بمتوسط سرعة يبلغ 10.2 كم/ساعة وبسرعة قصوى تصل إلى 29.4 كم/ساعة.

الدرسات السابقة

إعتمد هذا البحث على العديد من الدراسات المحلية التي تناولت تقدير الموارد المائية والميزانية المائية بأحواض التصريف بالمملكة العربية السعودية، نستعرضها حسب تسلسلها التاريخي. فقد تم تقدير حجم الجريان السطحي بما يعادل 13.2 مليون م3/سنة بحوض وادي فاطمة (Sadhan, 1980). وقد اعتمد (Barudi, 1986) في بحثه عن الميزانية المائية لحوض وادي فاطمة على نتائج دراسة Sadhan بتطبيق طريقة Langbein التي تعتمد على العلاقة بين عنصري التساقط والحرارة في حساب الجريان السطحي. كما اعتمدت دراسة البارودي أيضاً على نتائج دراسات شركة إيطالكونسلت Italconsult للإستشارات الهندسية في تقدير معدل التساقط الذي بلغ 156 ملم/سنة ينتج عنه حجم تساقط يصل إلى 667.6 مليون م3/سنة وجريان سطحي لا يمثل سوى 2% من كمية الأمطار بالمنطقة الشرقية من الحوض و5 إلى 6% من الأمطار بالمنطقة الغربية منه، أي ما يعادل حوالي 13.4 مليون م3/سنة و40.0 مليون م3/سنة بالمنطقتين على التوالي.

كما نشر (Al-Madheim, 2001) دراسة عن الميزانية المائية لحوض وادي حنيفة اعتمدت على خريطة خطوط التساوي لمتوسط أمطار الفترة 1988- 1994 في تقدير حجم التساقط الذي بلغ 405.7 م/كم2 بمعدل سنوي للأمطار قدره 88.3 ملم على مساحة التصريف لحوض وادي حنيفة (4590 كم2). كما تم تقدير المتوسط الشهري للتبخر- نتح بواسطة نموذج Jensen-Haise بحوالي 209.9 ملم في حين تم تقدير متوسط حجم الجريان السطحي بحوالي 5 % من متوسط حجم التساقط السنوي، أي ما يعادل 20.3 مليون م3 سنوياً. وفي عام 2010، قدمت الوكالة اليابانية الدولية للاستشارات الهندسية تقريراً عن حساب الميزانية بالاعتماد على قياسات الأمطار بمجموع 85 موقع بغربي المملكة العربية السعودية. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن متوسط الأمطار اليومية السنوي للفترة 1975- 2004 (30 سنة) يتراوح بين 15 و425 ملم/سنة، في حين يتراوح المتوسط السنوي للتبخر - نتح الفعلي بين 10 و610 ملم/سنة. كما توصلت هذ الدراسة إلى تقدير الميزانية المائية لمجموع 31 حوض مائي تمتد من الحدود اليمنية إلى جنوبي منطقة المدينة المنورة، منها 21 حوض بساحل البحر الأحمر و10 أحواض بنجد. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن إجمالي حجم التبخر- نتح الفعلي بلغ 1614 مليون م3/سنة وأن حجم الجريان السطحي بلغ 870 مليون م3/سنة لمجموع 31 حوض مائي شملته هذه الدراسة.

وهناك العديد من الدراسات التي اعتمدت على تطبيق النماذج الهيدرولوجية في تقدير الجريان السطحي بأحواض التصريف أهمها دراسة (Quraishi & Al-Hassoun, 1996) التي اعتمدت على تطبيق نموذج تالبوت Talbot في تقدير

تدفق الذروة بأحواض التصريف بالمملكة العربية السعودية. كما اعتمدت دراسة (Dawod et al., 2011) عن أودية منطقة مكة المكرمة ودراسة كل من (Alagha et al., 2016) عن حوض وادي يبا ودراسة (Al-Zahrani et al., 2016) عن حوض وادي الباطن ودراسة (Mahmoud, 2019) عن أودية منطقة الرياض على تطبيق نموذج الهيئة الأمريكية لحماية التربة NRCS-CN في تقدير الجريان السطحي بالأحواض المائية المدروسة.

بالاضافة إلى الدراسات المذكورة، هناك بعض الدراسات التي اهتمت بتطبيق طرق مختلفة لتقدير الموارد المائية بالمملكة، منها دراسة (Al-Harbi, 1998) عن مصادر المياه بمنطقة وادي الليث والدراسة التي قام بها كذلك (Keshk et al., 2016) لتقييم نوعية المياه في أجزاء من وادي فاطمة بغربي المملكة العربية السعودية. وكشفت نتائج هذه الدراسة عن وجود مياه ملوثة وأخرى تفوق نسبة ملوحتها المعايير الصحية العالمية بأجزاء مختلفة من الوادي. كما أنجز (Alhassan et al., 2016) دراسة تناولت حالة السيناريو القائم على إمدادات المياه الإقليمية والطلب في المملكة العربية السعودية. وهي دراسة إعتمدت على وصف ثلاثة نماذج للعرض والطلب على المياه بسيناريو للاستخدامات الزراعية وآخر للاستخدامات السكانية وثالث لحالة اختلال العرض. وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن الحاجة لاستخراج المياه الجوفية لغرض الإستخدامات الزراعية تتراوح بين 290 و1030 مليار م3، في حين أن عرض سنة 1996 من المياه الجوفية لم يتعد 289 مليار م3. وقد أشارت هذه الدراسة إلى ضرورة اتخاذ الاجراءات الملائمة لتحديد المحاصيل الزراعية المناسبة للميزانية المائية في المملكة العربية السعودية. وهناك دراسة أخرى أنجزها (Sen et al., 2017) تم فيها تحديد مؤشر الجفاف وتقدير المعدلات الشهرية المحتملة لهطول الأمطار ولتسرب مياه الأمطار داخل التربة بحوض وادي فاطمة باستخدام مجموعة من نسب الخطأ المحتملة. ومن الدراسات المحلية التي اهتمت بتقدير الجريان السطحي للسيول وتأثيراته البيئية دراسة (Bourouba, 2007) التي اعتمدت على توظيف الخصائص المورفومترية للحوض وادي عتود في تقدير التدفق السيلي ودراسة (Al Saud, 2010) التي توصلت إلى تصميم خريطة مخاطر الفيضانات والسيول في مدينة جدة بالاعتماد على بيانات سيول عامي 2004 و2005.

بالاضافة إلى ذلك توجد بعض الدراسات التي اهتمت ببعض المجالات الأخرى كدراسة (Al-Sefry & Sen, 2006) التي تطرقت إلى تقييم أخطاء إدارة المياه الجوفية في المناطق الجافة بالتطبيق على مدينة جدة. وتوصلت هذه الدراسة إلى اقتراح دالة التوزيع الاحتمالي لتقييم عدم اليقين في تقدير التشبع والتخزين وسماكة التكوينات الحاملة للمياه الجوفية المحتملة بوادي فاطمة عند مستويات الخطأ المختلفة. وأظهرت هذه الدراسة أن العلاقة بين القيم اللوغاريتمية لمعلمات طبقة المياه الجوفية والاحتمالية تكون خطية ويمكن الاستفادة منها في تقدير أوجه عدم اليقين في برنامج فعال لإدارة موارد المياه الجوفية.

ومما تقدم يتضح أن هذه الدراسة تتميز عن الدراسات السابقة من حيث أنها على تطبيق نموذج NRCS-CN الأكثر استخداماً في تقدير الجريان السطحي بأحواض التصريف بمختلف المناطق المناخية بالعالم، لدقتها في حساب عناصر الميزانية المناسبة لكميات الأمطار اليومية. كما أن تطبيق هذا النموذج على مستوى أحواض التصريف الفرعية لوادي فاطمة أظهر بشكل أفضل التباين المكاني للجريان السطحي بما يسمح لتعرف على أكثر الأودية قدرة في تحويل مياه الأمطار إلى مياه جريان سطحي. وعليه فإن تطبيق هذا النموذج على مستوى الأحواض الفرعية يسمح كذلك بتصنيف خطورة الجريان السيلي بكل حوض منها عند هطول الأمطار.

منهجية الدراسة

تتلخص الخطوات المنهجية العملية لتقدير عناصر الميزانية المائية لحوض وادي فاطمة بتطبيق نموذج NRCS-CN فيما يلي:

1- استخدام أدوات الاضافة ArcHydro 10.0 من بيئة ArcGIS 10.0 ESRI في معالجة نماذج الارتفاعات الرقمية بهدف القيام بالنمذجة الهيدرولوجية، وتحديد حدود أحواض التصريف المائية واشتقاق شبكة مجاري الأودية وتحديد مخارج حدود أحواض التصريف المائية وشبكة مجاري الأودية (الشكل 4).

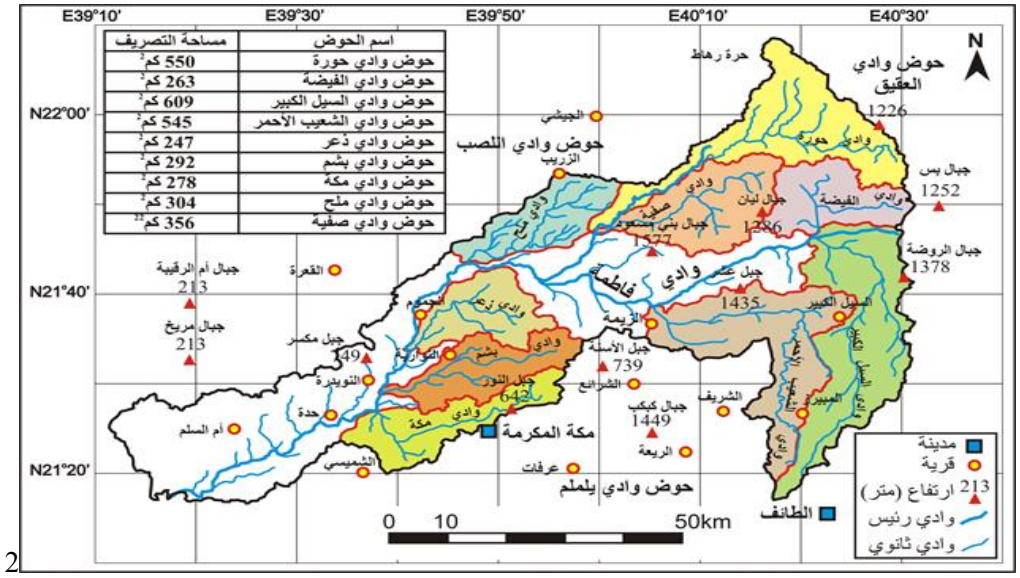

الشكل (4): الأحواض الفرعية لوادي فاطمة

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على نموذج الارتفاع الرقمي ASTER Dem 30m

2- لحساب رقم منحنى التربة لأحواض الروافد المدروسة تم تحديد أنواع التربة لأحواض الروافد المدروسة بالاعتماد على اللوحة 59 من خريطة موارد الأراضي (Ministry of Agriculture and Water, 1994) (الشكل 5). وقد تم حساب رقم منحنى التربة الموزون باستخدام أدوات التحليل المكاني Spatial Analyst من برنامج (ArcGIS 10.0 ESRI) (الجدول1).

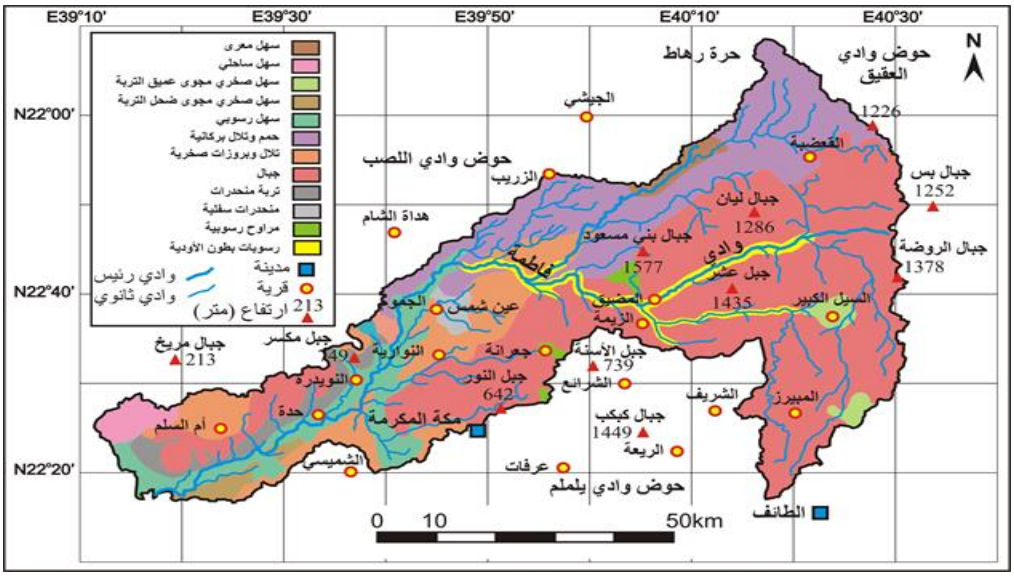

الشكل (5): التوزيع المكاني لأنواع التربة بحوض وادي فاطمة.

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على خريطة موارد الأراضي، 500,000:1، وزارة الزراعة، 1994.

الجدول(1): تحديد منحنيات التربة لأحواض الروافد المدروسة

نوع التربة		وادي حورة	وادي صقية	وادي الفيضة	وادي السيل الكبير	وادي ملح	وادي الشعيب الأحمر	وادي ذعر	وادي بشم	وادي مكة
حمم وتلال بركانية	CN	93	93	93		93		93		
	%	82.0	35.0	4.0		96.0		9.5		
جبال	CN	91	91	91	91		91	91	91	91
	%	15.0	65.0	96.0	97.0		97.0	12.0	87.0	37.0
سهل صخري مجوى عميق التربة	CN				63		63			
	%				3.0		3.0			
سهل صخري مجوى ضحل التربة	CN	85								
	%	3.0								
تلال وبروزات صخرية	CN					91		91	91	91
	%					4.0		57.0	8.0	29.0
تربة منحدرات سفلية	CN							72		
	%							14.0		
سهل رسوبي	CN							55	55	55
	%							7.5	2.5	32.0
مراوح رسوبية	CN								55	55
	%								2.5	2.0

ويتم استخراج رقم منحنى التربة Curve Number من جداول خاصة حسب نوعية التربة. وفي هذا الصدد اختبرت الهيئة الأمريكية لحماية التربة 8500 نوع من التربة بمختلف مناطق العالم وصنفتها في أربع مجموعات هيدرولوجية هي: (USDA-SCS, 1985) و(USDA-TR55, 1986).

- المجموعة A وهي مجموعة التربة الرملية Sand والتربة اللومية الرملية Loamy sand والتربة الرملية اللومية Sandy loam.
- المجموعة الثانية B وهي مجموعة التربة السلتية اللومية Silty loam والتربة اللومية .Loam
- المجموعة الثالثة C وهي مجموعة التربة الرملية الصلصالية اللومية .Sandy clay loam
- المجموعة الرابعة D وهي مجموعة التربة الصلصالية Clay بالإضافة إلى التربة الصلصالية اللومية Clay loam والتربة السلتية الصلصالية اللومية Silt clay loam والتربة الرملية الصلصالية Sandy clay والتربة السلتية الصلصالية Silty clay.

كما يرتبط تحديد رقم CN على الحالة المسبقة لرطوبة التربة Antecedent Moisture of Soil (AMS)، ويتم تحديدها من الجدول الخاص الذي اقترحته أيضاً الهيئة الأمريكية لحماية التربة وهو جدول يتضمن 3 مجموعات من التربة هي:

- المجموعة الأولى: (AMS I) وهي تخص التربة الجافة.
- المجموعة الثانية: (AMS II) وهي تخص التربة العادية.
- المجموعة الأولى: (AMS III) وهي تخص التربة المشبعة بالماء أو الرطوبة إثر تساقط الأمطار الخفيفة إلى الغزيرة مع تدني درجة الحرارة خلال خمسة أيام التي تسبق حساب كمية الجريان السطحي (McCuen, 1982).

3- جمع البيانات المطرية من خمس محطات مطرية وفحصها لاستخراج المتوسطات الأمطار اليومية القصوى (الجدول 2 والجدول 3 والشكل 6).

الجدول (2): احداثيات مواقع المحطات المطرية المدروسة.

اسم المحطة	رقم المحطة	خط الطول E	دائرة العرض N	الارتفاع (متر)	كود المحطة
مكة المكرمة	230	39°49'	21°26'	280	J 114
بحرة الجديدة	218	39°42'	21°26'	116	J 102
الطائف (القديرة)	627	40°27'	21°24'	1567	TA 004
وادي محرم	635	40°19'	21°20'	1237	TA 106
مدركة	265	39°59'	21°59'	710	J 214

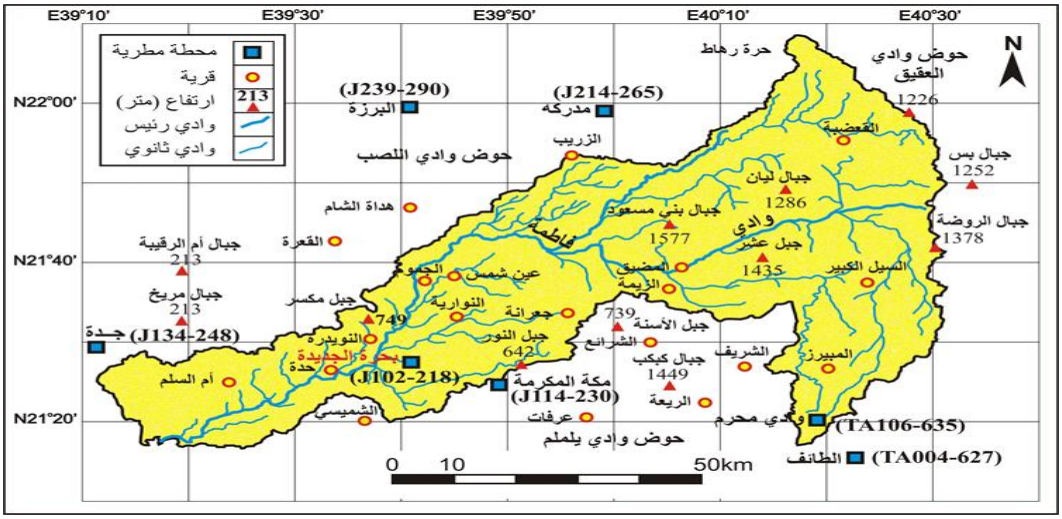

الشكل(6): مواقع المحطات المطرية لحوض وادي فاطمة.

الجدول (3): كميات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بالمحطات المطرية المدروسة.

السنة	مدركه	بحرة	الطائف	وادي محرم	مكة	السنة	مدركه	بحرة	الطائف	وادي محرم	مكة
1976	35.8	0.8	23.4	39.5	8.0	**1994**	41.0	7.0	18.0	41.6	10.2
1977	10.4	41.5	37.6	25.2	119.6	**1995**	41.0	16.0	22.8	29.8	47.1
1978	69.4	58.5	24.6	30.5	3.0	**1996**	40.6	38.5	30.4	51.2	39.3
1979	33.4	110.5	39.4	33.4	50.0	**1997**	80.0	61.0	37.2	42.8	32.0
1980	26.0	10.0	49.8	20.3	31.5	**1998**	51.0	83.0	56.8	151.5	83.7
1981	35.0	13.0	45.9	36.0	22.0	**1999**	30.4	8.0	24.6	27.5	21.3
1982	30.4	0.9	31.4	68.3	12.6	**2000**	22.8	52.0	18.0	32.3	111.0
1983	28.4	3.5	19.4	33.8	3.6	**2001**	16.5	31.0	39.8	46.9	75.6
1984	17.0	11.0	19.8	27.3	16.2	**2002**	45.0	50.0	97.7	111.0	64.0
1985	6.6	24.5	37.6	64.5	49.2	**2003**	6.8	28.0	24.2	27.5	37.1
1986	19.6	7.8	36.6	40.2	7.9	**2004**	12.6	0.0	0.3	0.3	0.0
1987	13.0	20.5	27.6	40.2	45.2	**2005**	22.0	40.0	31.6	35.9	73.6
1988	34.2	35.7	23.8	26.7	42.3	**2006**	2.4	2.0	13.5	15.3	12.2
1989	16.4	21.4	23.4	43.0	87.2	**2007**	27.0	30.5	21.2	24.1	35.0
1990	16.6	8.0	41.0	30.5	8.1	**2008**	39.6	30.0	28.2	14.1	86.0
1991	10.0	31.0	42.2	22.5	41.4	**2009**	14.6	7.0	6.6	59.2	20.5
1992	83.6	52.5	45.8	57.5	126.1	**2010**	18.2	30.0	17.0	7.5	44.5
1993	18.8	30.0	23.4	27.9	70.9	**2011**	42.5	35.0	23.0	19.3	30.0

4- حساب عناصر الميزانية المائية

يعتمد حساب الميزانية المائية للحوض المائي على حساب ما يلي:

1- الطاقة القصوى للاحتفاظ بالمياه داخل التربة (ملم) Potential Maximum retention S

يتم حساب أقصى طاقة للاحتفاظ بالمياه داخل التربة (ملم) S بتطبيق المعادلة التالية :

$$S = \frac{25400}{CN} - 254$$

وفيه يمثل CN رقم منحنى التربة Curve Number ويتم استخراجه من جداول خاصة حسب نوعية التربة.

2- حساب معامل الاستخلاص الأولي (مم) I_a Initial abstraction

يمثل معامل الاستخلاص الأولي Initial abstraction (I_a) كمية الفاقد مياه الأمطار التي تتحول إلى تبخر وتسرب وتخزين داخل التربة وهي تحسب بتطبيق المعادلة التالية:

$$I_a = 0.2\ S$$

وفيها S يمثل أقصى طاقة للاحتفاظ بالمياه داخل التربة.

وعليه فإن I_a تمثل كمية الأمطار التي تسقط خلال يوم واحد ولا ينتج عنها جريان سطحي بحيث تماثل $P \leq Ia$.

3- حساب عمق الجريان السطحي (ملم) Q_a

يتم حساب عمق الجريان السطحي Q_a بتطبيق المعادلة التالية:

$$Q_a = \left(\frac{(P - I_a)^2}{P + (0.8\ S)}\right.$$

وفيها S يمثل أقصى طاقة للاحتفاظ بالمياه داخل التربة (ملم) وI_a كمية الفاقد من الأمطار (ملم) وP كمية الأمطار (ملم).

4- حساب الفاقد بواسطة التبخر- نتح

لتقدير الفاقد من مياه الأمطار بواسطة عملية التبخر - نتح بشكل يسمح بالحصول على متوسط أكثر موضوعية في تمثيل كمية التبخر-نتح، تم تطبيق 3 نماذج هي نموذج ماكينك (Makkink, 1957) ونموذج تورك (Turc, 1961) ونموذج جنسن-هايس (Jensen-Haise, 1963).

(أ) - نموذج ماكينك (Makkink, 1957)

يتم حساب التبخر- نتح بنموذج ماكينك بتطبيق المعادلة التالية :

$$ET\ (mm.day^{-1}) = 0.61\left[\frac{\Delta}{\Delta + \gamma\lambda}\right]\left[\frac{R_s}{\lambda}\right] - 0.12$$

وفيه ET ($mm.day^{-1}$) التبخر- نتح الكامن اليومي (mm) وR_s إجمالي الاشعاع الشمسي و($MJm^{-2}day^{-1}$) وΔ انحدار منحنى ضغط بخار الماء وهو يساوي:

$$\Delta = \left[\frac{2504\ \exp\left[\frac{17.27\ T_a}{T_a + 237.3}\right]}{(T_a + 237.3)^2}\right]$$

وفيه:

Δ: انحدار منحنى ضغط بخار الماء (kPa/°C) وT_a درجة الحرارة اليومية (°C) وγ الثابت البسيكومتري (kPa/°C) وهو يساوي:

$$\gamma = 0.00163\left[\frac{P}{\lambda}\right]$$

بحيث يمثل P الضغط الجوي اليومي (kPa) وλ الحرارة الكامنة للتبخير وهي تساوي:

$$\lambda\ (MJ/kg) = 2.501 - (2.361 * 10^{-3})\ T_a$$

(ب) - نموذج تورك (Turc, 1961)

يتم حساب التبخر بنموذج تورك بتطبيق المعادلة التالية: (Diouf et al., 2016 : 117)

$$ET_o(\frac{mm}{day}) = a * C * (R_g + b) * \left[\frac{T}{T+15}\right]$$

وفيه ET_o متوسط التبخر اليومي (ملم) وT متوسط درجة الحرارة اليومية (^oC) وR_g إجمالي الاشعاع الشمسي ($MJ.m^{-2}.day^{-1}$) وa ثابت قدره ($0.31\ m^2.MJ^{-1}.mm^{-1}$) و b ثابت قدره ($2.094\ MJ.m^{-2}.day^{-1}$) و$C$ معامل حراري يساوي :

بالنسبة لشهور السنة التي تتسم برطوبة نسبية تقل أو تساوي 50%.

$$C = 1 + \left[\frac{50 - RH}{70}\right]$$

بالنسبة لشهور السنة التي تتسم برطوبة نسبية تقل عن 50% (RH< 50%).

و $C = 1$ بالنسبة لشهور السنة التي تتسم برطوبة نسبية تساوي أو تفوق 50% ($RH \geq 50\%$).

(ج)- نموذج جنسن-هايس (Jensen-Haise, 1963).

يستخدم هذا النموذج لتقدير التبخر اليومي للتبخر بتطبيق المعادلة التالية:

$$E_{tp}\ (Langley/day) = C_t\ (T' + T_x)\ R_s$$

وفيه يمثل Etp كمية التبخر اليومي (لانجلي/يوم) وR_s إجمالي الاشعاع الشمسي (لانجلي/يوم) وC_t معامل يتم حسابه بتطبيق المعادلة التالية:

$$C_t = 1/\ C_1 + C_2 + CH$$

وفيه $C_1 = 38 - (2EL)/(305)$، بحيث يمثل EL ارتفاع المحطة (متر)، و$C_2 = -10.6\ C^o$

$CH = (50\ mb)/(e_2 - e_1)$، بحيث يمثل e_1 ضغط بخار الماء المشبع (mb) عند درجة الحرارة الدنيا (C^o) وهو يحسب بواسطة المعادلة التالية: (Musy, 2004)

$$e_1(kPa) = 0.6108 \exp\left[\frac{17.67\ T_{mean}(C^o)}{T_{mean}(C^o) + 237.3}\right]$$

و e_2 ضغط بخار الماء الفعلي (mb) عند درجة الحرارة القصوى (C^o) وهو يساوي : $e_2(mb) = e_1(mb)\left[\frac{R_h}{100}\right]$

وفيه R_h متوسط الرطوبة النسبية الشهري.

e_2 ضغط بخار الماء الفعلي عند درجة الحرارة القصوى (C^o).

و $T_x = -2.5 - (0.14\ (e_2 - e_1))$.

ويتم تحويل التبخر اليومي المحسوب بوحدة (لانجلي/يوم) إلى تبخر يومي (ملم/يوم) بتطبيق المعادلة التالية:

$$E_{tp}\ (mm/day) = E_{tp}\ (Langley/day)\ .\ (1/y)$$

وفيه $y = 595.9 - (0.55\ T')$ ، بحيث يمثل T' المتوسط الشهري لدرجة الحرارة (C^o).

5- حساب الفاقد بواسطة التسرب

يمكننا الاستفادة من العلاقة بين كمية الأمطار وكمية التبخر- نتح المترتبة عنها في حساب الفاقد المائي بواسطة التسرب Percolation بواسطة المعادلة التالية:

$$E = P - Qs - \Delta M \quad (Sokolov\ \&\ Chapman, 1974: 47)$$

وفيها يمثل E كمية التبخر-نتح وP كمية الأمطار (ملم) وQs كمية الجريان السطحي (ملم) وΔM تغير المحتوى الرطوبي للتربة.

ونظراً لكون تربة حوض وادي فاطمة تربة جافة فإن كمية ΔM تؤول إلى 0. وعليه نجد أن:

$$P = E + Qs + 0$$

وباستخدام هذه العلاقة في نموذج NRCS-CN ، نجد أن :

$$P = Q + Ia$$

$$P = Q + (Etp + Percolation)$$

$$Percolation = P - (Q + Etp)$$

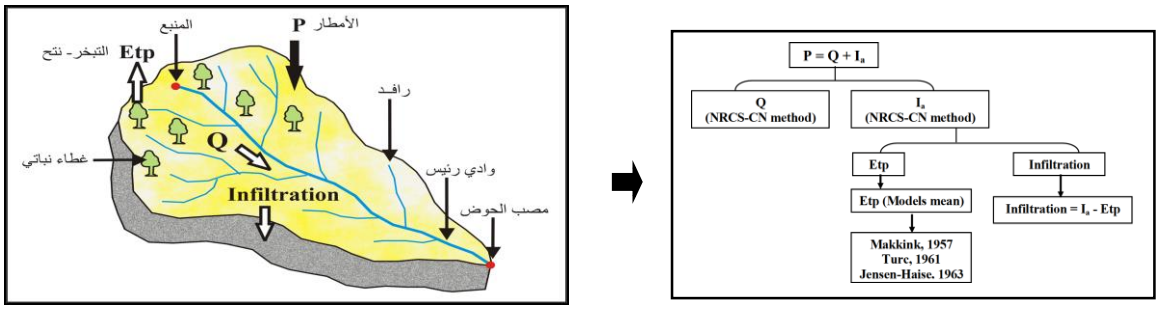

الشكل (7): شكل توضيحي لعناصر الميزانية المائية لحوض التصريف
المصدر: عمل الباحث.

التحليل والمناقشة

تتلخص نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

1- التباينات المكانية والزمنية لعناصر الميزانية المائية

بعد تحديد رقم لأحواض الروافد تم حساب رقم منحنى التربة الموزون لكل حوض من أحواض الروافد المدروسة كما تم حساب الطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالماء وحساب معامل الاستخلاص الأولي (الجدول 4).

ويتضح من بيانات الجدول 4 أن كميات الأمطار اليومية التي لها القدرة على توليد جريان سطحي تتراوح بين 3.9 ملم/يوم بحوض وادي ملح و13.7 ملم/يوم بحوض وادي مكة. ولقد تم تحديد كمية الأمطار اليومية المولدة للجريان السطحي بكل حوض رافد من بيانات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بالمحطات المطرية التي تقع داخل مساحة التصريف أو أقرب المحطات المطرية منها، بحيث تتوزع هذه المحطات على النحو التالي:

1- محطة مدركة لحساب أمطار أحواض أودية حورة وملح وصفية.

2- محطتا بحرة الجديدة ومدركة لحساب أمطار حوضي وادي ذعر ووادي بشم.

3- محطتا مكة وبحرة الجديدة لحساب أمطار حوض وادي مكة.

4- محطتا وادي محرم والطائف لحساب أمطار حوض وادي السيل الكبير.

5- محطة وادي محرم لحساب أمطار حوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر.

الجدول (4): تحديد رقم منحنى التربة الموزون لأحواض الروافد المدروسة

حوض الرافد	CNw	S	Ia
وادي مكة	78.8	68.5	13.7
وادي بشم	89.2	30.8	6.2
وادي ذعر	85.8	41.9	8.4
وادي الشعيب الأحمر	90.2	27.7	5.5
وادي ملح	92.9	19.4	3.9
وادي السيل الكبير	90.2	27.7	5.5
وادي الفيضة	91.1	24.9	5.0
وادي صقية	91.7	23.0	4.6
وادي حورة	92.5	20.7	4.1

وعليه نجد أن الأمطار اليومية القصوى تتوزع على النحو التالي بأحواض الروافد المدروسة: (الجدول 5)

الجدول(5): كميات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بأحواض الروافد المدروسة

السنة	حوض وادي حورة	حوض وادي ملح	حوض وادي صقية	حوض وادي ذعر	حوض وادي بشم	السنة	حوض وادي حورة	حوض وادي ملح	حوض وادي صقية	حوض وادي ذعر	حوض وادي بشم
1976	35.8	35.8	35.8	18.3	18.3	**1994**	41.0	41.0	41.0	24.0	24.0
1977	10.4	10.4	10.4	26.0	26.0	**1995**	41.0	41.0	41.0	28.5	28.5
1978	69.4	69.4	69.4	64.0	64.0	**1996**	40.6	40.6	40.6	39.6	39.6
1979	33.4	33.4	33.4	72.0	72.0	**1997**	80.0	80.0	80.0	70.5	70.5
1980	26.0	26.0	26.0	18.0	18.0	**1998**	51.0	51.0	51.0	67.0	67.0
1981	35.0	35.0	35.0	24.0	24.0	**1999**	30.4	30.4	30.4	19.2	19.2
1982	30.4	30.4	30.4	15.7	15.7	**2000**	22.8	22.8	22.8	37.4	37.4
1983	28.4	28.4	28.4	16.0	16.0	**2001**	16.5	16.5	16.5	23.8	23.8
1984	17.0	17.0	17.0	14.0	14.0	**2002**	45.0	45.0	45.0	47.5	47.5
1985	6.6	6.6	6.6	15.6	15.6	**2003**	6.8	6.8	6.8	17.4	17.4
1986	19.6	19.6	19.6	13.7	13.7	**2004**	12.6	12.6	12.6	6.3	6.3
1987	13.0	13.0	13.0	16.8	16.8	**2005**	22.0	22.0	22.0	31.0	31.0
1988	34.2	34.2	34.2	35.0	35.0	**2006**	2.4	2.4	2.4	2.2	2.2
1989	16.4	16.4	16.4	18.9	18.9	**2007**	27.0	27.0	27.0	28.8	28.8
1990	16.6	16.6	16.6	12.3	12.3	**2008**	39.6	39.6	39.6	34.8	34.8
1991	10.0	10.0	10.0	20.5	20.5	**2009**	14.6	14.6	14.6	10.8	10.8
1992	83.6	83.6	83.6	68.1	68.1	**2010**	18.2	18.2	18.2	24.1	24.1
1993	18.8	18.8	18.8	24.4	24.4	**2011**	42.5	42.5	42.5	38.7	38.7

تابع الجدول (5): كميات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بأحواض الروافد المدروسة

السنة	حوض وادي مكة	حوض وادي السيل الكبير	حوض وادي الفيضة	حوض وادي الشعيب الأحمر	السنة	حوض وادي مكة	حوض وادي السيل الكبير	حوض وادي الفيضة	حوض وادي الشعيب الأحمر
1976	4.4	31.5	39.5	39.5	**1994**	8.6	29.8	41.6	41.6
1977	80.6	31.4	25.2	25.2	**1995**	31.6	26.3	29.8	29.8
1978	30.8	27.6	30.5	30.5	**1996**	38.9	40.8	51.2	51.2
1979	80.3	36.4	33.4	33.4	**1997**	46.5	40.0	42.8	42.8
1980	20.7	35.1	20.3	20.3	**1998**	83.4	104.2	151.5	151.5
1981	17.5	41.0	36.0	36.0	**1999**	14.7	26.1	27.5	27.5
1982	6.7	49.9	68.3	68.3	**2000**	81.5	25.2	32.3	32.3
1983	3.5	26.6	33.8	33.8	**2001**	53.3	43.4	46.9	46.9
1984	13.6	23.6	27.3	27.3	**2002**	57.0	104.4	111.0	111.0
1985	36.9	51.1	64.5	64.5	**2003**	32.5	25.9	27.5	27.5
1986	7.9	38.4	40.2	40.2	**2004**	0.0	0.3	0.3	0.3
1987	32.8	33.9	40.2	40.2	**2005**	56.8	33.8	35.9	35.9
1988	39.0	25.3	26.7	26.7	**2006**	7.1	14.4	15.3	15.3
1989	54.3	33.2	43.0	43.0	**2007**	32.8	22.6	24.1	24.1
1990	8.1	35.8	30.5	30.5	**2008**	58.0	21.2	14.1	14.1
1991	36.2	32.4	22.5	22.5	**2009**	13.8	32.9	59.2	59.2
1992	89.3	51.7	57.5	57.5	**2010**	37.3	12.3	7.5	7.5
1993	50.4	25.7	27.9	27.9	**2011**	32.5	21.2	19.3	19.3

وبالاعتماد على بيانات الجدولين 4 و5 تم حساب عناصر الميزانية المائية لأحواض الروافد المدروسة، بحيث تبين:

1. أن كميات الأمطار اليومية القصوى للفترة ما بين 1976-2017 لها القدرة على توليد جريان سطحي بجميع أحواض الروافد عدا أمطار سنة 2006 بأحواض أودية حورة وملح وصفية وأمطار سنة 2004 بأحواض أودية السيل الكبير والفيضة والشعيب الأحمر وأمطار سنتي 2004 و2006 بحوضي وادي ذعر ووادي بشم وأمطار سنوات 1976 و1982 و1983 و1984 و1986 و1990 و1994 و2004 و2006 و2009 بحوض وادي مكة.
2. أن كميات الأمطار اليويمة القصوى التي لها القدرة على توليد جريان سطحي تتراوح بين 6.6 ملم/يوم (1985) و83.6 ملم/يوم (1992) بأحواض أودية ملح وحورة وصفية وبين 10.8 ملم/يوم (2009) و72.0 ملم/يوم (1979) بحوضي وادي ذعر ووادي بشم وبين 14.7 ملم/يوم (1999) و89.3 ملم/يوم (1992) بحوض وادي مكة وبين 12.3 ملم/يوم (2010) و104.4 ملم/يوم (2002) بحوض وادي السيل الكبير وبين 7.5 ملم/يوم (2010) و151.5 ملم/يوم (1998) بحوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر.
3. أن كميات الفائض المائي تتراوح بين 2.5 ملم/يوم (1985) و79.5 ملم/يوم (1992) بأحواض أودية ملح وحورة وصفية وبين 2.4 ملم/يوم (2009) و63.6 ملم/يوم (1979) بحوضي وادي ذعر ووادي بشم وبين 1.0 ملم/يوم (1999) و75.6 ملم/يوم (1992) بحوض وادي مكة وبين 6.8 ملم/يوم (2010) و98.9 ملم/يوم (2002) بحوض وادي السيل الكبير وبين 2.5 ملم/يوم (2010) و146.5 ملم/يوم (1998) بحوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر.
4. أن كميات الفاقد بواسطة التسرب تتراوح بين 1.5 ملم/يوم (1991) و13.4ملم/يوم (1992) بحوض وادي حورة وبين 0.2 ملم/يوم (2005) و0.7 ملم/يوم (1992) بحوض وادي ملح وبين 1.3 ملم/يوم (1991) و14.8 ملم/يوم (1992) بحوض وادي صقية وبين 0.2 ملم/يوم (1986) و21.9 ملم/يوم (1997) بحوض وادي ذعر وبين 0.6 ملم/يوم (1990) و17.7 ملم/يوم (1997) بحوض وادي بشم وبين 3.4 ملم/يوم (1980) و32.9 ملم/يوم (1992) بحوض وادي مكة وبين 2.7 ملم/يوم (2006 و2010) و17.6 ملم/يوم (2002) بحوض وادي السيل الكبير وبين 2.7 ملم/يوم (2008) و16.2 ملم/يوم (2002) بحوض وادي الفيضة وبين 2.6 ملم/يوم (2008) و18.2 ملم/يوم (1998) بحوض وادي الشعيب الأحمر.

ومن خلال ما تقدم نجد أن كمية الجريان السطحي التي ولدتها الأمطار اليومية القصوى للفترة ما بين 1976-2017 بمختلف أحواض الروافد تتراوح بين 0.3 ملم/يوم (1985) و63.1 ملم/يوم (1992) بأحواض وادي حورة ووادي ملح ووادي صقية وبين 0.1 ملم/يوم (2009) و38.3 ملم/يوم (1979) بحوضي وادي ذعر ووادي بشم وبين 0.2 ملم/يوم (1981) و39.7 ملم/يوم (1992) بحوض وادي مكة وبين 1.3 ملم/يوم (2010) و77.3 ملم/يوم (2002) بحوض وادي السيل الكبير وبين 0.2 ملم/يوم (2010) و2.125 ملم/يوم (1998) بحوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر.

2- الميزانية المائية للفترة 1976-2011

انتهت هذه الدراسة إلى تحديد معدلات عناصر الميزانية المائية بأحواض الروافد كما يلخصها الجدول 6 والشكل 8.

يتراوح متوسط الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بين 29.4 ملم/يوم بأحواض أودية حورة وملح وصفية وذعر وبشم و39.9 ملم/يوم بحوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر، في حين يتراوح متوسط حجم الأمطار اليومي بين 10.5 مليون م^3/يوم بحوض وادي صقية و21.3 مليون م^3/يوم بحوض وادي الشعيب الأحمر.

ويتراوح متوسط معامل الاستخلاص الأولي اليومي للفترة المذكورة بين 3.9 ملم/يوم بحوض وادي ملح و13.7 ملم/يوم بحوض وادي مكة، وهو يمثل نسباً تتراوح بين 12.8% و38.0% من مياه الأمطار بحوض وادي الفيضة ووادي مكة على التوالي. في حين يتراوح متوسط حجم معامل الاستخلاص الأولي اليومي بين 1.2 مليون م^3/يوم بحوض وادي ملح و3.8 مليون م^3/يوم بحوض وادي مكة.

الجدول (6): متوسطات عناصر الميزانية المائية لأحواض الروافد المدروسة خلال الفترة 1976-2011

الحوض المائي	P (mm)	S (mm)	Ia (mm)	SW (mm)	Qa (mm)	Etp (mm)	Percolation (mm)
وادي حورة	29.4	20.7	4.1	25.3	15.4	3.6	6.3
وادي ملح	29.4	19.4	3.9	25.5	22.5	3.6	0.0
وادي صقية	29.4	23.0	4.6	24.8	14.5	3.6	6.7
وادي ذعر	29.0	41.9	8.4	20.6	8.9	3.6	8.1
وادي بشم	29.0	30.8	6.2	22.8	11.5	3.6	7.7
وادي مكة	36.1	68.5	13.7	22.4	9.5	3.6	9.3
وادي السيل	34.8	27.7	5.5	29.3	16.4	4.1	8.8
وادي الفيضة	39.0	24.9	5.0	34.0	21.4	4.1	8.5
وادي الشعيب	39.0	27.7	5.5	33.5	20.2	4.1	9.2

P:الأمطار (مم)، S: الطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالمياه (مم)، Ia: معامل الاستخلاص الأولي (مم)، SW: الفائض المائي (مم)، Qa: الجريان السطحي (مم)، Etp (مم): التبخر- نتح، Percolation: التسرب (مم).

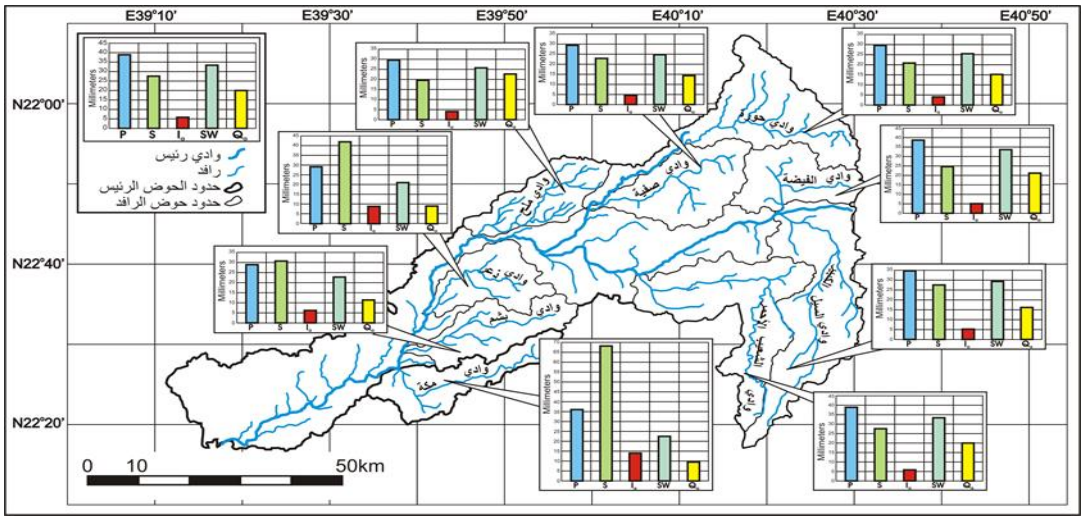

الشكل (8): التباين المكاني لعناصر الميزانية المائية للفترة 1976-2011 لأحواض روافد وادي فاطمة المدروسة

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول 6.

كما يتراوح متوسط الفائض المائي اليومي للأمطار بين 20.6 مم/يوم بحوض وادي ذعر و34.0 مم/يوم بحوض وادي الفيضة. وهو يمثل نسباً تتراوح بين 62.0% و87.2% من مياه الأمطار بحوض وادي مكة ووادي الفيضة على التوالي. في حين يتراوح متوسط حجم الفائض المائي اليومي بين 5.1 مليون م^3/يوم بحوض وادي ذعر و18.3 مليون م^3/يوم بحوض وادي الشعيب الأحمر.

وقد نتج عن هذا الفائض المائي متوسط جريان سطحي يومي يتراوح بين 8.9 ملم/يوم بحوض وادي ذعر و22.5 ملم/يوم بحوض ملح. وهو يمثل نسباً تتراوح بين 30.7% و76.5% من مياه الأمطار بحوض وادي ذعر ووادي ملح على التوالي وبين 42.4% و88.2% من متوسط الفائض المائي اليومي بحوضي وادي مكة ووادي ملح على التوالي. في حين يتراوح متوسط حجم الجريان السطحي اليومي بين 2.2 مليون م^3/يوم بحوض وادي ذعر و11.0 مليون م^3/يوم بحوض وادي الشعيب الأحمر.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن حوض وادي الشعيب الأحمر هو أكثر الأحواض قدرة على تحويل مياه الأمطار إلى مياه جريان سطحي نظراً لإتسامه بالخصائص الجيولوجية والتضاريسية والمناخية المساعدة على توليد فائض مائي تصل نسبته إلى 85.9% من متوسط كميات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011، يتحول منه 51.8% إلى جريان سطحي مباشر. وترتبط قدرة حوض وادي الشعيب الأحمر العالية على إنتاج فائض مائي بارتفاع متوسط كميات الأمطار وبطابعه الجبلي وبمساحة تصريفه الكبيرة، وهي كلها خصائص ساهمت في توليد ميزانية مائية لها القدرة على توفير موارد مائية سطحية مهمة يمكن استغلالها في العديد من المجالات.

كما تبين أن حوض وادي ذعر هو أقل الأحواض قدرة على توفير موارد مائية سطحية لأنه يتسم بمتوسط للأمطار اليومية القصوى لا يتعدى 29.0 ملم/يوم وبمتوسط فائض مائي يومي لا يتعدى 20.6 ملم/يوم وبمتوسط جريان سطحي يومي لا يتعدى أيضاً 8.9 ملم/يوم ويمثل نسبة لا تتعدى 30.7% من متوسط مياه الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011. وعليه فإن حجم الفائض المائي لحوض وادي ذعر لا يتعدى 5.1 مليون م3/يوم، يتحول منه فقط 2.2 مليون م3/يوم إلى جريان سطحي مباشر. ويعتبر هذا المتوسط هو أدنى حجم من الجريان السطحي على مستوى كل أحواض الروافد المدروسة.

النتـائج

أظهرت نتائج هذه الدراسة إمكانية الاستفادة من التوظيف المتكامل لنموذج NRCS-CN لتقدير الفائض المائي ومعامل الاستخلاص الأولي والجريان السطحي المباشر من جهة ونماذج تقدير التبخر- نتح لتقدير الفاقد المائي من جهة ثانية لاستخدامها في حساب الميزانية المائية لأحواض التصريف الجافة. كما تبين من خلال نتائج هذه الدراسة إمكانية الاستفادة من الخطوات المنهجية لهذه الدراسة في تقدير الميزانية المائية بأحواض التصريف بالمملكة العربية السعودية التي تتوفر فيها محطات مطرية خريطة لأنواع التربة.

وقد ساهم توفر بيانات الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 وخريطة الموارد الأرضية (خريطة التربة) بمقياس 500,000:1 والخريطتين الجيولوجية والطوبوغرافية بمقياس 250,000:1 على التعرف بأحواض الروافد وتحديدها من مخرجات نموذج الارتفاعات الرقمية ASTER Dem 30m. وعليه فقد توصلت هذه الدراسة إلى:

1. تحديد متوسط كميات الأمطار اليومية القصوى (P) التي لها القدرة على توليد فائض مائي (SW) يتحول إلى جريان سطحي مباشر (Q_a) وفاقد مائي (I_a) يتحول إلى تبخر- نتح (Etp) وتسرب (Infiltration)، بحيث تراوح متوسط الأمطار اليومية القصوى للفترة 1976-2011 بين 29.0 ملم/يوم بحوضي وادي ذعر ووادي ببشم من جهة و39.0 ملم/يوم بحوضي وادي الفيضة ووادي الشعيب الأحمر من جهة ثانية.
2. تحديد منحنى التربة الموزون (CNw) لكل حوض مائي، بحيث تراوحت قيم هذا المنحنى بين 78.8 بحوض وادي مكة و92.9 بحوض وادي ملح.
3. بالاعتماد على رقم منحنى التربة توصلت هذه الدراسة إلى تقدير الطاقة القصوى لاحتفاظ التربة بالمياه (S) التي تراوحت قيمها بين 19.4 ملم/يوم بحوض وادي ملح و68.5 ملم/يوم بحوض وادي مكة.
4. بتوظيف قيمة الطاقة القصوى لإحتفاظ التربة بالمياه تم تقدير قيم معامل الاستخلاص الأولي الذي تراوح بين 3.9 ملم/يوم بحوض وادي ملح و13.7 ملم/يوم بحوض وادي مكة.كما تم تقدير كميات الفائض المائي التي تراوحت بين 20.6 ملم/يوم بحوض وادي ذعر و34.0 ملم/يوم بحوض وادي الفيضة.
5. بالاضافة إلى ذلك أظهرت نتائج هذه الدراسة أن حوض وادي الشعيب الأحمر هو أكثر أحواض الروافد المدروسة قدرة على توفير ميزانية مائية بموارد مائية سطحية مهمة وأن حوض وادي ذعر هو أقل الأحواض قدرة على تحويل مياه الأمطار إلى فائض مائي وميزانية مائية تساهم في تنمية الموارد المائية السطحية بحوض وادي فاطمة.

Integrative Employment of Hydrological and Climate Models in Estimating the Water Budget: A Case Study of the Wadi Fatimah Basin (Saudi Arabia)

Saleh Abdul Mohsen Al-Shammari

Technical and Academic Advisor in GIS Technics & Associate Professor at Hail University, KSA.

Abstract

This study relies on the application of NRCS-CN model proposed by the US National Resources Conservation Service widely used in estimating the initial coefficient (I_a), the potential maximum retention after runoff (S), the direct surface runoff (Q_a). The Makkink, Turc and Jensen-Haise models in estimating water losses by evaporation-transpiration due to the lack of actual measurements during the studied period. The required parameters of water balance were determined using the relationships between the NRCS-CN outputs and the evapotranspiration estimates.

To achieve the sudy objectives, this study used four mapping sources, that are; the ASTER Dem 30m in determining the the Wadi Fatimah catchment and its sub-basins, the Land resources map in extracting the weighted curves number, the Geologic maps (1:250000) to determine the rock formations, and the Topographic maps (1:250000) in analyze the relief properties. The maximum daily rainfall data recorded in stations of Mecca (J114), Bahrah Al-Jadida (J102), Taif (Al-Qadirah) (TA004), Wadi Muharram (TA106), and Mudrakah (J214) supervised by the Ministry of Environment, Water and Agriculture were used in computing water surplus.

The results of this study showed that the weighted curve numbers were ranged between 78.8 in Wadi Makkah basin and 92.5 in Wadi Huwarah basin, the daily rainfall average between 29.4 mm/day in the Wadi Huwarah, Milh, Şigiyah, Dhu'ar and Bashm basins and 39.0 mm/day in the Wadi Faydhah and Wadi Shu'aib Al Ahmar basins.The potential maximum soil moisture retention after runoff begins was ranged between 19.4 mm/day in the Wadi Milh basin and 68.5 mm/day in the Wadi Makkah basin, , the initial abstraction ranged between 4.1 in the Wadi Huwarah basin and 13.7 mm/day in the Wadi Makkah basin and the direct runoff ranged between 8.9 mm/day in the Wadi Dhu'ar basin and 22.5 mm/day in the Wadi Milh basin. So, the water surplus extrcted fron rainfall was raged between 22.4 mm/day in the Wadi Makkah basin and 34.0 mm/day in the Wadi Faydah basin, the daily infiltration ranged between 6.3 mm/day in the Wadi Huwarah basin and 9.3 mm/day in the Wadi Makkah basin, and the daily evapotranspiration ranged between 3.6 mm/day in six basins and 4.1 mm/day in three basins.

Key-Words : Maximum daily rainfall, NRCS-CN Model, Climatic models, Hydrologic models, Water balance, Wadi Fatimah basin, Saudi Arabia.

المراجع العربية

إدارة المساحة الجوية. (1986). **الخريطة الجيولوجية. 250,000:1**، مربع مكة المكرمة Sheet 21D، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض، الطبعة الأولى.

آل سعود، مشاعل بنت محمد. (2010). خريطة مخاطر الفيضانات والسيول في مدينة جدة. **بحوث جغرافية**، الجمعية الجغرافية السعودية، جامعة الملك سعود، العدد 91.

البارودي، محمد سعيد. (1986). الميزانية المائية لحوض وادي فاطمة. **سلسلة بحوث جغرافية**، الجمعية الجغرافية الكويتية، وحدة البحث والترجمة، جامعة الكويت، العدد 88،

بوروبة، محمد فضيل. (2007). دراسة هيدرومورفومترية لتقدير حجم سيول حوض وادي عتود بالمملكة العربية السعودية. **بحوث جغرافية**، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد 21.

الحربي، خالد مسلم. (1998). **مصادر المياه بمنطقة وادي الليث دراسة في جغرافية الموارد**. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

محمود عبد الرحمن. (2019). **خريطة مخاطر الفيضانات والسيول في مدينة الرياض: نموذج محاكاه باستخدام نظم المعلومات الجغرافية**. بحث غير منشور، 13 صفحة.

المديهيم، خالد بن ناصر سليمان. (2001). الميزانية المائية لحوض وادي حنيفة. **سلسلة رسائل جغرافية**، الجمعية الجغرافية السعودية، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد 252،

وزارة الزراعة والمياه. (1994). **خريطة الموارد الأرضية**. مقياس 500,000:1، الرياض، 83 صفحة.

Arabic References In English

Al Saud, Mashaal bint Mohammed. (2010). Flood and Flood Risk Map in Jeddah. *Geographical Research*, Saudi Geographical Society, King Saud University, No. 91.

Al-Harbi, Khaled Muslims. (1998). *Water sources in the Leith Valley Region are Studied in the Geography of Resources*. Unpublished Master's Thesis Presented to the Department of Geography, Faculty of Social Sciences, Umm al-Qura University, Makkah.

Al-Madheim, Khaled bin Nasser Suleiman. (2001). Water Budget for the Wadi Hanifa Basin. *Geographical Research Series*, No. 252, Saudi Geographical Society, Department of Geography, Faculty of Arts, King Saud University, Riyadh.

Barudi, Mohammed Said. (1986). Water Budget for the Fatima Valley Basin. *Geographical Research Series*, No. 88, Kuwait Geographical Society, Research and Translation Unit, Kuwait University.

Bourouba, Mohammed Fadil. (2007). Hydromorphometric Study to Estimate the Size of the Seoul Wadi Atud Basin in Saudi Arabia. *Geographical Research*, Centre for Gulf and Arabian Island Studies, Kuwait University, No. 21.

Mahmoud, Abdel Rahman. (2019). *Flood and Flood Risk Map in Riyadh: Simulated Model Using GIS*. Unpublished Search, 13 pages.

Managing Air Space. (1986). *Geological Map. 250,000: 1*, Makkah Al-Mukrramh Square, Sheet 21D, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Riyadh, 1st edition.

Ministry of Agriculture and Water. (1994). *Land Resources map. Scale 500,000: 1*, Riyadh, 83 pages.

English References

Alagha, M.O.; Gutub, S.A. and Elfeki, A.M. (2016). Estimation of NRCS curve number from watershed morphometric parameters: A case study of Yiba watershed in Saudi Arabia. *International Journal of Civil Engin. And Techn*., Vol. **7**, Issue 2: 247-265.

Alhassan, A.A.; McCluskey, A.; Alfaris, A. and Strzepek, K. (2016). Scenario Based Regional Water Supply and Demand Model: Saudi Arabia as a Case Study**.** *International Journal of Environmental Science and Development*, Vol.**7**, No.1:45-51.

Al-Sefry, S. and Şen, Z. (2006). *Groundwater Rise Problem and Risk Evaluation in Major Cities of Arid Lands: Jedddah Case in Kingdom of Saudi Arabia.* Water Resources Management 20 (1): 91-108.

Al-Zahrani , M.; Al-Areeq , A. and Sharif, H.O. (2016). Estimating urban flooding potential near the outlet of an arid catchment in Saudi Arabia. *Geomatics, Natural Hazards and Risk*, pp. 1-17, DOI: 10.1080/19475705.2016.1255668,

Andrews, R. G. (1954). *The use of relative infiltration indices in computing runoff*. (unpublished) Soil Conservation Service, Forth Worth Texas.

Dawod, G.M.; Mirza, M.N. and Al-Ghamdi, K.A. (2011). GIS-Based Spatial Mapping of Flash Flood Hazard in Makkah City, Saudi Arabia. *Journal of Geographic Information System* Vol.3, No.3, July 29, 2011, DOI:10.4236/jgis.2011.33019.

Italconsult. (1969). *Water supply surveys for Jeddah-Makkah-Taif areas*. Final report. Geologic Investigation, Ministry of Agriculture and Water, Riyad, Saudi Arabia.

Jensen, M.E. and Haise, H.R. (1973). Estimation of evapotranspiration from solar radiation, *Journal of Irrigation and Drainage Division, Proceedings of the American Society Civil Engineers* (89):15-41.

Keshk, A.A.; AlSharif , M.A.; Al-Mutari, K.A.; Al-Magrby, A.A. , Al-Asser, S.M. and Zareh, M.M. (2016). Evaluation of Water Quality in Parts of Wadi Fatimah, Western Saudi Arabia. *International Journal of Environmental & Agriculture Research* (IJOEAR), Vol.2, Issue 7:1-6.

Makkink, G.F. (1957). Testing the Penman formula by means of lysimeter. *Journal of the Institution of Water Engineers* **(**11**)**: 277-288.

McCuen, R.H. (1982). *A guide to hydrologic analysis using SCS methods*. Prentice-Hall Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 145 pages.

Mockus, V. (1949). *Estimation of total (and peak rates of) surface runoff for individual storms*. Exhibit A in Appendix B, Interim Survey Report (Neosho) River Watershed USDA.

Moore, T.A. and Al-Rehaili, M.H. (1989). *Geologic map of the Makkah quadrangle*. sheet 2ID, Kingdom of Saudi Arabia: Saudi Arabian Directorate General of Mineral Resources Geoscience Map GM-107, scale 1:250,000, with text, 62 pages.

Musgrave, G.W. (1955). *How much of the rain enters the soil? In Water*. The Yearbook of Agriculture 1955. U.S. Dep. Agric. U.S. Gov. Print. Off. Washington, DC. p. 151-159.

Quraishi, A. and Al-Hassoun, S., (1996). Use of Talbot Formula for Estimating Peak Discharge in Saudi Arabia. *JKAU Eng. Sci.*, Vol. **8**, pp. 73-85.

S.C.S. (1972). *National Engineering Handbook*. Section 4. Hydrology, Soil Conservation Service, US Department of Agriculture: Washington, DC.

Sadhan, A.S. (1980). *Water plan for Wadi Fatimah basin, Saudi Arabia.* A thesis for the degree of Master of Science in Water resources, University of Wyoming, Laramie, Wyoming.

Şen, Z.; Al-Harithy, S.; As-Sefry, S. and Almazroui, M. (2017). Aridity and risk calculations in Saudi Arabian Wadis: Wadi Fatimah. *Earth System and Environment* (2017) :1-26.

Shanti, A. (1966). *Oolitic iron ore deposits in Wadi Fatimah between Jeddah and Makkah*. Dir. Min. Res. Bull. 2, Jeddah.

Sherman, L. K. (1949). *The Unit Hydrograph method. In Physics of the Earth*. O. E. Menizer Ed. Dover Publications, Inc. New York, N.Y., 514-525.

Sokolov, A.A., Chapman, T.G. (1974). *Methods for Water Balance Computation (An International Guide for Research and Practice)*. A contribution to the international Hydrological Decade, UNESCO Press, Paris, 124 pages.

Turc, L. (1961). Evaluation des besoins en eau d'irrigation, évapotranspiration potentielle. *Annales Agronomiques* 12 (1) :13-50.

USDA-TR55. (1986). *Urban Hydrology for small watersheds***.** Department of Agriculture, NRCS, Conservation Engineering Division, USA.

Woodward, D. E., Hawkins, R. H., Jiang, R., Hjelmfelt, A. T., Van Mullem, J. A. and Quan, Q. D. (2003). *Runoff curve number method: Examination of the initial abstraction ratio.* Proc. ASCE Conf. Proc., Philadelphia, PA, 118 (308).

أثر الخصائص الاجتماعيّة والاقتصاديّة في ظهور خدمة النّقل غير الرّسمي داخل بلدية إربد الكبرى

عمر الضيافلة * و هنادي الخطيب *

تاريخ الاستلام 2022/06/12 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.10 تاريخ القبول 2022/08/22

الملخص

هدفت هذه الدّراسة إلى الكشف عن دوافع العمل بالنّقل غير الرّسميّ اعتمادًا على بعض الخصائص الاقتصاديّة والاجتماعيّة للعاملين فيه، كما سعت لتقييم مستوى الخدمات المقدّمة من النّقل الرّسميّ وغير الرّسميّ من قبل المستخدمين في مناطق بلديّة إربد الكبرى.

واتّبعت الدّراسة المنهج الوصفيّ التّحليليّ والمسح الاجتماعيّ والميدانيّ، واعتمدت على البيانات التي تمّ جمعها من عيّنة الدّراسة المكوّنة من نموذجين من الاستبانات: الأولى للعاملين في النّقل غير الرّسميّ، والثّانية للمستخدمين بواقع 800 استبانة موزّعة بالتّساوي لكلٍ منهما. وأظهرت الدّراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين دوافع ظهور النقل غير الرّسميّ للعاملين تُعزى لمتغير الدّخل، وعُدّ كل من البطالة وعدم كفاية وسائط النّقل الرّسميّ في المناطق المزدحمة سكانيًا من مسبّبات ظهور النّقل غير الرّسميّ من وجهة نظر المستخدمين. لذا تُوصي الدّراسة بتحسين أداء خدمات النّقل الرّسميّ من خلال توفير وسائل نقل تعمل بنظام ثلاث فترات صباحيّة ومسائيّة وليليّة.

الكلمات المفتاحية: النّقل غير الرّسمي، النّقل الرّسميّ، مناطق بلديّة إربد الكبرى، البؤر السّاخنة.

المقدمة

يعد نظام النّقل واحدًا من الرّكائز الأساسيّة للتّنمية الاقتصاديّة المستدامة؛ فهو يسهّل عمليّة نقل وحركة النّاس والسّلع والخدمات والموارد، وبه تتم عمليّة الولوج إلى الأسواق المحليّة والدوليّة. كما يعدّ مؤشّرًا مهمًا من مؤشّرات التّحضر في الدّول (Jordan Strategy Forum, 2016).

وجاء الاهتمام بقطاع النّقل العام بمختلف وسائله؛ كونه القطاع الأكثر استخدامًا لدى المواطنين في غالبية دول العالم؛ باعتباره وسيلة تمكّنهم من تسيير شؤون حياتهم اليوميّة، نظرًا لما يواجهه من تحدّيات وصعوبات تحول دون العمل بكفاءة وفاعليّة (Al-Harahsheh, 2016).

يُعدّ الأردن بين الدّول التي يعاني قطاع النّقل العام فيها من عدد من المشكلات؛ بسبب عوائق عدّة تقلل من عدد الأفراد المستخدمين لوسائله، ومن أبرز تلك العوائق سوء إدارة مرافق المواصلات العامة، وعدم الالتزام بمواعيد حركة ثابتة، والعشوائية في توزيع المسارات، وعدم وجود مواقف للانتظار، أوعدم التزام السّائقين بهذه المواقف، إضافة إلى عدم ثبات أعداد وترددات المركبات العاملة على الخطوط، وقلّة الدّراسات المتعلّقة بتقييم الخدمة المقدّمة أوالتّخطيط المستقبليّ لها. وهذه العوامل وغيرها تجعل الأفراد يفضلون اقتناء مركباتهم الخاصّة بغض النّظر عن أوضاعهم الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة، ممّا أدّى إلى إبراز ظواهر جديدة ومنها: النّقل غير الرّسمي الذي أصبح ذا أهميّة كبيرة بالنّسبة لنقل الأفراد أو البضائع على حدٍّ سواء (Obeidat, 2016).

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وتأتي هذه الدّراسة للتّعرف إلى الخصائص الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي دفعت الأفراد في محافظة إربد للعمل بالنّقل غير الرّسمي، والكشف عن مسبّبات ظهور هذه الظّاهرة في منطقة الدّراسة من وجهة نظر المستخدمين، كما ستقوم بتقييم خدمات النّقل الرّسمي وغير الرّسمي من قبل مستخدميها.

مشكلة الدّراسة

تنامت مشكلات النّقل في السّنوات الأخيرة في الأردنّ؛ كنتيجة حتميّة للزّيادة المستمرّة في عدد وسائل النّقل، وقد تأثّرت مناطق بلدية إربد الكبرى بهذه المشكلات، ومنها: حركة الزّحام في مركز المدينة وخاصّة في ساعات الذروة، بالإضافة إلى زيادة حوادث المرور؛ نتيجة الزيادة السّكانية الكبيرة التي ظهرت بسبب الهجرة إلى حيّزها الجغرافيّ، سواء أكانت داخليّة أو خارجيّة، خاصّة بعد اللّجوء السوري؛ إذ ازدادت أعداد السّكان في المناطق التّابعة لبلديّة إربد الكبرى، وبلغت 951452 نسمة (Department of Statistics, 2021). ولهذا أصبح قطاع النّقل الرّسمي في مناطق بلديّة إربد الكبرى يعاني من صعوبات في تلبية متطلّبات المواطنين، ممّا أدّى إلى نشأة ظاهرة جديدة في منطقة الدّراسة، ألا وهي ظهور قطاع النّقل غير الرّسمي الذي أخذ حيّزًا مهمًا في نقل الأفراد والجماعات والبضائع، وعليه يمكننا اعتباره قطاعًا مسانداً أو منافسًا للقطاع الرّسمي.

لذا جاءت الدّراسة للوقوف على هذه الظّاهرة محاولة الإجابة عن التساؤلات التّالية:

1. ما الخصائص الاجتماعيّة والاقتصاديّة للعاملين بالنّقل غير الرّسمي في مناطق بلديّة إربد الكبرى؟
2. ما مسببات ظهور النّقل غير الرّسمي من وجهة نظر المستخدمين في مناطق البلديّة؟
3. أين تتمركز مواقع النّقل غير الرّسمي في بلديّة إربد؟
4. ما مستوى الخدمات المقدّمة من النّقل الرّسمي وغير الرّسمي من وجهة نظر المستخدمين في منطقة الدّراسة؟

أهداف الدّراسة

كما سعت الدّراسة لتحقيق جُملة من الأهداف أهمّها:

- الكشف عن الخصائص الاقتصاديّة والاجتماعيّة للعاملين في قطاع النّقل غير الرّسمي.
- إيضاح مسبّبات ظهور قطاع النّقل غير الرّسمي في بلديّة إربد الكبرى.
- تحديد مواقع التّردّدات للنّقل غير الرّسمي في مناطق البلديّة.
- تقييم مستوى الخدمات المقدّمة من قطاع النّقل الرّسمي وغير الرّسمي من وجه نظر المستخدمين.

أهميّة الدّراسة

أصبحت ظاهرة النّقل غير الرّسميّ عنصرًا من عناصر البيئة الحضريّة والرّيفيّة في مناطق بلديّة إربد الكبرى، وتنال إقبالاً ملحوظًا من قبل سكانها، لما تمتاز به من عناصر جذب تدفع المستخدمين إليه؛ إذ وجدت الدّراسة قصوراً في مناقشة ومعالجة هذا الموضوع في الأردن عامّة ومحافظة إربد خاصّة، بالإضافة إلى سعيها للكشف عن الخصائص الاقتصاديّة والاجتماعيّة للعاملين بها، وفهم مسبباتها، وتقييم مستوى خدماتها، وعليه فإن فهم آليّة التّوزيع لمواقع النّقل غير الرّسمي سيخدم القائمين على التّخطيط للنّقل الحضري في تتبّع مشكلات النّقل الرّسمي، وبالتّالي تلبية رغبات السّكان في مناطق البلديّة؛ لأنّ عنصر السّكان هو العنصر الأساسيّ المؤثّر في نشاط المدن وضمان بقائها.

فرضيّات الدّراسة

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة ($a\leq05$) بين الدّوافع لظهور النّقل غير الرّسمي من وجهة نظر العاملين به تعزى للخصائص الشّخصيّة.
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة ($a\leq05$) بين متوسّطات تقييم قطاع النّقل الرّسمي وغير الرسمي من قبل المستخدمين تعزى للخصائص الشّخصيّة.

الإطار النّظري والدّراسات السّابقة

يعد النّقل أحد فروع الجغرافيا الاقتصاديّة التي بدأت بالظهور في خمسينيّات القرن التّاسع عشر، وهو نشاط خدمي غير إنتاجي عندما يتعلّق الأمر بنقل الأفراد أو الجماعات، حيث إن قيمتهم لا تتغير بعمليّة نقلهم، ولكنّه يمثل دوراً مهماً في العمليّة الإنتاجيّة؛ لأنّ قيمة السّلع ترتفع بعد نقلها من مكان لآخر، لذا تعدّ نشاطًا إنتاجيًا مثل أي نشاط آخر (Bouqna & ElAbed, 2016).

ترتبط جغرافيّة النّقل بتخصّصات جغرافيّة عدّة، فلا تُعدّ موضوعًا بدأ من الفراغ، إذ ارتبطت بجغرافية السّكان وتوزيعهم وحركتهم وعلاقتها بالموارد، كما ترتبط بعلم الاقتصاد القائم على تحليل الطّلب على خدمات النّقل، إضافة لعلاقته بالتّخطيط الحضري؛ وذلك بالاعتماد على تخطيط استعمالات الأرض التي تؤثّر وتولّد حركة النّقل والمرور (Abdullah, 2018).

وتعدّ عمليّة التّخطيط الحضري خطّة مدروسة مسبقًا لتشجيع المواطنين المقيمين في المدينة الحضريّة على استعمال وسائل النّقل الجماعيّ مثل: توفير الحافلات من أجل تلبية مختلف أنواع التّنقلات التي تختلف من تجمّع سكانيّ إلى آخر. وهذه الاحتياجات تتمثل في الذّهاب إلى العمل، والتّسوّق والدّراسة، والتّنزّه والزّيارات الاجتماعيّة التي تقوي الرّوابط الاجتماعيّة، والتنقلات المختلفة والعودة إلى المنزل (Al-Atom, 2020).

فالانتقال ضرورة لإنجاز نشاط معيّن وهو ربط موقعين أحدهما بداية الرّحلة، والآخر نهاية الرّحلة فلابد أن تكون هناك وسيلة لإتمام هذه الحركة تتمثل في النّقل والمرور؛ فالمدن الحديثة تواجه مشكلة ازدياد أعداد المركبات الخاصّة على حساب المركبات العامّة لعدّة عوامل منها: مشكلات الأداء للنّقل الرّسمي، والعوامل الاقتصاديّة (دخل الأسرة، وأسعار المركبات)، إضافة إلى عوامل اجتماعيّة مثل (النّوع الاجتماعيّ، والعمر، والتّعليم والحالة الوظيفية) (Petra, 2018).

ويعد قطاع النقل غير الرسمي ظاهرة متنامية ذات أبعاد اقتصاديّة واجتماعيّة مهمّة، وتكاد لاتخلو دولة نامية من وجود هذه الظاهرة، ووفقا لمنظّمة العمل الدّوليّة في تقريرها الصّادر للعام 2020 أشار التقرير إلى أن ّ: ملياري شخص حول العالم أي (أكثرمن 20 %) من حجم القوى العاملة في العالم يحصلون على مواردهم عبر العمل في الاقتصاد غيرالرسمي، يفتقر أغلبهم إلى الحماية الاجتماعية وظروف العمل السليمة؛ لذا فإنه يمكن تعريفه: بأنه مجموعة كبيرة من الأنشطة الاقتصادية المتنوعة التي تحدث خارج مجال المؤسسات الرسمية في ظلّ بيئة قانونيّة وتشريعيّة منظّمة؛ ويستثنى من ذلك الأنشطة غير المشروعة. (Jordan Strategy Forum, 2020). كما أشارت نتائج منتدى الإستراتيجيات الأردني بأن معظم العاملين في القطاع غير الرّسمي يعملون في قطاع الخدمات بنسبة (68.9%)، وقد حظي قطاع النقل باعتباره جزءا من الخدمات بما نسبته (19.8%).

الدّراسات السّابقة

نظرت هذه الّدراسة في عدد من الدّراسات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بالدّراسة الحاليّة وكانت على النّحو التّالي:

هدفت دراسة (Kumar, 2021) إلى بيان الطّابع الفريد لأنظمة النّقل العام في مدن أفريقيا جنوب الصّحراء من حيث سياقاتها الاجتماعية والاقتصاديّة والسياسيّة، واستكشاف أسباب تدهور أنظمة النّقل العام في البلدان النّامية، واعتمدت على منهج المسح الاجتماعيّ والوصفيّ التّحليلي. أظهرت الدّراسة بأن الازدحام ليس فقط في المناطق الحضريّة وأن مشكلة النقل ليست ذات طابع اجتماعي فقط، بل هي ذات صلة بالجوانب الصّحية والاقتصاديّة والبيئيّة، لذا توصي الدّراسة باعتماد إحدى آليات تحسين جودة خدمات النقل شبه العابر: وهي إدخال المنافسة الخاضعة للرّقابة على النّقل بشكل فاعل أكثر من تعويض التّكاليف.

قام كلٌ من (Khaldi & Qawasmi, 2020) بتقييم نوعيّة خدمة النّقل الحضري الجماعي على مستوى مدينة برج بوعريريج في الجزائر. واستخدمت الدّراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاعتماد على المقابلات والزّيارات الميدانية والاستبانة. وخلصت الدّراسة إلى أن أبرز أسباب عزوف المتنقّلين عن استخدام النقل الجماعي في مدينة البرج، واستخدام وسائل النقل غير الرسمية يعود إلى كونها وسائل نقل تقليدية، لا تحترم الشروط والمعايير الدولية؛ لذا أوصت بضرورة توسيع وتبسيط

شبكات النقل الجماعي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية وتحديث الهياكل القاعدية لها.

أجرت (Permana et al., 2018) دراسة هدفت لبيان طبيعة عمل وسائط النقل المزدوجة الرّسمية وغير الرّسمية القائمة على تكامل بعضها بعضًا في مدينة باندونغ بإندونيسيا، واعتمدت الدّراسة على منهج المسح الميداني وإجراء المقابلات. وأظهرت النّتائج أن وسائل النقل غير الرسميّة مثل Beceks (وسائط النقل الثلاثية العجلات غير المزوّدة بمحركات) وOjeks (تاكسي الدّراجات النّاريّة) تساهم بشكل فاعل في عملية النّقل وتحسين البيئة الحضريّة؛ لذا أوصت الدّراسة بضرورة استيعاب الخطط أو السّياسات تدابير الإدارة البيئية لهذين النّوعين من وسائل النّقل الرّسمية وغير الرّسمية نحو بيئة حضرية أفضل.

كما ساهمت دراسة (Kumar et al., 2016) إلى فهم أعمق للخصائص والأدوار والمساهمات التّشغيلية لنظم النّقل غير الرّسمي في تلبية احتياجات النّاس في خمس مناطق هنديّة، وتأثيراتها البيئيّة والأمنيّة. واعتمدت على دراسات استقصائيّة أوّليّة. كما أجريت مشاورات مع أصحاب المصلحة المعنيين، ومناقشات جماعيّة مركّزة مع السّائقين ورؤساء النّقابات والمستخدمين. وتوصّلت الدّراسة إلى أن هذه النّظم تسدّ فجوة كبيرة في إمدادات النّقل، وتلعب دورًا هامًا في المدن الهنديّة، وهذا بدوره يساعدها في توفير خدمات التّنقل التي تشتد الحاجة إليها.

وهدفت دراسة (Al-Alawi, 2016) إلى الكشف عن واقع النّقل السّرّي بمدينة فاس، من حيث مفهومه وأهميته ومسبباته وانعكاساته. واعتمدت على المنهج الوصفي التّحليلي. وأظهرت نتائجها أنّ النّقل السّريّ شبكة موازية للنّقل الحضري المهيكل، وأنه استجاب لحاجة اجتماعية في تغطية للعجز الحاصل في النقل العموميّ، غير أنّه يضيف مشاكل أخرى إلى واقع النّقل الحضري في مدينه فاس، كالازدحام والتلوّث وتشويه المشهد الحضاري. وأوصت الدّراسة بضرورة ضبط العلاقة بين مختلف الفاعلين داخل مجال النّقل العمومي، المتمثلين ب (النقل بالحافلات وسيارات الأجرة) وإخراجها من دائرة التنافس إلى فضاء التكامل.

أما دراسة (Raynor, 2014) فقد سعت لمعرفة المزيد عن سوق النّقل غير الرّسمي (سيارات الأجرة عبر الدّرّاجات الناريّة) في أوغندا. تم إنجاز جمع البيانات من خلال استخدام المسح الاجتماعي عبر استخدام الاستبانة، والمسح الميداني بمراقبة المشاركين، والمقابلات. وخلصت الدراسة إلى أن صناعة Boda تساهم بسد الفجوات في نظام النقل العام في كمبالا. كما أنها توفر فرص العمل ومصدر الرّزق لأولئك الذين قد لا يكون لديهم عمل. لذا فقد أوصت بإنجاز دراسة مقارنة لهذه الجمعيات المختلفة، والطرق التي تتفاعل بها، لما لها من فائدة في دراسة صناعة Boda.

واهتمّت دراسة (Ocean, 2011) بالتّعرّف إلى خصائص النّقل الرسمي وغير الرسمي في مدينة باتنة وواقعه، والكشف عن أسباب الإقبال على النّقل غير الرّسمي. واعتمدت على المنهج الوصفي لإعطاء وصف دقيق وتفصيلي كمًا ونوعًا للنقل الرّسمي والنقل غير الرّسمي الذي يعد جزءًا منه. وخلصت الدّراسة إلى أن النقل غير الرسمي يستجيب لتطلّعات المتنقّل من خلال خدماته المميزة، التي تشكل منافسة للنقل الرسمي، وداعمًا لها في أوقات الذّروة.

تمتاز الدّراسة الحاليّة بأنها من الدّراسات الحديثة التي تناولت ظاهرة النّقل غير الرسمي في الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص، علمًا بأنّها الدّراسة الوحيدة التي تناولت تطورات وآفاق الظّاهرة في ظلّ تأثير جائحة كورونا 2020 على مناطق بلدية إربد الكبرى.

منهجيّة الدّراسة

تماشيًا مع عنوان الدّراسة، ومن أجل الوقوف على الظّاهرة البحثيّة، فقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التّحليلي، القائم على عملية جمع البيانات والمعلومات، بالاعتماد على الدّراسات والبحوث والأدبيّات ذات العلاقة أيضًا، والاعتماد على المسح الاجتماعي من خلال تصميم أداة للدّراسة والمسح الميداني لملاءمتها لطبيعة الدّراسة. أما مجتمع الدّراسة فقد اعتمد على عدد المركبات الخصوصيّة للعاملين بالنقل غير الرسمي ممن هم على رأس عملهم خلال العام (2020م) في محافظة إربد؛ وذلك لعدم وجود بيانات دقيقة عن المركبات في الأقاليم الإدراية على نطاق مصغّر. فقد وصل عدد المركبات العاملة الخصوصيّة في المحافظة إلى 76646 مركبة. أما المستخدمون من سكان بلدية إربد الكبرى فقد وصل عددهم إلى (951452) نسمة.

عيّنة الدّراسة والأداة

تمّ جمع مفردات العيّنة بطريقة العيّنة القصديّة المتاحة؛ إذ تمّ توزيع (800) استبانة على أفراد العينة خلال شهر حزيران للعام 2020م، وُزّعت (400) استبانة على العاملين بالنّقل غير الرّسمي، و(400) استبانة على المستخدمين؛ بحسب نسبة الحجم السّكّاني لكل منطقة.

وللإجابة عن فرضيات الدّراسة، قام الباحثان بتطوير نموذجين من الاستبانات بحسب مقياس ليكرت الخماسي، وجهت الأولى للعاملين بالنّقل غير الرّسمي، ذات المحور الواحد، وعدد عباراتها (6)، اهتمت بدوافع ظهور النّقل غير الرسمي للعاملين به. بينما وجهت الثّانية للمستخدمين وتكوّنت من محورين، بعدد عبارات مقداره (26)، توزعت على محورين، تناول الأول: مسببات ظهور النّقل غير الرسمي من وجهة نظر المستخدمين، وعددها (10) عبارات، والمحور الثّاني اهتم بتقييم خدمات النّقل المقدّمة من قطاعي النقل الرسمي وغير الرسمي من قبل المستخدمين، وتضمّن (16) عبارة.

صدق الاستبانة وثباتها

قام الباحثان بالتأكد من صدق الأداة عن طريق التّحكيم، إذ عُرضت الدّراسة على خمسة محكّمين من ذوي الخبرة والاختصاص. وللتّأكد من ثبات الاستبانة تمّ توزيع عينة استطلاعيّة لكل نموذج قوامها 30 فردًا، وتم حساب معامل الثّبات (كرونباخ ألفا)، فأظهرت النّتائج بأنّ الأداة الأولى: اتساقها (0.709)، والثانية: (0.744).

منطقة الدّراسة

تمثل بلدية إربد الكبرى واحدة من أكبر بلديّات محافظة إربد من حيث المساحة وعدد السّكان، إذ يبلغ عدد سكانها 951452 نسمة (Department of Statistics, 2021)، وتبلغ مساحتها ما نسبته 23.3% من المساحة الكليّة للمحافظة التي تبلغ (1572.929)كم^2. وقد شهدت هذه المساحة توسعات عديدة؛ لتلبية متطلّباتها السّكانيّة والعمرانية، حيث بدأت مساحتها بالتزايد من عام 1924م عبر النّظرية الدّائرية، ثم اتخذت الشّكل المنتظم للنّمو، ونمت بمحور واحد في الاتجاه الشمالي الغربي، فكونت مدينة إربد الحالية. ثم جاء قرار دمج البلديات في عام 1997م بإضافة حور وتقبل وأم الجدايل ثم عُدل قانون البلديات لاحقا وشمل مناطق بلدية إربد الحالية، وإضافة مزرعة كعبير وقرية أم الآبار ومزرعة تميرة عام 2017م (Greater Irbid Municipality, 2021) وعليه فإن بلدية إربد الكبرى تضم كافة المناطق الواقعة ضمن دائرتي عرض ("0 '39 °32 و"30 '22 °32 جنوبًا، وخطي طول"0 '58 °35 شرقًا و"0 '47 °35 غربًا)، كما في الشكل (1).

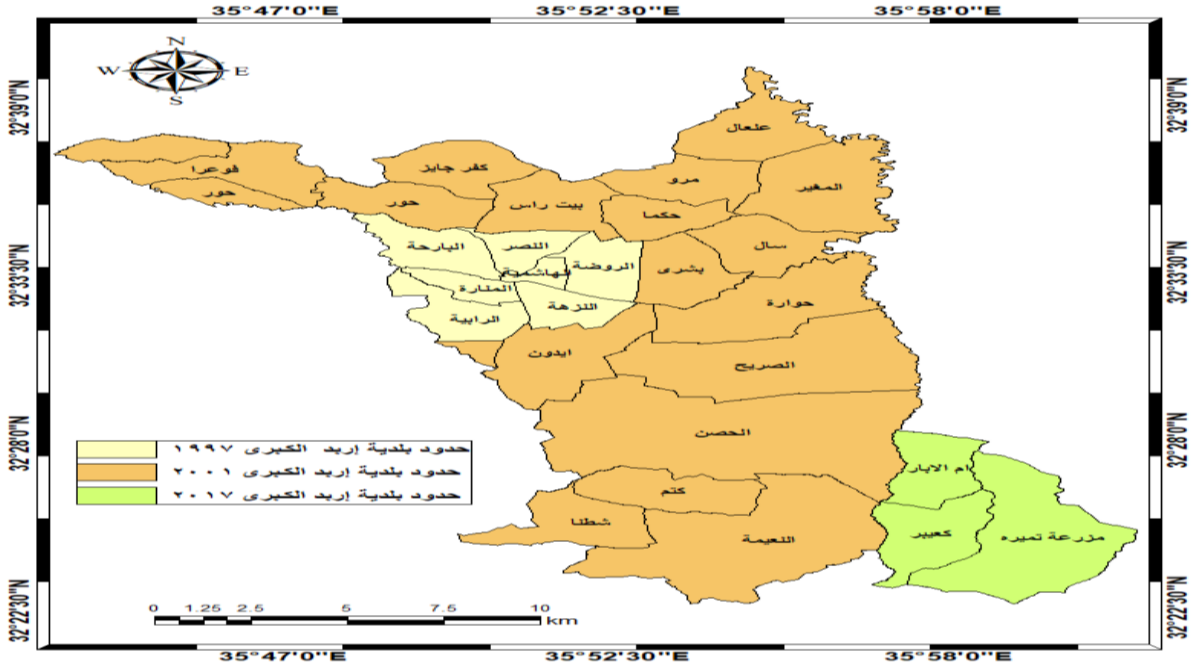

الشكل (1): التطور التاريخي لمناطق بلدية إربد الكبرى

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات (Greater Irbid Municipality, 2021)

المناقشة والتحليل

العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة المؤثّرة في ظاهرة النقّل غير الرّسمي

ساهمت عوامل اقتصادية واجتماعية متعدّدة في اعتماد الكثيرين على وسائل النّقل غير الرسميّة، في ظلّ وجود سلبيّات كثيرة لوسائل النّقل الرسمي، لذا كان لابد من التّركيز على الفئة العاملة في هذا القطاع، واستكشاف العوامل الاقتصاديّة والاجتماعية المساهمة بتشخيص المشاكل المختلفة التي يعانيها، للتعرف على مستقبل المجتمعات من خلال التنبؤ بالكثير من المتغيرات ذات العلاقة والتي ساهمت بنمو هذا القطاع. وكانت النتائج بحسب الجدول (1) والجدول (2) التاليين:

الجدول (1): بعض المؤشّرات الاجتماعية ذات الصّلة بالتّأثير في ظاهرة النّقل غير الرسمي

النقل غير الرسمي			
المتغير	**الفئات**	**التكرار**	**النسبة المئوية**
الفئة العمرية	25-18	48	%12
	33-26	98	%24.5
	41-34	77	%19.3
	49-42	89	%22.2
	50 فأكثر	88	%22
	المجموع	**400**	**%100**
الحالة الاجتماعية	أعزب	80	%20
	متزوج	302	%75.5
	مطلق	12	%3
	أرمل	6	%1.5
	المجموع	**400**	**%100**
المستوى التعليمي	أمي	8	%2
	أقل من ثانوي	143	%35.8
	ثانوي	189	%47.3
	جامعي	58	%14.5
	دراسات عليا	2	%0.5
	المجموع	**400**	**%100**
مكان السكن	بلدية إربد الكبرى	228	%57.2
	خارج بلدية إربد الكبرى	171	%42.8
	المجموع	**400**	**%100**
ملكية السكن	ملك	319	%79.8
	مستأجر	81	%20.2

المصدر: إعداد الباحثين بحسب نتائج المسح الاجتماعي.

قُسّمت الفئات العمريّة بحسب الجدول رقم (1) إلى خمس فئات عمريّة، واعتبار الحدّ الأدنى منها يبدأ من عمر الثّمانية عشر عامًا، وهو العمر الذي يسمح باقتناء رخصة القيادة. ويلاحظ بأن الفئة الممارسة للنّقل غير الرسمي هي ما بين 26_33 سنة و42_49 سنة بواقع 66.7%، كما كانت هذه الفئة، وخصوصًا المتزوّجون منهم، هي الغالبة للعمل بهذا القطاع بواقع 75.5%، أما النطاق التّعليمي لهم فقد انحصر بالمستوى التعليمي الثّانوي فأقل بنسبة 83.1%، وهذا يتوافق مع نتائج منتدى الإستراتيجيّات الأردنيّ لعام 2020؛ التي تقول أنّ معظم العاملين في القطاع غير الرّسمي من حملة الشّهادة الثانوية فأقل بواقع 82.1%. وكان الحظ الأوفر من نصيب العاملين المتملكين للسّكن بنسبة 79.8% والمقيمين في مناطق البلديّة بواقع 57%.

ويمكن عزو هذه النتائج إلى ارتفاع معدلات البطالة في الوقت الحالي، وتناقص فرص التوظيف؛ حيث إن هذه الفئة تقل لديها فرصة المنافسة في الحصول على وظائف أخرى تعتمد على الجانب الأكاديمي، والمساعده في تكاليف الحياة ومستلزماتها؛ حيثُ نجد أنّ أغلب العاملين داخل بلدية إربد الكبرى، وبحسب سؤال جانبي لمكان السكن تسكن معظمهم في منطقتي النصر والمنارة بواقع 34.3%؛ وهي من المناطق التي تفتقر إلى العديد من الخدمات مثل:(الطرق المعبدة، شبكات الصرف الصحي)، وتتميز بانخفاض أجور الشّقق السّكنية التي تصل إلى نحو 150 ديناراً للشّقة ذات المساحة البالغة 130متراً (Qudaisat, 2018)؛ لذا لجأت هذه الفئات لإيجاد فرص عمل بديلة وهي ممارسة النقل غير الرّسمي.

الجدول (2): بعض المؤشرات الاقتصادية ذات العلاقة بالتأثير في ظاهرة النقل غير الرسمي

النقل غير الرسمي			
المتغير	**الفئات**	**التكرار**	**النسبة المئوية**
ملكية السيارة	ملك	383	%95.8
	ضمان	17	%4.2
	المجموع	400	%100
وجود التزامات على المركبة	نعم	185	%46.2
	لا	215	%53.8
	المجموع	400	%100
الدخل	اقل من 199	129	%32.2
	299 – 200	187	%46.8
	399 – 300	66	%16.5
	499 – 400	12	%3
	500 فأكثر	6	%1.5
	المجموع	400	%100
الرضا عن الدخل الشهري المتأتي من النقل غير الرسمي	نعم	185	%46.2
	لا	215	53.8%
	المجموع	400	%100

المصدر: إعداد الباحثين بحسب نتائج المسح الاجتماعي.

وبحسب الجدول رقم (2) فقد طرح سؤال على أفراد العينة حول وجود التزامات ماليّة (قروض بنكيّة) لتمويل شراء سياراتهم فكانت إجابتهم نحو 46.2% بالإيجاب، وهذا يتطابق مع النتائج المتعلّقة بملكيّة المركبة. بينما بلغت نسبة الأفراد الذين لم يترتب عليهم قروض في النّقل غير الرّسمي 53.8%؛ وهذا يعود إلى وجود إمكانات مادية من أعمال سابقة أو تعويضات مالية بعد تقاعدهم من العمل في قطاعات سابقة.

وكيظهر أيضًا أن حوالي 79% من العاملين في النقل غير الرسمي يصل دخلهم الشهري إلى أقل من 300 دينار، وهذا يتوافق مع متوسط الدخل الفردي الشهري في محافظة إربد والواصل لنحو 185 ديناراً (Department of Statistics, 2017-2018)، بالإضافة إلى أن الكلفة التّشغيلية للمركبات هي في ارتفاع، وقد يضطّر صاحب وسيلة النّقل غير الرسمي إلى إجراء صيانة متكرّرة لهذه الوسيلة، لذا فإن العمل بالنقل غير الرسمي قد يغطي بعضًا من الاحتياجات الأساسيّة للأفراد. كما ساهمت جائحة كورونا في انخفاض الدّخل الشّهري، في ظلّ تعطّل العمل في العديد من القطاعات منها: التّعليم والنّقل الرسمي، وهذا ما أكدته نتائج الدّراسة برضى أكثر من نصف العاملين فيه عن مقدار الدّخل الشّهري.

ولاختبار مدى تأثير الخصائص الاجتماعيّة والاقتصاديّة في ظهور النقل غير الرسمي، فقد تم إجراء مجموعة من الاختبارات الإحصائية لاختبار فرضيتي الدّراسة الأولى والثّانية، وكانت النّتائج على النّحو التّالي:

الفرضيّة الرئيسية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة **(a≤05)** بين الدّوافع لظهور النّقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين به تعزى للخصائص الشّخصية.

الجدول (3): تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لدوافع ظهور النقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين وفق (الفئة العمرية، الدخل الشهري، المستوى التعليمي).

المجال	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
دوافع ظهور النقل غير الرسمي تبعًا للفئة العمرية	بين المجموعات	1.618	4	.404	1.800	.128
	داخل المجموعات	88.775	395	.225		
	الكلي	90.393	399			
دوافع ظهور النقل غير الرسمي تبعًا للدخل	بين المجموعات	2.169	4	.542	2.428	.047
	داخل المجموعات	88.224	395	.223		
	الكلي	90.393	399			
دوافع ظهور النقل غير الرسمي تبعًا للمستوى التعليمي	بين المجموعات	1.961	4	.490	2.189	.070
	داخل المجموعات	88.433	395	.224		
	الكلي	90.393	399			

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

يتبيّن من الجدول رقم (3) أنّ مستوى الدّلالة (sig) المقابلة لاختبار "التباين الأحادي" أعلى من مستوى الدلالة (α≤0.05) لجميع المتغيّرات، أي ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الأسباب التي وصفها أفراد العينة عن الدّوافع لظهور النّقل غير الرسمي سببها الفئة العمريّة أو المستوى التعليمي؛ وهذا بسبب عدم الاهتمام بطبيعة وسيلة النقل المستخدمة بالتنقل بقدر أهميّة الوصول إلى المكان المقصود بالوقت والسّرعة الممكنة. وبالمقابل أظهرت النتائج أن مستوى الدّلالة المقابلة لاختبار "التّباين الأحادي" أقل من مستوى الدلالة (α≤0.05) بالنسبة للدخل الشهري، ممّا يظهر فروقًا ذات دلالة إحصائية بين هذه الدوافع وظهور النقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين به تعزى لمتغير الدخل. وللكشف عن الفروق الدالة إحصائيًا بين المتوسطات الحسابية فقد تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شيفيه. وكانت النتائج بحسب الجدول (4).

الجدول (4): المقارنات البعدية بطريقة شيفيه لأثر الدخل الشهري كمسبب لظهور النّقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين به

الابعاد	الدخل الشهري	المتوسط الحسابي	≤ 199 دينار	299_200 دينار	399_300 دينار	499_400 دينار	500 فأكثر دينار
دوافع ظهور النقل غير الرسمي	≤ 199دينار	3.53					
	299_200 دينار	3.50					*0.02
	399_300 دينار	3.50					*0.05
	499_400 دينار	3.51					
	500 فأكثر دينار	4.11		*0.02	*0.05		

*دالة عند مستوى الدلالة (a= 0.05).

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

ويظهر الجدول (4) اختبار المقارنات البعدية (شيفيه) للكشف عن أي فئات الدخل كان لها الأثر الأكبر في التباين، وهي 200-299 دينارًا و300-399 دينارًا من جهة ومستوى الدخل 500 فأكثر لصالح 500 فأكثر؛ بأن الدخل المتأتي من النقل غير الرسمي دخل ثانوي إلى جانب دخلهم المتأتي من رواتبهم التّقاعديّة.

الجدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (T) للفرق في المتوسطات تبعًا للحالة الاجتماعية

المجال	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "T"	درجات الحرية	مستوى الدلالة
الحالة الاجتماعية	400	1.8600	.52065	71.449	399	.000
الدرجة الكلية	400	3.5233	.47597	148.048	399	.000

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

ويتضح من الجدول رقم (5) أن مستوى الدلالة (sig) أقل من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بالنسبة إلى جميع الأبعاد، مما يوضّح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات العينة تُعزى لمتغير الحالة الاجتماعية على الدوافع لظهور النقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين به؛ وهذا يتّفق مع نتائج الحالة الاجتماعية للعاملين في النّقل غير الرسمي من فئة المتزوّجين بواقع 75.5%.

مسبّبات ظهور النّقل غير الرسمي وتقييم خدماته من قبل المستخدمين

تعتمد عملية نقل الأفراد والجماعات في النّقل الحضري على العرض والطلب، وتتمثل هذه العملية في وسائل النّقل الرّسمي وغير الرّسمي المتاحة بأنواعها كافة، والبنية التّحتية لشبكة الطرق، إضافة إلى السّوق الممثل لخدمات النقل في المدينة، لذا يمكننا التّركيز على جانبين هما الطّلب والعرض أو المستخدمون والتوسع العمراني (Bouqna & Al-Abed, 2016).

وعليه يمكننا حصر أبرز العوامل المؤثرة للطلب على النقل: بسعر الخدمة حسب وسيلة النقل، ودخل المستهلك، وسمات المستهلكين، وعوامل أخرى كالوقت المحدّد والمسافات الطّويلة (Ocean, 2011). لذا كان لابد من التّعرف إلى المجال الاجتماعي لمستخدمي النقل غير الرّسمي، وبيان مسببات بروز هذه الظّاهرة، وتقييم الخدمات المقدّمة منها، فكانت النتائج على النّحو التالي:

الجدول (6): بعض الخصائص الاجتماعية لمستخدمي النقل الرسمي وغير الرسمي

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكر	211	%52.8
	أنثى	189	%47.2
	المجموع	400	%100
العمر	25-18	60	%15
	33-26	113	%28.2
	41-34	99	%24.8
	49_42	60	%15
	50 فأكثر	68	%17
	المجموع	400	%100
الدخل الشهري	أقل من 199	22	%5.5
	299 – 200	62	%15.5
	399 – 300	81	%20.25
	499 – 400	174	%43.5
	500 فأكثر	61	%15.25

المصدر: إعداد الباحثين بحسب نتائج المسح الاجتماعي.

وبحسب الجدول (6) فإن متغير النّوع الاجتماعي لا يعكس لدى المستخدمين أي مدلول إحصائي؛ لكون عينة الدّراسة قصديّة، حاول الباحثان فيها الخروج بنتائج منطقية ولا سيما للمتغيّرات التي ارتبطت بهذا العامل مثل (الأمن، العادات والتقاليد، العمل). ومن جهة أخرى فقد نالت الفئة العمرية (26-41) أكثر من نصف المستخدمين بواقع 53%؛ لأن أغلب هذه الفئات تعد من الفئات العاملة في المجتمع أو طلبة الجامعة التي تحتاج للوصول إلى مكان العمل بوقت سريع، وكلفة قليلة، أما كبار السن فترى بأن هذه الخدمة تساعدها في القيام بالتنزه والعلاج لذلك بلغت نسبتها 17%.

وقد أظهرت النتائج أيضًا أن حوالي 43.5% من المستخدمين في مناطق بلدية إربد الكبرى يصل دخلهم الشهري لأقل من 500 دينار، وبالتالي لا تستطيع هذه الفئة امتلاك مركبات خاصة بهم، أو الاعتماد على القروض البنكية لامتلاك إحداها، لذا يلجأ العديد منهم لاستخدام وسائل النقل الرسمي وغير الرسمي لإجراء تنقّلاتهم من أجل العمل أو الدّراسة أو غيرها.

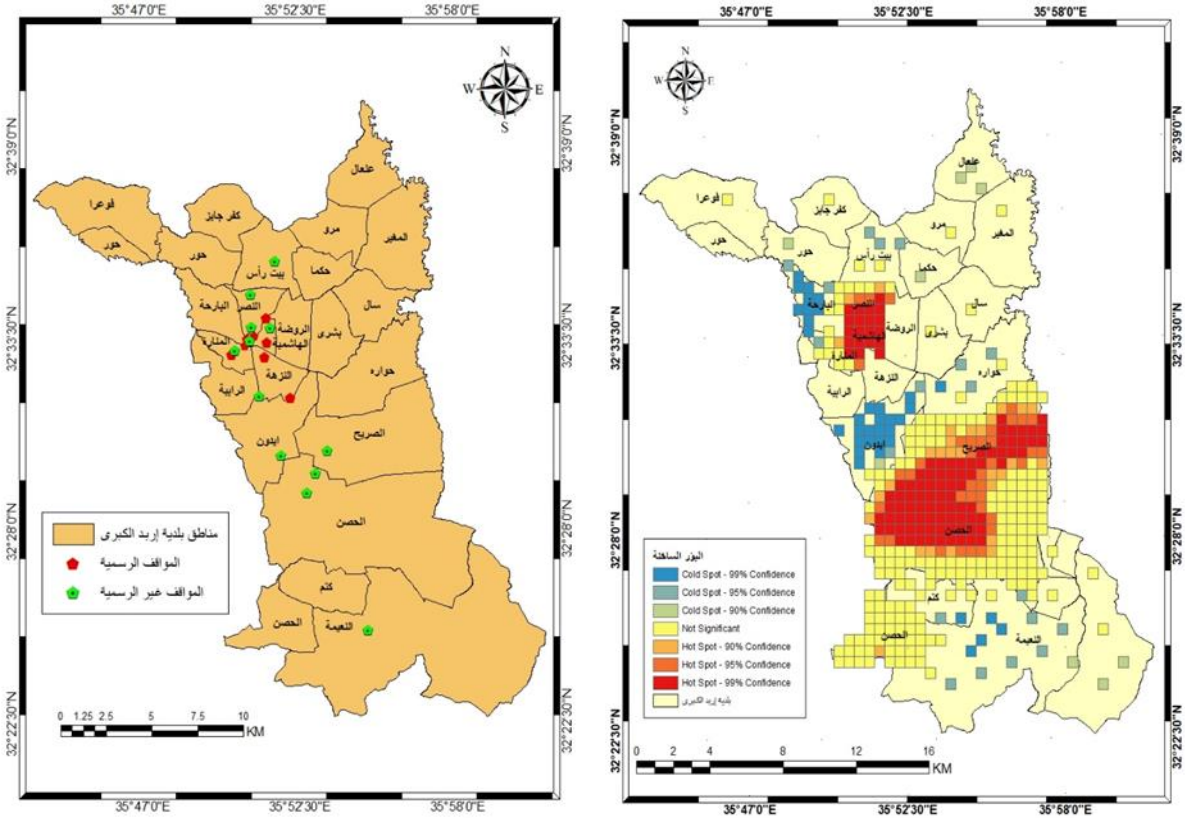

الشكل (2): البؤر الساخنة في مناطق بلدية إربد الكبرى/ المواقف الرسمية وغير الرسمية في بلدية إربد الكبرى.

المصدر: عمل الباحثين بحسب نتائج المسح الاجتماعي.

كما أظهرت النتائج وفقًا للشكل (2) تحليل البؤر السّاخنة (Hot spot Getis_ ord gi): الأماكن الأكثر طلبًا لمركبات النّقل غير الرسمي بحسب طبيعة تنقلات المستخدمين، فكانت من نصيب لواء قصبة إربد بواقع 50.2% تتصدّرها منطقة النّصر، تليها الهاشميّة المنارة والبارحة؛ وذلك لوجود تركّز سكاني، إضافة لأهمية موقع منطقة الهاشمية الواقعة في قلب المدينة مركز الأعمال التّجارية والوظائف. أما منطقتا الحصن والصّريح فشكلتا ما نسبته 80.2% من نسبة الطّلب على النقل غير الرسمي داخل لواء بني عبيد؛ بسبب ضعف خدمات النقل خاصّة في المناطق الهامشية لكليهما، ناهيك عن حاجة ساكنيهما للتنقل ولاسيما من أجل العمل؛ لكون أغلب الفئة العاملة منهما تقع مناطق عملهم في قلب المدينة إربد أو المحافظات الأخرى وبخاصّة (عمان، الزرقاء، المفرق)؛ وذلك بحسب سؤال جانبي للمستخدمين عن أماكن عملهم.

وكنتيجة لتحديد البؤر الساخنة في مناطق البلدية عبر المسح الميداني، تم استكشاف مواقف النقل غير الرّسمي ضمن مناطق البلديّة وفي المناطق المهمّشة منها، إذ بلغ عددها أكثر من عشرة مواقف تظهر بشكل علني، العديد منها يقع بالقرب من مجمّعات النّقل الرسمي ضمن منطقة الدّراسة والشّكل (2) يظهر توزعها.

وللكشف عن مسببات ظهور النقل غير الرّسمي، وتقييم خدماته، ومستوى جودتها، تم استخدام عدد من التّحليلات الإحصائية وكانت النتائج في الجدول (7) على النحو التالي:

الجدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمسببات ظهور النقل غير الرسمي من وجهة نظر المستخدمين

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	ارتفاع نسبة البطالة بين المواطنين	4.03	1.296	مرتفعة
8	عدم كفاية وسائط النقل العام بأوقات محددة	3.92	1.171	مرتفعة
2	عدم وصول وسائل النقل العام الى المناطق المراد الوصول إليها	3.83	1.215	مرتفعة

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
5	النقل العام لا يتوزع بشكل عادل داخل المدينة	3.57	1.222	مرتفعة
6	طول مدة رحلات النقل العام	3.51	1.311	مرتفعة
10	السرعة الزائدة لسائقي النقل العام	3.05	1.509	متوسطة
3	الضغوطات على النقل العام (الازدحام)	3.04	1.502	متوسطة
4	حدوث نزاعات بين المستخدمين وسائقي قطاع النقل العام	2.96	1.325	متوسطة
7	سوء معاملة السائق والكنترول في النقل العام	2.63	1.332	متوسطة
9	قِدَم وسائل النقل العام	2.57	1.277	متوسطة

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS .

يتبين من الجدول (7) أن المتوسّط الحسابي للمجال كاملا مسببات ظهور النقل غير الرسمي جاء بدرجة متوسطة، بمتوسط حسابي (3.23%)، وجاء مؤشّر ارتفاع نسبة البطالة بين المواطنين بالمرتبة الأولى، وبدرجة تقييم مرتفعة، ومتوسط حسابي (4.03%)؛ وهذا بسبب ارتفاع نسبة البطالة في محافظة إربد البالغة حوالي 18.4% (Department of Statistics, 2019) وعليه، فقد انتشرت العديد من المهن غير التقليدية الرّسمية، ومنها النّقل غير الرّسمي تلبيةً للحاجات الأسرية الاقتصادية والاجتماعية. بينما جاء مؤشر قدم وسائل النقل العام بالمرتبة الأخيرة، وبمتوسط حسابي (3.23%)؛ نتيجة لاهتمام المستخدم بالوصول إلى الوجهة المحددة بغض النظر عن قدم أو حداثة وسيلة النقل.

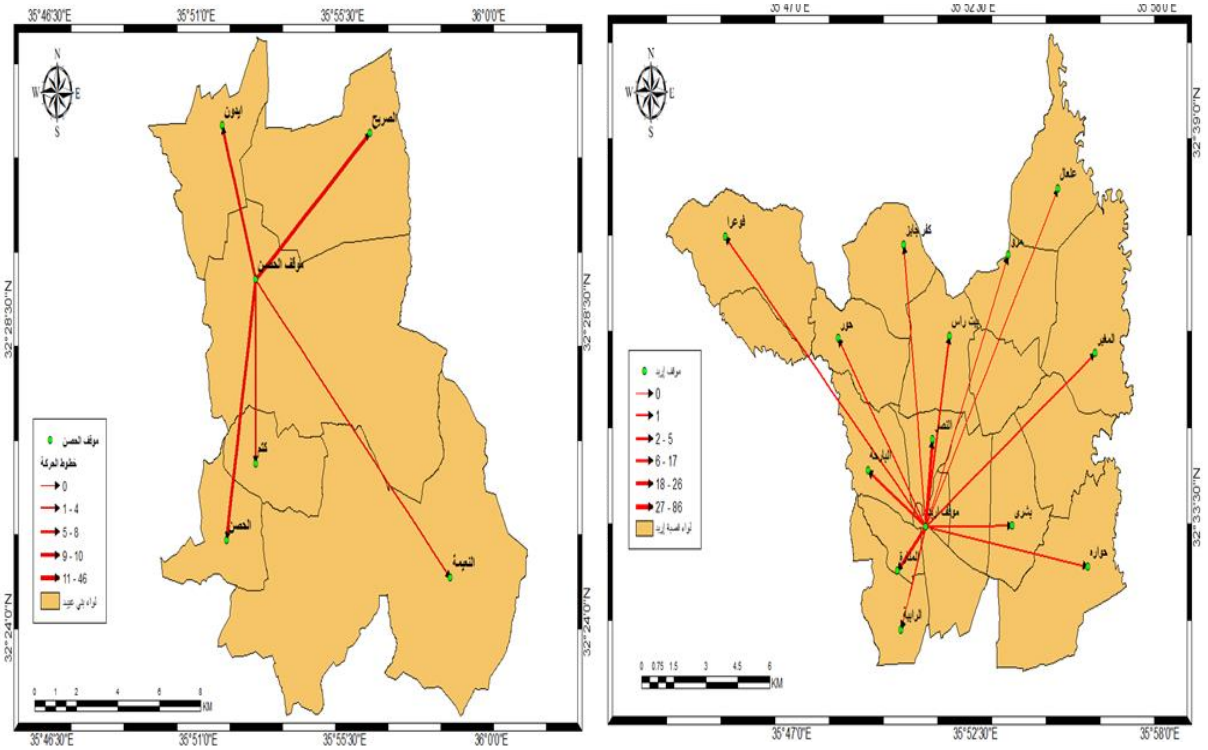

الشكل (3): ترددّات النّقل غير الرّسمي داخل بلديّة إربد الكبرى.

المصدر: عمل الباحثين بحسب بيانات المسح الاجتماعي.

وبحسب سؤال جانبي لمستخدمي النّقل غير الرّسمي، فقد تركزت أغلب الترددات من ثلاثة مواقع للنّقل غير الرّسمي وهي: الأول، الواقع بقلب مدينة إربد تحديداً غرب شارع الهاشمي مقابل متحف على خلقي الشرايري في وسط منطقة الهاشمية، فكانت خطوط الحركة من وإلى الأحياء والقرى في لواء قصبة إربد. والثاني يقع في مدينة الحصن تحديداً مقابل متصرفية لواء بني عبيد الحصن؛ وهذه الترددات امتدت من وإلى الأحياء والقرى داخل لواء بني عبيد، كما يظهرها الشكل (3).

أما الموقف الثّالث فقد كانت أغلب ترددّاته من منطقة الدّراسة، وتحديداً من مجمّع عمّان الجديد إلى المحافظات وخصوصًا (عجلون، جرش، الزّرقاء والمفرق وعمّان). بحسب ما يظهره الشّكل (4).

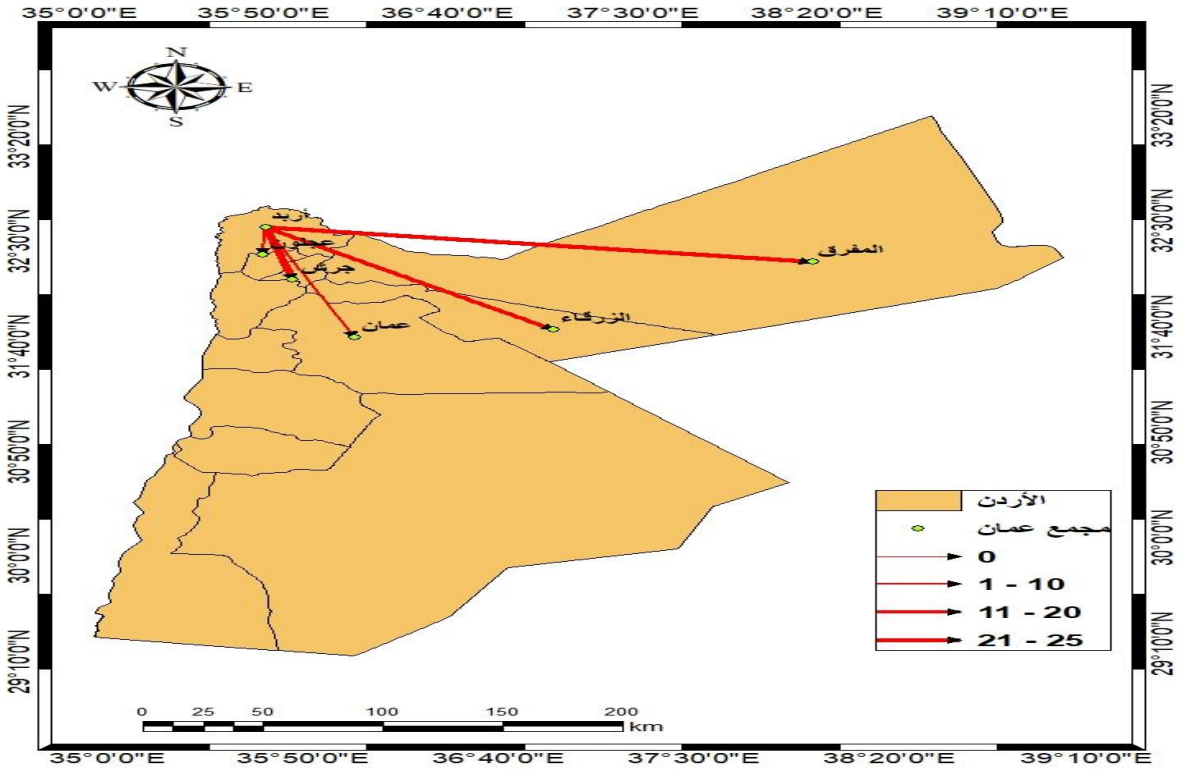

الشّكل (4): تردّدات النّقل غير الرسمي خارج بلدية إربد الكبرى.

المصدر: عمل الباحثين بحسب بيانات المسح الاجتماعي.

الفرضيّة الرئيسيّة الثّانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدّلالة (a 0.05≥) بين متوسّطات تقييم قطاع النّقل الرّسمي وغير الرّسمي من قبل المستخدمين في مناطق بلدية إربد الكبرى تعزى إلى الخصائص الشخصيّة.

الجدول (8): اختبار (Independent Samples T- Test) للكشف عن أثر تقييم النّقل الرّسمي وغير الرّسمي من قبل المستخدمين تبعًا للنوع الاجتماعي.

المجال	المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "T"	درجات الحرية	مستوى الدلالة
الخصائص التقنية للنقل الرسمي	ذكر	211	2.7678	.86605	.077	399	.972
	أنثى	189	2.7610	.88696			
الرضا عن مستوى الخدمات في النقل العام	ذكر	211	3.7137	.80967	1.179	399	.877
	أنثى	189	3.6177	.81692			
مسببات ظهور النقل غير الرسمي	ذكر	211	3.2700	.94021	1.324	399	.135
	أنثى	189	3.3660	.93118			
الرضا عن مستوى الخدمات في النقل غير الرسمي	ذكر	211	3.8203	.74119	.259	399	.429
	أنثى	189	3.8011	.73896			
الأداة الكلية لتقييم قطاعي النقل الرسمي وغير الرسمي	ذكر	211	3.3908	.36907	.118	399	.839
	أنثى	189	3.3864	.37628			

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

ويتّضح من الجدول (8) أن القيمة الاحتمالية (sig) كانت أعلى من مستوى الدّلالة فوصلت إلى (839.)، وهي قيمة غير دالّة إحصائيًا عند مستوى الدلّالة (a ≤0.05)، وهذا يبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات الذّكور والإناث في تقييم الخصائص التّقنيةّ للنّقل بشقيه الرّسمي وغير الرّسمي.

الجدول (9): نتائج تحليل التّباين الأحادي (ANOVA) لأثر تقييم النقل الرّسمي وغير الرّسمي من قبل المستخدمين تبعًا للفئة العمرية.

المجال	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	الدلالة الإحصائية
الخصائص التقنية للنقل الرسمي	بين المجموعات	.983	4	.246	.319	.865
	داخل المجموعات	304.432	395	.771		
	الكلي	305.415	399			
الرضى عن مستوى الخدمات في النقل العام	بين المجموعات	3.323	4	.831	1.259	.286
	داخل المجموعات	260.730	395	.660		
	الكلي	264.052	399			
مسببات ظهور النقل غير الرسمي	بين المجموعات	6.682	4	1.670	3.252	.012
	داخل المجموعات	202.889	395	.514		
	الكلي	209.571	399			
الرضا عن مستوى الخدمات في النقل غير الرسمي	بين المجموعات	2.215	4	.554	1.013	.400
	داخل المجموعات	214.748	395	.546		
	الكلي	216.963	399			
الأداة الكلية لتقييم قطاعي النقل الرسمي وغير الرسمي	بين المجموعات	1.122	4	.280	2.047	.087
	داخل المجموعات	54.103	395	.137		
	الكلي	55. 225	395			

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

ويتضح من الجدول (9) أنّ مستوى الدّلالة (sig) المقابلة لاختبار "التباين الأحادي" (0.087) أعلى من مستوى الدّلالة (α≤0.05) لجميع المجالات، باستثناء مسبّبات ظهور النّقل غير الرسمي البالغة (012.)، مما يُظهر عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين أثر الفئة العمريّة في مدى الرضا عن الخصائص التقنية للنقل الرسمي وغير الرسمي.

الجدول (10): نتائج تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لأثر تقييم قطاعي النقل من قبل المستخدمين تبعًا للدخل الشهري

المجال	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	الدلالة الإحصائية
الخصائص التقنية للنقل الرسمي	بين المجموعات	1.308	4	.327	.425	.791
	داخل المجموعات	304.107	395	.770		
	الكلي	305.415	399			
الرضا عن مستوى الخدمات في النقل العام	بين المجموعات	1.096	4	.274	.411	.800
	داخل المجموعات	262.957	395	.666		
	الكلي	264.052	399			
مسببات ظهور النقل غير الرسمي	بين المجموعات	.874	4	.218	.414	.799
	داخل المجموعات	208.697	395	.528		
	الكلي	209.571	399			

المجال	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	الدلالة الإحصائية
الرضا عن مستوى الخدمات في النقل غير الرسمي	بين المجموعات	4.769	4	1.499	2.621	.035
	داخل المجموعات	199.662	335	.538		
	الكلي	204.431	339			
الأداة الكلية لتقييم قطاعي النقل الرسمي وغير الرسمي	بين المجموعات	.284	4	.71	.511	. 473
	داخل المجموعات	54.941	395	.139		
	الكلي	55.225	399			

المصدر: عمل الباحثين بحسب تحليل برمجية SPSS.

يتضح من الجدول (10) أن القيمة الاحتمالية (sig) المقابلة لاختبار "التباين الأحادي" أعلى من مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للأثر كاملا، مما يُبين وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الرّضا عن خدمات النقل غير الرسمي من وجهة نظر المستخدمين تعزى لمتغير الدخل؛ إذ أنّ نسبة كبيرة من المستخدمين تعتمد بشكل كبير على وسائل النقل الرّسمية وغيرالرّسمية في ظل اعتمادها على دخولها المتوسطة، مع تواجد أفضلية في مستوى الخدمات المقدمة من كلا القطاعين يظهرها الجدول (11).

الجدول (11): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياريّة للرّضا عن مستوى الخدمات في النقل الرسمي وغير الرسمي

خدمات النقل الرسمي				
الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
2	السعر	4.15	.966	مرتفعة
3	النظافة في وسيلة النقل	3.67	1.140	مرتفعة
4	المعاملة	3.63	1.100	مرتفعة
1	الراحة والأمان في وسيلة النقل	3.49	1.315	متوسطة
	الدرجة الكلية	**3.66**	**.813**	**مرتفعة**
خدمات النقل غير الرسمي				
الرقم	**الفقرات**	**المتوسط الحسابي**	**الانحراف المعياري**	**الدرجة**
3	المعاملة	4.31	.806	مرتفعة
4	النظافة في وسيلة النقل	4.13	.954	مرتفعة
1	السعر	4.08	1.073	مرتفعة
2	الراحة والأمان	3.43	1.342	متوسطة
	الدرجة الكلية	**3.84**	**.779**	**مرتفعة**

المصدر: عمل الباحثين بحسب نتائج المسح الاجتماعي

يتبين من الجدول (11) أن المتوسّط الحسابي على صعيد المؤشّرات المكوّنة لهذا المجال يظهر على النحو الأتي: مؤشّر المعاملة بالمرتبة الأولى في النقل غير الرّسمي؛ وهذا يدل على أن الأجرة (السعر) في النقل الرّسمي تراعي الدخول المتوسطة للمقيمين في مناطق البلدية، وفي المقابل فإن اهتمام العاملين في النقل غير الرّسمي يجذب مستخدمين دائمين لهم عبر التّعامل الجيّد كان المسبب الرئيسي لحصول المعاملة في النقل غير الرّسمي على المرتبة الأولى.

النتائج

1. أظهرت الدراسة الحالية عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات الدّوافع لظهور النّقل غير الرسمي من وجهة نظر العاملين به تعزى للمتغيرات (الشخصية)، باستثناء متغير الدخل الذي أظهر وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وكانت لصالح 500 فأكثر.
2. اتّفقت الدّراسة الحالية مع دراسة (Kumar, 2016) و(Raynor, 2014) و (Permana, 2018)، بأن كلًا من ارتفاع نسبة البطالة بين المواطنين، وعدم كفاية وسائط النقل الرسمي بأوقات محددة بمتوسط حسابي (≤ 3.90) هي أبرز المسببات الرئيسية لظهور النّقل غير الرسمي من وجهة نظر المستخدمين.
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسّطات تقييم النقل الرّسمي وغير الرّسمي من قبل المستخدمين في مناطق بلدية إربد الكبرى تعزى إلى النوع الاجتماعي والفئة العمرية، بينما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية بتقييم متوسطات التقييم للنّقل الرسمي وغير الرسمي تعزى لمتغير الدّخل.
4. اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة (Ocean, 2011) في مؤشر تفاوت الرضا عن خدمات النّقل الرسمي وغير الرّسمي بحسب الدخل، فاحتلت الأجرة (السعر) المرتبة الأولى للقطاع الأوّل، بينما كانت المعاملة اللّبقة من نصيب القطاع الثّاني.

التّوصيات

1. تحسين الخدمات المقدّمة من قبل قطاع النّقل الرسمي للمساهمة في تقليل النقل غير الرّسمي من خلال تعزيز ثقة المواطنين بها عبر الالتزام بالآتي:

أ. انتظام وسائط النقل العام بالمواقف الرّسمية وساعات العمل بالخطوط المحدّدة لها، وبمواعيد الانطلاق والعودة بالتّردد الزمني، بما لا يعرّض المواطنين للتأخر عن مواعيدهم.

ب. زيادة عدد وسائل النّقل الرسمي واستخدام وسائل نقل صغيرة الحجم (السرافيس-التاكسي) بديلًا عن الحافلات؛ لتقليل وقت الانتظار للمستخدمين، وعمل وسائل النقل بنظام ثلاث فترات صباحيّة ومسائيّة وليليّة.

ج. تعزيز عنصر المنافسة في تقديم خدمات النقل على الخطوط الدّاخلية والخارجيّة وإيجاد حوافز لتطوير الخدمات، وإيصالها لكافة المناطق ذات التجّمعات السّكنية مع تحسين شبكات الطرق.

The impact of social and economic characteristics on the emergence of the informal transport service within the Greater Irbid Municipality

Omar Al-Da'diafleh and Hanadi Al-Khatib

Department of Geography, Faculty of Art, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

The purpose of this study is to reveal the motives for working in informal transport based on some of the economic and social characteristics of its workers. It also sought to assess the level of services provided by formal and informal transport by users in the areas of Greater Irbid Municipality.

The study followed the descriptive analytical method and the social and field survey, and relied on the data collected from the study sample, which consisted of two forms of questionnaires: the first directed to workers in informal transport, and the second to users, with 800 questionnaires distributed equally to each.

The study showed that there were statistically significant differences in the motives for the emergence of informal transport for workers due to the income variable. Both unemployment and the insufficiency of official transport means in overcrowded areas were considered among the reasons for the emergence of informal transport from the users' point of view. Therefore, the study recommends improving the performance of official transportation services by providing transportation that operates in three shifts, morning, evening and night.

Keywords: Informal transport, Official transport, Greater Irbid municipal areas, Hot Spots.

المصادر والمراجع العربية

أوشن، ليلى. (2011م). **دراسة تحليلية لظاهرة النقل غير الرسمي من وجهة نظر المستعملين -دراسة حالة مدينة باتنة.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج خضر، باتنة، الجزائر.

بترا. (2018م). **سيارة واحدة لكل خمسة أردنيين - الأردن في المرتبة 74 على مؤشر جودة الطرق.** مقالة 10431810، تم استرجاعها حسب الموقع الالكتروني http://alrai.com بتاريخ 2021/8/24.

بلدية إربد الكبرى. (2021م). **بيانات رقمية.** قسم نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، دائرة التخطيط.

بوقنة، سليم والعابد، سميرة. (2016م). النقل غير الرسمي و التنمية الحضرية - دراسة تحليلية قياسية في مدينة باتنة، أبحاث جامعة الحاج الخضر، **مجلة الاقتصاد الصناعي**، العدد(11): 276_288.

الحراحشة، ياسر.(2016م). **الواقع المروري في الأردن : إجراءات إدارة السير في مجال السلامة المرورية.** مؤتمر في مديرية الأمن العام، إدارة السير المركزية، الأردن.

خالدي، عبدو وقواسمي، مصطفى. (2020م). **تحسين نوعية الخدمة لحافلات النقل الجماعي بمدينة برج بوعريريج. الوضع القائم والتحديات**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، الجزائر.

دائرة الإحصاءات العامة.(2018/2017).**سلاسل زمنية مسح دخل ونفقات الأسرة(2018-2017).** تم استرجاعها بحسب الموقع الإلكتروني http://dosweb.dos.gov.jo/ بتاريخ 2021/8/10.

دائرة الإحصاءات العامة.(2019). **الأردن بالأرقام.** نشرات إحصائية، مكتب الإحصاءات اقليم الشمال، محافظة إربد .

دائرة الإحصاءات العامة.(2021م). **عدد سكان المملكة المقدر حسب البلدية والجنس في نهاية 2021.** مديرية المسوح الأسرية والسكانية، تم استرجاعها بحسب الموقع الإلكتروني dos.gov.jo/ بتاريخ 2021/6/20.

عبد الله، صباح .(2018م). **محاضرة في جغرافية النقل.** جامعة تكريت، العراق، تم استراجاعها حسب الموقع الإلكتروني http://cedh.tu.edu.iq/ بتاريخ 2021/6/27.

عبيدات، محمد. (2016م). **ثقافة النقل العام في الأردن**، هيئة تنظيم النقل البري، تم استرجاعها بحسب الموقع الإلكتروني https://www.ltrc.gov.jo/ بتاريخ 2021/5/4.

العتوم، انتصار. (2020م). **مفهوم النقل الحضري وعلاقته بالتنمية الحضرية.** مقالة تم استرجاعها حسب الموقع الالكتروني https://e3arabi.com بتاريخ 2021/7/15.

العلوي، مخلص.(2018م). النقل السري بمدينة فاس. **منصة الدوريات العربية**، جامعة اليرموك، الأردن.

قديسات، محمد. (2018م). **بحث الاحتياجات الخدمية والتنموية لمنطقة النصر في اربد**، مقالة (62645)، تم استرجاعها حسب الموقع الإلكتروني/https://petra.gov.jo بتاريخ 2020/5/25

منتدى الإستراتيجيات الأردني. (2020م) **القطاع غير الرسمي في الأردن: طبيعة العاملين فيه والتحديات.** تم استرجاعها بتاريخ 2021/8/30 عبر الموقع الإلكتروني http://www.jsf.org/.

منظمة التعاون الإسلامي (SESRIC). (2016م). **شبكات النقل في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: آثارها على التجارة والسياحة.** تم استرجاعها عبر الموقع الإلكتروني https://www.sesric.org/، بتاريخ 2021/7/30 .

Arabic References in English

Abdullah, Sabah. (2018). *Transportation geography lecture*. Tikrit University, Iraq, retrieved to the website http://cedh.tu.edu.iq/ on 27/6/2021

Al Alawi, Mukhlis. (2018). Secret transport in the city of Fes, *Arab Journals Platform*, Yarmouk University, Jordan.

Al_Harahsheh, Yasser. (2016). *Traffic reality in Jordan: Traffic Management Procedures for Traffic Safety.* Conference at the Directorate of Public Security, Central Traffic Department, Jordan.

Al-Atom,Entesar. (2020). *The concept of urban transport and its relationship to urban development*. an article retrieved to the website https://e3arabi.com on 15/7/2021

Bouqna, Selim and El-Abed, Samira. (2016). Informal Transport and Urban Development - Urban Development - An Analytical Standard Study in The City of Batna, Researches of Hajj Al-Khidr University, *Journal of Industrial Economics*, No. 11): 276_288

Department of Statistics .(2019). *Jordan in numbers*. Statistical Bulletins, North Region Statistics Office, Irbid Governorate

Department of Statistics. (2017/2018). *Household Income and Expenditure Survey.* Retrieved according to the website http://dosweb.dos.gov.jo/ on 10/8/2021

Department of Statistics.(2021). *Estimated population of the Kingdom by municipality and gender at the end of 2021*, Population and Social Statistics Department, retrieved to the website dos.gov.jo/ on 20/6/2021

English References

Greater Irbid Municipality. (2021). *Digital data*. Geographical Information Systems (GIS) Department, Planning Department.

How Hot Spot Analysis (Getis-Ord Gi*) works, retrieved via the website https://pro.arcgis.com/ on 10/7/2021.

Jordan Strategy Forum. (2020). *The informal sector in Jordan: the nature of its workers and challenges*, retrieved on 30/8/2021 via the website http://www.jsf.org

Khalidi, Abdo and Qawasmi, Mustafa. (2020). *Improving the quality of service for mass transit buses in Bordj Bou Arreridj*. Status quo and challenges. Unpublished Master's Thesis, University of Mohamed Boudiaf - M'Sila, Algeria.

Kumar, A. Zimmerman, S. and Arroyo, F. (2021)" *Myths and Realities of "Informal" Public Transport in Developing Countries: Approaches for Improving the Sector*". https://www.ssatp.org/

Kumar, M. Singh, S., Ghate, A., Pal, S. and Wilson, S. (2016) "Informal Public Transport Modes in India: A Case Study of Five City Regions", *IATSS Research*, vol 39, issue2, PP 102-109

Obeidat, Mohammed. (2016). *Public Transport Culture in Jordan*, Land Transport Regulatory Authority, an article retrieved according to the website https://www.ltrc.gov.jo/ on 4/5/2021

Ocean, Laila. (2011). *Analytical study of the phenomenon of informal transport from the point of view of users - a case study of the city of Batna*. Master's thesis, University of Hajj Khidr, Batna, Algeria.

Organisation of Islamic Cooperation (SESRIC). (2016). *Transport Networks in OIC Member Countries: Implications for Trade and Tourism.* retrieved via the website https://www.sesric.org/, on 7/30/2021.

Permana, A., Sinniah, G., Utomo, R. and Purti, R. (2018) " Dual Formal and Informal Transport Modes towards Quasi_Seamless Transit in a Developing City". *International Journal of Built Environment and Sustainability*, Faculty of Built Environment, vol 5, issue3, PP 224_240

Petra. (2018). *One car for every five Jordanians - Jordan ranked 74th on the Road Quality Index*. an Article, retrieved to the website http://alrai.com on 08/24/2021

Qudaisat, Muhammad. (2018). *Examination of the service and development needs of Al-Nasr District in Irbid*. an Article (62645), retrieved according to the website https://petra.gov.jo/ on 5/25/2020

Raynor, Bradley. (2014). "Informal Transportation in Uganda: A Case Study of the Boda Boda". Independent Study Project. *(ISP) Collection*. 1923.

تحقيق رأي الشافعي في الاستصلاح

حارث محمد سلامه العيسى *

DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.11

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إظهار حقيقة قول الشافعي من الاستصلاح؛ إذ إن كثيراً من الفقهاء نسبوا للشافعي عدم الأخذ به، ربما لأنه أنكر الاستحسان، أو لأنه لم يذكر الاستصلاح من أصول التشريع. ويبين هذا البحث أن الشافعي قد اعتمد على الاستصلاح كأصل كلي مستنداً إلى كلي الشريعة الإسلامية، وأنه بنى كثيراً من الأحكام الفقهية عليه، بما يرد المزاعم التي ثارت حول إنكاره للاستصلاح بالدليل.

الكلمات المفتاحية: تحقيق، رأي، استصلاح.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً. وبعد؛ فإن من المباحث الأصولية المهمة والتي دار حولها جدل واسع بين العلماء مبحث الاستصلاح، ومن الجدير ملاحظته أن الفقهاء قد أطلقوا اصطلاحات عدة على المصالح المرسلة كـ (الاستصلاح، الاستدلال، المناسب المرسل، المصلحة المرسلة)، وكما هو معلوم أن نصوص الكتاب والسنة متناهية وأن الحوادث والمستجدات والمتغيرات والمتطورات غير متناهية، فالاستصلاح وغيره من الأدلة العقلية يلبي احتياجات الفقه من الأحكام الشرعية التي لا يوجد لها نص خاص من كتاب أو سنة، شريطة أن يستند الاستصلاح إلى كلي الشريعة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث في موقف الشافعي، رحمه الله،من الاستصلاح حيث اضطربت أقوال العلماء في اعتبار الشافعي للاستصلاح، أو عدم اعتباره مطلقًا أو اعتباره بشروط يطمئن بها المستدل. وسوف أبين في هذا البحث تعريف الاستصلاح عند الشافعي وفقهاء الشافعية وحجيته عند الشافعية، وحقيقة موقف الشافعي منه، وبيان أن الاستحسان الذي أنكره الشافعي هو استحسان الهوى ولا علاقة له بالاستصلاح، ثم سأعرض أقوال الفقهاء في موقف الشافعي من الاستصلاح، والشواهد الفقهية التي بنى الشافعي أحكامه وفقها.

إشكالية الموضوع

وتتضح إشكالية الموضوع من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل المصالح المرسلة أو الاستصلاح أو الاستدلال أو المناسب المرسل، هي بمعنى واحد؟
- هل أخذ الشافعي بالاستصلاح كمصدر من مصادر الشريعة وبنى عليه أحكاماً؟
- هل صحيح ما نقله بعض الفقهاء أن الشافعي أنكر الاستدلال بالاستصلاح؟
- هل أدخل الشافعي الاستصلاح ضمن ما سماه القياس؟
- هل يعتبر إنكار الشافعي للاستحسان إنكارا للاستصلاح؟

أهمية الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1. إظهار أن الاستصلاح أصل مرن من أصول الدين يُبنى عليه الأحكام.
2. بيان موقف الشافعي من الاستصلاح، وأنه حجة يعتدّ به في بناء الأحكام.
3. تظهر فائدة الاستصلاح بما يعكسه هذا الأصل من قدرة الشريعة الإسلامية على استيعاب متطورات العصر، واستخراج الأحكام الشرعية للمستجدات، والمتغيرات حسب تغير الزمان والمكان.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2023.

* قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

الدراسات السابقة

تناول بعض الفقهاء المعاصرين موضوع الاستصلاح عند الشافعي في كتبهم و إن كانوا لم يفردوه بكتاب مستقلّ أو ببحث مستقلّ. ومن هذه الدراسات:

1. حسين حامد حسان نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، مكتبة المتنبي القاهرة، 1981م.
2. البوطي محمد سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الطبعة الخامسة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الدار المتحدة، سورية دمشق، (1410هـ - 1990م).
3. مصطفى أحمد الزرقاء، الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (1408هـ - 1988م).

منهجية البحث

تعالج هذه الدراسة الاستصلاح عند الشافعي؛ لذا فإن الباحث اعتمد المناهج الآتية:

1. منهج الاستقراء: تحرير واستقراء أقوال الفقهاء من كتبهم المختلفة.
2. منهج المقارنة: المقارنة بين آراء المذاهب التي تحتاج إلى تحرير، لأن الأمور لا تتميز إلا بأضدادها، ولما في المقارنة من بعد عن التعصب وإثراء للفكر.

حدود الدراسة

سوف تكون حدود دراستي كتب الأصول عند الشافعية فقط؛ إلا ما احتجت فيه لإثراء البحث.

المطلب الأول : تعريف الاستصلاح لغةً واصطلاحًا

أولًا: تعريف الاستصلاح لغة: (صلح) ص ل ح: الصلاح ضد الفساد، وبابه دخل ونقل الفراء صلح أيضًا، و الصلاح بالكسر مصدر المصالحة، والاسم الصلح يذكر ويؤنث، وقد اصطلحا وتصالح وصّالحا بتشديد الصاد، والاصلًاح ضد الإفساد، والمصلحة واحدة المصالح و الاستصلاح ضد الاستفساد (Al-Razi, 1995) والاستصلاح: طلب الاصلح (Qalaji, 1988).

ثانيًا: تعريف الاستصلاح شرعًا: لم أجد تعريفاً عند الشافعي للاستصلاح، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم ذكر الشافعي للاستصلاح كأصل من أصول الاستنباط، أو دخوله تحت ما سماه القياس؛ لذا سوف أعرف الاستصلاح عند فقهاء الشافعية، فلقد أطلق بعض فقهاء الشافعية لفظ الاستصلاح على المصلحة.

فيقول الزركشي: الاستصلاح" قال: والمراد بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق. وفسره الإمام الغزالي بأن يوجد معنى يشعر بالحكم مناسب له عقلا، ولا يوجد أصل متفق عليه، والتعليل المصور جار فيه . وفسره ابن برهان في الأوسط" بأن لا يستند إلى أصل كليّ ولا جزئي (Al-Zarkashi, 1988). ويقول الغزالي: الأصل الرابع من الأصول الموهومة الاستصلاح وقد اختلف العلماء في جواز اتباع المصلحة المرسلة، ولا بد من كشف معنى المصلحة وأقسامها (Al-Ghazali, 1322)، فنلحظ أن الشافعية اطلقوا لفظ الاستصلاح وأرادوا به المصلحة . وتبعهم في ذلك بعض فقهاء الحنابلة؛ فقد عرفه ابن قدامة: الاستصلاح وهو اتباع المصلحة المرسلة والمصلحة هي جلب المنفعة أو دفع المضرة، وهي ثلاثة أقسام (Ibn Qadamah, 1391)،وتابعه بذلك ابن بدران حين يقول: "وأما الاستصلاح فهو اتباع المصلحة المرسلة، فإن الشرع أو المجتهد يطلب صلاح المكلفين باتباع المصلحة المذكورة ومراعاتها. والمصلحة جلب نفع أو دفع ضرر وهي متنوعة إلى ثلاثة أنواع"(Ibn Badran, 1990). وقد وافق ذلك الاتجاه علماء معاصرون ومنهم : البوطي اذ قال: ترتيب الحكم الشرعي على المصلحة المرسلة بحيث يحققها على المطلوب (Al-Buti, 1990). ويعلق البوطي قائلًا: وعلى كل فإن اسم الاستصلاح أو الاستدلال إنما يطلق على عمل المجتهد، وهو ما أداه إليه اجتهاده من ترتيب الحكم الشرعي على وفق المصلحة المرسلة، على حين إن المصلحة المرسلة نفسها إنما تطلق على حقيقة موجودة في الخارج بقطع النظر عن عمل المجتهد فيها (Al-Buti, 1990). وحتى يتضح معنى الاستصلاح جليًا فلا بد من الوقوف على معنى المصلحة المرسلة لغة واصطلاحا، وأنواعها على النحو الآتي:

أولًا: المصلحة لغة: بمعنى الصلاح والمنفعة والمصلحة واحدة المصالح في كل ما فيه نفع سواء بالجلب، والتحصيل، أو ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه (Al-Afriqi, 1980)[1]. والمصلحة كالمنفعة وزنا ومعنى، وهي بهذا إما مصدر بمعنى الصلاح كالمنفعة بمعنى النفع، وإما اسم للواحدة من المصالح كالمنفعة ، فهي تطلق على المنفعة حقيقة وعلى أسبابها مجازا، فيقال: التجارة مصلحة، بمعنى أنها سبب إلى المنافع، والقصاص مصلحة بمعنى أنه سبب إلى المنفعة، ولما كانت المنفعة والمضرة نقيضين لا يجتمعان، فكان دفع المضرة مصلحة، فالمراد بالمصلحة لغة جلب المنفعة، ودفع المضرة (Al-Fayruzabadi, 1994).

ثانيًا: تعريف المصلحة المرسلة اصطلاحا: لقد اختلفت عبارات فقهاء الشافعية في تعريف المصلحة المرسلة على النحو الآتي:

1. عرفها الرازي: بأنها عبارة عن المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين (Al-Razi, 1992). فهذا التعريف لم يذكر صراحة أن دفع الضرر من المصلحة وإن كانت داخلة في التعريف. وقال أيضًا: "المنفعة عبارة عن اللذة أو ما يكون طريقا إليها والمضرة عبارة عن الألم أو ما يكون طريقا إليه (Al-Razi, 1992).
2. وقال أيضًا: "لأن المصلحة لا معنى لها إلا اللذة أو ما يكون وسيلة إليها. والمفسدة لا معنى لها إلا الألم أو ما يكون وسيلة إليه (Al-Razi, 1992).
3. عرفها الآمدي:"هي مصلحة لم يشهد الشرع لها باعتبار ولا إلغاء" (Al-Amdi, 1990). وهذا التعريف من جهة النظر إليها كدليل.

ولعل أدق التعاريف هذه وأشملها وأوضحها هو تعريف الغزالي القائل:" أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة"(Al-Ghazali, 1322)[2]. ثم يستدرك قائلًا: ولسنا نعني به ذلك ، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم ،لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها فهو مصلحة (Al-Ghazali, 1322). هذا هو تعريف الغزالي للمصلحة فالقول الأول له هو تعريفها بالوضع اللغوي، والثاني هو التعريف الاصطلاحي، فالغزالي يبين أن المراد بالمصالح والمفاسد هي ما كانت كذلك في نظر الشرع، لا ما كان ملائماً منافراً للطبع. والمقصود بالمصالح والمفاسد كل ما هو حسي ومعنوي فقد ذكر العز بن عبدالسلام في قواعده أن المصالح أربعة أنواع: اللذات وأسبابها، والأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها، والغموم وأسبابها، وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية، لينوه إلى أن تعريف المصلحة يشمل ما هو حسي ومعنوي، فالمعنويات من المصالح داخلة ولا شك في التعريف (Al-Muslimi, 1985). وقال أيضًا: المصالح ضربان: أحدهما حقيقي وهو الأفراح واللذات، والثاني مجازي وهو أسبابها (Al-Muslimi, 1985)، وقد تابعه الشاطبي ليركز على الجانب المعنوي في تعريف المصلحة فقال: وأما من قال في الدنيوية، فليس كما قال من كل وجه، بل ذلك من بعض الوجوه دون بعض،... ولو كان الأمر على ما قال بإطلاق لم يحتج في الشرع إلا إلى بث مصالح الدار الآخرة خاصة، وذلك لم يكن، وإنما جاء بما يقيم أمر الدنيا وأمر الآخرة معًا وان كان قصده بإقامة الدنيا للآخرة فليس بخارج عن كونه قاصداً لإقامة مصالح الدنيا حتى يتأتى فيها سلوك طريق الآخرة، وقد بث في ذلك من التصرفات وحسم من أوجه الفساد التي كانت جارية ما لا مزيد عليه، فالعادة تحيل استقلال العقول في الدنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التفصيل إلا أن يريد هذا القائل أن المعرفة بها تحصل بالتجارب وغيرها بعد وضع الشرع أصولها فذلك لا نزاع فيه (Al-Shatibi, 1981). فنلحظ من إيراد التعريفات السابقة؛ أن الفقهاء قد اختلفت اتجاهاتهم في تعريف المصلحة المرسلة، فبعضهم نظر إلى السبب المؤدي إلى النفع كالغزالي والطوفي فكان التعريف موافقًا للاستعمال العرفي للمصلحة الذي يوافق الاطلاق المجازي لها، فهو من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب. وبعضهم عرفها باعتبار ما يترتب على السبب من نفع وضرر، فكان التعريف موافقاً للاستعمال الحقيقي للمصلحة، ومراعياً بذلك للوسائل في تعريفها؛ جامعًا في ذلك بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للمصلحة ؛أي أنه جامع الوسائل والمقاصد ،ومن ذلك تعريف العز بن عبد السلام، فالمصالح تطلق على الأسباب عرفا، والمقاصد تطلق على الغايات المترتبة عليها ،فهما لا ينفكان عن بعضهما، وبينهما تلازم السبب والمسبب فيطلق أحدهما على الآخر على سبيل المجاز،

وفي هذا يقول العز بن عبد السلام: وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب باسم المسبب (Al-Muslimi, 1985). ومن الجدير ملاحظته أن الفقهاء قد أطلقوا اصطلاحات عدة على المصالح المرسلة كـ(الاستصلاح، الاستدلال المناسب المرسل، المصلحة المرسلة)، فهل هي بمعنى واحد؟

ولقد حقق البوطي في هذه الاطلاقات جميعًا فقال: يعبر عنها بعضهم بالمناسب المرسل وبعضهم بالاستصلاح وبعضهم بالاستدلا،ل وهذه التعبيرات، وإن كانت تبدو مترادفة لوحدة المقصود بها، إلا أن كلا منهما ناظر لهذا المقصود من جهة معينة، ذلك أنّ كل حكم يقوم على أساس المصلحة يمكن أن ينظر إليه من ثلاثة جوانب: أحدهما جانب المصلحة المترتبة عليه ثانيهما جانب الوصف المناسب الذي يستوجب ترتيب الحكم عليه تحقيق تلك المصلحة ثالثهما بناء الحكم على الوصف المناسب أو المصلحة، أي المعنى المصدري؛ فمن نظر إلى الجانب الأول عبر بالمصالح المرسلة وهي التسمية الشائعة؛و من نظر إلى الجانب الثاني عبر بالمناسب المرسل، كابن الحاجب (Al-Maliki, 1983) حينما جعل الوصف المناسب مقسما وفرع منه المؤثر والملائم والغريب والمرسل، وكالغزالي في كتابه شفاء الغليل[3]، و من نظر إلى الجانب الثالث عبر بالاستصلاح أو الاستدلال، وقد عبر بالأول الإمام الغزالي في المستصفى[4] وجعله عنوان البحث،وعبر بالثاني إمام الحرمين في كتابه البرهان [5]. وجعل بعضهم اسم الاستدلال شاملًا لما عدا الكتاب والسنة والإجماع والقياس، كالاستحسان والاستصحاب، فعبر هؤلاء بالاستدلال المرسل ومنهم الإمام الزركشي في كتابه البحر المحيط[6]. ويعلق البوطي على كل تلك الاتجاهات قائلًا: ومهما توزعت أنظار العلماء في هذه الجوانب، فإنها على كل حال جوانب لحقيقة واحدة (يقصد بهذه الحقيقة المصالح المرسلة). ثم يعرف المصالح المرسلة: "هي كل منفعة داخلة في مقصود الشارع دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء" (albuti)؛ ويقرب منه تعريف الدكتور يوسف القرضاوي: "المصلحة المرسلة التي لا يدل دليل خاص من نصوص الشرع على اعتبارها ولا على إلغائها فهي مطلقة من الاعتبار والإلغاء (Al Qardawi, 1998).

المطلب الثاني: أنواع المصلحة [7]: تتقسم المصلحة بالنظر إلى النصوص الشرعية إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: المعتبرة؛ كالأحكام التي شرعها الله لحفظ الضروريات الخمس واتفق العلماء على العمل بها.

ثانيًا: الملغاة؛ كالمصلحة المتوهمة في جعل الأنثى كالذكر في الميراث، واتفق العلماء على عدم العمل بها.

ثالثًا: المرسلة التي سكت الشارع عنها ولم تدل الشواهد على اعتبارها أو إلغائها، وسميت مرسلة أي مطلقة دون تقييد بالاعتبار أو الإلغاء (Al-Attar, 1980)

المطلب الثالث: حجية الاستصلاح عند الشافعية: اختلف النقل عن الشافعية في القول بالاستصلاح على أقوال (Al-Shawkani, 1990)

الأول: عدم الاعتماد عليها مطلقًا.

الثاني: إن كانت ملائمة لأصل كلي من أصول الشرع أو لأصل جزئي جاز بناء الأحكام عليها وإلا فلا.حكاه ابن برهان في الوجيز عن الشافعي، وقال: إنه الحق المختار. يقول إمام الحرمين في كتاب الاستدلال: وذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنهما إلى اعتماد الاستدلال وإن لم يستند إلى حكم متفق عليه في أصل ولكنه لا يستجيز النأي والبعد والإفراط،وإنما يسوغ تعليق الأحكام بمصالح شبيهة بالمصالح المعتبرة وفاقا وبالمصالح المستندة إلى أحكام ثابتة الأصول قارة في الشريعة (Al-Juwaynit, 1399).

الثالث: إن كانت تلك المصلحة ضرورية قطعية كلية كانت معتبرة، فإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تعتبر، والمراد بالضرورية: أن تكون من الضروريات الخمس، وبالكلية: أن تعم جميع المسلمين، لا لو كانت لبعض الناس دون بعض، أو في حالة مخصوصة دون حالة، واختار هذا الغزالي[8] والبيضأوي[9].

تحرير محل النزاع: عند التمحيص في كتب الأصول في هذه المسألة نلحظ الاختلاف الذي ينقله العلماء في حجية الاستصلاح أولًا، وما ينص عليه المحققون من أنه لا خلاف بين العلماء بالعمل بالاستصلاح ثانيًا، ولقد علل البوطي اختلاف العلماء فقال :" وقد ظن بعضهم أن الشافعي أبعد الأئمة عن الأخذ بالمصالح المرسلة، فإن كان دليلهم على ذلك أنه لم يتفق مع الإمام مالك في كثير من جزئيات الفتأوى التي بناها على المصالح المرسلة،...، وإن كان دليلهم على ما قالوا أنه لم يعد

الاستصلاح في أصوله دليلاً مستقلاً كالقياس والإجماع (AlButi,1990). ويعقب قائلاً: "والواقع أن موقف الشافعي من الاستحسان هو الذي جعل كثيراً ممن يأخذون بظواهر الأمور، يحسبون أنه رحمه الله تعإلى لم يكن يأخذ بالاستصلاح، وأن إنكاره على الاستحسان والأخذ به هو بعينه الدليل على إنكاره على المصالح والأخذ بها (AlButi, 1990)؛ فقد قال الشافعي في معرض حديثه عن الاستحسان" والقول بالاستحسان قول بأن الله تعإلى ترك بعض مصالح خلقه ؛ فلم يشرع من الأحكام ما يحققه لهم، أو يحفظه عليهم، وهو مناقض لقوله تعإلى "أيحسب الإنسان أن يترك سدى" (Alshafi'i, 1990).

المطلب الرابع: حقيقة موقف الشافعي من الاستصلاح

رغم ما نقل عن الشافعي انه لا يأخذ بالاستصلاح إلا أنه في الحقيقة يعتمد عليها ويعتبرها اصلًا من أصوله، وإن كان لم يصرح بذلك، وسوف نعرض لهذه الحقيقة بالتفصيل على النحو الآتي:

الفرع الأول: دخول المصلحة تحت القياس

1. اعتبار الشافعي أنّ المصلحة المرسلة داخلة في القياس،إذ يقول في الرسالة:"وقد يمتنع بعض أهل العلم من أن يسمي "قياسًا" ويقول: هذا معنى ما أحلّ الله وحرم وحمد وذم لأنه داخل في جملته فهو بعينه، ولا قياس على غيره، ويقول مثل هذا القول في غير هذا مما كان في معنى الحلال فأحل والحرام فحرم ، ويمتنع أن يسمى "القياس" إلا ما كان يحتمل أن يشبه بما احتمل أن يكون فيه شبهًا من معنيين مختلفين، فصرفه على أن يقيسه على أحدهما دون الآخر، ويقول غيرهم من أهل العلم: ما عدا النص من الكتاب أو السنة فكان في معناه فهو قياس والله اعلم (Alshafi'i, 1990)، فالشافعي في هذا النص يصرح بأن غير الكتاب والسنة هو القياس فيكون الاستصلاح داخلا فيما سماه قياس.
2. يعرف الشافعي القياس متسائلاً: فما القياس؟ أهو الاجتهاد؟ أم هما مفترقان؟ قلت: هما اسمان لمعنى واحد قال: فما جماعهما؟ قلت: كل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم: اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد القياس (Alshafi'i, 1990).
3. ويقول أيضًا: والقياس ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر المتقدم من الكتاب أو السنة. لأنهما علم الحق المفترض طلبه، كطلب ما وصفت قبله، من القبلة والعدل والمثل. وموافقته تكون من وجهين: أحدهما: أن يكون الله أو رسوله حرم الشيء منصوصًا أو أحله لمعنى، فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينص فيه بعينه كتاب ولا سنة: أحللناه أو حرمناه، لأنه في معنى الحلال أو الحرام، أو نجد الشيء يشبه الشيء منه والشيء من غيره ولا نجد شيئاً أقرب به شبهًا من أحدهما: فنلحقه بأولى الأشياء شبهًا به كما قلنا في الصيد (Alshafi'i, 1990).
4. يتساءل الشافعي: فإن قال قائلاً: فاذكر من الأخبار التي تقيس عليها، وكيف تقيس؟ قيل له إن شاء الله: كل حكم لله أو لرسوله وجدت عليه دلالة فيه أو في غيره من أحكام الله أو رسوله بأنه حكم به المعنى من المعاني، فنزلت نازلة ليس فيها نص حكم: حكم فيها حكم النازلة المحكوم فيها، إذا كانت في معناها والقياس وجوه يجمعها "القياس" ويتفرق بها ابتداء قياس كل واحد منهما، أو مصدره أو هما وبعضهما أوضح من بعض (Alshafi'i, 1990). فمن النصوص السابقة للشافعي يمكن استنتاج ما يلي:

- أنه جعل القياس فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة، وهذا مأخوذ من قوله: "فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينص فيه بعينه كتاب ولا سنة، أأحللناه أو حرمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام".
- أن القياس لا بد أن يستند إلى دليل من كتاب أو سنة، وهذا مأخوذ من قوله:"والقياس ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر المتقدم من الكتاب أو السنة لأنهما علم الحق المفترض طلبه".
- لا بد من وجود المعنى الجامع بين الأصل والفرع، والمعبر عنه بالعلة عند الاصوليين، وهذا مأخوذ من قوله:"كل حكم لله أو لرسوله وجدت عليه دلالة فيه أو في غيره من أحكام الله أو رسوله بأنه حكم به لمعنى من المعاني فنزلت نازلة ليس فيها نص حكم، حُكم فيها حكمُ النازلة المحكوم فيها إذا كانت في معناها؛ وقوله: "فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم يَنُصَّ فيه بعينه كتاب ولا سنة: أحللناه أو حرمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام".

وهذه في مجملها ضوابط القياس؛ وإلا يعتبر هوى وتشهي وهذا مذموم في الشريعة الإسلامية.

بيان دخول المصلحة المرسلة في القياس عند الشافعي

إن شرائط القياس المستنتجة من أقوال الشافعي لا بد أن تتوفر في كل مصلحة مرسلة معتبرة؛ إذ إن المصلحة يجب أن يكون منصوصًا عليها من كتاب أو سنة، كما أنها يجب أن تشتمل على معنى، منها مراعاة التيسير ورفع الحرج أو تقديم مصلحة عامة على أخرى خاصة أو غيرها من المعاني التي قد تنقدح في ذهن المجتهد؛ وهذه المعاني من المبادئ التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية؛ ولا بد من تحقق هذه المعاني في المصالح التي نبغي استخراج الأحكام الشرعية لها، فمثلا مسألة تضمين الصناع، تقوم على معنى هو حفظ المال وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، ووجدنا هذه المعاني منصوص عليها في الكتاب والسنة. وقد شرط الشافعي في القياس موافقة الخبر المتقدم، وهذه الموافقة يجب أن تتحقق في المصلحة أيضًا.

الفرع الثاني: اعتبار أن الشافعي رفض المصلحة لرفضه الاستحسان

بداية لا بد من توضيح موقف الشافعي من الاستحسان: عنون الشافعي في كتابه الأم: باب إبطال الاستحسان (Alshafi'i, 1990):

قال الشافعي: لا يجوز لمن استأهل أن يكون حاكما أو مفتيا أن يحكم ولا أن يفتي إلا من جهة خبر لازم، وذلك الكتاب ثم السنة أو ما قاله أهل العلم لا يختلفون فيه، أو قياس على بعض هذا لا يجوز له أن يحكم ولا يفتي بالاستحسان، إذ لم يكن الاستحسان واجبا، ولا في واحد من هذه المعاني فإن قال قائل: فما يدل على أن لا يجوز أن يستحسن إذا لم يدخل الاستحسان في هذه المعاني مع ما ذكرت في كتابك هذا ؟ قيل قال الله عز وجل:**"أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى"** (سورة القيامه آية 36) . ويقول أيضًا:فلم يختلف أهل العمل بالقرآن فيما علمت أن السدى الذي لا يؤمر ولا ينهى ومن أفتى أو حكم بما لم يؤمر به فقد أجاز لنفسه أن يكون في معاني السدى، وقد أعلمه الله أنه لم يتركه سدى (Alshafi'i, 1990). وقال الشافعي: أفرأيت إذا قال الحاكم والمفتي في النازلة: ليس فيها نص خبر ولا قياس، وقال استحسن، فلا بد أن يزعم أن جائزًا لغيره أن يستحسن خلافه فيقول كل حاكم في بلد و مفت بما يستحسن فيقال في الشيء الواحد بضروب من الحكم والفتيا، فإن كان هذا جائزًا عندهم فقد أهملوا أنفسهم فحكموا حيث شاءوا، وإن كان ضيقا فلا يجوز أن يدخلوا فيه (Alshafi'i, 1990). وقال في الرسالة: وإن القول بغير خبر ولا قياس لغير جائز بما ذكرت من كتاب الله وسنة رسوله ولا في القياس (Alshafi'i, 1990). وقال أيضًا: ولو قال بلا خبر لازم و قياس كان أقرب من الإثم من الذي قال وهو غير عالم وكان القول لغير أهل العلم جائزًا ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول إلا من جهة علم مضى قبله، وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والإجماع والآثار وما وصفت من القياس عليها (Alshafi'i, 1990). وقال أيضًا: وإنما الاستحسان تلذذ (Alshafi'i, 1990). وقال أيضًا: ولو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم أن يقولوا فيما ليس فيه خبر بما يحضرهم من الاستحسان (Alshafi'i, 1990). وقال أيضًا: ومن قال أستحسن لا عن أمر الله ولا عن أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل عن الله ولا عن رسوله ما قال ولم يطلب ما قال يحكم الله ولا يحكم رسوله وكان الخطأ في قول من قال هذا بينًا، بأنه قد قال: أقول وأعمل بما لم أؤمر به ولم أُنهَ عنه، وبلا مثال على ما أمرت به ونهيت عنه، وقد قضى الله بخلاف ما قال، فلم يترك أحدا إلا متعبدا (Alshafi'i, 1990).

ملخص قول الشافعي

المطلوب من المسلم أن يتبع حكم الله أو رسوله، أو حكمًا مقيسا على حكم الله أو رسوله، والحكم المستحسن للمجيز، وهو حكم وضعي لا شرعي، مبني على التلذذ والتذوق ، ولم يؤمر المسلم باتباع حكم التلذذ والهوى.

شرع الله سبحانه وتعالى لكل واقعة حكمًا وبين بعض أحكام لنصوص في كتابه أو على لسان نبيه، وأرشد إلى الواجب فيما نص فيه، قال تعالى :**"فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"** (سورة النساء، آية 59). وتنهى هذه الآية عن إتباع الهوى وليس له أن يعدل عن الحكم الذي يقتضيه النص والقياس إلى حكم؛ يقول: إنه استحسنه لأن في ذلك حكمًا بالرأي وليس حكمًا شرعيًا؛ ثم إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، ما كان يفتى بالاستحسان وإنما ينتظر الوحي، ولو استحسن لكان مخطئًا لأنه لا ينطق عن الهوى. ثم إن الاستحسان أساسه العقل وليس كتابًا وليس سنة ولا ردًا إلى كتاب أو سنة. وفي ذلك يستوي العالم والجاهل فلو جاز لأحد الاستحسان لجاز

لكل واحد أن يشرع لنفسه. إن الاستحسان لا ضابط له ولا مقياس يقاس به الحق من الباطل،كالقياس، فلو جاز لكل حاكم أو مفتٍ أو مجتهد أن يستحسن فيما لا نص فيه لأدى ذلك إلى وجود أحكام مختلفة في النازلة الواحدة على حسب استحسان كل معنى، فيكون في الشيء الواحد ضروب في الفتوى، من غير ترجيح واحدة على الأخرى؛ إذ لا ميزان ولا ضابط يمكن له الترجيح به، ما دام الأساس هو الاستحسان، وما هكذا تفهم الشرائع.

وبعد النظر في أدلة الإمام الشافعي نلحظ أنها تتجه إلى إنكار الاستحسان الذي هو منبثق عن الهوى والتشهي، وهذا الذي أنكره جميع العلماء والأئمة والذي لا يكون مؤيدا بدليل من أدلة التشريع المتفق عليها، والذي اتفقت عليه جميع الأمة. وكما أنه لا يجوز أن يقول في شرع الله بهواه، ونلحظ أيضاً أن آراء الشافعي وأدلته لا تتجه إلى إنكار الاستحسان الذي قال به الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة، بل ينكر الاستحسان الذي لا يستند إلى دليل شرعي ويكون نتيجة للرأي والهوى والتلذذ، وأما ما يكون مستندا إلى دليل شرعي فهو جائز عنده، وأيضاً ما كان نتيجة لترجيح قياس على آخر وتخصيص لعام أو تقييد لمطلق فإنه لا يعارضه بل ويقول به ولقد نقل عنه القول بالاستحسان في بعض المسائل منها: ما نقل الآمدي عنه (Al-Amdi, 1990) أنه قال: استحسن في المتعة أن تكون ثلاثين درهما (Alshafi'i, 1990)؛ واستحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام، واستحسن ترك الشيء للمكاتب من نجوم الكتابة، وقال في السارق إذا أخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت القياس أن نقطع يمناه والاستحسان أن لا تقطع (Al-Amdi, 1990). يقول المأوردي: لم يخل ما استحسنه الإمام الشافعي، رضي الله عنه، من دليل اقترن به والاستحسان بالدليل معمول به، وإنما ننكر العمل بالاستحسان إذا لم يقترن بدليل (Al-Mawardi, 1972) ويقول القرطبي ببطلان الاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي (Al-Qurtubiu, 1986). وعلى هذا فإنني أرى أن الخلاف بين الإمام الشافعي وبين غيره من الأئمة في مبحث الاستحسان لا يعدو أن يكون لفظياً؛ فالشافعي في إنكاره للاستحسان إنما هو إنكار للاستحسان المبني على محض العقل ومجرد القول بالرأي والتشهي، من غير اعتماد على دليل شرعي، وهذا المعنى لم يقل به الحنفية ومن وافقهم، والشافعي قد أخذ بالاستحسان المبني على دليل؛ لذلك فإن الخلاف لفظي وراجع إلى العبارة والاصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح،وبهذا قال عدد من الأئمة: فقد نقل الشوكاني عن ابن القفال وابن السمعاني: فقال: "قال القفال: إن كان المراد بالاستحسان ما دلت عليه الأصول بمعانيها فهو حسن لقيام الحجة به، قال فهذا ننكره ونقول به وإن كان ما يقع في الوهم من استقباح الشيء واستحسانه من غير حجة دلت عليه من أصل ونظير، فهو محظور والقول به غير سائغ".

ويقول السمعاني: إن كان الاستحسان هو القول بما يستحسنه الإنسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل ولا أحد يقول به، ثم ذكر أن الخلاف لفظي، ثم قال فإن تفسير الاستحسان بما يشفع به عليهم لا يقولون به، وإن تفسير الاستحسان بالعدول عن دليل أقوى منه فهذا ما لم ينكره أحد عليه (Al-Shawkani, 1990). قال ابن الحاجب من المالكية: الاستحسان قال به الحنفية والحنابلة وأنكره غيرهم، حتى قال الشافعي من استحسن فقد شرع، ولا يتحقق استحسان مختلف فيه، فقيل هو دليل ينقدح في نفس المجتهد تعسر عبارته عنه، قلنا إن شك فيه فمردود وإن تحقق فمعمول به اتفاقاً، ومثل هذا العدول عن القياس إلى قياس أقوى ولا نزاع فيه. وقيل: تخصيص قياس بأقوى منه ولا نزاع فيه، وقيل وهو العدول إلى خلاف النظير لدليل أقوى لا نزاع فيه. وقيل العدول من حكم الدليل إلى العادة لمصلحة الناس كدخول الحمام وشرب الماء من السقاء، قلنا مستنده جريانه في زمانه،أو زمانهم، مع عملهم من غير إنكار أو غير ذلك وإلا فهو مردود، فإن تحقق استحسان مختلف أو زمانهم فيه قلنا لا دليل يدل عليه فوجب تركه (Alhajib, 1983). قال الجلال المحلي: فلم يتحقق معنى الاستحسان مما ذكره يصلح محلا للنزاع (Al-bnaniu, 1990). وقال التفتازاني: والحق أنه لا يوجد في الاستحسان ما يصلح محلا للنزاع في التسمية لأنه اصطلاح (Al-Tiftazani, 1996). وقال الآمدي: فلم يبق الخلاف إلا في معنى الاستحسان وحقيقته (Al-Amdi, 1990). وقال الأسنوي: إن الاستحسان قال به أبو حنيفة وكذا الحنابلة كما قال الآمدي وابن الحاجب، وأنكره الجمهور لظنهم أنهم يريدون به الحكم بغير دليل حتى قال الشافعي: "من استحسن فقد شرع"، أي وضع شرعًا جديداً. ويقول: وهو استفعال من الحسن يطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه من الصور والمعاني، وإن كان مستقبحاً عند غيره، وليس هذا محل الخلاف، لاتفاق الأمة قبل ظهور المخالفين على امتناع القول في الدين بالتشهي، فيكون محل الخلاف فيما عدا ذلك (Al-Asnawi, 1982) ثم إن الاستحسان لا يبتعد بكونه قياسًا خفيًا في مقابلة قياس جلي، وإنما يكون بنص أو إجماع أو ضرورة ونحو ذلك مما بان في أنواعه، وقد لا يكون مقابل الاستحسان هو القياس الجلي، وإنما قد يكون دليلًا

عاماً أو قاعدة كلية (Al-Zuhaili, 1986). والضابط لحالاته هو ما قاله المالكية أنه العمل بأقوى الدليلين (Al-Baji, 1989).ويقول الشوكاني:"إن ذكر الاستحسان في بحث مستقل لا فائدة فيه اصلًا لأنه إن كان راجعاً إلى الأدلة المستخدمة فهو تكرار، وإن كان خارجا عنها فليس من الشرع في شيء، بل هو من التقول على هذه الشريعة بما لم يكن فيها تارة وبما يضادها أخرى"(Al-Shawkani,1990). وإن أكثر ما يعتمد عليه الاستحسان هو المصلحة المرسلة وهو الاستحسان المصلحي الذي قال به المالكية، حيث عرفه الشاطبي بأنه: "الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة دليل كلي"(Al-Al-Shatby, 1983). ويقول الشاطبي إن الاستحسان غير خارج عن مقتضى الأدلة إلا النظر إلى لوازم الأدلة ومآلاتها، وإذا فليس الاستحسان مصدراً مستقلًا من مصادر التشريع (Al-Shatby, 1983) .

مما سبق يتبين أن إنكار الشافعي للاستحسان هو الذي دفع بعض الفقهاء للتصريح بأن الشافعي رحمه الله ينكر الاستصلاح أيضاً، لأن أكثر ما يعتمد عليه الاستحسان هو المصلحة المرسلة وهو الاستحسان المصلحي الذي قال به المالكية، حيث عرفه الشاطبي بأنه:"الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة دليل كلي". وبعد بيان حقيقة مذهب الشافعي من الاستحسان وانه يعتبره حجة، وأن الخلاف لا يعدو لفظياً فيه، لذا فإننا نرد المزاعم التي ثارت: أن الشافعي يرد العمل بالاستصلاح.

المطلب الخامس: أقوال الفقهاء في موقف الشافعي من الاستصلاح

يقول الشاطبي: إن كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين وكان ملائما لتصرفات الشرع ومأخوذاً معناه من أدلته، فهو صحيح يبنى عليه ويرجع إليه إذا كان ذلك الأصل قد صار بمجموع أدلته مقطوعا به، لأن الأدلة لا يلزم أن تدل على القطع بالحكم بإنفرادها دون انضمام غيرها إليها؛لأن ذلك كالمتعذر ويدخل تحت هذا ضرب الاستدلال المرسل الذي أعتمده مالك والشافعي؛ فإنه، وإن لم يشهد للفرع أصل معين، فقد شهد له أصل كلي والأصل الكلي إذا كان قطعيا قد يسأوي الأصل المعين، وقد يربو عليه بحسب قوة الأصل المعين وضعفه. (Al-Shatby, 1983) فقد صرح الشاطبي أن الشافعي اعتبر الاستدلال المرسل الذي هو الاستصلاح عند الشافعية. ونسب الشوكاني إلى الشافعي القول بالمصالح المرسلة، فقال في المذهب الثالث: إن كانت ملائمة لأصل كلي من أصول الشرع أو لأصل جزئي جاز بناء الأحكام عليها وإلا فلا، حكاه ابن برهان في الوجيز عن الشافعي، وقال: إنه الحق المختار. قال إمام الحرمين: ذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة إلى تعليق الأحكام بالمصالح المرسلة بشرط الملاءمة للمصالح المعتبرة المشهود لها بالأصول (Al-Shawkani, 1990). يقول صاحب التقرير والتحبير: أي الملائم (من المرسل فاتفاقهم) أي العلماء المحكي عنهم نفي المرسل إنما هو (في نفي الأولين) ما علم إلغاؤه والغريب المرسل، ثم هذا كله على ما يقتضيه سوق الكلام وهو الموافق لكلام ابن الحاجب وشارحيه والذي في تنقيح المحصول للقرافي أن ما جهل حاله من الإلغاء والاعتبار هو المصلحة المرسلة الذي تقول بها المالكية، ويوافقه تفسير الأسنوي بالمناسب المرسل الذي اعتبره مالك كما ذكره البيضأوي بهذا ومشى عليه السبكي في جمع الجوامع، ثم قال الأسنوي: وفيه ثلاثة مذاهب أحدها أنه غير معتبر مطلقًا. قال ابن الحاجب وهو المختار. وقال الآمدي: إنه الحق الذي اتفق عليه الفقهاء والثاني أنه حجة مطلقًا، وهو مشهور عن مالك واختاره إمام الحرمين، قال ابن الحاجب: وقد نقل أيضاً عن الشافعي، وكذا قال إمام الحرمين إلا أنه شرط أن تكون تلك المصالح شبيهة بالمصالح المعتبرة. والثالث وهو رأي الغزالي واختاره البيضاوي: أنه إن كانت المصلحة ضرورية (Al-Hajj, 1983). وقال أيضاً: وما علم اعتبار أحدها أي جنسه في جنسه، أو عينه في جنسه، أو جنسه في عينه، وهو أي هذا القسم الثالث المرسل الملائم وعن الشافعي ومالك قبله (Al-Hajj, 1983). فصاحب التقرير ينقل صراحة عن الشافعي أنه يأخذ صراحة بالاستصلاح، كما وينسب لفقهاء الشافعية الأخذ به. ونسب ذلك أيضاً عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري في كتابه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، فقال عند حديثه عن المرسل: فهو المرسل وينقسم إلى ما علم إلغاؤه... وإن علم فيه ذلك فهو المرسل الملائم قبله الإمام. ونقل عن الشافعي وعليه جمهور الحنفية (Ibn Nizam al-Din, 1993). فكما نرى من هذا النص والذي قبله نجد ان فقهاء الحنفية ينقولون عن الشافعي الأخذ بالمصلحة الملائمة المجردة عن النص وإن اختلفوا بالتسمية. **قول إمام الحرمين في كتابه البرهان في أصول الفقه:** يقول إمام الحرمين في كتاب الاستدلال: وذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة، رضي الله عنهم، إلى اعتماد الاستدلال وإن لم يستند إلى حكم متفق عليه في أصل، ولكنه لا يستجيز النأي والبعد والإفراط، وإنما يسوغ تعليق الأحكام بمصالح يراها شبيهة بالمصالح المعتبرة وفاقا، وبالمصالح المستندة إلى أحكام ثابتة الأصول قارة في الشريعة (Al-Juwayni, 1399).

ويقول أيضاً: وأما الشافعي فقال إنا نعلم قطعا أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعإلى معزوة إلى شريعة محمد، صلى الله عليه و سلم، على ما سنقرره في كتاب الفتوى ،والذي يقع به الاستقلال هاهنا، أن الأئمة السابقين لم يخلوا واقعة على كثرة المسائل وازدحام الأقضية والفتأوى عن حكم الله تعالى، ولو كان ذلك ممكنا لكانت تقع، وذلك مقطوع به أخذا من مقتضى العادة، وعلى هذا علمنا بأنهم، رضي الله عنهم، استرسلوا في بناء الأحكام استرسال واثق بانبساطها على الوقائع، متصد لإثباتها فيما يعن ويسنح، متشوف إلى ما سيقع. ولا يخفى على المنصف أنهم ما كانوا يفتون فتوى من فتوى من تنقسم الوقائع عنده إلى ما يعرى عن حكم الله وإلى ما لا يعرى عنه، فإذا تبين ذلك بنينا عليه المطلوب وقلنا: لو انحصرت مآخذ الأحكام في المنصوصًات والمعاني المستثارة منها، لما اتسع باب الاجتهاد، فإن المنصوصًات ومعانيها المعزوة إليها لا تقع من متسع الشريعة غرفة من بحر، ولو لم يتمسك الماضون بمعان في وقائع لم يعهدوا أمثالها لكان وقوفهم عن الحكم يزيد على جريانهم، وهذا إذا صادف تقريرا لم يبق لمنكري الاستدلال مضطربا، ثم عضد الشافعي هذا بأن قال من سبر أحوال الصحابة، رضي الله عنهم، وهم القدوة والأسوة في النظر لم ير لواحد منهم في مجالس الاشتواء تمهيد أصل واستثارة معنى، ثم بناء الواقعة عليه، ولكنهم يخوضون في وجوه الرأي من غير التفات إلى الأصول كانت أو لم تكن، فإذا ثبت اتساع الاجتهاد واستحال حصر ما اتسع منه في المنصوصًات وانضم إليه عدم احتفال علماء الصحابة تطلب الأصول، أرشد مجموع ذلك إلى القول بالاستدلال ومما يتمسك به الشافعي، رضي الله عنه، أن يقول: إذا استندت المعاني إلى الأصول فالتمسك بها جائز وليست الأصول وأحكامها حججا وإنما الحجج في المعنى ثم المعنى لا يدل بنفسه حتى يثبت بطريق إثباته وأعيان المعاني ليست منصوصة وهي المتعلق فقد خرجت المعاني عن ضبط النصوص وهي متعلق النظر والاجتهاد ولا حجة في انتصابها إلا تمسك الصحابة، رضي الله عنهم، بأمثالها وما كانوا يطلبون الأصول في وجوه الرأي، فإن كان الإقتداء بهم فالمعاني كافية وإن كان التعلق بالأصول فهي غير دالة ومعانيها غير منصوصة، ومن تتبع كلام الشافعي لم يره متعلقا بأصل ولكنه ينوط الأحكام بالمعاني المرسلة، فإن عدمها التفت إلى الأصول مشبهًا كدأبه، إذ قال طهارتان فكيف يفترقان ولا بد في التشبيه من الأصل (Al-Juwayni, 1399). وقال أيضاً: فقال الشافعي:" أتخذ تلك العلل معتصمي وأجعل الاستدلالات قريبة منها وإن لم تكن أعيانها حتى كأنها مثلا أصول والاستدلال معتبر بها واعتبار المعنى بالمعنى تقريبا أولى من اعتبار صورة بصورة بمعنى جامع فإن متعلق الخصم من صورة الأصل معناها لا حكمها فإذا قرب معنى المجتهد والمستدل فيما يجتهد إلى الشرع ولم يرده أصل كان استدلالا مقبولا" (Al-Juwayni, 1399).

والذي يفهم من كلام إمام الحرمين:

1. أن الشافعي اعتمد المصالح المرسلة (الاستدلال)، وإن لم تستند إلى حكم متفق عليه في أصل. فلا بد لكل حادثة من حكم، وإن الحوادث لا تنتهي، والمصالح المرسلة تعطي أحكاماً لتلك الحوادث التي لا نص لها من كتاب وسنة.
2. أن الشافعي عضد استدلاله بأن الصحابة كانوا يستخرجون أحكاماً لحوادث وقعت من غير أن يذكروا نصاً لكل حكم، وكثيراً ما يعتمدون على المصالح المرسلة التي تستند إلى دليل كلي من الشريعة الإسلامية.
3. أن الشافعي يستدل بجنس المصلحة لا بعينها، وأن المصلحة التي لا يحتج بها هي التي قام دليل عليها من كتاب أوسنة، ويجب أن تستند المصلحة المرسلة إلى النصوص الكلية من كتاب أوسنة.

المطلب السادس: الشواهد الفقهية على اعتبار المصلحة المرسلة عند الشافعي

مثل الزنجاني لأخذ الشافعي بالمصلحة المرسلة المستندة إلى كلي الشرع فقال:

1. ذهب الشافعي رضي الله عنه : إلى أن التمسك بالمصالح المستندة إلى كلي الشرع وإن لم تكن مستندة إلى الجزئيات الخاصة المعينة جائز، مثال ذلك ما ثبت وتقرر من إجماع الأمة أن العمل القليل لا يبطل الصلاة والعمل الكثير يبطلها، قال الشافعي، رضي الله عنه، حد العمل الكثير ما إذا فعله المصلي اعتقده الناظر إليه متحللا عن الصلاة وخارجا عنها كما لو اشتغل بالخياطة والكتابة وغير ذلك، والعمل القليل ما لا يعتقد الناظر مرتكبه خارجا عن الصلاة كتسوية ردائه ومسح شعره وليس لهذا التقدير أصل خاص يستند إليه وإنما استند إلى أصل كلي وهو أنه قد تقرر في كليات الشرع أن الصلاة مشروعة للخشوع (Al-Zanjani, 1980). ويفهم من هذا المثال تصريح الزنجاني بأن الشافعي يأخذ بالمصالح المستندة إلى كلي الشرع، وإن لم يكن عليها نص خاص من كتاب أو سنة، ومثل لذلك بالعمل القليل في الصلاة، وحكم بأنه لا يبطلها، ولا نص من كتاب أو سنة يبين أن العمل القليل يبطل الصلاة أو لا إلا المصالح المستندة إلى كلي الشرع.

2. وقتل الجماعة بالواحد من هذا القبيل عند الشافعي، رضي الله عنه، فإنه عدوان وحيف في صورته من حيث إن الله تعالى قيد الجزاء بالمثل فقال:" **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**" (سورة النحل آية 126)، ثم عدل أهل الإجماع من الأصل المتفق عليه لحكمة كلية ومصلحة معقولة، وذاك أن المماثلة لو روعيت ههنا لأفضى الأمر إلى سفك الدماء المفضي إلى الفناء؛ إذ الغالب وقوع القتل بصفة الشركة فإن الواحد يقأوم الواحد غالباً، فعند ذلك يصير الحيف في هذا القتل عدلا عند ملاحظة العدل المتوقع منه والعدل فيه جور عند النظر إلى الجور المتوقع منه، فقلنا بوجوب القتل دفعا لأعظم الظالمين بأيسرهما وهذه مصلحة لم يشهد لها أصل معين في الشرع ولا دلّ عليها نص كتاب ولا سنة، بل هي مستندة إلى كلي الشرع، وهو حفظ قانونه في حقن الدماء مبالغة في حسم مواد القتل واستبقاء جنس الإنس، واحتج في ذلك بأن الوقائع الجزئية لا نهاية لها، وكذلك أحكام الوقائع لا حصر لها والأصول الجزئية التي تقتبس منها المعاني والعلل محصورة متناهية، والمتناهي لا يفي بغير المتناهي فلا بد إذا من طريق آخر يتوصل بها إلى إثبات الأحكام الجزئية وهي التمسك بالمصالح المستندة إلى أوضاع الشرع ومقاصده على نحو كلي، وإن لم يستند إلى أصل جزئي (Al-Zanjani, 1980) فهذا نص صريح بأن الشافعي، رحمه الله، قد أعمل المصلحة المرسلة في فروعه الفقهية المستندة إلى كلي الشرع، ففي هذا المثال نجد أن حفظ النفس مقصد كلي جاءت به نصوص كثيرة شرعية منها قوله تعالى: "**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**" (سورة المائدة آية 45) وقوله تعالى "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**" (سورة الأنعام آية 151) وقوله تعالى: "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**" (سورة الإسراء آية 33) قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**" (سورة الفرقان آية 68) فلو أردنا أن نبحث في نصوص الكتاب والسنة عن حكم الشريك في القتل، لن نجد له نصاً بعينه، ولكننا نجد في النصوص أن القاتل يقتل قصاصًا، ويشتركان -أي القاتل والشريك في القتل - معا في المصلحة الكبرى وهي حفظ النفس فيأخذ الشريك في القتل القصاص، كما هو القاتل لحفظ النفوس والدماء.

3. ذكر العز بن عبد السلام في فصل ما لا يمكن تحصيل مصلحته إلا بإفساده أو بإفساد بعضه أو بإفساد صفة من صفاته، فمثاله: إتلاف أموال الكفار بالتحريق والتخريب وقطع الأشجار فإنه جائز لإخزائهم وإرغامهم بدليل قوله تعالى: "**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَو تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** " (سورة الحشر آية 5). ومثله قتل خيولهم وإبلهم إذا كانت تحتهم في حال القتال، وكذلك قتل أطفالهم إذا تترسوا بهم، لأنه أشد إخزاء لهم من تحريق ديارهم وقطع أشجارهم (Al-Muslimi) وغيرها من الشواهد كثير.

الخاتمة: بعد عرض هذا البحث فقد توصلت إلى النتائج الآتية:

- يأخذ الشافعي، رحمه الله، بالمصالح المرسلة ويعتبرها اصلًا من أصول الاستنباط، وإن لم ينصّ على ذلك صراحة.
- يعتبر الشافعي أن المصلحة المرسلة داخلة في القياس، إذ يصرح بأن غير الكتاب والسنة هو القياس فيكون الاستصلاح داخلا فيما سماه قياس.
- تبين أن إنكار الشافعي للاستحسان هو الذي دفع بعض الفقهاء للتصريح بأن الشافعي رحمه الله ينكر الاستصلاح أيضاً، لأن أكثر ما يعتمد عليه الاستحسان هو المصلحة المرسلة.
- بعد النظر في أدلة الإمام الشافعي نلحظ أنها تتجه إلى إنكار الاستحسان الذي هو منبثق عن الهوى والتشهي ونلحظ أيضًا أن آراء الشافعي وأدلته لا تتجه إلى إنكار الاستحسان الذي قال به الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة، بل ينكر الاستحسان الذي لا يستند إلى دليل شرعي ويكون نتيجة للرأي والهوى والتلذذ، وأما ما يكون مستندا إلى دليل شرعي فهو جائز عنده.
- بنى الشافعي كثيراً من الأحكام الفقهية في مذهبه على المصالح المرسلة؛ كالعمل القليل لا يبطل الصلاة أو كقتل الجماعة بالواحد.

Investigating Al-Shafi'i's opinion on reclamation

Harith Muhammad Salama Al-Issa

Al al-Bayt University, College of Sharia, Department of Jurisprudence and its Principles.

Abstract

This research aims to show the truth of Al-Shafi'i's statement regarding reclamation: Many jurists attributed to Al-Shafi'i not to adopt it, perhaps because he denied approval, or because he did not mention reclamation as one of the principles of legislation. This research shows that Al-Shafi'i relied on reformation as a comprehensive principle based on the entirety of Islamic law, and that he based many jurisprudential rulings on it, thus refuting the allegations that were raised about his denial of reformation with evidence.

Keywords: investigation, opinion, reclamation.

الهوامش

(1) انظر لمزيد من الأيضاًح: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، إشراف عبد السلام هارون، المكتبة العلمية طهران، (ج1)، ص225، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (817هـ - 1414م)، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص243، محمد مرتضى الزبيدي، (1205هـ-1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، دار صادر، بيروت (1306هـ)،ج2، ص183.

(2) هذا التعريف لابن قدامة وقد نقله الغزالي عنه، وعلق عليه وبين المقصود منه، راجع روضة الناظر، ص86. وهذا التعريف قريب من تعريف الخوارزمي: حيث عرفها كما جاء في إرشاد الفحول فقال:"هي المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق، الشوكاني، ارشاد الفحول إالى تحقيق الحق من علم الأصول، ص242.

(3) محمد بن محمد بن محمد الغزالي، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق حمد الكبيسي، مطبعه لارشاد بغداد (1390هـ -1971م)، ص148

(4) الغزالي, المستصفى من علم الاصول، ج1، ص284

(5) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (478هـ 1085م)، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، الطبعة الأولى، على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، مطابع الدوحة، قطر، (1399هـ)، ج2، ص1113.

(6) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي (ت 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير د.عبدالستار أبو غده، الطبعة الثالثة، الكويت، مطبوعات وزارة الاوقاف والشوؤن الإسلامية، (1431هـ-2010م)،ج6، ص7.

(7) الأمدي الإحكام، ج4، ص٣٩٤، ابن قدامة روضة الناظر وجنة المناظر ص86.

(8) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج1، ص284.

(9) البيضاوي، عبد بن عمر بن محمد البيضاوي (ت685هـ)، منهاج الوصول إلى علم الاصول، ومعه تخريج أحاديث المنهاج، الحافظ العراقي (ت806هـ٣) تحقيق محمد شبعانية، الطبعة الأولى، دار دانية للطباعة والنشر والتوزيع (1989م) ص 164.

المصادر والمراجع

ابن الحاجب، أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي. (1403هـ-1983م). **شرح مختصر المنتهى الأصولي**. ومختصر المنتهى الأصولي، للإمام عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت 756هـ)، وعلى المختصر والشرح حاشية سعد الدين التفتازاني (ت 791 هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) وعلى حاشية الجرجاني حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (ت 886 هـ) وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراقي الجيزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الثانية.

ابن أمير الحاج، (1403هـ-1983م). **التقرير والتحبير**. الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي. (1401هـ). **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**. الطبعة الثانية، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي. (1391هـ). **روضة الناظر وجنة المناظر**. الطبعة الرابعة المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، وصورتها، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قدامه، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ). (1391هـ-1971م). **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.** المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الرابعة، القاهرة.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي. (711هـ-1311م). **لسان العرب**. دار الفكر، صادر، بيروت.

ابن نظام الدين، عبد العلي محمد. (1414 هـ-1993م). **فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت**. الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، (1324هـ)، مطبوع بذيل المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

الاسنوي، عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي الشافعي.(1982م). **نهاية السول في شرح منهاج الأصول**. الطبعة السفلية ومكتبتها عالم الكتب بيروت.

انيس، إبراهيم أنيس وآخرون. (د.ت). **المعجم الوسيط**. إشراف عبد السلام هارون، المكتبة العلمية طهران.

الباجي، سليمان بن خلف الباجي. (1409هـ-1989م). **إحكام الفصول في علم الأصول**. تحقيق عبد الله محمد الجبوري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

البناني، عبد الرحمن بن جاد الله أبو زيد، (ت1198هـ). **حاشية العلامة البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن احمد المحلي**، عيسى البابي الحلبي وشركاه، دار أحياء الكتب العربية.

البوطي، محمد سعيد رمضان. (1410هـ/1990م). **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية**. الطبعة الخامسة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الدار المتحدة، سورية، دمشق.

البيضاوي، عبد بن عمر بن محمد البيضاوي (ت 685هـ/1989م). **منهاج الوصول إلى علم الاصول**. ومعه تخريج أحاديث المنهاج الحافظ العراقي (هـ 1403/806) تحقيق محمد شبعانية، الطبعة الأولى، دار دانية للطباعة والنشر والتوزيع.

التفتازاني، سعد الدين بن مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي. (1416هـ/1996م). **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه**. ضبط زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. (1399هـ). **البرهان في أصول الفقه**. تحقيق عبد العظيم الديب، الطبعة الأولى، على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، مطابع الدوحة قطر.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. (1995/1415م). **مختار الصحاح**. تحقيق محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. (1412هـ/1992م). **المحصول من علم الأصول**. دراسة وتحقيق طله جابر فياض العلواني، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الزبيدي، محمد مرتضى. (1306هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس.** الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، دار صادر، بيروت.

الزحيلي، وهبة الزحيلي. (1406هـ/1986م). **أصول الفقه الإسلامي**. الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي. (1431هـ/2010م). **البحر المحيط في أصول الفقه**. تحرير د. عبدالستار أبو غده، الطبعة الثالثة، الكويت، مطبوعات وزارة الاوقاف والشوؤن الإسلامية.

الزركشي، محمد بن بهادر. (1409هـ/1988م). **البحر المحيط في أصول الفقه**. تحرير عمر الاشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

الزنجاني، محمد بن أحمد الزنجاني. **تخريج الفروج على الأصول**. تحقيق محمد أديب صالح، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. (د.ت). **الموافقات في أصول الأحكام**. تعليق محمد الخضر حسين التونسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشافعي، محمد بن ادريس. (1410هـ/1990م). **الأم**. دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

الشافعي، محمد بن ادريس. (د.ت). **الرسالة.** الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد محمد شاكر مكتبة دار التراث، مصر، القاهرة.

الشوكاني، محمد بن علي. (د.ت). **ارشاد الفحول الي تحقيق الحق من علم الأصول**. دار الفكر، بيروت، لبنان.

عبد الواحد، فاضل. (1418هـ/1998م). **أصول الفقه الإسلامي**. الطبعة الثانية، دار المسيرة، عمان.

عز الدين بن عبد العزيز عبد السلام المسلمي ابي محمد. (1400ه/1980م). **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**. Reviewed and commented by Taha Abdel Raouf Saad، الطبعة الثانية، دار الجيل،

العطار، حسن العطار. (د.ت). **حاشية العطار على جمع الجوامع**. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

علي بن أبي علي بن سالم التغلبي سيف الدين الآمدي. (د.ت). **الإحكام في أصول الأحكام**. ضبطه وكتب حواشيه الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي. (1390هـ /1971م). **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل**. تحقيق حمد الكبيسي مطبعه الارشاد، بغداد.

الغزالي، محمد بن محمد بن محمد ابي حامد. (1414هـ/1993م). **المستصفى من علم الأصول**. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان.

الغزالي، محمد بن محمد. (1322ه). **المستصفى من علم الأصول**. الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، ببولاق، مصر.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (د.ت). **القاموس المحيط.** المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

القرضاوي، يوسف. (1419هـ/1998م). **السياسة الشرعية في ضوء لصوص الشريعة ومقاصدها**. مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة، الأولى.

القرطبي، محمد بن احمد. (د.ت). **الجامع لأحكام القرآن الكريم**. نشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق.

قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. (1408هـ/1988م). **معجم لغة الفقهاء**. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي البصري. (ت1058هـ). (1392هـ/1972م). **أدب القاضي**. تحقيق محي هلال، السرحان، مطبعة العالي، بغداد.

Arabic References in English:

Al-Maliki, Abi Amr Othman Ibn Al-Hajib. (d. 646 AH). (1403 AH-1983 AD). *the explanation of the Mukhtasar al-Muntaha al-Usuli, and the Mukhtasar al-Muntaha al-Usuliyyah*. by Imam Adud al-Din Abd al-Rahman al-Iji (d. 756 AH), on the summary and explanation of the footnote of Saad al-Din al-Taftazani (d. 791 AH) and the footnote of Sayyid Sharif al-Jurjani (d. 816 AH), on the footnote of al-Jurjani, the footnote of Sheikh Hassan al-Harawi al-Fanaari (d. 886 AH), on the summary and its explanation, and the footnote of al-Saad and al-Jurjani, in the footnote of Sheikh Muhammad Abu al-Fadl al-Waraki al-Jizawi (d. 1346 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2ed edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Beirut, Lebanon.

Al-Hajj, Ibn Amir. (d. 879). (1403 AH-1983 AD). *Report and Inking*. 1st edition, the Amiri Press in Bulaq, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Ibin Badran Al-Dimashqi, Abdul Qadir bin Badran. 1990 AD. *Introduction to the Doctrine of Imam Ahmad bin Hanbal*, 2ed edition, investigated by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Al-Resala Foundation, Beirut,

Al-Maqdisi, Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmad bin Muhammad bin Qudamah al-Jama'ili and then al-Dimashqi al-Hanbali. famous for Ibn Qudamah al-Maqdisi.(died: 620 AH). (1391AH-1971AD). *Kindergarten al-Nazir and a committee of debates in the origins of jurisprudence on the doctrine of Imam Ahmad ibn Hanbal*. the Salafi printing press and its library, 4th edition, Cairo.

Al-Afriqi, Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur. (711 AH -1311 CE). *Lisan al-Arab*. Dar al-Fikr, published, Beirut.

Ibn Nizam al-Din, Abd al-Ali Muhammad. (died 119 AH). (1414 A.H.-1993 AD). *Fatih al-Rahmout*, with the explanation of Muslim al-Thabit, first edition, the Amiri Press in Bulaq, Egypt, (1324 AH), printed with the tail of the hospital, Mazalm al-Usul, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon, 3rd edition.

Al-Asnawi, Abd al-Rahim bin al-Hassan al-Assawi al-Shafi'i. (d. 772 AH). 1982 AD. *The End of the Sol in Explanation of Minhaj al-Usul*. lower edition and its library, Alam al-Kutub, Beirut.

Anis, Ibrahim Anis et al., almuejam alwasiti. Supervised by Abdul Salam Haroun, Tehran Scientific Library.

Al-Baji, Suleiman bin Khalaf. (d. 474 AH). (1409 AH-1989 AD). Refining the Chapters in the Science of Fundamentals. investigated by Abdullah Muhammad Al-Jubouri, 1st edition, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon.

Al-Banani, Abd al-Rahman bin Jadallah Abu Zaid. (d. 1198 AH). the footnote of the Allama al-Banani on the explanation of Jalal Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Mahali, Issa al-Babi al-Halabi and his partners, House of Revival of Arabic Books.

AlButi, Ramadan, Al-Bouti Muhammad Saeed, (1410 AH - 1990 AD), Controls of Interest in Islamic Sharia, 5th Edition, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, United House of Syria Al-Mashaq.

Al-Baydawi, Abd bin Omar bin Muhammad. (d. 685 AH). 1989 AD. *the curriculum for access to the science of origins, and with it the graduation of the hadiths of the Iraqi Al-Hafiz curriculum* (AH 806-1403). achieved by Muhammad Shabaniyah, 1st edition, Dar Dania for printing, publishing and distribution.

Al-Taftazani, Saad Al-Din bin Masoud bin Omar Al-Taftazani Al-Shafi'i. (d. 792 AH). (1416 AH 1996 AD). *explaining the waving on the clarification of the text of the revision in the principles of jurisprudence*. set by Zakaria Omairat, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Al-Juwayni, Abdul Malik bin Abdullah bin Yusuf. (d. 478 AH). (1399 AH) . *the proof in the principles of jurisprudence*. achieved by Abdul Azim Al-Deeb, 1st edition, at the expense of Sheikh Khalifa bin Hamad Al Thani, Emir of the State of Qatar, Doha Qatar Press.

Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir. (1415-1995AD). *Mukhtar al-Sahah*, achieved by Mahmoud Khater, Library of Lebanon Publishers, Beirut.

Al-Razi, Muhammad bin Omar bin Al-Hussein. (606 AH-1209AD). (1412 AH - 1992 AD). *the crop from the science of origins*. study and investigation by Talha Jaber Fayyad Al-Alwani, 2ed edition, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon.

Al-Zubaidi, Muhammad Murtada. (1205 AH-1790 AD). (1306 AH). *the crown of the bride from the jewels of the dictionary*. 1st edition, the Charity Press, Dar Sader, Beirut.

Al-Zuhaili, and Heba. (1406 AH-1986 AD). *The Fundamentals of Islamic Jurisprudence*. 1st Edition, Vol. 2, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Damascus.

Al-Zarkashi, Muhammad bin Bahader bin Abdullah Al-Shafi'i. (d. 794 AH). (1431 AH - 2010 AD). *Al-Bahr Al-Moheet fi Usul Al-Fiqh*. edited by Dr. Abdul Sattar Abu Ghuda, 3rd edition, Kuwait, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.

Al-Zarkashi, Muhammad Bin Bahader. (794-1391AD). (1409AH-1988AD). *Al-Bahr Al-Mohit fi Usul Al-Fiqh*. edited by Omar Al-Ashqar, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Kuwait.

Al-Zanjani, Muhammad bin Ahmed. (d. 656 AH). *Graduation of Al-Farooj on the Origins*. investigated by Muhammad Adib Salih, 3rd edition, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon.

Al-Shatby, (1981 AD), *Consents in the Origins of Judgments*, Commentary by Muhammad al-Khidr Hussain al-Tunisi, Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution.

Al-Shafei, Muhammad bin Idris. (1410 AH - 1990 AD). *the mother*. Dar Al-Fikr for Printing and Publishing Beirut, Lebanon.

Al-Shafi'I, Muhammad ibn Idris. *The Message*. 2ed edition, investigated by Ahmed Muhammad Shaker, Dar al-Turath Library, Egypt, Cairo.

Al-Shawkani, Muhammad bin Ali. (1255 AH-1990 AD). *guiding stallions to achieve the truth from the* science of origins. Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon.

Abdel Wahed, Fadel. (1418 AH-1998 AD). *Fundamentals of Islamic Jurisprudence*. 2ed edition, Dar Al Masirah, Amman.

Al-Muslimi, Ezz bin Abdul Aziz Abdul Salam, Abi Muhammad, (660 AH - 1261 AD), (1400 AH - 1985 AD). the rules of rulings in the interests of people, reviewed and commented on by Taha Abdul Raouf Saad, 2ed edition, Dar al-Jeel.

Al-Attar, Hassan. *Al-Attar's Commentary on Collecting Mosques*. Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, Lebanon.

Al-Amidi, Ali bin Abi Ali bin Salem and Saif Al-Din, (631 AH - 1233 AD). 1990. *the provisions of the origins of the rulings, his seizure and the books of his footnotes, Sheikh Ibrahim Al-Agouz*. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Al-Ghazali, Muhammad bin Muhammad. (1390 AH -1971 AD). *Shifa al-Ghalil fi Explanation of Resemblance, Imagination, and Paths of Reasoning*. investigated by Hamad al-Kubaisi, Al-Irshad Press, Baghdad.

Al-Ghazali, Muhammad bin Muhammad bin Muhammad Abi Hamid. (d. 505 AH). (1414 AH-1993 AD). *Al-Mustafa Min Al-Usul*. House of Revival of Arab Heritage, 3rd edition, Beirut, Lebanon.

Al-Ghazali, Muhammad Bin Muhammad. (505-1111AD). (1322 AH). *Al-Mustafa Min Al-Usul*. 1st Edition, Al-Amiri Press, Bulaq, Egypt.

Al-Fayrouzabadi, Muhammad bin Yaqoub. (817 AH - 1414 AD). *The Ocean Dictionary*. The Arab Institution for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon.

Al-Qaradawi, Youssef. (1419 AH-1998AD). *Sharia Politics in the Light of Sharia Thieves and Its Purposes*. Wahya Library, Cairo, 1st Edition.

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed. (d. 671 AH,1986 AD). *The Collector of the Provisions of the Noble Qur'an.* published by the Manahil Al-Irfan Foundation, Beirut, distributed by Al-Ghazali Library, Damascus.

Qalaji and Qunaibi, Muhammad Rawas and Hamid Sadiq. (1408AH - 1988AD). *Dictionary of the Language of Jurists*, Dar Al-Nafaes for Printing, Publishing and Distribution, 2ed Edition.

Al-Mawardi, Ali bin Muhammad bin Habib Al-Mawardi Al-Shafi'i Al-Basri. (d. 1058 AH). (1392 AH - 1972 AD). *the literature of the judge*. investigated by Mohi Hilal, Al-Sarhan, Al-Ali Press, Baghdad.

Hyndman, J. and Giles, W. (2016). *Refugees in extended exile: Living on the edge*. Routledge. 1st ed.

Içduygu, A. and Nimer, M. (2020). The politics of return: Exploring the future of Syrian refugees in Jordan, Lebanon and Turkey. *Third World Quarterly*, *41*(3), 415-433.

Jeffery, L. and Murison, J. (2011). The temporal, social, spatial, and legal dimensions of return and onward migration. *Population, Space and Place*, *17*(2), 131-139.

Loescher, G. and Milner, J. (2008). A framework for responding to protracted refugee situations. *Protracted Refugee Situations: Politics, Human Rights and Security Implications*. Tokyo, New York and Paris: United Nations University Press.

Med, R. (2019, December 3). *What Future for the Syrian Refugees?* Rome Med. 2021. https://med.ispionline.it/what-future-for-the-syrian-refugees/

Piper, N. (2009). The complex interconnections of the migration–development nexus: A social perspective. *Population, Space and Place*, *15*(2), 93-101.

Simpson, C. and Abo Zayed, A. (2019, July). *New faces, less water, and a changing economy in a growing city: A case study of refugees in towns Irbid, Jordan (Report).* Boston, MA: Feinstein International Center. Tufts University. https://www.refugeesintowns.org/all-reports/irbid

Tarrad, M. (2014). Urban planning response to population growth in Jordanian cities (Irbid city as a case study). *Research Journal of Applied Sciences, Engineering and Technology*, *7*(20), 4275-4280.

Tobin, S.A., Knudsen A.J. Momani, F.A. Al Yakoub, T. and Al-Jarra, R. (2021). *Figurations of displacement in Jordan and beyond: Empirical findings and reflections on protracted displacement and trans local connections of Syrian refugees* (TRAFIG working paper 6). Bonn: BICC.

TRAFIG Project – Transnational figurations of displacement. (2019 a). Https://Trafig.Eu/. https://trafig.eu/project#overall-objectives

TRAFIG Project – Transnational Figurations of Displacement. (2019 b). Https://Trafig.Eu/. https://trafig.eu/project#theme-2

Tull, K. (2019). *Civil documentation for internally displaces persons (IDPs) in protracted displacement.* K4D Helpdesk Report 636. Brighton, UK: Institute of Development Studies.

UNHCR Jordan Factsheet: Field Office, Irbid (October - December 2016), Jordan. (2017, January 25). Relief Web. https://reliefweb.int:443/report/jordan/unhcr-jordan-factsheet-field-office-irbid-october-december-2016

UNHCR. (2018). *Global trends: Forced displacement in 2017.* Geneva: UNHCR. Retrieved from: UNHCR website: https://www.unhcr.org/statistics/unhcrstats/5b27be547/unhcr-global-trends2017.html

UNHCR. (2020 a). *Syrian response*. Retrieved on 29 Sept. 2020, from: https://www.unhcr.org/syria-emergency.html

UNHCR. (2020 b). *Syrian refugees' response – Jordan*. Retrieved on 29 Sept. 2020, from: http://data2.unhcr.org/en/situations/syria/location/36

UNHCR. (2020 c). *Jordan factsheet*. Retrieved on 29 Sept. 2020, from: https://data2.unhcr.org/en/documents/details/79166

References

Al-Deek, Z. (2017). The evolution of the city of Irbid from a small centre into a metropolis. In *5th Annual International Conference on Architecture and Civil Engineering, Singapore. https://doi.org/10.5176/2301-394X_ACE17* (Vol. 79).

Al-Yakoub, T.A. (2018). *A critical review of options for effective health policy formulation in Jordan.* (Doctoral Dissertation, Keele University).

AP NEWS. (2019, September 11). *Trapped in Jordan, Syrian refugees see no way home*. https://apnews.com/article/88751634e6494043bb23e468bb4de5aa

Betts, A., Bloom, L., Kaplan, J.D. and Omata, N. (2017). *Refugee economies: Forced displacement and development*. Oxford University Press.

Black, R. and King, R. (2004). Editorial introduction: Migration, return and development in West Africa. *Population, Space and Place*, *10*(2), 75-83.

Bloch, A., Sigona, N. & Zetter, R. (2011). Migration routes and strategies of young undocumented migrants in England: a qualitative perspective. *Ethnic and Racial Studies*, *34*(8), 1286-1302.

Bolognani, M. (2016). From myth of return to return fantasy: A psychosocial interpretation of migration imaginaries. *Identities*, *23*(2), 193-209.

Boneva, B.S. and Frieze, I.H. (2001). Toward a concept of a migrant personality. *Journal of Social Issues*, *57*(3), 477-491.

Bryman, A. (2015). *Social research methods, Oxford* University Press, Oxford, 5th edn.

Carling, J. and Schewel, K. (2018). Revisiting aspiration and ability in international migration. *Journal of Ethnic and Migration Studies*, *44*(6), 945-963.

Carling, J.R. (2002). Migration in the age of involuntary immobility: Theoretical reflections and Cape Verdean experiences. *Journal of Ethnic and Migration Studies*, *28*(1), 5-42.

Caron, L. (2020). An intergenerational perspective on (re) migration: return and onward mobility intentions across immigrant generations. *International Migration Review*, *54*(3), 820-852.

Cohen, R. and Van Hear, N. (2017). Visions of refugia: Territorial and transnational solutions to mass displacement. *Planning Theory & Practice*, *18*(3), 494-504.

Creighton, M.J. (2013). The role of aspirations in domestic and international migration. *The Social Science Journal*, *50*(1), 79-88.

De Haas, H. and Fokkema, T. (2011). The effects of integration and transnational ties on international return migration intentions. *Demographic Research*, *25*, 755-782.

Denzin, N.K. & Lincoln, Y.S. (eds). (2008), *'Introduction: Disciplining the practice of qualitative research. In: Denzin and Lincoln. Collecting and interpreting qualitative materials, pp 1-43*, 3rd edn. Sage, London.

Department of Statistics. (2010*). Jordan Statistical Yearbook 2009*. Hashemite Kingdom of Jordan. http://dosweb.dos.gov.jo/publications/

Department of Statistics. (2021). *Jordan Statistical Yearbook 2020.* Hashemite Kingdom of Jordan. http://dosweb.dos.gov.jo/products/jordan-statistical-yearbook-2020/

Docquier, F., Peri, G. and Ruyssen, I. (2014). The cross-country determinants of potential and actual migration. *International Migration Review*, *48*(1_suppl.), 37-99.

Etzold, B., Belloni, M., King, R., Kraler, A. and Pastore, F. (2019). *Transnational figurations of displacement: Conceptualising protracted displacement and translocal connectivity through a process-oriented perspective*. (TRAFIG working paper 1/2019). Bonn: BICC.

Ferreira, N., Jacobs, C., Kea, P., Hendow, M., Noack, M., Wagner, M., Adugna, F., Alodat, A.M., Ayalew, T., Etzold, B. and Fogli, C. (2020). *Governing protracted displacement: An analysis across global, regional and domestic contexts.* (TRAFIG Working Paper, 3). Bonn: Bonn International Center for Conversion (BICC).

استقصاء أوضاع اللاجئين السوريين في الأردن: الطموحات والنوايا المستقبلية

فواز أيوب المومني
قسم الارشاد النفسي، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

تمارا اليعقوب
قسم الإدارة العامة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

سارة توبين
معهد CMI، النرويج.

آري كنودسن
معهد CMI، النرويج

بنجامين إتزولد
مركز BICC، بون، ألمانيا.

رشيد الجراح
قسم اللغة الإنجليزية، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

الملخص

بعد ما يقارب من عقد من النزوح طويل الأمد للاجئين السوريين: فإن هذا البحث يهدف الى استقصاء أوضاع السوريين المتواجدين في الأردن وسبل العيش وحرية الحركة لديهم. أجريت هذه الدراسة في مدينة اربد والتي تعد ثالث أكبر مدينة من حيث استقبال اللاجئين السوريين وفقا للمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. تستند هذه الدراسة على المنهج النوعي من خلال اجراء 20 مقابلة شبهة مهيكلة مع 20 شخصا يعاني من النزوح طويل الامل. من أهم نتائج الدراسة ان معظم السوريين يواجهون صعوبات بسبب تراجع المساعدات المقدمة لهم، وبسبب ازدياد تكاليف المعيشة في الأردن بشكل عام. بينت النتائج المتعلقة بالتعليم، أن معظم الأطفال لديهم القدرة على الالتحاق بالمدارس الحكومية والمدارس المخصصة للسوريين، ولكن بعضهم كان يفضل المدارس الخاصة. كما أن المشاركين لديهم القدرة على الوصول للخدمات الصحية والعلاجية بشكل عام، ولكن بالمقابل بين بعضهم انه يضطر لدفع تكاليف العلاج من قبلهم بسبب نقص الدعم الطبي المقدم لهم، وبسبب وجود ضغط على الخدمات الصحية اجمالا. من أهم النتائج الرئيسية لهذه الدراسة والمتعلقة بتوجيه تساؤل للمشاركين حول خططهم المستقبلية بعد نزوحهم للأردن من فترة طويلة، فقد بين الغالبية العظمى منهم أنهم لا ينون العودة الى سوريا، وهم متشائمون من إمكانية تحسن الامن والظروف المعيشية في سوريا، كما بين بعض المشاركين انهم يرغبون بالبقاء بالأردن كخيار رئيسي لهم، بينما بين اخرون رغبتهم بالسفر والهجرة لأحد الدول الأوروبية أو كندا، وذلك بهدف الحصول على الخدمات التعليمية والطبية، وتحسين ظروف الحياة بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: النزوح طويل الأمد، اللاجئين السوريين، الأردن، سوريا، نية الهجرة،

"We see no future for us here in Jordan. I wish I could pay instead of being recruited for the military service, so that I could go back and live in Syria for good. … Currently, I wish I could migrate, because life conditions will be surely better there in terms of health services and work conditions. When we have a child, we have to manage to provide the basic needs, such as diapers and milk, so I prefer travelling abroad" (R-11).

- Some of the Respondents' Family Members Already Migrated to EU Countries

Some respondents pointed that some of their family members migrated to one of the EU countries and Canada and that they feel very comfortable there compared with their previous situations including ones who have been in Jordan.

"We used to be settled in Syria. I wish I could make it to Canada, because my little son wants to join his father there. God willing, he will make it very soon. His father has already applied for him. The paperwork is almost done. I am eager to go there, so that I could be close to my son. As for the return to Syria, I see no hope and I have no desire to go back because there is no stability there. It is still an insecure place to go to" (R-10).

"When we first came here, we thought it was just a matter of one or two months. Then, we got used to living here, so I got married here. Yet, I only see our future in Canada. My father-in-law is doing the paperwork for us to join them there. Surely, there is no hope of going back to Syria, because there is no security there. Besides, if we went back home, my husband had to recruit immediately. So, migration is our only alternative" (R-14).

- Seeking Better Employability Opportunities

Few respondents who have a university degree or are still studying for their degree in Jordan wish to migrate to one of the EU countries to have better employability opportunities, particularly as one indicated that he is studying "pharmaceutical education" and this specialty is restricted for non-Jordanians:

"I wish I could finally get the PhD degree in my area of specialization". "I only hope that I could finish the MA degree here in Jordan, but do the PhD degree abroad" (R-4).

"We wish we could go abroad, because we would have a home and a job. I could find a job that is suitable for me, not like any kind of job here in Jordan (because here you just work to earn your living)" (R-16).

5. Conclusion

The results indicated that most of the respondents have the desire to immigrate to one of the EU countries or to Canada for various reasons; mainly to seek better future opportunities for their children and for themselves, which includes better education and health services and better job opportunities, in addition to the pessimistic perception of having secure conditions in Syria in the near future.

These results should attract the attention of local and global stakeholders to have more realistic solutions to the Syrian refugees' status in host countries. It's expected that EU countries will not be able to accept all the applicants who desire to live in Europe; thus, one of the solutions could be enhance and support the hosting countries, mainly (Turkey, Jordan and Lebanon) to provide better to services for refugees and their own citizens. More importantly is to work collaboratively to achieve peace in Syria and end the war and to work on reconstructing Syria.

Acknowledgments:

The authors are thankful to all participants who shared their experiences and stories with them.

The authors are all involved in the TRAFIG project (Transnational Figurations of Displacement). The project has received funding from the European Union's Horizon (2020) research and innovation programme under grant No 822453.

"I do not wish to go back to Syria because of security/safety reasons" (R-4).

"As for going back to Syria, I cannot do that. I am worried about my husband and my daughters because the situation there is still not safe" (R-19).

"We have no plans to go back to Syria, because we are frightened" (R-18).

- Lack of Services in Syria

Some respondents indicated that the lack of services and the weak infrastructure are among the challenges to return to Syria. Some respondents presented their views as follows:

"… My brother-in-law went back to Syria. The conditions there are still very hard. They regretted going back. The situation is still insecure; electricity is available only for two hours. Life expenses are skyrocketing ... (R-1).

"I have no plans to go back to Syria because of the war there. Some of the members of my family went back to Syria, but advised us not to return. The current situation in Syria is difficult; living costs are now high; our home is already crashed down to earth. In short, there are no future prospects for us there" (R-8).

- Loss of Property

Some respondents pointed that war has destroyed their properties and that they must start again to establish their life, which is difficult under current conditions. Some respondents presented their views as follows:

"… I do not want to go back to Syria, because our house is totally destroyed. Our home had been smashed to earth there" (R-5).

The results indicated that around (75%) of the participants' main desire is to migrate to the European countries and Canada. The main reasons for their desire are, as indicated earlier, due to the lack of services and lack of security and to avoid the compulsory military service. In addition to that, there are more reasons raised by the respondents, which could be classified as follows:

- Seeking Better Services (Education and Health, …)

Some respondents indicated that they are looking for a better future for their kids and that this could be found in EU countries and other developed countries. Some pointed that life in Jordan is expensive for them and they are seeking better conditions for them and for their kids in terms of education, health services and employability opportunities:

"I hope that we could migrate to Europe for the sake of my children" (R-20).

"I wish we could migrate to find security somewhere else. This is also needed for my children to continue their education. I do not want to keep living in a rented apartment because we can't afford it. I could hardly manage my life here but that is all because I do not want to go back to Syria" (R-1)

"I wish we could migrate for the sake of my children; they have to continue their education" (R-5).

"I hope we could migrate to somewhere else, because there is no hope to go back to Syria" (R-8).

"As for the future, we have no future, but we could think of the future in Western countries, because they provide shelter and salaries. Life there is surely better. But in the Arab countries, they do not give such support. I wish I could migrate for the future of my kids. As for Syria, there is no stability. I wish it would be secure enough as soon as possible" (R-9).

"I crossed the borders to Jordan in 2012 through illegal channels. I was single. Then, I got married. Now I have two children (a son and a daughter). I wish I could travel abroad for my children's future. I cannot go back to Syria, because I am required to recruit immediately in the mandatory military service" (R-13).

Jordan, due to the historical relations between Irbid as a border area with Syria. The historical relations resulted in having strong commercial relationships, in addition to family bonds, which resulted in that Syrians have relatives in Irbid, some of whom could be first-degree relatives. Some studies pointed to this issue, stating that some Syrians met with distant Jordanian relatives in Irbid, building on tribal and familial connections that existed throughout the region before the modern border lines were drawn in the 20th century (Simpson and Abo Zayed, 2019). The unique characteristics of Irbid and northern areas in general have facilitated the quick integration of Syrians in Jordan. It is sometimes referred sometimes as a 'de facto integration' as Syrians shared language, culture (including food, wedding practices, forms of socializing, market practices, … etc.) and religion as initial facilitators of local integration into the host society (Tobin et al, 2021).

4. Main Findings

Before presenting the future aspirations and intentions of the participants, a brief about their general status will be summarized as follows: the results indicated that most of the participants and their families came to Jordan in the beginning of the Syrian crisis. Some participants highlighted that the living cost in Jordan is higher than in Syria, which imposes extra burdens on them and some families are living with their extended families. Some participants pointed that apart from the hard financial conditions they are facing, they feel comfortable as the tradition in Jordan are resembled to what they have in Syria. Some of them had inter-marriage relationships before and after the crisis and some of them have family members living in Jordan a long time ago, which facilitated their existence and coping in Jordan. On the other hand, some indicated that they faced some challenges to adapt to the life in Jordan, particularly as they came with no clear plans and finding a good job opportunity with a good salary was not an easy task.

The Participants future aspirations and intentions

A direct question was directed to the respondents: "Where and how do you see your future?" Most of the participants indicated that they do not have intentions to return to Syria soon. Out of 20 participants, only (2) participants indicated their desire to return to Syria when the security conditions improved and (2) indicated that they would like to stay in Jordan, (1) participant has no future yet and (15) participants indicated they would like to migrate to the European Countries and Canada.

The interviewees raised some issues to justify their position for not returning to Syria, which could be classified as follows:

- Males are Exposed to Forced Military Service

Some respondents indicated that when they left Syria, they escaped from the military service and they are afraid of the legal and other implications for this problem. Some females indicated that their sons were young when they came to Jordan and now they are in the age that they should serve in the military and they do not want to expose them to this problem. Some respondents presented their views as follows:

"Going back to Syria is really dangerous. Five years from now, my son will be in the age of Joining the military service in Syria. It is really dangerous" (R-2),

"If I go back, my kids are now at the age of recruitment in the Syrian army. I could not send them back. I had thought of sending them to study at Syrian universities because they are cheaper, but I could not because of the recruitment issue" (R-2).

"I see no future for us here in Jordan and I cannot go back to Syria because I have to recruit in the army immediately. I could either kill or be killed; there is no other choice" (R-12).

- Insecurity Situations

The unfortunate situation that still exists in Syria has negative implications on security and safety. Some respondents presented their views as follows:

flexibility could affect reliability (Bryman, 2015). In addition, it may affect the generalization of results (Bryman, 2015).

Qualitative research has several strengths; most of these strengths lie in its strategies and designs, mainly its study of people, things and events in their natural settings (Punch, 2014). Further, it encounters a sense of flexibility in conducting the research and making changes and adjustments when needed to serve the study's purposes (Bryman, 2015).

3.3 Ethical Considerations

The study followed the ethical guidelines and considerations in all stages. The respondents were randomly selected; the researchers contacted the potential participants to explain the main study objectives; they were provided with a "participant information sheet" to gain more information about the project. After the respondent's initial approval, respondents were requested to set a suitable time for them for the interview. At the time of the interview, the researcher explained to them that their participation is totally voluntary and that they have the right to withdraw from the study at any stage without even being questioned. The participants were handed a "written consent form" to sign it and they were handed a copy signed by the researchers. An oral consent form was also planned to be used in case of any illustrate participants.

3.4 Data Collection and Analysis

The main question of this paper is related to the Syrian refugee intentions and how they see their future. This study was conducted between September and December 2019. The data was collected by senior researchers, in addition to a qualified Syrian researcher. Interviews were conducted in Arabic, was transcribed, and then translated into English. The interviews were transcribed then coded according to the issues that emerged.

3.5 The Study Area "Irbid"

Prior to the influx of Syrian refugees, Irbid was the second largest urban area in the country (after the capital city of Amman) and was well-known for both urban crowding and many institutions for higher education (UNHCR, 2016). Irbid is considered as a link between parts of (Syria, Lebanon, Jordan and Palestine). The total area of Greater Irbid Municipality is 310 km² (Tarrad, 2014).

The growth of the city of Irbid went through several evolutionary stages starting from the city center towards the outside under the influence of rapid population growth (Tarrad, 2014). The migration waves that Jordan has witnessed influenced the rapid growth of Irbid population since the first migration waves of Palestine in 1948 and then in 1967, including establishing a big refugee camp in Irbid. Later in the 1990s, Jordan has influenced by the Gulf crisis which resulted in receiving Iraqi guests and refugees in addition to the return of thousands of Jordanian and Palestinian who used to work and live in Gulf countries due to the political stand of Jordan at that time. Furthermore, Irbid city is considered an attractive destination for foreign low-skilled labor, particularly Egyptian workers. All these causes have led to a significant increase in the population growth. (Al-Yakoub, 2018; Aldeek, 2017)

According to the Jordanian Department of Statistics, residents in Irbid amount to around 2 million populations, formulating 18.5% of the total population of Jordan (DOS, 2021). Further, it's the highest population-density governorate compared to its area. Residents in Irbid have almost doubled during the last 10 years due to the Syrian influx to Irbid. The residents in Irbid according to the Jordan Statistical Yearbook 2009 amount to (1064400), formulating (17.8%) of the total population (DOS, 2010).

Currently, Irbid governorate is considered as the third highest governorate to host Syrian refugees, 20.6% (UNHCR, 2020 b). Furthermore, registered Syrian refugees with the UNHCR are only 659,673, while it's estimated that Jordan is hosting nearly 1.4 million Syrians. It's estimated that Irbid as the second largest urban area in Jordan is hosting much more than only 20.6% of Syrian refugees in

Table 1: Participants' Characteristics

Characteristics	Frequency	Percent
Gender		
Male	4	20
Female	16	80
Total	**20**	**100**
Age group		
16-19	1	05
20-29	8	40
30-39	7	35
40-49	3	15
50-59	0	00
Above 60	1	05
Total	**20**	**100**
City of origin		
Daraa	19	95
Hims	1	05
Total	**20**	**100**
Marital status		
Married	16	80
Single	2	10
Divorced	2	10
Total	**20**	**100**
Educational background		
None	3	15
Primary education	8	40
Secondary education	5	25
College education	2	10
Still studying for college degree	2	10
Total	**20**	**100**
Number of children		
1-3	11	64.7
4-6	6	35.3
Total	**17**	**100**

The participants were asked about their occupations; the results revealed that most female participants are not working, only one participant works full time and one female participant works occasionally, with relevance to male participants, where 2 out of 4 are working full-time and one works occasionally. All the participants indicated that they are registered as refugees with UNHCR in Jordan.

3.2 Study Instrument

This paper focuses on Syrians living in Jordan by conducting semi-structured interviews with persons who experience protracted displacement in Irbid governorates. The qualitative method was adopted in this study as qualitative methods aim to give more insights into the study questions and the related issues from the perspective of the participants themselves. Several studies that examined migration issues have adopted qualitative methods (Bolch et al., 2011). Qualitative methods aim to study issues in their natural settings, while researchers conduct the interpretations of the 'meanings' developed by the studied people (Denzin and Lincoln, 2008). Qualitative methods also give the researcher the flexibility of conducting the research and making changes and adjustments when needed (Bryman, 2015). However, some limitations may exist when conducting qualitative research which may be related to subjectivity, flexibility and interpretive nature of qualitative research, as this

Carling and Schewel, 2018), in this case because of the legal and political constraints that keep Syrians in Jordan. Such aspirations can sometimes turn into subsequent behavior (Creighton, 2013); however, it is systematically unlikely in this case. We echo Caron's (2020: 822-823) discussion that perhaps it is more important to focus on such dreams and aspirations, because "while actual migrations primarily reflect socio-economic resources, political constraints and the structure of opportunity (Boneva and Frieze, 2001; de Haas and Fokkema, 2011), migration intentions, as they are costless and not binding, reveal different mechanisms." Such a focus on "migration imaginaries" (Bolognani, 2016) merits attention, because "they shed light on identification processes and transnational ways of being and belonging" (Caron, 2020: 823). This article investigates Syrian refugee onward migration ideas as a means to understand their personal transfigurations in both Jordan and the specific country in which they picture themselves.

2.2 Research Background

TRAFIG, Transnational Figurations of Displacement, is an EU-funded Horizon (2020) research and innovation project. From 2019 to 2022, 12 partner organizations investigate long-lasting displacement situations at multiple sites in Asia, Africa and Europe and analyze options to improve displaced people's lives. The project aims to generate new knowledge to help develop solutions for protracted displacement that are tailored to the needs and capacities of persons affected by displacement. TRAFIG looks at how transnational and local networks as well as mobility are used as resources by displaced people to manage their everyday lives. As an evidence-based tool for creating impact, TRAFIG supports policymakers and practitioners to enhance the self-reliance of those in protracted displacement situations (pds) as well as host-refugees' relations through tailored programming and policy development. We closely cooperate with key stakeholders throughout the entire life cycle of the project, building on the state-of-the-art in forced migration and refugee studies, theories and concepts in the fields of anthropology, sociology, political science, human geography and development (Ferreira et al., 2020; Etzold et al., 2019).

TRAFIG project has main five themes: Theme 1: Navigating through governance regimes of aid and asylum. Theme 2: Living in 'limbo' livelihood (in)security and immobility. Theme 3: Following the networks, connectivity and mobility. Theme 4: Building alliances- integration and intergroup relations between refugees and hosts and Theme 5: Seizing opportunities, new economic interactions and development incentives (TRAFIG, 2019 a). The project investigated these themes in the above-mentioned countries, including Jordan, through the mixed-method approach with combining both qualitative and quantitative methods to gain better insights into the transnational figurations of displacement issues.

This paper aims to present one of the main results of (Theme 2: **Living in 'limbo' livelihood (in)security and immobility**). This theme focuses on creating a better understanding of the everyday life of displaced people. It aims to assess displaced people's livelihood strategies; networks of support within and beyond families and access to local labour market (TRAFIG, 2019 b).

The TRAFIG project in Jordan is implemented in the following areas: Irbid, Al-Mafraq and Ajloun governorates, in addition to Al-Ramtha district using the mixed-method approach.

3. Method and Data collection:

3.1 Participants' Characteristics

In total, the researchers conducted 20 semi-interviews; most respondents were females, who were formulating 80% of the interviewees. Most of the respondents fall within the age groups (20-29) and (30-39) years. The vast majority were from Daraa (19), while one participant was from Hims. As for marital status, the majority were married (80%). All married and divorced participants have children; the results showed that 64.7% have one to three children, while 35.3% have four to six children. The educational background is varied, however; 40% of the participants have primary education. Table 1 presents the participants' characteristics in detail.

Doubts are increasingly raised that the three normally discussed durable solutions of: 1) resettlement, 2) local integration and 3) repatriation fail to adequately address the challenges posed by protracted displacement situations (pds). Many authors posit that establishing and maintaining a bureaucracy of aid and asylum and providing humanitarian aid for refugees in organized camps over a longer time are not only costly and inefficient but actually contribute to protracting the displacement situation, especially if no adequate perspectives of social inclusion and economic self-sufficiency are built up or if the needs of host communities that are likewise affected by the PDS are not appropriately addressed (Betts et al., 2017; Hyndman & Giles, 2016). More sustainable solutions would thus have to be embedded in clear political and economic strategies and linked to conflict management, peace building and development actions (Loescher & Milner, 2008). Moreover, given the fact that displaced families often lead multi-local lives and rely on mobility and cross-border transfers, transnationalism has now been proposed as a fourth durable solution to forced displacement (Cohen & van Hear, 2017; van Hear, 2006).

Recent literature on transnational migration has emphasized social actors' ability to be mobile (Black and King, 2004: 80; Piper, 2009: 98). This warrants attention not only on return migration, but also on other forms of secondary migration, including onward migration outside of the first country of refuge (Jeffery and Murison, 2011). The TRAFIG project considers displaced persons' mobility as a socio-economic and socio-psychological resources to be draw from and utilized in resilience and through "figurations of displacement". The concept of transnational figurations of displacement, inspired by figurational sociology and combines the figuration model – a meso-level approach emphasizing the networks of interdependent human beings – with the transnationalism approach and state-of-the-art knowledge on forced displacement (Etzold et al., 2019).

Figurations of displacement come into being through people's enforced mobility. They are then sustained and rearranged across interconnected places and territories by the engagement of stakeholders, designated policies and legal frameworks at multiple scale levels. TRAFIG proposes solutions that are networked and transnational, departing from place-based and territorial solutions. Mobility plays a key role in the experiences of displaced persons, the policies and laws that govern them and the organization and delivery of humanitarian aid and development assistance. Frequently, the loss of mobility is a key cornerstone to defining, containing and even controlling and securitizing refugees and displaced persons. However, refugees and displaced persons are not limited to one place when it comes to their network and relation, which spread across multiple places and country borders. This is a key paradox investigated by the TRAFIG project from the theoretical and conceptual perspective of transnational figurations [transfigurations] of displacement. One of the cases in which the role and importance of displaced persons' mobility have been raised is that of Syrian refugees in Jordan.

Concerning the future ambiguity of Syrian refugees, local and global stakeholders have already begun to consider the return of the six million refugees, especially as neither the option of local integration in the countries of the first asylum nor that of resettlement to third countries is seen as a realistic possibility. The return of Syrian refugees is problematic, since the conditions of safety, voluntariness and sustainability are not fulfilled at the current time (Içduygu & Nimer, 2020). Several studies and surveys have shown that 85% of Syrian refugees do not intend to return to Syria shortly (MED, 2019).

For most of these refugees, return to Syria or onward migration to the West is not a realistic option (Trapped in Jordan, Syrian refugees see no way home, 2019). Compounded with the severe challenges to building an economically viable and secure livelihood in Jordan, Syrian refugees often find themselves contemplating, imagining and dreaming of better lives elsewhere, with few pathways to realize these ideas.

In this article, we examine the aspirations, desires and intentions of Syrian refugees to leave Jordan, rather than actual migration behaviors. As Caron (2020) discusses, migration intentions are not necessarily good predictors of real behavior (Carling, 2002; Docquier, Peri and Ruyssen, 2014;

governorates, ranging from 2.8%-0.3%, (UNHCR, 2020 b). It's estimated that around 78% of Syrian refugees in Jordan are living below the poverty line (USD 96 per month) (UNHCR, 2020 b).

1.1 Problem Statement

Some studies examined the Syrian crisis and its implications in multi-faceted issues. One of these issues which did not get quite considerable attention yet is the Syrian refugees future aspiration. Among the possible reasons are the uncertainty and ambiguity associated with the Syrian crisis itself and the focus on other demanding issues, such as providing services, mainly health, housing and education. However, as the crisis has prolonged, with more than ten years now, it has become essential to investigate issues related to the protracted displacement of Syrian refugees in hosting countries, including Jordan.

1.2 Purpose of the Study

This paper aims to present one of the main results of (Theme 2: **Living in 'limbo' livelihood (in)security and immobility**). This theme focuses on creating a better understanding of the everyday life of displaced people. It aims to assess displaced people's livelihood strategies, networks of support within and beyond families and access to local labour market (TRAFIG, 2019 b).

More specifically, the purpose of this study is to investigate the future intentions of Syrian refugees' resident in Jordan, particularly the Syrian residents in Irbid governorate as the third highest governorate to host Syrian refugees 20.6% (UNHCR, 2020 b).

1.3 Question of the Study

As indicated above, this paper is part of a broader study that aimed to investigate the protracted displacement of Syrian refugees in Jordan. This paper presents the participants' response to the following question: **It is a long time since you have been displaced. Where and how do you see your future?**

1.4 Study Significance

This study examined a vital issue related to the Syrian crisis, which is the future aspiration of Syrian refugees from their own perspective. Some studies in hosting counties, including Jordan, Lebanon and Turkey, revealed that Syrians have no intentions to return to Syria in the meantime (ex Içduygu & Nimer, 2020) and some studies and surveys have shown that 85% of Syrian refugees do not intend to return to Syria shortly (MED, 2019). At the same time, the resettlement of Syrian refugees by the most affected countries (Jordan, Lebanon and Turkey) in third countries has notably declined. Furthermore, it is essential to examine the causes that are still deriving the refugees to look for migration from the hosting countries, such as lack of services and lack of support provided to refugees in these countries, which implies the importance of urging international stakeholders, the international community and aid organizations to undertake their responsibility toward the refugees and the hosting countries.

1.5 Study Limitations

The limitations of this study are associated with the method itself, due to the nature of the qualitative method that may not cover wider populations. The results and finding of this study may be limited to Syrian refugees' resident in Jordan, and in Irbid governorate particularly.

2. Review of Related Literature

2.1 Protracted Displacement

The UNHCR defines protracted displacement as the displacement for five years or more; yet, from 1974–2014, no e refugee out of in 40 was resolved within three years. In fact, more than 80 percent of all refugee crises lasted for 10 years or more (Tull, 2019). Protracted displacement is defined "as one in which 25,000 or more refugees from the same nationality have been in exile for five consecutive years or more in a given asylum country" (UNHCR, 2018: 22).

Protracted Displacement for Syrian Refugees in Jordan: Future Intentions

Fawwaz Ayoub Momani [*], Tamara Al-Yakoub[**], Sarah Tobin[***], Are Knudsen[***], Benjamin Etzold[****], and Rasheed Al-Jarrah[*****]

Received on: 28/04/2021 DOI:https://doi.org /10.47017/32.1.12 Accepted on: 20/10/2021

Abstract

After nearly a decade of protracted displacement for Syrian refugees in Jordan, this paper aims to investigate the conditions of Syrians who lives in limbo and the livelihood (in)security and immobility. This study was conducted in Irbid city, which according to the UNHCR hosts the third highest number of refugees after the capital Amman and Al-Mafraq. The study is based on qualitative approach by conducting 20 semi-structured interviews with persons who experience protracted displacement themselves. The main finding of the study is that most Syrians are facing difficulties due to aid decline and due to the increasing life expenditures in Jordan in general. Other findings related to education revealed that most of the participants' children have access to public schools and schools for Syrians, while on the other hand, some of them prefer private schools. The participants have access to medical and health services in general; however, some of them reported that they have to pay the cost of the treatment due to lack of aid support to medical treatment and/or pressure on the aided services. One of the key findings of this study when the participants were asked about their future plans after having been displaced for a long time in Jordan is that the vast majority of them have no intention to return back to Syria, as they are pessimistic about security and living conditions. Furthermore, few participants indicated their intention to stay in Jordan as their primary choice, while others were hoping to be displaced to one of the European countries or Canada aiming to have more educational and medical services and for better life condition in general.

Keywords: Protracted displacement, Syrian refugees, Jordan, Syria, leave intentions, immigration.

1. Introduction

Since established, Jordan has witnessed several immigration waves, mainly the Palestinian refugees in 1948 and 1967 and then in recent years, Jordan hosts Iraqi and Syrian refugees. Jordan's hospitality policy and tolerance in addition to its geographic location make it the first destination for asylum seekers and refugees. Nevertheless, due to Jordan's hospitality policy and its geographic location, Jordan become the second highest share of refugees *per capita* in the world, which placed huge burdens on its infrastructure and services, including healthcare and education, as well as other natural resources, most importantly water supply (Al-Yakoub, 2018). According to the UNHCR, Syrian refugees form 88% of the total registered refugees in Jordan, then come refugees from Iraq with 8.9%, then 1.95% from Yemen, 0.81% from Sudan, 0.1% from Somalia and 0.21% from different nationalities. In Jordan, there are refugees from 57 nationalities, 83.2% of whom live in urban areas and 16.8% live in three camps: Zaatari camp, Al-Azraq and Emirati-Jordanian camp (UNHCR, 2020 c).

Since the onset of the Syrian crisis in 2011 and its disastrous consequences, millions of Syrians have escaped across borders due to safety reasons. It's estimated that Jordan hosts 1.4 million Syrian refugees; however, according to the UNHCR, only 659,673 are officially registered, where 19.1% of them are living in the camps and 80.9% are living in urban areas, mainly in four governorates (Amman, 29.5%; Al-Mafraq, 24.8%; Irbid, 20.6%; Zarqa, 14.6%) and 10.5% are living in eight

© 2023 AYHSS Publishers. / Yarmouk University, Irbid, Jordan. All Rights Reserved.

[*]Department of Psychological Counseling, Yarmouk University, Irbid, Jordan
[**] Public Administration Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan
[***] CMI - (Chr. Michelsen Institute), Norway.
[****] Bonn International Center for Conversion (BICC), Germany.
[*****] English Language Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan,

Abhath Al-Yarmouk
Humanities and Social Sciences Series

Volume 32, No. 1, March. 2023

Contents

Articles in Arabic

- **Spatial Analysis of Government Departments' Sites in Irbid Using Geographic Information Systems** 1
  Qasem Al-Dweikat and Rawan Al-Jamrah
- **The Social Implications of Coronavirus "COVID-19": A Field Study on the Jordanian Society** 29
  Abdel- Basit Abdallah Al-Azzam and Noor Rakan Al-Ta'ani
- **A Dialogue with a Media Text (Haikal's Text about Jamal Hamdan)** 55
  Nabil yousef haddad
- **The Synthetic Displacement in the Poetry of Yahya al-Ghazal al-Andalusi** 69
  Omar Faris Al-Kafaween
- **The Image of the Palestinian in Modern Hebrew Novel between "Old New Land" and "Khirbet Khazaa"** 91
  Nida'a Ahmad Masha'l
- **The Deviation of Poetic Significance: A Study of the Structure of Poetic Language According to Ibrahim Ibn Al-Abbas** 113
  Sahar Mohammad Al-Jadallah and Ahlam Wasef Massd
- **The Terminology of al-Qabālah in the Linguistic, Historical and Doctrinal Contexts** 133
  Ibrahim Sadaqah and Fatmah Hammoni
- **Geographical Analysis of the Mos Important Geographical Factors Affecting Palm Production in the Kingdom of Saudi Arabia 1975-2015** 157
  Saleh Mohmmed AL-Malky
- **Integrative Employment of Hydrological and Climate Models in Estimating the Water Budget: A Case Study of the Wadi Fatimah Basin (Saudi Arabia)** 181
  Saleh Abdul Mohsen Al-Shammari
- **The impact of social and economic characteristics on the emergence of the informal transport service within the Greater Irbid Municipality** 203
  Omar Al-Da'diafleh and Hanadi Al-Khatib
- **Investigating Al-Shafi'i's opinion on reclamation** 221
  Harith Muhammad Salama Al-Issa

Articles in English

- **Protracted Displacement for Syrian Refugees in Jordan: Future Intentions** 237
  Fawwaz Ayoub Momani, Tamara Al-Yakoub, Sarah Tobin, Are Knudsen, Benjamin Etzold, and Rasheed Al-Jarrah

Abhath Al-Yarmouk

HUMANITIES

and Social Sciences Series

Volume 32, No. 1, March. 2023

Abhath Al-Yarmouk "Humanities and Social Sciences Series" (ISSN 1023-0165),
(abbreviated: A. al-Yarmouk: Hum. & Soc. Sci.) is a quarterly refereed research journal

Manuscripts should be submitted to:

The Editor-In-Chief

Abhath Al-Yarmouk, Humanities and Social Sciences Series

Deanship of Research and Graduate Studies

Yarmouk University, Irbid, Jordan

Tel. 00 962 2 7211111 **Ext**. 2074

E-mail: *ayhss@yu.edu.jo*

Yarmouk University

Website: *http://journals.yu.edu.jo/ayhss*

Abhath Al-Yarmouk

HUMANITIES

and Social Sciences Series

Volume 32, No. 1, March. 2023

Abhath Al-Yarmouk

HUMANITIES

and Social Sciences Series

Volume 32, No. 1, March. 2023

Advisory Academic Committee:

Prof. Muhammad Khair Ali Mamser
Previous Minister of Youth

Prof. Abdel Nasser Abu Al-Basal
Yarmouk University - Former Minister of Awqaf

prof. Nouman Ahmed Al-Khatib
Amman Arab University - former member of the Constitutional Court

Prof. Sayyar Al-Jumail
Western University – Canada

Prof. Sherif Darwish Al-Labban
Cairo University

Prof. Abdul Latif bin Hammoud Al Nafi
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Prof. Pill Harris
University of South Africa, (UNISA)

Abhath Al-Yarmouk

HUMANITIES

and Social Sciences Series

Volume 32, No. 1, March. 2023

EDITOR-IN-CHIEF: **Prof. Anis Khassawneh.**

Department of Public Administration, Yarmouk University.

EDITORIAL BOARD:

Prof. Lafi Dradkeh

Faculty of Law, Yarmouk University.

Prof. Othman Ghnaim

Faculty of Business, Al-Balqa Applied University.

Prof. Yahia Shatnawi

Faculty of Al-Sharee'a and Islamic Studies, Yarmouk University.

Prof. Hussain Abu Al-Ruz

Faculty of Physical Education, Yarmouk University

Prof. Ahmad Al-Jawarneh

Faculty of Art, Yarmouk University.

Prof. Ali Nejadat

Faculty of Mass Communication, Yarmouk University.

LANGUAGES EDITOR: Haider Al-Momani and Dr. Saf'a Al-Shrideh

EDITORIAL SECRETARY: Manar Al-Shiyab.

Typing and Layout: Manar Al-Shiyab.